

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الطور

مقصودها تحقيق وقوع العذاب الذى هو مضمون الوعيد المقسم على وقوعه فى الذاريات الذى هو مضمون الإنذار المدلول على صدقه فى ق، فان وقوعه أثبت وأمكن من الجبال التى أخبر الصادق بسيرها، وجعل ذلك بعضها آية على ذلك، ومن الكتاب فى أثبت أوضاعه^٢ لإمكان غسله وحرقة، ومن البيت الذى يمكن عامره وغيره لإخراجه، ه والسقف الذى يمكن رافعه وضعه، والبحر الذى يمكن من سجره أن يرسله، وقد بان أن اسمها أدل ما يكون على ذلك بملاحظة القسم وجوابه حتى بمفردات الألفاظ فى خطابه (بسم الله) الملك الأعظم ذى الملك والملكو (الرحمن) الذى عم بالرحمات من حقيقه الثبوت (الرحيم) الذى خص برحمته وتوفيقه أهل القنوت . ١٠

لما ختمت الذاريات بتحقيق الوعيد، افتتحت هذه بآيات العذاب الذى هو روح الوعيد، فقال تعالى: (و الطور لا) وذلك أنهم لما كانوا يقولون عما آتاهم به الرسول صلى الله عليه وسلم: إنه سحر خيال لاحقيقة

(١) الثانية والخمسون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها ٤٤ عند الكوفيين والشامى و ٤٨ عند البصريين و ٤٧ عند المدنيين والكنى - راجع نثر المرجان ٧ / ٥٣ (٢) من مد، وفى الأصل: أوضاعها .

له . أقسم بالجلل - الذى هو عندهم وعند غيرهم من ذوى العقول - أثبت
الارض وأشدها وأصلبها، وعبر عنه بالطور الذى هو مشترك بين
مطلق الجبل وبين المضاف إلى سينا / الذى كان فيه نبوة موسى عليه
السلام وإنزال كثير من كتابه وغير ذلك - آيات تعلبها بنو إسرائيل
ه الذين يستنصحوهم ويسألونهم عن النبى صلى الله عليه وسلم ويرضون
بقولهم فيه . فمن آياته أنه كانت فيه الرحمة بمناجاة موسى عليه السلام
وما كتب له فيه على الواح الجواهر وما أنزل عليه من التاموس
الذى جعله هدى ورحمة وموعظة وذكرى وتفصيلا لكل شىء . وكان
فيه مع الرحمة العذاب بما أتاهم من الصاعقة التى أماتهم ثم أحيام الله
١٠ وبما كانوا يشاهدون من السحاب الذى تخلاه فيكون كقنطار الآتون ،
وفيه بروق كأعظم ما يشاهد من النار ، وأوراق تزعق بصوت هائل ،
ولما شوهد من اندكاك الجبل عند التجلى وصعق موسى عليه السلام
إلى غير ذلك من الآيات التى تكشف الظلمات ، وأيضا فالطور كل
جبل يفت ، وإنبات الجبل عجيب ، فإن نباته لا يكون إلا بسبب ، وسبب
١٥ النبات الماء ، والماء منبت فى الارض لتركيبها عليه وهو مواز لما انكشف
منه من ماء البحار ، وكلما علت الارض بعدت عن الماء ، والجبال
أبعدها منه ، فسبب إنباته خفى جدا لا يعلمه إلا الله [و من فهمه إياه - ٦] .

(١) من مد ، وفى الأصل : مضاف (٢) من مد ، وفى الأصل : الصنعة .
(٣) من مد ، وفى الأصل : كان عظم (٤) من مد ، وفى الأصل : البوارق .
(٥) فى مد : بعضها يكشف (٦) ريد من مد .

ولما كانت الأرض لوح السماء التي منها الوعيد، وكانت الجبال أشدها، فذكر أعظمها آية. وكان الكتاب لوح الكاتب، وكانت الكتب الإلهية أثبت الكتب، وكان طور سينا قد نزل فيه كتاب إلهي قال: ﴿ وكُتِبَ ﴾ وحق أمره بقوله: ﴿ مسطور ﴾ أي متفق الكتابة بسطور مصفوفة من^٢ حروف مرتبة جامعة للكلمات متفقة ككتاب موسى عليه السلام الذي أنزل^٣ عليه وكلمه بكثير منه في الطور [و-^٤].
تذكيره للتعظيم لأنه إن كان المراد به الكتب الإلهية فهو أثبت الأشياء، وإن كان المراد القرآن بخصوصه فهو أثبتا لا مبدل لكلماته، وإن كان المراد صحيفة قريش فقد [كانوا -^٥] ظنوها أثبت العهد، و ذكر آتين^٦ ما يكتب فيه وأشدّه وأتقنه فقال: ﴿ في رق ﴾ أي في^٧ جلد مهياً^٨ ١٠
بانتشر للكتابة ﴿ منشور ﴾ أي مهياً للقراءة، الاعتاظ بما فيه، ويمكن أن يكون أراد به جميع الكتب المزالة عاماً بعد خاص، قال الرازي: قال الصادق: إن الله تجلى^٩ لعبده [بكتابه -^{١٠}] كما تجلى^{١١} بالطور لما كان محلاً للتجلي خلقاً، والكتاب لما كان محلاً للتجلي أمراً، أجزهما^{١٢} [في قرن -^{١٣}] انتهى. ويجوز أن يكون أراد به سبحانه صحيفة^{١٤} ١٥
الظلم التي كتبوها بما تعاقدوا عليه من أنهم لا يعاشر من بني هاشم

(١) من مد، وفي الأصل: الكتاب (٢) في مد: في (٣) في الأصل: هو إزاله، وفي مد: أنزل (٤) زيد من مد (٥ - ٥) من مد، وفي الأصل: ذامين. (٦) سقط من مد (٧) من مد، وفي الأصل: يجتلي (٨) من مد، وفي الأصل: بما جراً عما - كذا.

ولا يكلمونهم ولا يبايعونهم ولا يشاورونهم ولا يناكحونهم ولا
 يؤازرونهم ولا يعاملونهم حتى يسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وعلقوها في جوف الكعبة فانجاز بنو هاشم إلى شعب / أبي طالب خلف / ٦٤
 أبي قبيس و تبعهم بنو المطلب رهط إما منا الشافعي رضى الله عنه ، فتجزوا
 ه معهم من بين بنى عبد مناف ، فكان ذلك سبب شرفهم على مدى الدهر ،
 فأرسل الله على الصحيفة - بعد أن مضى على ذلك ستان حين جهدهم العيش
 ومضهم الزمان وزلزلتهم القوارع زلزلا شديدا وهم ثابتون ليظهر الله
 [بذلك - ٢] شرف من شاء من عباده - الأرضة ، فأبقت ٢ ما فيها من
 أسماء الله تعالى ومحت ٣ ما كان من ظلمهم وقطيعتهم ، فكان ذلك سببا
 ١٠ لأن قام في نقضها معشر منهم ، فنقضها الله بهم ، وكانوا إذ ذاك كفرة
 كلهم ليظهر الله قدرته سبحانه على كل من النقص والإبرام بما شاء ومن
 شاء (والبيت المعمور لا) الذى هو قيام للناس كما كانت قبة الزمان
 قياما لبنى إسرائيل ، هذا إن كان تعالى أراد به الكعبة التى علقوا فيها
 الصحيفة بعد أن كانوا لما عمروها اختلفوا فيمن يضع الحجر الأسود في
 ١٥ موضعه ، وزاد بهم الاختلاف حتى تهاؤوا للقتال وتحالفوا عليه ، فكان
 منهم لعقة الدم ، ومنهم المطيبون كما هو مشهور في السير ، ثم وقفوا
 لأن رضوا أن يحكم بينهم أول داخل من باب عينوه ، فكان أول داخل
 منه النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا بأجمعهم : هذا محمد هذا الأمين ، رضينا

(١) في مد ، : لتجزوا (٢) زيد من مد (٣) من مد ، وفي الأصل : فالتق

(٤) من مد ، وفي الأصل : سميت (٥) ليس في مد .

بحكمه، فحكم صلى الله عليه وسلم بأن يوضع الحجر الشريف في ثوب
و يأخذ رئيس كل قبيلة بطرف من أطرافه ويرفعوه كلهم، فلما وازى
موضعه أخذه هو صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة فوضعه في موضعه،
فكان الفخر له مضاعفا بحكمه وإصلاحه بينهم، واختصاصه بموضعه
وهو معمر بالزوار والخدمة وكثرة الحاشية .

و لما كان البيت لا بد في مساه من السقف قال: (والسقف المرفوع لا)
يريد سقف الكعبة إشارة إلى أنه محكم البناء مغلق الباب متقن السقف
إتقاناً هو أعظم 'من إتقان' سقف قبة الزمان التي شاهد [فيها - ٢]
بنو إسرائيل من العظمة الإلهية والجلال ما إن سألتموه عنه أخبروكم به،
ومع ذلك ساطع على الصحيفة - التي في جوفه، ولعلها كانت في سقفه ١٠
بحيث لا يصل إليها أحد - ما أفسدها تحقيقاً لثبوت ما أراد من أمره
تحذيراً مما توعده به، ويمكن أن يراد به مع ذلك السماء التي فيها ما
توعدون، ومن المعلوم أن لكل ذي عقل أن أقل السقوف لا يرتفع
'بغير عمد' إلا بأسباب لا ترى، فكيف بالسماء التي لها من السعة والعظمة
والثخن وما فيها من الكواكب ما لها بما لا يسع العقول شرحه، وهم ١٥
لا ينظرون أسبابه كما قال تعالى "بغير عمد ترونها" ونقل عن ابن عباس
رضي الله عنهما أنه قال: إنه العرش وهو سقف الجنة .

و لما كان الماء أقوى من كل ما تقدم، ختم به فقال:

(١) في مد: يضع (٢-٢) من مد، وفي الأصل: إتقاناً من (٣) زيد من مد .

(٤-٤) من مد، وفي الأصل: عمد (٥) راجع البحر المحيط ١٤٦/٨ .

(و البحر المسجور لا) أى الذى فيه من الماء أكثر من ملكه و هو ساجره

- / أى مانعه - كما يمنع الكلب بساجوره عن الانسباح، ولو أراد خلاه

/ ٦٥

فاندفق فجرى فأهلك ما مر عليه من جبل و كتاب و بيت كما شوهد لما

سجره سبحانه لبنى إسرائيل فانطلق، و نشفت أرضه ثم لما أراد سبيه على

٥ آل فرعون فعذبهم به فأهلكهم حتى لم يبق منهم أحد .

و لما أقسم بما يدل على نبوة موسى عليه السلام و ثلث بما أشار

إلى نبوة محمد صلى الله عليه و سلم، و ثنى بما هو مشترك بينهما، و كان

الاول مع ذلك دالا على استقرار الأرض، و الثالث على صلاحيتها

للسكنى، و الثانى على الحافظ فى ذلك، و ربيع بما كل المنافع، و حذر

١٠ من السقوط كما خوف بالاول من الخسف، و خمس بما دل على ما

أريد بالاول من الاستقرار [لانه - ٢] لو كان ميل لانطلق البحر إلى

جهته، أجب القسم بقوله: (ان عذاب) و لما كان سبحانه [عظيم - ٣]

الإكرام له صلى الله عليه و سلم، أضاف العذاب إلى صفة الإحسان

و التربية الخاصة به، و أضاف الصفة إلى ضميره إيذانا بأنه يريه فى أمته

١٥ ما يسره. و أن بمائلة "ذنوبهم كذنوب اصحابهم" الماضين إنما هى

فى مجرد الإذلال، لا فى أنه يستأصلهم كما استأصل أولئك فقال: (ربك)

أى الذى تولى تربيتك أى عذاب أراد به بكل من أراد به لاسيما المعادى

لأوليائه سبحانه (لواقع لا) أى ثابت نازل بمن أراد نزول ما هو ثقیل

(١) من مد. و فى الأصل: مما (٢) من مد. و فى الأصل: كتابت (م) زيد

من مد .

من مكان عال كما أنه لو أراد لقلب الأرض التي ثبتها و' أرفع السقف
الذي رفع، وأطلق البحر الذي سجر، كما علم من إطلاقه البحر فإلقه
على آل فوعون حتى أغرقهم به (ماله من دافع^١) لأنه لا شريك
لموقعه لما دلت عليه هذه الأقسام من كمال قدرته وجلال حكمته وضبط
أعمال العباد للجازاة سواء قلنا: إن الكتاب هو الذي يكتبه الحفظة ه
[أو-^٢] الذي يضبط [الدين-^٢]، فلما أوقع الجزاء بهم في الصحيفة،
ونقض معاقبتهم، وفض جمعهم، أخرج معاشرك^٢ من ذلك الضيق
فكذلك يؤيدك حتى توقع بهم و تنقض جمعهم و تكسر شوكتهم
[و نقتل سرواتهم -^٢] و يظهر دينك على دينهم، و يصير من بقى منهم
من حزبك و أنصار دينك، قال البغوي: [قال جبير بن مطعم رضى الله ١٠
عنه -^٢]: قدمت المدينة لأكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
في أسارى بدر، فدفعت إليه و هو يصلى بأصحابه المغرب وصوته يخرج
من المسجد فسمعتة يقرأ "و الطور - إلى قوله: إن عذاب ربك لواقع
ماله من دافع" فكانما صدع قلبى حين سمعتة^٢، ولم أكن أسلمت^٢
يومئذ، فأسلمت خوفا من نزول [العذاب -^٢] ما كنت أظن [أن -^٢] ١٥
أقوم من مقامى حتى يقع بى العذاب .

- (١) من مد، و فى الأصل: ما (٢) زيد من مد (٣) من مد، و فى الأصل:
معاشره (٤) راجع العالم بهامش الباب ٣٠٧/٦ (٥) زيد من مد و العالم.
(٦) العالم و فى الأصل و مد: سمعت (٧) زيد فى مد: حينئذ .

وقال الإمام [ابو - ٢] جعفر بن الزبير : لما توعد تعالى كفار قريش ومن كان على طريقتهم من سائر من كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم^٢ سيصيهم ما أصاب غيرهم من مكذبى الأمم ، المنبه على ذكرهم فى السورة قبل ، ثم أشار سبحانه إلى عظيم / ما ينالهم من الخزي ٥ وأليم العذاب بقوله ” فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون “ أقسم سبحانه على صحة ذلك ووقوعه - والىاذ به سبحانه من مخطئه وأليم عذابه - فقال تعالى ” والطور - إلى قوله تعالى : ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع “ ثم أوماً سبحانه إلى مستحقه ومستوجبه فقال ” فويل للكاذبين “ ثم ذكر [ما - ٢] يعنفون به و يوبخون على ما ١٠ سلف منهم من نسبته عليه الصلاة والسلام إلى السحر فقال تعالى ” ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون “ افسح هذا ام اتم لاتصرون “ ثم أعقب بذكر حال المؤمنين المستجيبين ، ثم ذكر - [إثر - ٢] إعلامه بحال الفريقين - نعمته على نبيه عليه الصلاة والسلام وعصمته ووقايته مما يقول المفترون فقال تعالى ” فذكر فما انت بنعمة ١٥ ربك بكاهن ولا مجنون “ ثم جرت الآى على توبيخهم فى مقاتلتهم ووهن انتقالاتهم ، فرة يقولون : كاهن ، و مرة يقولون : مجنون ، و مرة يقولون : شاعر يترقب موته . فوبخهم على ذلك كله و بين كذبهم وأرغهم وأسقط ما بأيديهم [بقوله - ٢] ” فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صدقين “

(١) من مد ، وفى الأصل : اقام (٢) زيد من مد (٣) من مد ، وفى الأصل : ان (٤) من مد ، وفى الأصل : المستوحين .

وهذا هو المسقط لما تقولوه أولاً وآخراً ، وهذا الذى لم يجدوا عنه جواباً ، ورضوا بالسيف والجلاد ، لم يتعرضوا 'للعاطى معارضته' ، وهذا هو الوارد^٢ فى قوله تعالى فى صدر سورة البقرة "وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا^٢ فاتوا بسورة من مثله^٢" - الآيات ، فاناطقوا فى جوابه بينت شقة "قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هـ هذا القرآن لا ياتون بمثله" فبارك من جعله آية باهرة و حجة قاهرة - انتهى .

ولما أثبت وقوع العذاب ، تشوفت^١ نفس الموقن إلى وقته ، قال مستأنفا ليلان^٢ أنه واقع على تلك الصفة : (يوم تمور) أى تتحرك وتضطرب وتجيء . وتذهب وتكفأ تكفأ السفينة وتدور دوران^{١٠} الرحى ، ويموج بعضها فى بعض ، وتختلف أجزاءها بعضها فى بعض ، ولا زول عن مكان ؛ قال البغوى^٣ : والمور يجمع هذه المعانى فهو فى اللغة الذهاب والمجيء^٤ والتردد والدوران والاضطراب ، قال الرازى : وقيل : تيجى^٥ وتذهب كالدخان ثم تضمحل . (السماء) التى هى سقف بيتكم الأرض (مورا لا) أى اضطرابا شديدا (وتسير الجبال) أى تنتقل^{١٥} من أمكنتها انتقال السحاب ، وحقق معناه بقوله : (سيرا^٦) قصير هاء .

(١ - ١) من مد ، وفى الأصل : المعارضة (٢) من مد ، وفى الأصل : العار . (٣ - ٣) سقط ما بين الرقين من مد (٤) زيد فى الأصل : النفس أى ، ولم تكن الزيادة فى مد لحذفها (٥) فى مد : بيان (٦) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٦ / ٢٠٧ .

منثورا وتكون الأرض قاعا صفصفا .

ولما حقق العذاب و بين يومه ، بين أهله بقوله مسيا عن ذلك :

(فويل) هي كلمة يقولونها لمن وقع في الهلاك . ومعناه حلول شر فاضح يكون فيه ندبة^١ و تفجع (يومئذ) أى يوم إذ يكون ما^٢

٦٧ / ٥ تقدم ذكره (للكاذبين لا) / أى العريقين في التكذيب وهم^٣ من مات على نسبة الصادقين إلى الكذب .

ولما كان التكذيب قد يكون في محله ، بين أن المراد تكذيب

ما محله الصدق فقال : (الذين هم) أى من بين الناس بظواهرهم وبواطنهم (في خوض) أى أعمالهم وأقوالهم أعمال الخائض في

١٠ ماء ، فهو لا يدري أين يضع رجله . ولما كان ذلك قد يكون من دهشة

بهم أو غم ، نفي ذلك بقوله : (يلعبون؟) فاجتمع عليهم أمران موجبان

للباطل : الخوض و اللعب ، فهم بحيث لا يكاد يقع لهم قول ولا فعل في موضعه ، فلا يؤسس على بيان أو حجة . ولما صور تكذبيهم بأشنع

صورة ، بين ويلهم ببيان ظرفه و ما يفعل فيه فقال^٤ : (يوم يدعون)

١٥ أى يدفعون دفعا عنيفا بحفوة و غلظة^٥ من كل^٦ من يقيمه الله لذلك ،

ذاهبين و منتهين (إلى نار جهنم) وهي الطبقة التي تلقاهم بالعبوسة

والكراهة والتغيظ^٧ والزفير ، وأكد المعنى و حققه بقوله : (دعاه^٨)

(١-١) من مد ، وفي الأصل : بدمه (٢) من مد ، وفي الأصل : بما (٣) من

مد ، وفي الأصل : هو (٤) من مد ، وفي الأصل : لو (٥) من مد ، وفي

الأصل : باصنع (٦) من مد ، وفي الأصل : قال (٧-٧) من مد ، وفي الأصل :

بكل (٨) من مد ، وفي الأصل : التغليظ .

قال البغوى^١: وذلك أن خزنة جهنم يغلون أيديهم إلى أعناقهم ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم ثم يدفعونهم دفعا على وجوههم وزجا في أفتيتهم، مقولا لهم تبكيئا وتوينا: (هذه النار) أى الجسم المحرق المفسد لما [أقي - ٢] عليه، الشاغل عن اللعب (التى كنتم) بجبلاتكم الفاسدة .
ولما كان تكذيبهم [بها - ١] فى أقصى درجات التكذيب، وكان هـ [سينا - ١] لكل تكذيب، كان كأنه مقصور عليه فقال مقدما للظرف إشارة إلى ذلك^٢: (بها تكذبون) أى فى الدنيا على التجديد والاستمرار .
ولما كانوا يقولون عنادا: إن القرآن بما فيه [من الوعيد - ٢] سحر، سبب عن ذلك الوعيد [قوله - ٢] مبكئا موبخا متهمكا:
(افسح هذا) أى الذى أتم فيه من العذاب مع هذا الإحراق الذى ١٠
تصلون منه (ام اتم) فى منام ونحوه (لاتبصرون) بالقلوب كما كنتم تقولون فى الدنيا " قلوبنا فى اكنة " ولا بالآعين كما كنتم تقولون للنفوس " من بيننا وبينك حجاب فاعمل انا عاملون "، أى أتم عمى عن المخبر عنه مع إحراقه لهم كما كنتم عميا عن الخبر أى هل تستطيعون أن تقولوا أنكم لاتبصرون المخبر عنه كما كنتم تقولون فى الخبر كذبا ١٥
[و - ٢] فجورا، ثم يقال لهم بعد هذا التبكيئ الذى يقطع بأن جوابهم يكون بأن يقولوا: لا وعزة ربنا ما هو بسحر ولا خيال، بل هو حقيقة،

(١) راجع المعالم بامش الباب ٦ / ٢٠٧ (٢) زيد من مد (٣) زيد فى الأصل : بقوله، ولم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٤) وقع فى الأصل قبل « بجبلاتكم الفاسدة » والترتيب من مد (هـ) من مد، وفى الأصل : اتم .

ونحن في غاية الإبطار [على سبيل -] الإخزاء، و الامتحان والإذلال:
 ﴿اصلوها﴾ أى باثروا حرها وقاسوه وواصلوه كما كنتم تواصلون
 أذى عبادى^٢ بما يحرق قلوبهم ﴿فاصبروا﴾ أى فیتسبب عن تكذيبكم^٣
 فى الدنيا ومباشرتكم لها الآن أن يقال لكم: اصبروا على هذا الذى
 لاطافه لكم به ﴿اولا تصبروا﴾ فانه لا محيص لكم عنها ﴿سواء عليكم﴾
 أى الصبر والجزع .

ولما كان المعهود أن الصبر له منزلة على الجزع، بين أن ذلك
 حيث لا تكون المصيبة إلا على وجه الجزاء / الواجب وقوعه فقال
 معللا: ﴿انما تجزون﴾ أى يقع جزاؤكم الآن وفيما يأتى على الدوام
 ١٠ ﴿ما كنتم﴾ أى دائما بما هو لكم كالجبله ﴿تعملون﴾ [مع - °]
 الأولياء غير مباين بهم، فكان هذا ثمرة فعلكم بهم .

ولما ذكر ما للكاذبين من العذاب المشار إليه بكلمات القسم،
 أتبعه ما لأضدادهم من الثواب المنبه عليه أيضا بتلك الكلمات لئتم الخبر ترغيبا
 وترهيبا، فقال جوابا لمن كأنه قال: فما لمن عاداهم فيك؟ مؤكدا لما
 ١٥ للكفار من التكذيب: ﴿ان المتقين﴾ أى الذين صارت التقوى لهم
 صفة راسخة ﴿فى جنت﴾ أى بساتين دائما فى الدنيا حكما وفى الآخرة .
 ولما كانت البساتين ربما يشقى داخلها أو صاحبها، [نفى هذا بقوله - °]:

(١) زيد من مد (٢) فى مد: عباد الله (٣) من مد، وفى الأصل: تكذيبهم .
 (٤) ومن هنا انقطعت نسخة مد إلى ما سنبه عليه (٥) زيد نظرا للسباق .

﴿ونعيم﴾ أى نعيم فى العاجل ، يعنى بما هم فيه من الانس ، والآجل بالفعل ، وزاد فى تحقيق التمتع بقوله : ﴿فاكهين﴾ أى معجبين متلذذين ﴿بما آتاهم ربهم﴾ الذى تولى تربيتهم بعملهم بالطاعات إلى أن أوصلهم إلى هذا النعيم ، فهو لأن عظمت من عظمته لا يبلغ كنه وصفه . ولما كان المتمتع قد تكون نعمته بعد عذاب ، فبين أنهم ليسوا كذلك فقال : هـ ﴿ووقفهم﴾ أى قبل ذلك ﴿ربهم﴾ أى المتفضل بتربيتهم بكفهم عن المعاصى والقاذورات ﴿عذاب الجحيم﴾ أى النار الشديدة التوقد .
ولما كان من باشر النعمة وجانب النعمة فى هناء عظيم ، قال مترجماً لذلك على تقدير القول : ﴿كلوا﴾ أى أكلا هنيئاً ﴿واشربوا﴾ شرباً ﴿هنيئاً﴾ أى لانقص فيه ، وهو صفة فى موضع المصدر أى هتأم ١٠ بمعنى أن كل ما تناولونه مأمون العاقبة من التخمة والسقم ونحوهما ﴿بما كنتم﴾ أى كونا راسخاً ﴿تعملون﴾ أى مجددين له على سبيل الاستمرار حتى كأنه طبع لكم .

ولما كان النعيم لا يتم إلا بأن يكون الإنسان مخدوماً ، به عليه بقوله : ﴿متكئين﴾ أى مستندين استناد راحة ، لأنهم يخدمون فلا ١٥ حاجة لهم إلى الحركة ﴿على سرر مصفوفة﴾ أى منصوبة واحداً إلى جنب واحد ، مستوية كأنها السطور على أحسن نظام و أبدعه ، قال الأصهبانى : والصفة : مد الشيء على الولاء . ولما كان السرور لا يتم إلا بالتمتع بالنساء قال : ﴿وزوجنهم﴾ أى تزويجاً يليق بما لنا من العظمة .

(١) و قراءة عاصم « فكهين » راجع ثر المرجان ٧ / ٥٧ .

و لما كانت تلك الدار غنية عن الاسباب ، فكانوا غنيين عن العقد ، قال مشيرا بالباء إلى صرف الفعل عن ظاهره فانه إذا كان بمعنى النكاح تعدى بنفسه ، و تضمن الفعل ” قرانهم “ أى جعلناهم أزواجا مقرونين (بحور) أى نساء هن فى شدة يياض العين و شدة سوادها و استدارة حدقتها ه ورقة جفونها فى غاية لا توصف (عين ه) أى واسعات الاعين فى رونق و حسن .

و لما وصف حال المتقين من أعداء المكذبين و بدأ بهم لشرفهم ، أتبعهم من هو أدنى منهم حالا لتكون النعمة تامة فقال : (والذين آمنوا) يعنى أقروا بالإيمان و لم يدلوا و لا بالغوا فى الأعمال الصالحة . و لما كان من هؤلاء من لا يتبعه ذريته بسبب إيمانه لأنه يرتد عنه ، عطف على فعلهم تمييزا لهم و احترازا عن من لم يثبت / قوله :

/ ٦٩

(و اتبعنهم) أى بما لنا من الفضل الناشئ عما لنا من العظمة (ذريتهم) الصغار و الكبار و إن كثروا ، و القرار لأعينهم بالكبار بإيمانهم و الصغار بإيمان آبائهم (بايمان) أى بسبب إيمان حاصل منهم ، و لو كان فى أدنى درجات الإيمان ، و لكنهم ثبتوا عليه إلى أن ماتوا ، و ذلك هو شرط إتباعهم الذريات ، و يجوز أن يراد و هو أقرب : بسبب إيمان الذرية حقيقة إن كانوا كبارا ، و حكما إن كانوا صغارا ، ثم أخبر عن الموصول بقوله : (الحقنا بهم) أى بفضلنا لأجل عمل آبائهم (ذريتهم) و إن لم يكن للذرية أعمال ، لأنه قيل فى المعنى : ” و لأجل عين ألف عين تكرم “

(١) و قراءة عاصم « اتبعنهم » راجع نثر المرجان ٦٠ / ٧ (٢) و قراءة عاصم : « ذريتهم » راجع نثر المرجان ٦١ / ٧ .

و يلحق بالذرية من النسب الذرية بالسبب وهو المحبة ، فان كان معها
أخذ لعلم أو عمل كانت أجدر ، فتكون ذرية الإفادة كذرية الولادة ،
و ذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم : المرء مع من أحب ، في جواب
من سأل عن يحب القوم ولم يلحق بهم .

و لما كان ربما خيف أن ينقص الآباء بسبب إلحاق ذرياتهم بهم ه
شيئا من درجاتهم ، قال : ﴿ وما التثهم ﴾ أى نقصنا الآباء وحبسنا عنهم
﴿ من عملهم ﴾ وأكد التث بقوله : ﴿ من شيء ﴾ بسبب هذا الإلحاق
وكان من فوق رتبهم من الذين يؤمنون و المؤمنين و المتقين و غيرهم
أولى منهم ، وإنما فصلهم منهم لأن هؤلاء قد لا يوقنون قبل دخول الجنة
العذاب ، قال جامعا للفريقين ، أو يقال - [و - ٢] لعله أقرب - أنه ١٠
لما ذكر إلتباع الأدنى للأعلى في الخير فضلا ، أشفقت النفس من أن
يكون إلتباع في الشر فأجاب تعالى بأنه لا يفعل بقوله : ﴿ كل امرئ ﴾
أى من الذين آمنوا و المتقين و غيرهم ﴿ بما كسب ﴾ أى من ولد
و غيره ﴿ رهين ﴾ أى مسابق و مخاطر و مطلوب و أخذ شيئا بدل كسبه
و موفى على قدر ما يستحقه و محتبس به إن كان عاصيا ، فمن كان صالحا ١٥
كان أخذا بسبب صلاح ٢ ولده لأنه كسبه ، و لا يؤخذ به ذلا و هو
حسن في نفسه لأجل الحكم بإيمانه سواء كان حقيقة أو حكما و كل حسن
مرتفع ، فلذلك يلتحق بآيه ، و أما الإساءة قاصرة على صاحبها يؤخذ
بها و يرهن بذنبه و لا يؤخذ بذنب غيره ، و الحاصل أن المعالي التى هى

(١) في الأصل : فيكون (٢) زيد نظرا للسياق (٣) في الأصل : صلاحه .

كالحياء تفيض من صاحبها على غيره فتحيه ، و المساوى التي هي كالموت
لا يتعدى صاحبها ، قال الرازي في اللوامع . أعلم أن الذوات بقاؤها ودوامها
بقاء صورها ، فحيث ما كانت الصورة المقومة لها أدوم كانت الذوات
بها أقوم ، و أن النفوس الإنسانية ذوات و صورها علومها و أخلاقها ،
هـ فحيث ما كانت العلوم حق اليقين ثم عين اليقين ، و الأخلاق مقومة
على نهج الشرع المبين ، كانت النفوس دائمة بدوامها غير مستحيلة ، إذ
لا تطرق الاستحالة إلى اليقين و العلم الحق ، و غير كائنة و لا فاسدة
/ إذ ليس عين اليقين و لا العلوم الحقيقية من عالم الكون و الفساد ، و إن
لم تبلغ النفس إلى كمال اليقين فتعلقت بدليل صاحبها كما انخرطت في
١٠ سلكها حتى يخرط الإنسان في سلك محبته ، و لو احب أحدكم حجرا حشرا
معه ، فإن الدين هو الحب في الله و البغض في الله ، و لهذا اكتفى الشرع
من المكلفين بإسلام و تسليم و تفويض و تحكيم دون الوقوف على المسائل
العويصة بالبراهين الواضحة الصحيحة ، و ما لم يبلغ الولد حد التكليف
و اختتم الحقوا بآبائهم و حكم عليهم بحكم عقائدهم و آرائهم حتى يكون
١٥ [حكم - ١] آباؤهم جاريا عليهم و حكم القيامة نافذا فيهم ، و أما إذا
كانت الصورة القائمة بالذوات مستحيلة بأن كانت جهلا و باطلا ينقص
أوله آخره و آخره أوله ، كانت ذات النفس لا تنعدم و لا تنقضي بل تبقى
على حال لا يموت فيها و لا يحيى ، فانها لو فئت لاستراحت و لو بقيت
لاستطابت ، فهي على استحالة بين الموت و الحياة ، و هذه الاستحالة

(١) زيد نظرا للسياق .

لا تكون إلا في أجساد و أبدان ” كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا
غيرها “ انتهى . و هو كما رى في غاية النفاسة ، و يؤيده ” يحشر المرء
على دين خليله فلينظر أحكم من يخال ، و يجوز أن تكون الجملة تعليلا
لما قبلها من النفي ، أى ما نقصناهم لأنه قد سبق في حكما بأن يكون
” كل امرئ ، قدرنا أن يرتنن بما قد ينقصه “ بما كسب “ أى لا يضر ما
كسب ما كسبه غيره ” رهين “ أى معوق عن النعيم حتى يأتيه بما يطلق
من العمل الصالح .

و لما جمعهم في إلحاق الذرية بهم لأنه من أعظم النعيم ، و أمهم
بما قد يخشى من نقصهم بنقصه غيرهم ، و علل ذلك ليكون أرسخ في النفس ،
أتبعه بما يشاكله فقال : (و امددتهم) أى الذين آمنوا و المتقين و من ١٥
الحق بهم من ذرياتهم بما لنا من العظمة زيادة على ما تقدم (بفأكهة) .
و لما كانت الفأكهة ظاهرة فيما يعرفونه في الدنيا و إن كان عيش الجنة
بجميع الأشياء تفكها ليس فيه شيء يقصد به حفظ البدن قال :
(و لحم مما يشتهون) ليس فيه شيء منه مما لا يعجبهم غاية الإعجاب .

و لما كان هذا النعيم العظيم المقيم يدعو إلى المعاشرة ، بالقرينة ١٥
الطاهرة ، بين أن ذلك حالهم اللازمة الظاهرة ، من الحصول اللائقة
الطاهرة ، فقال : (يتنازعون) أى يشربون متجاذبين مجاذبة الملاعبة
لفرط المحبة و السرور و تحلية المصاحبة (فيها كأسا) أى خمر من
رقة حاشيتها تكاد ان لا ترى في كأسها . و لما كان في خمر الدنيا غوائل
نقاها عنها فقال : (لا لغو) أى سقط مما يضر و لا ينفع (فيها) ٢٠

أى فى تنازعها ولا بسبها لأنها لا تذهب بعقولهم ولا يتكلمون إلا بالحسن
الجميل (ولا تائسهم) أى ولا شئ فيها مما يلحق شئ ابها إنما
ولا يسوغ نسه .

ولما كانت المعاطاة لا يكمل بسطها ولا يعظم إلا بخدم وسقاة قال :

٧١ / ٥ (ويطوف / عليهم) أى بالكؤوس وغيرها من أنواع التحف

(غلمان) ولما كان أحب ما إلى الإنسان ما يختص به قال : (لهم)

ولم يضيفهم لثلاثين لأنهم الذين كانوا يخدمونهم فى الدنيا فيشفق كل

من خدم أحدا فى الدنيا بقول أو فعل أن يكون خادما له فى الجنة

فيحزن بكونه لا يزال تابعا ، وأفاد التشكير أن كل من دخل الجنة

١٠ وجد له خدما لم يعرفهم قبل ذلك (كأنهم) فى بياضهم وشدة صفائهم

(لؤلؤ مكنون) أى مصون فى الصدف لم تغيره العوارض ، هذا حال

الخادم فما ظنك بالمخدوم .

ولما كان ألذ ما إلى الحبيب وأعظم ما يكون من أربه ذكر محبوه

والثناء عليه بما من به ، قال تعالى شارحا لذلك عاطفا على ما تقديره :

١٥ فأقبلوا على تعاطى ما ذكر من النعم : (وأقبل بعضهم) لما ازددهم من

السرور ، وراقهم^٢ من اللذة والحبور (على بعض يتسألون) أى يسأل

بعضهم بعضا عن السبب الموصل له إلى هذا النعيم الذى لا يقدر مخلوق

على وصفه حق وصفه ، ثم استأنف شرح ذلك بقوله : (قالوا) أى

(١) ومن هنا تستأنف نسخة مد (٢) زيد فى الأصل : وراقهم ، ولم تكن

الزيادة فى مد فخذناها .

قال كل منهم مؤكدا استلذاذا بما أدام إلى ما هم فيه لانه [لا - ١]
يكاد يصدق، مستدين النعمة بفعل الكون إلى الله الذي جبلهم جلة خير،
مستطمين الجار إشارة إلى دوام خوفهم، تنبيها على أن الخوف الحامل على
الكف عن المعاصي يشترط فيه الدوام، بخلاف الرجاء الحامل على
الطاعات، فانه يكفي فيه ما تيسر كما تأتي الإشارة إليه بآيات الجار: ه
﴿ انا كنا قبل ﴾ أى فى دار العمل ﴿ فى اهلنا ﴾ على ما لهم من العدد
والعدد والنعمة والسعة، ولنا بهم من جوارب اللذة والدواعى إلى اللعب
﴿ مشفقين ﴾ أى عريقين فى الخوف من الله لا يلهيها عنه شيء مع لزومنا
لما نقدر عليه من طاعته لعلنا بأننا^٢ لا نقدره لما له من العظمة والجلال
والكبرياء والكمال حق قدره، وأنه لو واخذنا بأصغر ذنوبنا أهلكنا: ١٠
قال الرازى: والإشفاق: دوام الحذر مقرونا بالترحم، وهو أن يشفق
على النفس قبل أن تجمع إلى العناد، وله أقسام: إشفاق على العمل أن
يصير إلى الضياع، وإشفاق على الخليفة لمعرفة مقاديرها، وإشفاق على
الوقت أن يشوبه تفرق وعلى القلب أن يمازجه عارض [و - ١] على
النفس أن يداخلها سبب - انتهى .

١٥

و لما حكى عنهم سبحانه أنهم أنبتوا لأنفسهم عملا تدريبا لمن أريدت
سعادته، فكان بحيث يظن أنهم رأوه هو السبب لما وصلوا إليه، قالوا
نافين لهذا الظن، مبينين أن ما هم فيه [إنما هو - ١] ابتداء تفضل من الله
تعالى لأن إشفاقهم^٢ منه سبحانه لكى لا يعتمد الإنسان على شيء من عمله
(١) زيد من مد (٢) من مد، وفى الأصل: بان (٣) من مد، وفى
الأصل: واشفاقه .

فلا يزال معظما لربه خائفا منه: ﴿فَنُالله﴾ الذي له جميع الكمال بسبب
إشفاقنا منه ﴿علينا﴾ بما يناسب كماله فأَمَتْنَا ﴿وَوَقَتْنَا﴾ أى وجبنا
بما سترنا به^١ ﴿عذاب السموم﴾ أى الحر النافذ فى المسام نفوذ السم.

/ ٧٢

ولما ذكروا إشفاقهم، بينوه مؤكدين أيضا لمثل ذلك بقولهم:
﴿انا كنا﴾ أى بما طبعنا عليه وهيتنا له. ولما كان الدعاء بمعنى فعل
العبادة، وكانت تقع فى بعض الزمان، أثبت الجار إشارة إلى ذلك
مع إسقاطه قبل هذا^٢ فى الدعاء^٣ بالقوة إشارة إلى أن التحلى بالفضائل
يرضى منه باليسر، والتخلى عن الرذائل لا بد فيه من البراءة عن كل قليل
وكثير قبيح: ﴿من قبل﴾ أى فى الدنيا ﴿ندعوه^٤﴾ أى نسأله ونعبده
١٠ بالفعل، وأما خوفا بالقوة فقد كان فى كل حركة وسكنة، ثم عللوا
دعائهم إياه مؤكدين لأن إنعامه عليهم مع تقصيرهم بما لا يكاد يفعله غيره،
[فهو - ٢] مما يعجب منه غاية العجب فقالوا: ﴿انه هو﴾ أى وحده
﴿البر﴾ الواسع الجود الذى عطاؤه حكمة ومنعه رحمة، لأنه لا يتقصه
إعطاء^٥ ولا يزيده منع، فهو يبر عبده المؤمن بما يوافق نفسه فر بما بره
١٥ بالنعمة وربما بره بالبؤس، فهو يختار له من الأحوال ما هو خير له
ليوسع له فى العقبي، فعلى المؤمن أن لا يتهم ربه فى شيء من قضائه
﴿الرحيم﴾ المكرم لمن أراد من عباده باقامته فيما يرضاه من طاعته،

(١) زيد فى الأصل من، ولم تكن الزيادة فى مد لحذفها (٢-٣) من مد، وفى

الأصل: بالدعاء (٣) زيد من مد (٤) من مد، وفى الأصل: عطاء.

ثم

(٥)

٢٠

ثم بافضاله عليه وإن قصر في خدمته .

ولما كان هذا مع تشويقه^١ إلى الجنة والأعمال الموصلة إليها وعظا يرقق القلوب ويحلى الكروب ، سبب عنه قوله : ﴿ فذكر ﴾ أى جدد التذكير بمثل هذا اكل من يرجو خيره ودم على ذلك ، وسماء تذكيرا لأنه مما يعلمه الإنسان إذا أمعن النظر من نفسه أرمن الآفاق ، وعلل^٥ التذكير بقوله : ﴿ فما انت ﴾ أى و أنت اشرف الناس عنصرا وأكملهم [نفسا -^٢] وأزكاهم خلأق هم بها معترفون لك قبل النبوة ﴿ بنعمت ربك ﴾ أى بسبب ما أنعم به عليك المحسن إليك من هذا الناموس الأعظم بعد تأهيلك له بما هياك به من رجاحة العقل وعلو الهمة وكرم الفعال وجود الكف وطهارة الأخلاق و شرف النسب ، وأكد التفي بقوله : ١٠ ﴿ بكاهن ﴾ أى تقول كلاما - مع كونه سجعاً متكلفاً - أكثره فارغ وتحكم على المغيبات بما يقع خلاف بعضه . ولما كان للكاهن^٣ والمجنون اتصال بالجن ، أتبع ذلك قوله : ﴿ ولا مجنون ﴾ أى تقول كلاما لانتظام له مع الإخبار ببعض المغيبات ، فلا يفترك قولهم^٤ هذا عن^٥ التذكير فانه قول باطل لا تلحقك به معرة أصلا ، وعما قليل يكون عييا لهم لا يفسله ١٥ عنهم إلا اتباعهم لك ، فمن اتبعك منهم غسل عاره ، ومن استمر على عناده استمر تبابه وخساره .

(١) من مد ، وفي الأصل : تشويقهم (٢) زيد من مد (٣) من مد ، وفي الأصل : الله (٤) من مد ، وفي الأصل : بالكاهن (٥ - ٥) من مد ، وفي الأصل : عن هذا .

نظم الدرر (سورة الطور ٥٢ : ٣٠ - ٣٢) ج - ١٩

و لما كانت نسبته صلى الله عليه وسلم فيما أنام به من هذا القرآن
الآمر بالحكمة إلى أنه أتى به عن الجن الذين طبعهم الفساد بما لا ينبغي
أن يتخيله^١ أحد فضلا أن يقوله له صلى الله عليه وسلم ، ولا يكاد / يصدق
أن أحدا يرميه به ، فكان في طيه سؤال^٢ تقريع و توبيخ ، نه على ذلك
بالعطف على ما تقديره : أيقولون هذا القول البعيد من اقوال أهل
العقول : (أم يقولون) ما هو أعجب في مجرد قوله فضلا عن تكريره .
فأم معادلة للاستفهام قبلها لامقطوعة ، وكذا جميع ما بعدها وهو معنى
ما نقله البغوي^٣ عن الخليل أنه قال : ما في سورة الطور من ذكر " أم " .
كله استفهام و ليس بعطف . (شاعر) يقول : كلاما موزونا بالقصد ،
١٠ يلزمه التكلف لذلك فيغاب إلزام الوزن قائله حتى يجعل اللفظ هو الأصل
ويجعل المعنى تابعا له ، فيأتى كثير من كلامه ناقص المعانى هلل النسيج
مغلوبا فيه على أمره معترفا [إذا وقف عليه بتقصيره متعذرا - ٧] بما
زانه به زعم من أوزانه ، وساق سبحانه هذا وكذا ما بعده من
الاقسام على طريق الاستفهام مع أن نسبتها إليهم محققة ، تنبيهها على أن
١٥ مثل هذا لا يقوله عاقل ، وإن قاله أحد لم يكف الناقل عنه يصدق :

(١) من مد ، وفي الأصل : بما (٢) من مد ، وفي الأصل : محله (٣-٢) من
مد ، وفي الأصل : سواه طئي (٤) لم نعتز عليه في معالم التنزيل بهامش لباب
التأويل في مظانه ، و القول أورده أبو حيان في البحر ١٥١ / ٨ فقال : وحكى
التملي عن الخليل - فتأمل (٥) من مد ، وفي الأصل : يقولون (٦) من مد ،
وفي الأصل : الوزن (٧) زيد من مد .

تربص

(نتربص) أى ننتظر (به ريب المنون) أى حوادث الدهر من الموت وغيره القاطعة ، من المن وهو القطع .

ولما كان كأنه قيل لهم : إنهم ليقولون ذلك ، قال معلما جوابهم :
(قل تربصوا) ولم يعرج على حاجتهم فى قولهم هذا تنبيها على أنه
من السقوط بمنزلة لا يحتاج معها إلى رد بمجادلة ، ثم سبب عن أمره لهم
بالربص قوله : (فاقى معكم) وأكدته تنبيها على أنه يرجو الفرح
بمصيبتهم [كما يرجون الفرح بنصيبه - ١] وإن كانت كثرتهم وقوتهم
عندهم مانعة من مثل هذا التربص (من المتربصين) أى العريقين فى
التربص وإن ظنتم خلاف ذلك ، وأشار بالمعنى إلى أنه مساو لهم [فى
ذلك وإن ظنوا لكثرتهم وقوتهم و وحدته و ضعفه أن الأمر خلاف ١٠
ذلك ، قال القشيري - ١] : جاء فى التفسير أن جميعهم - أى الذين تربصوا
به - ماتوا ، قال : ولا ينبغي لأحد أن يؤمل اتفاق سوقه بموت أحد
لتنتهى النوبة إليه فقل من تكون هذه صفته إلا سبقتة المنية ، ولا يدرك
ما تمناه من الأمنية .

ولما كان قولهم هذا بما لا يقال أصلا وإن قيل على بعده كان ١٥
قوله كأنه على جهة سبق اللسان أو نحو ذلك ، نبه عليه بمعادلة ما تقديره :
أقالوا ذلك ذهولا : (أم نامرم) أى تزين لهم تزيينا يصير مآلهم إليه
من الانبعاث كالآمر (أحلامهم) أى عقولهم التى يزعمون أنهم اختصوا
بمخودتها دون الناس بحيث أنه كان يقال فيهم : أولوا الأحلام والنهى

(١) زيد من مد (٢) من مد ، وفى الأصل « و » .

(بهذا) أى وهم يعتقدون صحته وأنه العدل السواء لأنهم متقيدون بالأحلام والنهى على ما فيه من الفساد بالتناقض بعد اختلال كل قول منه على حدته كما تقدم بيانه، وهو توبيخ عظيم بالإشارة إلى أنه ليست لهم عقول أصلا لقولهم هذا، فإن الكاهن شرطه أن يكون في غاية المعرفة عندهم حتى أنهم يجعلونه حكما [و - ٢] ربما عبده، والمجنون لا يصلح لصالحه لأنه لا يعقل، والشاعر بعيد الأمر بوزن الكلام وكثرته من سجع / الكاهن^٢ وغيره^٢ وكلام المجنون : (ام هم) بظواهرهم وبواطنهم (قوم) أى ذرو قوة على ما يحاولونه فهم لذلك (طاغون ج) أى مجاوزون للحدود، وذلك عادة لهم بما أفهمه الوصف، فهم لذلك لا يبالون بالعناد الظاهر في مخالفته لما تأمر به الأحلام والنهى، ولا يقوله إلا الطغاة السفهاء مع ظهور الحق لهم، فهم يقولون الكلام المتناقض غير مباليين بأحد ولا مستحيين من أن ينسبوا إلى العدوان والمبالغة في العصيان، والآية من الاحتباك : ذكر الأحلام أولا دليلا على ضدها ثانيا، و"طغيان ثانيا على ضده" "العدل السواء" أولا، وسره أن ما ذكر أشد تنفيرا من سوء وأعظم تقييحا له وتحذيرا منه (ام يقولون^٦) ما هو أفحش عارا من التناقض : (تقوله ج) أى تكلف قوله من عند نفسه

(١) من مد، وفي الأصل : بما (٢) زيد من مد (٣ - ٣) سقط ما بين الرقين من مد (٤) زيد في الأصل : امر يقولون، ولم تكن الزيادة في مد لخذلتها. (٥) من مد، وفي الأصل : أولا (٦ - ٦) وقع في الأصل قبل « والآية من الاحتباك » والترتيب من مد.

كذبا و ليس بشعر ولا كهانة ولا جنون، وهم على كثرتهم وإلمام بعضهم بالعلم وعراقة آخرين في الشعر والخطيب والرسول والسجع يعجزون عن مثله بل عن مثل شيء منه . ولما كان الكلام حقيقة في النفس، وكانوا يعلنون بطلان جميع ما يقولونه من ذلك، كان التقدير: لم يقولوا شيئا من ذلك حقيقة واعتقادا (بل لا يؤمنون به) أى لا يقرون بالحق مع علمهم ببطلان قولهم وتناقضه عنادا منهم لا تكذيبا في الباطن . ولما كان هذا القول أظهر بطلانا من كل ما قالوه لأن تكذيبهم لهم على تقدير كذبه - على زعمهم - غير موقوف على شيء خارج عن القوة، طالبهم بالمعارضة لأنهم إذا عارضوه بمثله انفصل النزاع، ولذلك سبب عما مضى قوله تكذيبا لهم في قولهم هذا الذى أظهروه بأستهم ١٠ يوقفون به غيرهم عن الخير: (فلياتوا) أى على أى تقدير أرادوه (بحديث) أى كلام مفرق مجدد لإتيانه مع الاوقات لا تكلفهم أن يأتوا به جملة (مثله) أى القرآن في البلاغة وصحة المعاني والإخبار بالمغيبات مما كان أو يكون على ما هي عليه والحكم .

ولما كان المقصود هنا مطلق التعجيز للكاذبين لا بقيد الاجتماع كما ١٥ في سبحانه لأن نزول هذه أوائل ما نزل، تحداهم بالإتيان بالمثل في التنجيم والتطبيق على الوقائع سورا أو آيات أو دون ذلك، تحدث وتجدد شيئا في أثر شيء - بما أشار إليه التعبير بالحدث، ولذلك أعراه عن تظاهرهم بالاجتماع ودعاء المستطاع، ولكونهم 'كاذبين في جزمهم' بنفسه إلى

(١) من مد، وفي الأصل: لكونكم (٢) من مد، وفي الأصل: جزمكم .

التقول وغيره، أشار إلى ذلك بقوله مقرعا لهم إلهابا إلى الخوض في المعارضة: (ان كانوا) أى كوناهم راسخون فيه (صدقين) أى فى أنه تقوله من عند نفسه شيئا فشيئا، [كونا - ١] هم عريقون فيه كما يزعمون سواء ادعوا أنه شاعر أو كاهن أو مجنون أو غير ذلك، لأن العادة تحيل ٥ أن يأتى واحد من قوم وهو مساو لهم بما لا يقدر [كلهم - ١] على مثله، / والعاقلة لا يحزم بشئ إلا وهو عالم به، ويلزم^٢ من عليهم بذلك قدرتهم على مثل ما يأتى به، فانه صلى الله عليه وسلم مثلهم فى الفصاحة والبلد والنسب، وبعضهم يزيد عليه بالكتابة وقول الشعر ومخالطة العلماء، ومزاولة الخطب والرسائل وغير ذلك، فلا يقدر على ما ١٠ يعجزون عنه إلا بتأييد إلهى، وهو المراد من تكذيبهم، وقد علم من هذا وما تقدم من نحوه مفرقا فى السور التى فيها مثله أن المتحدى به فى كل سورة غير المتحدى به فى الأخرى - والله الهادى، وهذه الأقسام الماضية من تكذيبهم تنأت أن تكون على تقدير الاعتقاد للإله على ما هو عليه من صفات الكمال فأتبعها قسما على تقدير النعطل، وإذا ١٥ لم يكن إله لم يكن رسول فأتى التكذيب، ثم أتبع ذلك قسما آخر هو على تقدير إثبات الإله لكن مع الضعف بالشركة، ولكون الشركة تارة تكون من المتكلم وتارة من غيره، قدم منها ما للتكلم على زعمه، و قدم^٣ تقدير شركته بالخلق ثم بضبط الخزان ثم بالكتابة ثم بسامع

(١) زيد من مد (٢) من مد، وفى الأصل: يلزمهم (٣) من مد، وفى الأصل: لكن (٤) من مد، وفى الأصل: قد تقدم.

الأسرار ثم بضعف السعة بالرضا بالصنف الآرداً .

ولما مضت فضيحتهم بالتحدى ، وكانت عندهم فضيحة التناقض دون
فضيحة المعارضة ، فكانوا يقدمونها عليها ، فلم يحدث أحد منهم يوماً من
الأيام بشيء مما يعارضه به علماً منهم بأنهم يصيرون بذلك إلى خزي
لا يمكن أن يغسل عاره كما صار مسيلة ، لأنهم [كانوا -^١] أعقل العرب ٥
وكان التقدير كما هدى إليه السياق : فانك مستو معهم بالنسبة إلى إيجاد الله
لكم ، هو سبحانه خالقهم كما أنه خالقك ، ولا خصوصية لك منه على
زعمهم : أهو خالقهم كما هو خالقك فليزعمهم أن يأتوا بمثل ما تأتي به ،
وكان ذلك على تقدير إقرارهم بالله وادعائهم لكذبه صلى الله عليه
وسلم ، عادله سبحانه تبكيته لهم وإظهاراً لفضائحهم أشنع مما فروا^٢ ١٠
منه من المعارضة بقوله على تقدير أن يكونوا منكرين للاله أو مدعين
لأن يكونوا آلهة^٣ : (أم خلقوا) أى وقع خلقهم على هذه الكيفية
المتقنة (من غير شيء) فيكونوا مخالفين لصريح العقل إذ تعلق الخلق
بالمخالق من ضرورة الاسم كتعلقه بالخلق ليسلم لهم أنك تأتي بما لا يقدر
على معارضته لأنك أقوى منهم بكونك مستنداً إلى خالق وهم ليسوا مستندين ١٥
إلى شيء أو ليكونوا لذلك أقوى منك وأعلى ، فيكون لهم التكبر
عليك (أم هم المخلوقون^٤) أى الذين لهم هذا الوصف فيكونون قد
خلقوا أنفسهم ليكونوا بذلك شركاء فيكون^٥ الخالق والمخلوق واحداً ،

(١) زيد من مد (٢) من مد ، وفى الأصل : قرارا (م) زيد فى الأصل ؛
فقالوا ، ولم تكن الزيادة فى مد لحذفها (٤) من مد ، وفى الأصل : فيكونوا .

وهو مثل القسم الذى قبله فى عدم الاستناد إلى شيء أو يكون ثبوت
هذا الوصف لهم موجبا لأن يكونوا على ثقة مما يقولون وللتكبر
عليك، فإن ادعوا ذلك حكم أدنى الخلق بمنزلة : (أم خلقوا) أى
[على - ٢] وجه الشرك (السموات و الارض ٤) فهم / لذلك عالمون
٥ بما فيها على وجه الإحاطة واليقين حتى علموا أنك تقولته ليصير لهم رده
والتهم عليه .

ولما كان التقدير: لم يكن شيء من ذلك ليكون لهم شبهة فى
الكلام فيك، عطف عليه قوله : (بل لا يوقنون ٥) أى ليس لهم نوع
يقين ليسكنوا إلى شيء ٢ واحد لكونه الحق أو يعلموا أن هذه الملازم
١٠ الفاضحة تلزمهم فيكفوا عن أمثالها (أم عندهم) أى خاصة دون غيرهم
(خزائن) ولما كان ذكر الرحمة لا يقتضيه مقصود السورة الذى هو
العذاب، لم تذكر كما فى ص و سبحان قليل : (ربك) المحسن إليك
بارسالك بهذا الحديث فاعلموا أن هذا الذى أثبت به ليس من قوله
لأنه لا تصرف له فى الخزائن إلا بهم، فيصح قولهم: إنك تقولته وحيث
١٥ يلزمهم فضايح لا آخرها، منها أن يأتوا بجديد مثله بل أحسن منه من
تلك الخزائن (أم هم) لا غيرهم (المسيطرون ٥) أى الرقباء الحافظون
والجبارون و المسيطون الرؤساء الحكماء الكتبة، ليكونوا ضابطين للأشياء
كلها كما هو شأن كتاب السر عند الملوك فاعلموا أنك تقولت هذا

(١) من مد، وفى الأصل: لتنكر (٢) زيد من مد (٣) من مد، وفى
الأصل: قول (٤) زيد فى الأصل: رحمة، ولم تكن الزيادة فى مد لحذفها .

الذكر لأنهم لم يكتبوا به إليك (ام لهم سلم) يصعدون به [إلى - ١]
 السماء (يستمعون) أى يتعمدون السمع لكل ما يكون فيها ومنها
 (فيه ج) أى فى ذلك السلم وبسببه كما يكون بعض من يحضر مجالس
 الملوك فى الدنيا [ويعلم ما - ١] يقع فيها ليكونوا ضابطين^١ لما يأتى من
 الملك فيعلوا أن ما قالوه فيك حق . ولما كان من يكون هكذا متمكنا
 من الإتيان منها بالمعائب، سبب عنه قوله: (فليات مستمعهم) إن
 ادعوا ذلك (بسلطن ميين^٢) أى حجة قاهرة بينة فى نفسها، موضحة
 لأنها من السماء على صحة ما يرمونك به .

ولما كان ما مضى على تقدير وجود الإله مع الشركة، وكان
 ادعاؤهم الولد^٣ عظيما جدا لدلالته على حاجته وضعفه، وكان جملة بنات ١٠
 أعظم لأنه دال مع ضعفه على سفهه، دل على استعظامه بالالتفات إلى
 خطابهم بعذابهم فقال: (ام له البنت) [أى - ١] كما ادعيتهم
 (ولكم) أى خاصة (البنون^٤) لتكونوا أقوى منه فتكذبوا رسوله
 محمدا صلى الله عليه وسلم وتردوا قوله من غير حجة فتكونوا آمنين من
 عذاب يأتكم منه أضعفه وقوتكم . وهذه الأقسام كلها على تقدير ١٥
 التكذيب، وهى هنا بذكر ما على تقدير التصديق، وإنما وقع الرد
 فيها لعارض عرض .

ولما كان المكذب بشئ قد يكون معترفا بأنه من عند إلهه، وأن

(١) زيد من مد (٢) زيد فى الأصل: للأشياء كلها، ولم تكن الزيادة فى مد
 لحذفها (٣) فى الأصل بياض ملأناه من مد (٤) من مد، وفى الأصل: هذا .

إلهه متصف بجميع 'صفات الكمال' فلا شريك له، وإنما تكذيبه لقادح لا يقدر عليه، وكرب رمى بجميع 'أنكاده' إليه، أعرض عنهم التفاتا إلى الأسلوب الأول فقال مخاطبا له صلى الله عليه وسلم تنويعا بذكره ورفعا لعظيم قدره و تسلية لما يعلم من نفسه الشريفة البراءة منه : / (أم تستلهم) أى ٧٧ /
 ٥ أيها الظاهر الشيم البعيد عن مواضع 'التهم' (اجرا) على إبلاغ ما أتيتهم به (فهم من مغرم) ولوقل، والمغرم : التزام، ما لا يجب (مثقلون) أى حمل عليهم حامل بذلك ثقلا فهم لذلك يكذبون من كان سببا في هذا الثقل بغير مستند ليستر يحوا بما جره لهم من الثقل .

و لما كان من يدعى الانفراد بشئ. يحسد من يدعى مشاركته فيه
 ١٠ قال : (أم عندهم) أى خاصة بهم (الغيب) أى علمه (فهم يكتبون) أى يحددون للناس [كتابة - °] جميع ما غاب عنهم مما يتفهمه ويضرم حتى يحسدونك فيما شاركهم به منه . فيردوه لذلك . وينسوك إلى ما نسبوك إليه مما يعلم كل أحد ترافعك عنه و بعدك منه (أم يريدون) بهذا القول الذى يرمونك به (كيدا) أى مكرا^٧ أو ضرا عظيمًا
 ١٥ يطفئون به نور الله بزعمهم مع علمهم بأنك صادق فيه ، [فهم - °] بسبب إرادتهم ذلك - هكذا كان الأصل ، ولكنه قال تعميما و تعليقا للحكم بالوصف : (فالذين كفروا) أى ستروا الأدلة تارة عنادا و تارة

(١ - ١) من مد ، وفى الأصل : انواع الكلام (٢) من مد ، وفى الأصل : بعظيم (٣) فى مد : مواقع (٤) من مد ، وفى الأصل : الزام (٥) زيد من مد . (٦) من مد ، وفى الأصل : يحسدون (٧ - ٧) سقط ما بين الرقنين من مد .

بالإعراض عن تأملها ﴿م﴾ أى خاصة ﴿المكيدون ه﴾ أى يختص
وبالالكيد بلزومه لهم وقطعه لدابرهم لأن من كان الإله عليه كان
خامرا، وأقرب ما لهم من الكيد الظاهر فى بدر عن انتهاء سنين عدتها
عدة ما هنا من "أم" وهى خمسة عشر مرة لأن بدرا كانت فى الثانية من
الهجرة، وهى الخامسة عشرة من النبوة، فقد سبب الله فيها من الأسباب ه
ما أوجب سعيهم إلى هلاكهم بأمور غارقة للعادة، فلو كانت لهم
بصار لكفتهم فى الهداية، والرد عن الضلالة والغواية .

ولما كان التقدير: أ كذلك الأمر عادله بقوله: ﴿أم لهم الله﴾
يمنعهم من التصديق بكتابتنا، أو يستندون إليه للأمان من عذابنا ﴿غير الله﴾
الذى أحاط بجميع صفات الكمال. فلا يمكن بوجه من الوجوه ولا على ١٠
تقدير من التقادير أن يكون معه إله، ولذلك وصل به قوله:
﴿سبحن الله﴾ أى الملك الأعظم الذى تعالى أن يدانى جنبه شائبة
نقص ﴿عما يشركونه﴾ من الأصنام وغيرها، وأخر سبحانه هذا القسم
وهو من الشركة لكن بالغير لأنه آت على تقدير التصديق للرسول
صلى الله عليه وسلم ولأنه دينهم الذى أوقفهم عن الهدى، فأوقفهم فى ١٥
الردى، ليحتم بنفسه والتزيه عن الأقسام فيحصل به غاية القصد والمرام،
والحاصل أنه قسم به سبحانه حالهم فى ردهم القرآن إلى التكذيب وغيره،
ولما كان التكذيب - وهو النسبة إلى الكذب وهو عدم المطابقة
للواقع - إما فى الإرسال، وإما فى المعانى، [و-] ما وقع به الإرسال

(١) من مد، وفى الأصل: سيهم (٢) زيد من مد .

إما لنقص في الرسول 'أو إما' النقص في المرسل ، و الذي في الرسول
 إما أن يكون لأمر خارج عنه أو لأمر داخل فيه . و لما كان الخارج
 قد يكون معه نقص / دخل بذاته ، و لما كان ذلك قد يكون فيه ما يمدح
 به و لو من وجه ، و هو الكهانة بدأ بها ، و اتبعه الداخل لذلك بأدنا
 بما قد يمدح به و هو الشعر . و لما كان القول بجمع الكهانة و 'الشعر
 و الجنون' في شخص واحد على غاية من ظهور التناقض لا يخفى ، اتبعها
 الرمي بالتهكم على عقولهم . و لما كان الكذب في الرمي بالتقول قد يخفى ،
 أتبعه دليله بالعجز عن المعارضة . و لما قسم ما رواه الرسول ، أتبعهم
 ما ألزمهم به في المرسل ، و لما كان ذلك إما أن يكون بالتعطيل أولا ،
 ١٠ و كان التعطيل أشد ، بدأ به و هو الخلق من غير شيء ، و لما كان النقص
 مع الإقرار بالوجود إما أن يكون بالشركة أولا ، و كان ما بالشركة إما
 أن يكون المكذب هو المشارك أولا ، و كانت شركة المكذب [أقصد
 في التكذيب بدأ بها ، و لما كانت شركة المكذب - '] إما أن تكون
 في الخلق أولا ، و كان الأول إما أن يكون بخلق النفس أو الغير ،
 ١٥ و كانت الشركة بخلق النفس ألصق ، بدأ بها في قوله : " أم هم الخالقون "
 و لما كانت الشركة بغير الخلق إما أن يكون بضبط الحواس أولا ،
 و كان الثاني إما أن يكون بضبط الكتابة فيها و إليه الإشارة بالمسيطر ،
 أو بضبط ما يؤمر به فيها و إليه الإشارة بالسلم أو بسفه صاحب الخزان
 لرضاء بالبنات ، و كان كل قسم أشد مما بعده رتبة هكذا . و لما انتهى ما يرجع
 (١ - ١) في مد : او (٢ - ٢) في مد : الجنون و الشعر (٣) زيد من مد :
 (٤) من مد ، و في الأصل « و » (٥) في مد : رتبها .

إلى التكذيب، اتبعه الرد لا للتكذيب بل لأمر آخر. ولما كان ذلك الأمر إما من الآتى أو من المأتى إليه [أو من غيرهما، و كان ما من الآتى الصق بدا به وهو المعرم، ولما كان ما من المأتى إليه - '] إما لحسد أو غيره، وكان أمر الحسد أشد، بدا به وهو المشاركة فى الأبناء بما يكون به الفخر والرئاسة وهو علم الغيب - '] الناظر بوجه للكهانة المبدوء بها فى قسم التكذيب، وآخر ما من الغير^٢ وهو الشريك المانع لهم من القبول، و خلطه بهذا القسم مع كونه قسيما لما فرض فيه المكذب مشاركا لخلوه عما قارن تلك الأقسام من التكذيب، هذا تمام القول فى إبطال ما ألزمهم فيما تقولوه فى أمر القرآن، وقد تضمن ما ترى من تأصيله و تقسيمه و تفصيله من بيان مقدورات الله ومعجائب مصنوعاته ما ألزمهم حتما التوحيد الملزم بتصديق الرسالة والإذعان للحق مع ما له من الإعجاز فى ترتيبه ونظمه وتهذيبه وتسهيله وتقريبه مجلوا أسلوبه العظيم بألفاظ هى الدر النظيم، ومعان علت عن لاحق بغريزة أو تعليم، يكاد لها أثبت القلوب بهيم فيطير، وأبلغ البلغاء فى أفنان روحها يتدله وبحير، فكان ذلك كما قال جبير بن مطعم رضى الله عنه ١٥

كما روى البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ فى المغرب بالطور، وقال البخارى فى التفسير: فلما بلغ هذه الآية "أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون" [أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون أم عندهم خزائن ربك

(١) زيد من مد (٢) من مد، وفى الأصل: الغيب.

أم هم المسيطرون“ كاد قلبي يطير، وقال ابن ماجه: فلما سمعته يقرأ ”أم من غير شيء أم هم الخالقون“ - [١] إلى قوله: ”فليات مستمعهم بسلطن مبين“ كاد قلبي يطير . وسبق في أول السورة ما ذكره البغوي من هذا الحديث .

٥ / ٧٩

ولما كان التقدير تسكيننا / لقلب من يريد إجابتهم إلى الآيات المقترحات طمعا في إيمانهم: فلقد تلونا عليهم في هذه السورة وغيرها من الآيات، وخلقونا من المعجزات البينات، وأتينا من تناقضهم في هذه التقسيمات، بما يهد الجبال الشامخات، وبيننا من فضائهم^١ بحسن سوقها وحلاوة ذوقها، وصحة معانيها وإحكام مبانيها، ما يزلزل الراسيات، ويحل العزمات، ويفرج الأزمام، ويصد ذوى المروات عن أمثال هذه النقائص الفاضحات، بما لها من الأدلة الواضحات، ولكنهم لما ألزماهم به من العكس لا يؤمنون، وكذباهم بما^٢ أعيننا من بصائرهم فهم لا يعلمون أنهم المكيدون، عطف عليه قوله: ﴿وان يروا﴾ أى معانية ﴿كسفا﴾ قطعة، وقيل: قطعا واحداً كسفة مثل سدره وسدر ﴿من السماء﴾ نهارا ١٥ جهارا ﴿ساقطا يقولوا﴾ لدا وتخلدا في البغي إصرارا، وتعلقهم بما أمكنهم من الشبه تخيلا على العقول وإيقافا لذوى الآراء والفهوم دأب الاصيل في نصر الباطل ومكارة الحق لما لهم من العراقة في عمى القلوب بما لنا من القدرة على صرفهم عن وجوه الأمر: هذا ﴿سحاب﴾ فان قيل

(١) زيد من مد (٢) من مد، وفي الأصل: قضائهم (٣) زيد في الأصل: اعيناهم و، ولم تكن الزيادة في مد فخذناها .

لهم: هو مخالف للسحاب بصلابته، قالوا: ﴿مركوم^ه﴾ أى تراكم بعضه على بعض فصلب، ولذلك سبب عن هذا الحال الدال على أنهم وصلوا فى عمى البصائر إلى أنه لو جاءتهم كل آية لا يؤمنون، قوله لنبى صلى الله عليه وسلم ومن تبعه: ﴿فذرهم﴾ أى اتركهم على شر أحرارهم ﴿حتى يلقوا﴾^١ سعيًا [بسوء أعمالهم -^٢] ﴿يومهم﴾ كما أنه هو^٣ يسعى^ه إليهم لاستحقاقهم لما فيه ﴿الذى فيه﴾ لا [فى -^٤] غيره لأن ما حكنا [به -^٥] لا يتقدم ولا يتأخر ﴿يصعقون لا﴾ بالموت من شدة الأهوال وعظيم الزلزال كما صعق بنو إسرائيل فى الطور، ولكننا لا نقيمهم كما أقنا أولئك إلا عند النفخ فى الصور لنحشرهم إلى الحساب الذى يكذبون به، والظاهر أن هذا اليوم يوم بدر فانهم كانوا قاطعين بالنصرة فيه فإغنى أحد^{١٠} منهم عن أحد شيئًا كما قال أبو سفيان بن الحارث: ما هو إلا أن لقيناهم ففتحناهم أكتافنا يقتلوننا^١ كيف شاؤا وبأسرونا كيف شاؤا. ﴿يوم لا يغنى﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿عنهم كيدهم﴾ الذى يرمونه بهذه الأقوال المتناقضة ﴿شيئًا﴾ أى من الإغناء فى دفع شيء يكرهونه من الموت ولا غيره كما يظنون أنه يغنى عنهم فى غير ذلك من أحوال^{١٥} هذه الدار بتشيط الناس عن اتباع القرآن بما يصفونه به من البهتان ﴿ولا هم ينصرون^٢﴾ أى لا يتجدد لهم نصر من أحد ما فى ساعة ما. ولما أفهم هذا الكلام السابق أن التقدير: فإن لكل ظالم فى ذلك

(١) من مد، وفى الأصل: لا قوا (٢) زيد من مد (٣-٢) من مد، وفى الأصل: انهم (٤) من مد، وفى الأصل: فيقتلوننا.

/ ٨٠

اليوم عذابا لا يحيط به الوصف ، فان الإصعاق من أشد ما يكون من العذاب ، عطف عليه قوله مؤكدا لما لهم من الإنكار أن ينصر عليهم المؤمنون وهم من الكثرة والقوة / بحيث لا مطمع فيهم لأحد لاسيما لمن هم مثل في الضعف والقلة (وإن) وكان الأصل : لهم ، ولكنه أظهر تعميما وتعليقا للحكم بالوصف فقال : (لذين ظلموا) أى أوقعوا الأشياء في غير مواقعها كما يقولونه في القرآن و يفعلونه من العصيان ويعتقدون من الشرك والبهتان (عذابا دون ذلك) أى غير عذاب ذلك اليوم الصعب المرير ، أو أدنى رتبة منه ، إن كان المراد بالصعق ما يكون بعد البعث فبعذاب البرزخ في القبور ، وإن كان المراد به الموت ١٠ فيما يلقونه في الدنيا من عذابى بواسطتكم مثل تحيزكم إلى الانصار في دار الهجرة ومعدن النصر و صيرورتكم في القوة بحيث تناصبواهم^١ الحرب ، وتعاطونهم الطعن والضرب ، فتكونوا بعد أن كنتم [طوع -] أيديهم قذى في أعينهم وشجا في حلوقهم ودحضا لأقدامهم ونقضا لإرامهم ، ومثل القحط الذى حصل لهم والسرايا التى لقيتموها^٢ فيها ١٥ مثل سرية حمزه أسد الله وأسد رسوله ، وعبيدة بن الحارث وعبيد الله ابن جحش التى كانت مقدمة لغزوة بدر .

ولما كان بعضهم يبصر هذا مثل عتبة بن ربيعة والوليد بن مغيرة والنضر بن الحارث ويقولون : والله ما هم شاعر ولا كاهن ولا ساحر ولا مجنون ، وليكون لقوله الذى يقول نبأ ، قال : (ولكن أكثرهم) (١) من مد ، وفى الأصل : تناصبوا منهم (٢) زيد من مد (٣) من مد ، وفى الأصل : اقيتموه .

بسبب ما يرون من كثرتهم و حسن حالهم في الدنيا وقوتهم (لا يعلمون هـ)
 أى يتجدد لهم علم بتقويتكم عليهم لأنهم^١ لاعلم لهم أصلا حتى يروا
 ذلك معاينة .

ولما كان العلم المحيط من الملك القاهر أعظم مسل للولى و أكبر
 مخيف للعدو، قال عاطفا على " قدرهم " أر على ما تقديره : فكن أنت هـ
 من العلماء بذلك ليكون فيه لك أعظم تسلية : (واصبر) أى أوجد
 هذه الحقيقة لتصبر على ما أنت فيه من أداء الرسالة و ما لها من الكلف
 من أذى الناس و غيره و لكونه في مقام الإعراض^٢ عن الكفار و كون
 إعراضه عنهم أصعب عليه من مقاساة إنذاره و إن نشأ عنها تكذيبهم
 و استهزاؤهم، اشتدت العناية هنا بالصبر فقدم، و أيضا فان الإعراض ١٠
 عنهم مقتضى لعدم فائين، و ذلك هو مقام الجمع، و الجمع لا يصلح
 إلا بالفرق، فلذلك قدم الأمر بالصبر، و ذكر الحكم إشارة إلى أنه متمكن
 في مقام الفرق كما أنه عريق في مقام الجمع بخلاف المدر، فان سياقها
 للانذار الناشئ عنه غاية الأذى فاشتدت العناية هناك^٣ بتقديم ذكر الإنذار
 نظرا إلى الفناء عن الفائين و إن كان مباشرا لدعائهم، و عبر بما يذكر ١٥
 بحسن الترية زيادة في التعزية فاقضى هذا السياق أن رغبه سبحانه بقوله :
 (لحكم ربك) أى المحسن إليك فانه هو المريد لذلك و لو لم يرده لم يكن
 شيء منه، فهو إحسان [منه -^٤] إليك و تدريب لك و ترقية في معارج

(١) في مد : لأنه (٢) زيد في الاصل : عن الناس، و لم تكن الزيادة في مد
 فخذناها (٣) من مد، و في الأصل : هنا (٤) زيد من مد .

نظم الدرر (سورة الطور ٥٢: ٤٨ و ٤٩) ج - ١٩

/٨١

الحكم، وسبب عن ذلك قوله لما يغلب على الطبع البشرى / في بعض أوقات
الامتحان من نوع نسيان: ﴿فانك باعيننا﴾ جمع لما اقتضته نون العظمة
التي هذا سياقها، وهي ظاهرة في الجمع وإشارة إلى أنه محفوظ بالجود
الذين رؤيتهم من رؤيته سبحانه فهو مكلو مرعى به، ويجنوده وفاعل في
حفظه فعل من له أعين محيطه بمحفوظه من كل جهة من جهاته .

وما كانت الطاعة أعظم ناصر وأكبر معز، وكانت الصلاة أعظمها
قال: ﴿وسبح﴾ أى أوقع التنزيه عن شائبة كل نقص بالقلب واللسان
والأركان، متلبسا ﴿بحمد ربك﴾ أى المحسن إليك، فأثبت له كل كمال
مع تنزيهه له عن كل نقص، فلا يكون فى ملكه ما لا يريد ولا يريد
١٠ إلا [ما - ٢] هو حكمة بالغة ﴿حين تقوم﴾ أى من الليل فى جميع
الأوقات التى هى مظنة القيام على الأمور الدنيوية والأشغال النفسانية،
وهى أوقات النهار الذى [هو - ٣] للانتشار بصلاة الصبح والظهر
والعصر، وتحتمل العبارة التسييح عند كل قيام بكفارة المجلس وهو
«سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك»
١٥ فإنها تكفر ما كان فى المجلس - كما رواه أبو داود والترمذى وقال:
حسن صحيح غريب والنسائى وابن حبان فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله
عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ومن الليل﴾ الذى هو محل السكون
والراحة ﴿فيسبحه﴾ كذلك بالنية والقول كلما انتهت وبالفعل بصلاة

(١) من مد، وف، الأصل: عظمتنا (٢) من مد، وفى الأصل: لك (٣) زيد
من مد (٤) فى مد: هى .

المغرب والعشاء وصلاة الليل ، وتعظيمه صرح بذلك وقدمه على الفعل ،
والضمير يعود على المضاف إليه ، وأشار إلى التهجيد بعد دخوله فيما قبله
بقوله : ﴿ وادبار النجوم ﴾ أى رسيحه فى وقت إدبارها أى إذا أدبرت ،
وذلك من آخر الليل فى نصفه الثانى ، وكلما قارب الفجر كان أعلى
وبالإجابة ' أولى ، وإلى قرب انفجر تشير قراءة الفتح ' جمع دابر أى فى ه
أعقابها عند خفاتها أو افولها ، وذلك بصلاة الفجر سنة وفرضا أحق وأولى
لأنه وقت إدبارها حقيقة ، فصارت [عبادة] الصبح محثوثا ' عليها مرتين
تشريفا لها وتعظيما لتدبرها ' فان ذلك ينبجى من العذاب الواقع ، وينصر
على ' العدو الدارع ، من المجاهر المدافع ، والمنافق المخادع ، وقد رجع آخرها
على أولها ، ومقطعها على موصلها ، بحلول العذاب على الظالم ، وبعده عن ' ١٠
الطائع السالم - [والله الموفق - ']

(١) من مد ، وفى الأصل : بالاحاطة (٢) راجع ثمر المرجان ٧/٧٩ (٣) من مد ،
وفى الأصل : محبوبا (٤) من مد ، وفى الأصل : بقدرتها (٥) من مد ، وفى
الأصل : من (٦) من مد ، وفى الأصل : على (٧) زيد من مد ، وزيد بعده
فيه ' تم الجزء المبارك على يد أقل عبيده وأحوجهم إليه الفقير سالم السنهورى
المايكى بعيد الثمين من يوم الأربعاء سابع عشرى محرم سنة ١٩٧١ . وأدناه بيتان :

تم الكتاب تكاملت نعم السرور لصاحبه

وعفا الإله بفضله عن قارئيه وكاتبه

ومن هنا اقل نجم نسخة مد لالشروق مرة أخرى .

سورة النجم

مقصودها دم الهوى لإنتاجه الضلال والعمى بالإخلاق إلى الدنيا التي
 هي دار الكدور والبلاء، والتصرم والفناء، ومدح العلم لإيماره الهدى
 في الإقبال على الأخرى لأنها دار البقاء في السعادة أو الشقاء، والحث
 ٥ على اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في نذارته التي بينتها سورة ق وصدقها
 / الذاريات و أوقعتها : عينها الطور كما تسع في بشارته لأن عليه هو العلم
 ٨٢ / لأنه لا ينطق عن الهوى لا في صريح الكناية ولا في بيانه له لأن الكل
 عن الله الذي له صفات الكمال فلا [بد] من بعث الخلق إليه وحشرهم
 لديه لتظهر حكمته غاية الظهور فيرفع أهل التزكى والظهور، ويضع أهل
 ١٠ العجور، ويفضح كل متحل بالزور، متجل للشرور، وعلى ذلك دل
 اسمها النجم عن تأمل القسم والجواب وما نظم به من نجوم الكتاب
 ﴿ بسم الله ﴾ الذي أحاط بصفات الكمال فلا يكون رسوله إلا من ذى
 الكمال ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم الموجودات بصفة الجمال ﴿ الرحيم ﴾ الذى
 خص أهل وده بالإقناذ من الضلال والهداية إلى ما يرضى من الخلال
 ١٥ و صالح الأعمال .

ولما ختمت الطور بأمره صلى الله عليه وسلم بالتسبيح والتحميد،
 و كان أمره تكويناً لا تكليفاً، فكان فاعلاً لا محالة، وذاك بعد تقسيمهم
 القول في النبي صلى الله عليه وسلم بأنه كاهن وساحر ومجنون، و كان

(١) الثالثة والخمسون من سور القرآن الكريم، مكية، و عدد آياتها ٦٢ عند
 الكوفيين و ٦١ عند غيرهم - كما في نثر المرجان ٧ / ٢١٧٩ في الأصل : صدقها .

لذلك

(١٠)

٤٠

لذلك تعلق بالشياطين، وكانت الشياطين مباينة للقرآن بختلها وبمنعها بالرجوم من النجوم كما بين آخر الشعراء، افتتحت هذه بالحث على الاهتداء بهديه والاستدلال بدله واتباع أثره، ولما كان من ذلك تسيحه بالحد في إدارار النجوم أقسم أول هذه بالنجم على وجه أعم بما في آخر تلك فعبّر بعبارة تفهم عروجه وصعوده لأنه لا يغيب في الأفق الغربي واحد من ٥ السيارة إلا واطلع من الأفق الشرق في نظير له منها لما يكون عند ذلك من تلك العبارة العالية، والأذكار الزاكية، مع ما فيه من عجيب الصنع الدال على وحدانية مبدعه من زينة السماء التي فيها ما توعدون والحراسة من المردة حفظاً لنجوم الكتاب والاهتداء به في الدين والدنيا، وغير ذلك من الحكم التي يعرفها الحكماء، فقال تعالى: ﴿ والنجم ﴾ أي هذا ١٠ الجنس من نجوم السماء أو القرآن لنزوله منجماً مفرقاً وهم يسمون^١ التفريق تنجيماً - أو النبات، قال البغوي^٢: سمي النجم^٣ نجماً لطلوعه وكل طالع نجم. (إذا هوى لا) أي نزل للأفول أو لرجم الشياطين عند الاستراق كما رواه عكرمة عن ابن عباس^٤ رضى الله عنهما إن كان المراد السائى، فكانت عنده العبادة والاستغفار والدعاء للملك الجبار بالأسحار، أو صعد ١٥ فكان به اهتداء المصلى والقارئ والسارى، فانه يقال: هوى هوى - بالفتح إذا سقط، وبالضم - إذا علا وصعد، أو نزل به الملك للأصعاد وللإبعاد إن كان المراد القرآنى لما يحصل من البركات في الدين والدنيا والشرح

(١) في الأصل: يسمعون (٢) في معالم التنزيل بهامش الباب ٦ / ٢١٢ .
(٣) في المعالم: الكوكب (٤) راجع العالم .

للصدور، والاطلاع على عجائب المقدور، أو إذا سقط منبسطة على الأرض
أو ارتفع عنها إن كان المراد النبات، لما فيه من غريب الصنعة و جليل
التقدير الدال على عام القدرة و كمال العلم و التوحد بالملك و الغنى المطلق .
ولما أقسم / بهذا القسم الجليل، أجابه بقوله معبرا بالماضى نفيا / ٨٣
٥ لما كانوا رموه به و ليسهل ما قبل النبوة فيكون ما بعدها بطريق الأولى:
(ما ضل) أى عدل عن سواء المحجة الموصلة إلى غاية المقصود أى
لأنه ما عمل عمل الضالين يوما من الأيام ففى تقول القرآن عنده ولا علم
فيه عمل المجانين ولا غيرهم ما رموه به و أما « وجدك ضالا » فالمراد غير
عالم، و عبر بالصحة مع كونها أدل على القصد مرغبة لهم فيها و مقبلة بهم
١٠ إليه و مقبحة عليهم اتهامه فى إنذاره و هم يعرفون طيب أعرافه و طهارة
شماله و أخلاقه فقال: (صاحبكم) أى فى إنذاره لكم فى القيامة فلا
وجه لكم فى اتهامه .

ولما كان الهدى قد يصحبه ميل لا يقرب الموصول إلى القصد
وإن حصل به نوع خلل فى القرب أو نحوه فقد يكون القصد مع غير
١٥ صالح قال: (و ما غوى) و ما مال أدنى ميل و لا كان مقصوده مما
يسوء فانه محروس من أسبابه التى هى غواية الشياطين و غيرها، و قد
دفع سبحانه عن نبينا صلى الله عليه و سلم، و أما بقية الانبياء فدفعوا عن
أنفسهم « ليس بى ضلالة » « ليس بى سفاهة »، و نحو ذلك - قاله القشيري .
ولما كان قد يكون مع الهوى مصادقة [قال - ١]: (و ما ينطق)

(١) زيد ولا بد منه .

أى يجاوز نطقه فه فى وقت من الاوقات لافى الحال ولا فى الاستقبال،
نطقا ناشئا ﴿عن الهوى﴾ أى من أمره كالكهان الذين يغلب كذبهم صدقهم
والشعراء وغيرهم، وما تقول هذا القرآن من عند نفسه . ولا أكد
سبحانه فى نفسه ذلك عند التأكيد تنزيها له عما نسب إليه، فكان ذلك
مظنة السؤال عن أصل ما تقوله، أجاب بالحرص والآية أصرح وأدفع
لإنكارهم البالغ فقال: ﴿ان﴾ أى ما ﴿هو﴾ أى الذى يتكلم به من
القرآن وبيانه، وكل أقواله وأفعاله وأحواله بيانه ﴿الواحى﴾ أى
من الله تعالى، وأكد بقوله: ﴿يوحى﴾ أى يحدد إليه لإحاطة منا وقتنا
بعد وقت، ويجوز أن يجتهد صلى الله عليه وسلم، فاذا استقر اجتهاده على
شئ أوحى إليه أنك قد أصبت الحق، مع أنه سبحانه قد أذن له فى
الاجتهاد بالوحى مع أن من يرد ما يجتهد فيه إلى ما أوحى إليه يرى
من الهوى .

وقال أبو جعفر ابن الزبير فى برهانه: لما قطع سبحانه تعليقهم بقولهم:
ساحر و شاعر و مجنون - إلى ما هو به مما علموا أنه لا يقوم على ساق،
ولكن شأن المنقطع المبهوت أن يستريح إلى ما أمكنه وإن لم يغن
عنه، أعقب الله سبحانه بقسمه على تنزيه نبيه و صفيه من خلقه عما تقوله
و توهمه الضعفاء فقال تعالى: ” والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم و ما غوى“
ثم أتبع سبحانه هذا القسم ببسط الحال فى تقريره عليه السلام وإدناؤه
وتلقيه لما يتلقاه من ربه و عظيم / منزلته لديه، وفى إبداء ذلك يحركهم
عز وجل و يذكرهم و يوبخهم على سوء نكاياتهم بلطف واستدعاء كرم

منعم فقال تعالى "افرايتم اللات والعزى" والتحمت الآلى على هذه
 الأغراض إلى الإعلام بانفراده سبحانه بالإيجاد والقهر والإعزاز
 والانتقام، لا يشاركه فى شىء من ذلك غيره فقال "وان الى ربك
 المنتهى وانه هو اضحك وابكى". ولما بين ذلك فقال "فباى الاء
 ربك تمارى" اى فى أى نعمة تشكون أم باى آية تكذبون؟ ثم قال
 "هذا نذير من النذر الاولى" وإذا كان عليه الصلاة والسلام....
 فشان مكذبيه شأن مكذبى غيره - انتهى .

ولما كان الوحى ظاهرا فيها بواسطة الملك، تشوف السامع إلى
 بيان ذلك فقال مينا له بأوصافه لأن ذلك أضخم فى حقه وأعلى لمقداره:
 ﴿علمه﴾ أى صاحبكم الوحى الذى أتاكم به ﴿شديد القوى﴾ أفلا
 تعجبون من هذه البحار الزاخرة التى فأقكم بها وهو أسمى فان معلمه بهذه
 الصفة التى هو بها بحيث ينفذ كل ما أمره الله به ﴿ذو مرة﴾ أى جزم
 فى قوة و قدرة عظيمة على الذهاب فيما أمر به والطاقة لملحه فى غير
 آية النشاط والحدة كأنه ذو مزاج غلبت عليه الحدة فهو صعب المراس
 ماض فى مراوته على طريقة واحدة عل غاية من الشدة لا توصف
 لا التفات له بوجه إلى غير ما أمر به، فهو على غاية الخلوص فهو
 مجتمع القوى مستحكم الشأن شديد الشكيمة، لا يبان فى شىء بزواله ومن
 جملة ما أعطى من القوة والقدرة على التشكل، وإلى ذلك كله أشار
 بما سبب عن هذا من قوله: ﴿فاستوى﴾ فاستقام واعتدل بغاية ما يكون
 (١) فى الأصل: تشوق .

من قوته على أكل حالاته في الصورة التي فطر عليها (وهو) أي
والحال أن جبرئيل عليه السلام ، وجوزوا أن يكون الضمير المنفصل
للنبي صلى الله عليه وسلم أي استوى جبرئيل عليهما السلام معه
(بالافق الأعلى) أي الناحية التي هي النهاية في العلو والفضل من
السموات مناسبة لحالة هذا الاستواء ، وذلك حين رآه النبي صلى الله عليه
وسلم جالسا على كرسي بين السماء والأرض قد سد الأفق .

و لما كان الدنو من الحضرة الإلهية - التي هي مهية لتلقى الوحي -
من العلو والعظمة بحيث لا يوصف ، أشار إلى ذلك بأداة التراخي فقال :
(ثم) أي بعد ذلك الاستواء العظيم (دنا) أي جبرئيل عليه السلام
من الجنب الأقدس دنو زيادة في كرامة لادنو مسافة ، وكل قرب يكون ١٠
منه سبحانه فهو مع أنه منزّه عن المسافة يكون على وجهين : قرب إلى
كل موجود من نفسه ، وقرب ولاية حتى يكون سمع الموجود وبصره
بمعنى أنه لا يسمع ولا يبصر إلا ما يرضاه - أشار إليه ابن برجان ، فأخذ
الوحي الذي أذن له في أخذه / في ذلك الوقت (فتدلى) عقب ٨٥ /
ذلك من الله رسولا إلى صاحبكم أي أزل إليه نزولا هو فيه كالتدلى ١٥
إليه بجبل فوصل إليه ولم يفصل عن محله من الأفق الأعلى لما له من
القوة والاستحكام ، قال البيضاوي : فان التدلى هو استرسال مع تعلق
كتدلى الثمرة (فكان) في القرب من صاحبكم في رأى من
يراه منكم (قاب) أي على مسافة قدر (قوسين) من قسيكم ، قال
الرازي في اللوامع : أي بحيث الوتر في القوس مرتين ، وعن ابن عباس ٢٠

رضى الله عنهما : القوس الذراع بلغة أزدشنوة ، و قال ابن برجان : قاب
القوسين : ما بين السنين ، و قيل : ما بين القبضة و الوتر ﴿ او ادنيج ﴾ بمعنى
أن الناظر منكم لو رآه لتردد و قال ذلك لشدة ما يرى له من القرب منه
صلى الله عليه و سلم ، روى مسلم في الإيمان من صحيحه^١ عن الشيباني قال :
٥ سالت زر بن حبیش عن قوله تعالى ” فكان قاب قوسين “ فقال : أخبرني
ابن مسعود رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم رأى جبرئيل عليه
السلام له ستمائة جناح ﴿ فإوحى^٢ ﴾ أى ألقى سرا من كلام الله بسبب
هذا القرب ، و عقبه بقوله : ﴿ الى عبده ﴾ أى عبد الله ، و إضماره من
غير تقدم ذكره صريحا لما هو معلوم مما تقدم فى آخر الشورى أن
١٠ كلام الله يكون وحيا بواسطة رسول يوحى بأذنه سبحانه ، و المقام يناسب
الإضمار لأن الكلام هو الوحي الخفى ، و عبر بالبعد إشارة إلى أنه لم يكن
أحد ليستحق هذا الأمر العظيم غيره لأنه لم يتعبد قط لاحد غير الله ،
و كل من عاداه حصل منهم تعبد لغيره فى الجملة ، فكان أحق الخلق
بهذا الوصف مع [انه] كان يتعبد لله فى غار حراء و غيره ، و هذه النزلة
١٥ - و الله أعلم - كانت على هذا التقدير فى أول الوحي لما كان بحراء و فرق
منه صلى الله عليه و سلم فرجع ترجف بوادره ، و قال : زملونى زملونى .
و أشار إلى عظمة ما أزل بقوله : ﴿ ما أوحى^٣ ﴾ أى إنه يحل عن
الوصف فأجمل له ما فصل له بعد ذلك ، هذا الذى ذكر من تفسير لضمائر
مظاهر العبارة و إن كان الإضمار فى جميع الأفعال لا يخلو عن التباس

وإشكال، ويمكن لأجل احتمال الضمائر لما يناسبها من الظواهر أن يكون ضمير "دنا" وما بعده لله تعالى، وحيث يصير في "عبده" واضحاً كما تقدم في هذا الوجه جملة له سبحانه لأنه لا يجوز لغيره، روى البخاري في التوحيد في باب "وكلم الله موسى تكليماً" عن أنس رضي الله عنه في قصة الإسراء رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثاً ففرق أن يوحى إليه وهو قائم في المسجد الحرام فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم، فقال آخرهم: خذوا خيرهم، وكانت تلك الليلة، فلم يرم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام / عينه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فلم يكلموه حتى احتملوه فوضوه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبرئيل عليه السلام فشق جبرئيل ما بين نحره إلى لبتة حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى اتقى جوفه ثم أتى بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشوا إيماناً وحكمة فخشا [به - °] صدره ولغاديدته - يعني عروق حلقه، ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا، فضرب باباً من أبوابها فناداه أهل السماء: من هذا؟ فقال: جبرئيل، قالوا: ومن ١٥ معك، قال: معي محمد، قالوا: وبعث إليه، قال: نعم، قالوا: فرجبا به

(١) راجع ٢ / ١١٢٠ - كتاب التوحيد (٢) من الصحيح، وفي الأصل: ثلاث (٣) من الصحيح، وفي الأصل: قبله (٤) من الصحيح، وفي الأصل: فلم يكلموه (٥) زيد من الصحيح (٦) من الصحيح، وفي الأصل: تغاديدته - كذا.

وأهلاً - ثم ذكر عروجه إلى السماوات السبع ، وأنه لما وصل إلى السماء السابعة^٢ علا به^٢ فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله [حتى -^٢] جاء سدرة المنتهى ، ودنا الجبار رب العزة فتدلى منه فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إليه فيما يوحى الله إليه خمسين صلاة - فذكر مشورة موسى عليهما السلام في سؤال التخفيف حتى صارت خمسا كل واحدة بعشرة ، ودنا الجبار رب العزة في هذا الوجه وهو رب العزة ، وهو في غاية الحسن إذا جمعته مع ما يأتي في هذا الوجه المنقول عن جعفر الصادق رضي الله عنه فيكون المعنى أنه صلى الله عليه وسلم لما استوى بالافق الأعلى فوصل إلى حد لا يمكن المخلوق الصعود عنه تنزل له الخالق سبحانه ، ولذلك عبر ١٠ عنه بـ "ثم" يعني أنه سبحانه تنزل له تنزلاً لا يمكن الاطلاع على كنه رتبته في العلو والعظمة ، ثم نزل ثم تنزل .

ولما كانت العبارة ربما أوهمت شيئاً لا يليق [به -^٥] فناه صلى الله عليه وسلم بما في الرواية من تخصيص التعبير باسم الجبار فعلم أنه قربه تقريباً يليق به ، وسمى ذلك دنوا فكان الدنو والتدلى تمثيلاً لما وصل ١٥ منه سبحانه إلى عبده محمد صلى الله عليه وسلم بغاية السهولة واليسر واللطافة مع اتصاله بالحضرات القدسية ، والتعبير بالتدلى لإفهام العلو مثل ما كنى بالنزول كل ليلة إلى سماء الدنيا عن إجابة الدعاء بفتح أبواب (١) من الصحيح ، وفي الأصل : الملاذا - كذا (٢-٢) من الصحيح ، وفي الأصل : علاه (٣) زيد من الصحيح (٤) في الأصل : تنزيلاً (٥) زيد نظراً للسياق .

السما كما روينا في جزء العيشي من حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه تمثيلا بما نعرفه من^١ حال الملوك في أن أحدهم يكون زوله عن سريره أدنى في إتيان خواصه إليه ، وفتح بابه أدنى لمن يليهم ، وكلما زل درجه كان الإذن أعم إلى أن يصل إلى الإذن العام لجميع الناس ، هذا علم المخاطبين بأن ذلك على سبيل التمثيل بمن يحتاج إلى هذه الدرجات ، وأما ه من هو غنى عن كل شيء فله سبحانه المثل الأعلى ولا يشبه شيئا ، ولا يشبهه شيء ، وفي "قرآن الفجر" من سورة سبحان لهذا مزبد بيان ، وقال القاضي عياض في الشفاء^٢ ما حاصله أن تلك الضمائر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : قال جعفر بن محمد - يعني الصادق بن الباقر / : أدناه ربه حتى كان منه كقاب قوسين ، وقال أيضا^٣ : انقطعت الكيفية عن الدنو ، ألا ترى ١٠ كيف حجب جبريل عليه السلام عن دنوه ودنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى ما أودع قلبه من المعرفة والإيمان فتدلى بسكون قلبه إلى ما أدناه وزال عن قلبه الشك والارتباب ، وقال جعفر أيضا^٤ : والدنو من الله تعالى لا حد له ، ومن العباد بالحدود - انتهى . وحينئذ يكون ضمير « استوى » له صلى الله عليه وسلم ، ويكون المعنى : فتسبب عن تعليم جبريل ١١ له استواءه - أي اعتدال عليه - إلى غاية لم يصلها غيره من الخلق علما وكسبا بالملك والملوكوت والحال أنه بالآفاق الأعلى ليلة الإسراء ، وتدليه كناية عن وصوله بسبب عظيم حامل حمل السبب للتدلي ، وعبر به وهو ظاهر في النزول من علو مع عدم الانفصال منه لثلاث يوم اختصاص

(١) في الأصل : ما (٢) راجع ص ٩٥ .

جهة العلوه سبحانه دون بقية الجهات، ومنه «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»، وكذا قيل في الإشارة بـ «لا تفضلوني على يونس بن متى»، ومن المحاسن جدا أن تكون ألف «تدلى» المنقلبة عن ياء في هذا الوجه بدلا من لام فيكون من التدلل وهو الانبساط وثوقا بالمحبة، يقال: تدلل عليه، أى انبسط ووثق بمحبته فأفرط عليه، وانبساطه صلى الله عليه وسلم في تلك الحالة إفراط كثرة سؤاله، وشفاعته في أمته، وبذلك ظهر إلى عالم الشهادة أنه أرحم الخلق كما كان معلوما إلى عالم الغيب، فتسبب عنه زيادة تقريبه حتى كان قاب قوسين أو أدنى، وإراز هذا الكلام في هذه الضمائر المحتملة لهذه الوجوه من غير ظاهر يعين المراد يناسب لتلك الحالة، فأنها كانت حالة غيب وخفاء وستر، وكان العلم فيها واسعا، وسوق الضمائر هكذا يكثر احتمال الكلام للوجود، فيتسع العلم مع أنه ليس فيها وجه يؤدي إلى لبس في الدين ولا ركاكة في معنى ولا نظم ولا مجال للعلم - والله أعلم.

ولما أثبت هذا الكلام ما أثبت من القرب من النبي صلى الله عليه وسلم بمن أوحى إليه على كلا التقديرين، قرره على وجه أفاد الرؤية فقال: «(ما كذب الفؤاد) أى القلب الذى هو فى غاية الذكاء والاتقاد» (ما رأى) البصر أى حين رؤية البصر كان القلب، لا أنها رؤية بصرف فقط تمكن فيها - للخلو' عن حضور القلب - النسبة إلى الغلط، وقال القشيري ما معناه: ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه بصره، بل

(١) فى الأصل: الحلو - كذا.

رآه على الوصف الذى عليه قبل أن رآه فكان عليه حق اليقين، وفي صحيح مسلم عن أبي ذر رضى الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل رأيت ربك؟ قال: نور إلى أراه، وفي صحيح مسلم أيضاً عن مسروق أنه قال لعائشة رضى الله عنها لما أنكرت الرؤية: ألم يقل الله تعالى "ولقد رآه بالأفق المبين" و"لقد رآه نزلة أخرى" فقالت: هـ

أنا أول / هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ٨٨/
إنما هو جبرئيل عليه السلام، لم أره على صورته التى خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض. قال البغوى^٢: وذهب جماعة إلى أنه رآه فقال بعضهم: جعل بصره في قواده، ثم روى من صحيح مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما ١٠ أنه قال: رآه بفؤاده مرتين، وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه وهو قول أنس رضى الله عنه^٣، وقال ابن برجان ما معناه: إن النوم والصعق من آيات الله على لقائه الله وهى مقدمات لذلك، ولكل حقيقة حق يتقدمها كإشراط الساعة، والإسراء وإن لم يكن موتاً ولا صعقاً ولا نوماً على أظهر الوجوه فقد خرج عن مشاهدات الدنيا إلى مشاهدات ١٥ الأفق الأعلى فلا تنكر الرؤية هنالك، فالإسراء حالة غير حالة الدنيا، بل هى من أحوال الآخرة وعالم الغيب - والله الهادى.

و لما تقرر ذلك غاية التقرر، وكان موضع الإنكار عليهم، قال

(١) راجع ١/ ٩٩ (كتاب الإيمان) (٢) راجع ١/ ٩٨ (كتاب الإيمان).

(٣) في العالم بهامش الباب ٦/ ٢١٤ (٤) زيد في العالم: والحسن وعكرمة.

مسيا عن ذلك: ﴿ اقمرونه ﴾ أى تستخرجون منه بجدالكم له فيما أخبركم به شكافيه ولاشك فيه، و عبر بالمفاعلة فى قراءة الجماعة عن حمزة و الكسائى و يعقوب إشارة إلى اجتهدهم فى تشكيكه، من مرى الشئ: استخرجه، و مرى الناقة: مسح ضرعها، فأمرى: در لبنها، والمرية هـ - بالكسر و الضم: الشك و الجدل ﴿على ما يرى﴾ على صفة مطابقة القلب و البصر، و ذلك مما لم تجر العادة بدخول الشك فيه و لا قبوله للجدال، و زاد الأمر وضوحا بتصوير الحال الماضية بالتعبير بالمضارع إشارة إلى أنه كما أنه لم يههم لم يلبس الأمر عليه، بل كأنه الآن ينظر .

١٠ ولما كان الشئ أقوى ما يكون إذا حسر البصر، فاذا واقفه كون القلب فى غاية الحضور كان أمكن، فاذا تكرر انقطعت الاطماع عن التعلق بالمجادلة منه. قال مؤكدا لأجل إنكارهم: ﴿ ولقد رآه ﴾ أى الله تعالى أو جبرئيل عليه السلام على صورته الحقيقية، روى مسلم فى الإيمان عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال " ما كذب الفؤاد ما رأى " [ولقد رآه - ٢] نزلة اخرى، قال: رآه بفؤاده مرتين، و جعل ١٥ ابن برجان الإسراء مرتين: الأولى بالفؤاد مقدمة و هذه بالعين .

و لما كان ذلك لا يتأتى إلا بتزول يقطع مسافات البعد التى هى الحجب ليصير به بحيث يراه البشر، عبر بقوله: ﴿ نزلة ﴾ و انتصب على الظرفية لأن الفعل بمعنى المرة ﴿ اخرى لا ﴾ أى ليكمل له الأمر مرة فى عالم الكون و فساد و أخرى فى المحل الأزه الأعلى، و عين الوقت بتعين

(١) فى الأصل: لم تجرى (٢) راجع ١ / ٩٨ (٣) زيد من صحيح مسلم .

المكان فقال: ﴿ عند سدرة المنتهى ﴾ أى الشجرة التى هى كالسدر
و ينتهى إليها علم الخلائق و ينتهى إليها ما يرجع من تحت و ما ينزل
من فوق، فيتلقى هنالك، وذلك - و الله أعلم - ليلة الإسراء فى السنة
الثالثة عشرة من النبوة / قبل الهجرة بقليل بعد الترقى فى معراج الكمالات
٨٩ / من السنين على عدد السماوات و ما بينهما من المسافات، فاتمته إلى هـ
منتهى يسمع فيه صريف الأقلام؛ و عظمها بقوله: ﴿ عندها ﴾ أى
السدرة ﴿ جنة المأوى ﴾ الذى لا مأوى فى الحقيقة غيره لأنه لا يوازي فى
عظمه، و زاد فى تعظيمها بقوله: ﴿ اذ يغشى السدرة ما يغشى ﴾ أى يغطيها
و يركبها و سمره (ق) من فراش الذهب و الرفرف الأخضر و الملائكة و النبق
و غير ذلك فان الغشو النبق ﴿ ما يغشى ﴾ لا تحملون وصفه و هو بحيث
يكاد أن لا يحصى، وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث:
و غشيتها، ألا وإنى لا أدرى ما هى فليس أحد من خلق الله يستطيع أن
ينعتها أو كما قال صلى الله عليه وسلم، و أكد الرؤية و قررهما مستأنفا بقوله:
﴿ ما زاغ ﴾ أى ما مال أدنى ميل ﴿ البصر ﴾ أى الذى لا يبصر لمخلوق
أكمل منه، فاقصر عن النظر فيما أذن له فيه و لا زاد ﴿ و ما طغى ﴾ ١٥
أى تجاوز الحد إلى ما لم يؤذن له فيه مع أن ذلك العالم غريب عن
بنى آدم، و فيه من العجائب ما يبحر الناظر، بل كانت له العفة الصادقة
المتوسطة بين الشره و الزهادة على أنم قوانين العدل، فأثبت ما رآه على
حقيقته، و كما قال السهروردي فى أول الباب الثانى و الثلاثين من عوارفه:
و أخبر تعالى بحسن أدبه فى الحضرة بهذه الآية، و هذه غامضة من ٢٠

غوامض الأدب ، اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ولما كانوا قد أنكروا الإسراء إنكاراً لم يقع لهم في غيره مثله ،
زاد في تأكيد على وجه يعم غيره فقال : ﴿ لقد رأى ﴾ أى أبصر
بسبب ما أهلكناه له من الرسالة إبصاراً سارياً إلى البواطن غير مقتصر
ه على الظواهر ﴿ من آيت ربه ﴾ أى المحسن إليه بما لم يصل إليه أحد
قبله ولا يصل إليه أحد بعده ، ومن ادعى ذلك فهو كافر ﴿ الكبرى ه ﴾
من ذلك ما رآه في السماوات من الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام
إشارة بكل شيء إلى أمر دقيق جليل وحالة شريفة ، وقال الإمام
أبو القاسم السهيلي في الروض الأنف : ^١ والذى أقول فى هذا أن مأخذ
١٠ فهمه من علم التعبير ، فانه من علم النبوة ، وأهل التعبير يقولون : من
رأى نبياً بعينه فى المنام فإن رؤياه تؤذن بما يشبه من حال ذلك النبى
فى ^٢ شدة أو رخاء أو غير ذلك من الأمور التى أخبر بها عن الأنبياء فى
القرآن والحديث ، وحديث الإسراء كان بمكة ، ومكة حرم الله وأمنه ،
وقطانها جيران الله لأن فيها بيته ، فأول ما رأى صلى الله عليه وسلم من
١٥ / ٩٠ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام آدم عليه الصلاة والسلام / الذى كان
فى أمن الله وجواره ، فأخرجه إبليس عدوه منها ، وهذه القصة تشبهها
الحالة الأولى من أحوال النبى صلى الله عليه وسلم حين أخرجه أعداؤه
من حرم الله وجوار بيته ، فكربه ^٣ ذلك وغمه فأشبهت قصته فى هذا
(١) راجع ٢٥٠ / ١ (٢) من الروض الأنف ، وفى الأصل : نبينا (٣) فى
الروض : من (٤) من الروض ، وفى الأصل : تشبها (هـ) من الروض ، وفى
الأصل : كربه .

قصة آدم عليه الصلاة والسلام مع أن آدم تعرض عليه أرواح ذريته
البر والفاجر منهم، فكان في السماء الدنيا بحيث يرى الفريقين لأن
أرواح أهل الشقاء لا تلج في السماء ولا تفتح لهم أبوابها، كما قال الله
تعالى، ثم رأى في الثانية عيسى [ويحيى] عليهما الصلاة والسلام وهما
المتحان باليهود، أما عيسى عليه السلام فكذبته اليهود وآذته وهما بقتله
فرفعه الله إليه^١، وأما يحيى عليه السلام فقتلوه، ورسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد انتقاله إلى المدينة صار إلى حالة ثانية من الامتحان، وكانت
محتته فيها باليهود^٢ آذوه وظاهروا عليه وهما بالقاء الصخرة عليه ليقطوه
فنجاه الله كما نجي عيسى عليه السلام منهم، ثم سموه في الشاة ولم تزل
تلك الأكلة تعاوده^٣ حتى قطعت أبهره كما قال عند الموت، وهكذا ١٠
[فعلوا -^٤] بابني الحالة يحيى وعيسى، لأن أم يحيى أشياع بنت عمران
أخت مريم بنت عمران أمهما^٥ جنة، وأما لقائه يوسف عليه السلام
في السماء الثالثة فإنه يؤذن بحالة ثالثة تشبه حالة يوسف عليه السلام، وذلك
أن يوسف ظفر باخوته من بعد ما أخرجوه من بين ظهرانهم، فصفح
عنهم وقال: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم، الآية، وكذلك نينا ١٥
صلى الله عليه وسلم أسر يوم بدر جملة من أقاربه الذين أخرجوهم [فيهم -^٦]
عمه العباس وابن عمه عقيل فمنهم من أطلق، ومنهم من [قبل -^٧] أفديته،

(١) سقط من الروض (٢) زيدت الواو في الأصل ولم تكن في الروض
لحذفها (٣) من الروض، وفي الأصل: معاه (٤) زيد من الروض (هـ) من
الروض، وفي الأصل: اختها.

ثم ظهر [عليهم - ١] بعد ذلك عام الفتح لجمعهم فقال لهم : أقول
 ما قال أخى يوسف : لا تثريب عليكم اليوم ، ثم لقاؤه لإدريس
 عليه السلام فى السماء الرابعة وهو المكان الذى سماه [الله - ١] مكانا
 عليا [وإدريس - ١] أول من آتاه الله الخط بالقلم ، فكان ذلك مؤذنا
 ٥ بالحالة الرابعة وهو علو شأنه عليه السلام حتى أخاف الملوك وكتب
 إليهم يدعوهم إلى طاعته حتى قال أبو سفيان وهو عند ملك الروم حين
 جاء كتاب النبى صلى الله عليه وسلم ورأى ما رأى من خوف هرقل :
 لقد أمر أمر ابن أبى كبشة حتى أصبح يخافه ملك بنى الأصفر ،
 وكتب عنه بالقلم إلى ٢ جميع ملوك ٢ الأرض فمنهم من اتبعه على دينه
 ١٠ كالنجاشى و ملك بنى عمان ومنهم من هادى وأهدى إليه و أتخفه كهرقل
 والمقوقس ، و [منهم - ١] من تعصى عليه فأظهره الله عليه ٢ ، فهذا
 مقام على ، وخط بالقلم كنحو ما أوتى إدريس عليه السلام ، و لقاؤه فى
 السماء الخامسة لهارون عليه السلام المحبب فى قومه يؤذن بحب قرش
 وجميع العرب له بعد بعضهم فيه ، و لقاؤه فى السماء السادسة لموسى
 ١٥ / ٩١ عليه السلام يؤذن بحالة تشبه حالة موسى عليه السلام حين أمر / بغزو
 الشام ، فظهر على الجبابرة ٤ الذين كانوا فيها ، وأدخل بنى إسرائيل
 [البلد - ١] الذى خرجوا منه بعد هلاك عدوهم ، ولذلك غزا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم تبوك من أرض الشام وظهر على صاحب دومة

(١) زيد من الروض (٢ - ٢) من الروض ، وفى الأصل : الملوك جميع .
 (٣) من الروض ، وفى الأصل : به (٤) من الروض ، وفى الأصل : الجبابرة .

حتى صالحه على الجزية بعد أن أتى به أسيرا، واقتح مكة ودخل أصحابه
 البلد الذي خرجوا منه، ثم لقاءه في السماء السابعة إبراهيم عليه السلام
 لحكمتين: إحداهما أنه رآه عند البيت المعمور مسندا ظهره إليه، والبيت
 المعمور جبال مكة، وإليه تحج الملائكة كما أن إبراهيم عليه السلام هو
 الذي بنى الكعبة وأذن في الناس بالحج إليها، والحكمة الثانية أن آخره
 أحوال النبي صلى الله عليه وسلم [حجه - ٢] إلى البيت الحرام، وحج
 معه في ذلك العام نحو من سبعين ألفا من المسلمين، ورؤية إبراهيم عليه
 السلام عند أهل التأويل تؤذن بالحج لأنه الداعي إليه والرافع لقواعد
 الكعبة المحجوجة - انتهى . وهذا المقام هو الإسراء وما تفرع منه الموصل
 إلى أعلى ما يكون من تجريد التوحيد، فجعل سبحانه عنوانه المفروض ١٠
 فيه الجاهز بين الإسلام والشرك وهو الصلاة الجامعة لمعانى الدين الشاملة
 لجميع البركات بأن جعلت خمسين مستغفرة لجميع الفراغ ثم ردت إلى خمس
 دون القوى بكثير ثم رتب عليها جزاء الخمسين ورفع كل واحدة من صلاة
 الجماعة إلى سبع وعشرين صلاة وفضل صلاتي الطرفين: الصبح الثانية
 والعصر الرابعة بشهادة فريق الملائكة وكتابتهما في صحيفتي كل من ١٥
 الجمعين، فقال حمزة الكرماني في جوامع التفسير: فأسرى به في شهر
 ربيع الأول قبل الهجرة من بيت أم هانئ رضي الله عنها، ثم ساق حديث
 الإسراء مساقا عجيبا جدا طويلا .

(١) من الروض، وفي الأصل: أحدهما (٢) من الروض، وفي الأصل:

الثالثة (٣) زيد من الروض (٤ - ٤) سقط ما بين الرقين من الروض .

و لما أخبر سبحانه من استقامة طريق نبيه عليه الصلاة و السلام بما
 ثبتت رسالته بما اوحى إليه و ما أراه من آياته التي ظهر بها استحقاقه
 سبحانه الإلهية متفردا بها، سبب عنه الإنكار عليهم في عبادة معبوداتهم
 على وجه دال على أنها لا تصلح لصالحه فقال: ﴿ افرءيتم ﴾ أى أخبروني
 ٥ سبب ما تلوت عليكم من هذه الآيات الباهرات . هل رأيتم رؤية خبرة
 بالباطن و الظاهر ﴿ الت ﴾ و هو صنم ثقيف ﴿ والعزى ﴾ و هى شجرة
 لعطفان و هما أعظم أصنامهم فانهم كانوا يحلفون بهما ﴿ و موة ﴾ و هو صخرة
 لهديل و خزاعة، و دل على أنها عندهم بعدهما في الربوبية بقوله مشيرا
 بالتعدد بالتعبير عنه بما عبر به إلى أن شيئا منها لا يصلح لصالحه حتى و لا أن
 ١٠ يذكر: ﴿ الثالثة الاخرى ﴾ أى أنه ما كفاهم في خرق سياج منها العقل
 في مجرد تعديد الإله بعمله الاثنين حتى أضافوا ثالثا أقروا بأنه متأخر
 الرتبة فكان الإله عندهم قد يكون سافلا و يكون ملازما للأنزال
 و للسفول بكونه / أنى، قال الرازى فى اللوامع: و أنشأ أسماءها تشبيها
 / ٩٢ لها بالملائكة على زعمهم بأنها بنات الله - انتهى، و لا شك عند من له
 ١٥ أدنى معرفة بالفصاحة أن هذا الاستفهام الإنكارى و التعبير بما شأنهم
 بالولادة التي هى أحب الأشياء إلى الإنسان بل الحيوان لا يوافق أن يقال
 بعده ما يقتضى مدحا بوجه من الوجوه، فحين بطلان ما نقل نقلًا واهيا
 من أنه قيل حين قرئت هذه السورة فى هذا المحل: تلك الغرائق العلاء -
 إلى آخره لعلم كل عربى أن ذلك غاية فى الهديان فى هذا السياق، فلا
 ٢٠ و صلة بهذا السياق المعجز بوجه .

ولما كان التقدير بما أفهمه السياق: كيف ادعيتم أنها آلهة أهي كذلك مع أن عادتكم احتقار الإناث من أن تكون لكم أولادا، فكيف رضيتم أن تكون لكم آلهة و تكونوا لها عبادا مع أنها لم تنزل لكم وحيا ولا أرسلت لكم رسولا ولا فعلت مع أحد منكم شيئا مما كرمنا به عبدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا أرتكم قط آية ولا هي متأهلة لشيء من هـ ذلك، بل لا تملك ضرا ولا نفعا و ادعيتم أنها بناته واستوطنها جنيات هي بناته و ادعيتم مع ادعاء مطلق الولدية لمن لا يلم به حاجة ولا شبه له أن له أردأ الصنفين، فكان ذلك نقصا مضموما إلى نقص - وعلا سبجانه تعالى عن صاحبة أو ولد، فاستحققتكم بذلك الإنكار الشديد، وعلم بهذا التقدير الذي هدى إليه السياق بطلان حديث الغرائق ولا سيما مع تعقيبه ١٠ بقوله: ﴿الكم﴾ أى خاصة ﴿الذكر﴾ أى النوع الأعلى ﴿وله﴾ أى وحده ﴿الائىء﴾ أى النوع الأسفل.

ولما كان الاستفهام إنكاريا رد الإنكار بقوله فذلكم لفعلمهم: ﴿تلك﴾ أى هذه القسمة البعيدة عن الصواب ﴿إذا﴾ أى إذ جعلتم البنات له والبنين لكم ﴿قسمة ضيزىء﴾ أى حائرة ناقصة ظالمة فيما يحسن للحق ١٥ للغاية عرجاء غير معتدلة حيث خصصتم به ما أوصلتكم الكراهة له إلى دفنه حيا، وقد علم أن الآية من الاحتباك: دل ذكر اسمها فى أسلوب الإنكار على حذف إنكار كونها آلهة وإنكار تخصيصه بالإناث على حذف ما يدل على أنهم جعلوها بناته.

ولما أفهم هذا الإنكار بطلان قولهم هذا، حصر القول الحق فيها ٢٠

فقال مستأنفا: ﴿ان﴾ أى ما ﴿هى﴾ أى هذه الأصنام ﴿الآ اسماء﴾
 أى لاحقائق لها، فما ادعيت لها من الإلهية ليس لها من ذلك إلا الاسماء،
 وأكد ذلك بقوله مينا: ﴿سميتوها﴾ أى ابتدعتم تسميتها أتم، واجتث^١
 قولهم من أصله فقال: ﴿وإاتم و'اباؤكم﴾ أى لاغير بمجرد الهوى لم تروا
 منها آية ولا كلمتكم قط كلة تعتدونها، وعلى تقدير أن تتكلم الشياطين
 على ألسنتها فأى طريقه قوية شرعت لکم و أى كلام ملبح أو بليغ وصل
 إليکم و أى آية كبرى أرتكبوها - انتهى .

٩٢ / و لما علم بهذا أن الله تعالى لم يأمرهم بشيء من ذلك، صرح به
 نافيا أن يدل على ما وسموه به دليل فقال: ﴿ما﴾ و لما قدم فى
 ١٠ الاعراف ترك النافى للتصريح لما تقدم بما اقتضاه، نفى هنا الإنفال النافى
 لأصل الفعل سواء كان بالتدريج أو غيره لأن المفصل لباب القرآن فهو
 للمقاصد، وذلك كاف فى ذم الهوى الذى هو مقصود السورة فقال:
 ﴿انزل الله﴾ الذى له جميع صفات الكمال ﴿بها﴾ أى بالاستحقاق
 للاسماء و لا لما وسمتموها به من الإلهية، وأغرق فى النفى بقوله:
 ١٥ ﴿من سلطان﴾ أى حجة تصلح مساطلا على ما يدعى فيها .

و لما كان هذا النفى المستغرق موجبا للخصم إيساع الحيلة فى ذكر
 دليل على أى وجه كان، وكان هؤلاء قد أبلسوا عند سماع هذا الكلام
 ولم يجدوا ما يقولون ولا يجدوا، فكان من حقهم أن يرجعوا فلم يرجعوا،
 أعرض عنهم إيدانا بشديد الغبن قائلا: ﴿ان﴾ أى ما ﴿يتبعون﴾

(١) فى الأصل : اخبث .

أى فى وقت من الأوقات فى أمر هذه الأوثان بغاية جهدهم من أنها آلهة ،
وأنها تشفع لهم أو تقربهم من الله ﴿الالظن﴾ أى غاية أمرهم لمن
يحسن الظن بهم ، فالظن ترجيح أحد الجائزين على رغم الظان .

ولما كان الظن قد يكون موافقا للحق مخالفا للهوى قال :

﴿وما تهوى الاقصد﴾ أى تشتهى ، وهى - لما لها من النقص - لا تشتهى هـ
أبدا إلا بما يهوى بها عن غاية أوجها إلى أسفل حضيضها ، وأما
المعالى و حسن العواقب فانما تشوق إليها العقل ، قال القشيري : فالظن
الجميل بالله فليس من هذا الباب ، و التباس عواقب الشخص عليه ليس
من هذه الجملة بسبيل ، إنما الظن المعلوم فى الله وصفاته وأحكامه . ﴿ولقد﴾

أى العجب أنهم يفعلون ذلك و الحال أنه قد ﴿جاءهم من ربهم﴾ أى ١٠
المحسن إليهم ﴿الهدى﴾ أى الكامل فى بابه إلى الدين الحق الناطق
بالكتاب الناطق بالصواب على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ، والرأى
يقتضى أن من رأى الهدى تبعه ولو أتاه به عدوه ، فكيف إذا أتاه به
من هو أفضل منه من عند من إحسانه لم ينقطع عنه قط . ولما كان

التقدير : أعليهم أن يتركوا أهويتهم و بهتدوا بهدى ربهم الذى لا ملك ١٥
لهم معه ﴿ام﴾ لهم ما تمنوا - هكذا كان الأصل ، و لكنه ذكر
الأصل الموجب لإتباع الهوى فقال : ﴿الإنسان﴾ أى الآنس بنفسه
المحسن لكل ما يأتى و ما يندر ﴿ما تمنى﴾ أى من اتباع ما يشتهى
من جاه و مال و طول عمر و رفاهية عيش و من كفره و عناده ، وقوله

”لن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى“ .

و لما كان الاستفهام إنكاريا . كان المعنى : ليس له ما تمنى ، وكان
 ذلك دليلا قطعيا على أنه مربوب مقهور بمن له الأمر كله ، فسبب
 عنه قوله : (فله) أى الملك الأعظم وحده . و لما كانت الأخرى
 / ٩٤ دار اللذات و بلوغ جميع الأمانى و حرمانها ، و كانوا يدعون فيها / على
 ٥ تقدير كونها جميع ما يتمنون من شفاعة آلهتهم و إجابتها إلى إسعادهم
 و نحو ذلك ، قدم قوله : (الآخرة) فهو لا يعطى الأمانى فيها إلا لمن
 تبع هداة و خالف هواه (و الأولى ٤) فهو لا يعطى جميع الأمانى فيها
 لأحد أصلا كما هو مشاهد ، فن ترك هواه فيها نال أمانيه فى الآخرة ،
 و من تبع هواه لم يصل إلى مراده فى الدنيا و حرم أمانيه فى الآخرة .
 ١٠ فلهذا قدمها لا للفاصلة فانه لو قيل « الأخرى » اصلحت للفاصلة .

و لما كان التقدير : فكم من شخص ترويه فى الأرض مع أنه فى غاية
 المسكنة فيما يظهر لكم لا يصل إلى ربح ما يتمناه ، عطف عليه قوله ، مظهرًا
 لضخامة ملكه . و أنه لا يبالى بأحد ، دالا على الكثرة : (و كم من ملك)
 أى مقرب ، و دل على زيادة قربيه بشرف مسكنه فقال : (فى السموات)
 ١٥ أى و هم فى الكرامة و الزلفى (لا تغنى) أى لا تجزى و تسد و تكفى ،
 و لما كان رد الجمع لحال اجتماعهم أدل على العظمة ، عبر بما يحتمل ذلك
 فقال : (شفاعتهم) أى عن أحد من الناس (شينا) فقصر الأمر عليه
 و رده بخذافيره إليه بقوله : (الا) و دل بآثبات الجار على أنه مع ما يحده
 سبحانه لا مطلقا فقال : (من بعد ان ياذن) أى يمكن و يريد (الله)
 (١) فى الأصل : قطعا (٢) فى الأصل : باسباب .

أى الذى لا أمر لأحد أصلا معه، وعبر بأن والفعل دلالة على أنه
لا عموم بعد الإذن بجميع الأوقات، وإنما ذلك يحدد بعد تجدد الإذن
على حينه وقبل الأمر الباب؟ لعموم العظمة بقوله: ﴿ لمن يشاء ﴾
أى بتجدد تعلق مشيئته به لأن يكون مشفوعا أو شافعا.

ولما كان الملك قد يأذن فى الشفاعة وهو كاره، قال معلما أنه ليس ه
كأولئك: ﴿ ويرضى ه ﴾ فحينئذ تغنى شفاعتهم إذا كانوا من المأذون لهم -
كل هذا قطعا لأطاعهم وعن قولهم بمجرد الهوى أى ألهمتهم تشفع لهم .
ولما أخبر باتباعهم للهوى ونفى أن يكون لهم من ذلك ما يتمنونه . دل
على اتباعهم للهوى بقوله موضع " انهم " : ﴿ ان الذين ﴾ وأكد تنبيها
على أنه قول بالغ فى الحب الغاية فلا يكاد يصدق أن عاقلا بالآخرة ١٠
يقوله بما جرى لهم على قولهم ذلك وأمثاله بقوله: ﴿ لا يؤمنون ﴾
[أى - '] لا يصدقون ولا هم يقرن بالآخرة، ولذلك أكد قوله:
﴿ ليسمون المشكك ﴾ أى كل واحد وم رسل الله ﴿ تسمية الآثي ﴾ بأن
قالوا: هى بنات الله، كما يقال فى جنس الآثي: بنات ﴿ وما ﴾ أى
والحال أنهم ما ﴿ لهم به ﴾ أى بما سموهم به، وأغرق فى النفي بقوله: ١٥
﴿ من علم ﴾ ولما نفى عنهم تشوف السامع إلى الحامل لهم على ذلك
فقال: ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ يتبعون ﴾ أى بغاية ما يكون فى ذلك وغيره
﴿ الا الظن ج ﴾ .

ولما كانوا كالقاطعين بأن ذلك ينفعهم، أكد قوله: ﴿ وان الظن ﴾

(١) زيد من السياق .

أى مطلقا فى هذا وغيره، و لذلك اظهر فى موضع الإضمار (لا ينفى)
 إغناء مبتدئا (من الحق) أى الأمر الثابت فى نفس الأمر الذى هو حقيقة
 الشئ و ذاته بحيث يكون الظن بدله، و الظن إنما يعبر [به] فى العمليات
 لا العمليات و لاسيما الأصولية / (شينج) من الإغناء^٢ عن أحد من الخلق
 ٩٥ / فانه لا يؤدى أبدا إلى الجزم بالعلم بالشئ على ما هو عليه فى نفس الأمر
 فهو ممنوع فى أصول الدين، فان المقصود بتحقيق الأمر على ما هو عليه
 فى الواقع، و أما الفروع فان المكلف به فيها هو الظن لكن بشرطه
 المأذون فيه، و هو رده إلى الأصول المستنبط منها لعجز الإنسان على
 القطع فى جميع الفروع، تنبيهها على عجزه و افتقاره إلى الله ليقبل عليه
 ١٠ و يتبرأ من حوله و قوته ليكشف له من الأحقاف .

ولما كانوا بعد مجيء الهدى قد أصبروا على الهوى، وكانت هذه
 السورة فى أوائل ما نزل، و المؤمنون قليل، سبب عن ذلك :
 (فاعرض عن من تولى لا) أى كلف نفسه خلاف ما يدعو إليه
 العقل و الفطرة من (عن ذكرنا) أى ذكره إيانا، فأعرض
 ١٥ عن الذكر الذى أنزلناه فلم ينله و لم يتدبر معانيه فلا يلتفت إلى شئ
 علمه فانه مطموس^٣ على قلبه و لو كان ذهنه أرق من الشعر فانه لا يؤل^٢
 إلا إلى شر " و لا تذهب نفسك عليهم حسرات " فانه ما
 عليك إلا البلاغ .

(١) فى الأصل : الاغنياء^٢ (٢) فى الأصل : ملبوس (٣) فى الأصل : لا يقول .

ولما كان المعرض في وقت قد يقبل في آخر، دل على درامه
على وجه بليغ بقوله: (ولم يرد) أى في وقت من الأوقات
(إلا الحياة الدنيا) أى الحاضرة ليقصده بالمحسوسات كالبهايم في المعى
عن دناءتها وحقارتها، ثم ترجم جملتى الإعراض والإرادة بقوله: (ذلك)
أى الأمر المتناهى في الجهل والقباحة (مبلغهم) أى نهايه بلوغهم
و موضع بلوغهم والحاصل لهم، وتهكم بهم بقوله: (من العلم) أنه
لا علم لهم لأن عيون بصائرهم عمى، ومرايئها كثيفة مظلمة لا تكشف
عن نظر الآخرة التى هى أصل العلوم كلها، ثم علل هذه الجملة بقوله
مؤكدًا قطعًا لطمع من يظن أن وعظه و كلامه يرد أحدا من غيه
وإن أبلغ في أمره ودعائه في سره وجهره، و إعلامًا بأن ذلك إنما ١٠
هو من الله، فمن وعظ له سبحانه راجيا منه في إيمانه أوشك أن
يتفع به كما فعل في وعظ مصعب بن عمير رضى الله عنه فصغى له أسيد
ابن حضير وسعد بن معاذ رضى الله عنهما في ساعة واحدة كما هو مشهور
(إن ربك) أى المحسن إليك بالإرسال وغيره (هو) أى وحده
(اعلم بمن ضل عن سيله) ضلالا مستمرا، فلا تعلق أملك بأن يصل ١٥
عليه إلى ما وراء الدنيا، وعبر بالرب إشارة إلى أن ضلال هذا من
الإحسان إليه صلى الله عليه وسلم لأنه لو دخل في دينه لافسد أكثر مما
يصلح كما قال تعالى " لا وضعوا خلافكم ييغونكم الفتنة " وفيكم سماعون
لهم " وذلك لأنه جبل جبلة غير قابلة للخير (وهو) أى وحده

(اعلم بمن امتدّى) أى ظاهرا و باطنا .

ولما كان هذا ربما أوهم أن من ضل على هذه الحالة ليس في قبضه ، قال نافعا لهذا الإبهام مبينا أن له الأسماء الحسنى ومقتضياتها في العالم موضع "و الحال أنه له" أو عطفًا على ما تقديره : فثقه من في السماوات
 ٥ ومن في الأرض : (والله) أى الملك الأعظم وحده (وما في السموات)
 من / الذوات والمعاني فيشمل ذلك السماوات والأراضى ، فان كل
 سماء في التى تليها ، والأرض في السماء (وما في الأرض لا) وكذلك
 الأراضى والكل فى العرش و هو ذو العرش العظيم .

/ ٩٦

ولما أمره صلى الله عليه وسلم بالإعراض عنهم وسلاه وأعلمه أن
 ١٠ الكل فى ملكه ، فلو شاء لهداهم ورفع النزاع ، ولكنه له فى ذلك حكم
 تحار فيها الأفكار ، علل الإعراض كما تقدم فى الجائية فى قوله " قل
 للذين آمنوا يغفروا " بقوله : (ليجزى) أى يعاقب هو سبحانه كافيا لك
 ما أهمك من ذلك ، ويجوز أن يكون التقدير : وكما أنه سبحانه مالك ذلك
 فهو ملكه ليحكم بجزاء كل على حسب ما يستحق ، فان الحكم نتيجة الملك
 ١٥ (الذين أسأوا) بالضلال (بما عملوا) أى بسية و بحسبه إما بواسطة
 وبسيوفك وسيوف أتباعك إذا أذنت لكم فى القتال ، وإما بغير ذلك
 بالموت حتف الأنف بضرب الملائكة وجوهمهم وأدبارهم ، ثم بعذاب
 الآخرة على جميع ذنوبهم من غير أن يكون عجل لهم فى الدنيا شيء ينقص
 بسية عذاب الآخرة (ويجزى) أى يثبت و يكرم (الذين أحسنوا)
 ٢٠ أى على ثباتهم على الدين وصبرهم عليه و على أذى أعدائهم (بالحسنى)
 أى

أى الثبوت الذى هو فى غاية الحسن ما بعدها غاية، فان الحسنى تأنيث
الاحسن .

ولما وعد الذين وقع منهم الإحسان ، وصفهم فقال :
(الذين يحتنبون) أى يكلفون أنفسهم ويجهدون على أن يتركوا
(كسائر الاثم) أى ما عظم الشارع إثمهم بعد تحريره بالوعيد والحد ، ه
وعطف على ” كبار الاثم ” قوله : (والفواحش) و الفاحشة من
الكبار ما يكرهه الطبع وينكره العقل ويستخسه .

ولما أنهم هذا التقييد [أن] من خالط ما دون فما دون كان مغفورا
له، صرح به فقال : (الا) أى لكن (اللهم) مغفو، فن خالطه
لا يخرج عن عداد من أحسن ، فهو استثناء منقطع ، ولعله وضع فيه ١٠
” الا ” موضع ” لكن ” إشارة إلى أن الصغير يمكن أن يكون
كبيرا باستهاتته مثلا كما قال تعالى ” وتحسبونه هينا و هو عند الله عظيم ”
واللم هو صغار الذنوب ، والمراد هنا ما يحصل منها فى الأحيان كانه
وقع فى صاحبه فلتة بغير اختيار منه ، لاما يتخذ عادة أو يكثر حتى
يصير كالعادة ، قال الرازى فى اللوامع : وأصله مقارنة الذنب ثم الامتناع ١٥
منه قبل الفعل ، قال ذو النون : ذكر الفاحشة من العارف كفعلها من
غيره - انتهى . يقال : وألم بالمكان - إذا قل لبث فيه ، وقال البغوى :
قال السدى : قال أبو صالح أنه سئل عن اللم فقال : هو الرجل يلم بالذنب
(١) فى الأصل : الا (٢) آية ٢٤ / ١٥ (٣) فى العالم بهامش الباب ٦ / ٢٢٠ .

ثم لا يعاوده ، قال : فذكرت [ذلك - ١] لابن عباس رضى الله عنهما
فقال : لقد أعانك عليها ملك كريم ، ثم قال البغوى : فأصل اللهم
والإمام [ما - ١] يعمل الإنسان الحين بعد الحين ، ولا يكون له إعادة
ولا إقامة [عليه - ١] - انتهى - وعلى هذا يصح أن يكون الاستثناء
متصلا . ٥ / ٩٧

ولما كان الملوك لا يغفرون لمن تكررت ذنوبه إليهم وإن صغرت ،
فكان السامع يستعظم أن يغفر ملك الملوك سبحانه مثل هذا ، علل ذلك
بقوله : (ان ربك) أى المحسن إليك بارسالك رحمة للعالمين والتخفيف
عن أمتك (واسبح المغفرة) فهو يغفر الصغار حقا وأوجه على نفسه
١٠. ويغفر الكبار إن شاء بخلاف غيره من الملوك فإنه لو أراد ذلك ما أمكنه
أتباعه ، ولو جاهد حتى تمكن من ذلك فى وقت فسدت مملكته فأدى
ذلك إلى زوال الملك من يده أو اختلاله .

ولما وصف الذين أحسنوا فكان ربما وقع فى وهم أنه لا يعلمهم
سبحانه إلا بأفعالهم ، وربما قطع من عمل بمضمون الآية أنه بمن أحسن ،
١٥ قال نافيا لذلك : (هو اعلم بكم) أى بذواتكم و أحوالكم منكم بأنفسكم
(اذ) أى حين (انشأكم) ابتداء (من الارض) التى طبعها طبع الموت :
البرد واليبس بانشاء أيكم آدم عليه السلام منها ونهيتمكم للتكوين بعد
أن لم يكن فيكم تقوية قرية ولا بعيدة أصلا يميز الثواب الذى يصلح
لتكوينكم منه والذى لا يصلح (واذ) أى حين (انتم اجنة) أى مستورون .

(١) زيد من العالم (٢) من العالم ، وفى الأصل : عادة .

ولما كان البشر قد يكون في بطن الأرض وإن كان الجنين معروفاً
للطفل في البطن، حقق معناه بقوله: ﴿ في بطون امهتكم ﴾ بعد أن مزج
بذلك التراب البارد اليابس الماء والهواء، فنشأت الحرارة والرطوبة، فكانت
هذه الأربعة الأخلاط الزكية والدنية، ولكن لا علم لكم أصلاً، فهو
يعلم إذ ذاك ما أنتم صائرُونَ إليه من خير وشر وإن عملتم مدة من ٥
العمر بخلاف ذلك فانه يعلم ما جبلكم عليه من ذلك وأنتم لاتعلمون
إلا ما يكون في أنفسكم حال كونه أنكم لاتحيطون به إذ ذاك علماً .

ولما كان من عادة من أسلم من الذنوب أن يفنخر على من قارفها لما
بنى الإنسان عليه من محبة الفخر لما جبل عليه من التقصان، وكان حاله
قد يتبدل فيسبق عليه الكتاب فيشقى، سبب عن ذلك قوله: ﴿ فلا تزكوا ﴾ ١٠
أى تمدحوا بالزكاة وهو البركة والطهارة عن الدناءة ﴿ انفسكم ﴾ أى
حقيقة بأن يثنى على نفسه فان تزكيتة لنفسه من علامات كونه محجوباً
عن الله - قاله القشيري - أو مجازاً بأن يثنى على غيره من إخوانه فانه كثيراً
ما يثنى بشيء فيظهر خلافه، وربما حصل له الأذى بسببه "أو إن العبد
ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع" ١٥
الحديث، ولذلك علل بقوله: ﴿ هو اعلم ﴾ أى منكم ومن جميع الخلق
﴿ بمن اتقى ﴾ أى جاهد نفسه حتى حصل فيه تقوى، فهو أبوصله فوق
ما يؤمل من الثواب في الدارين، فكيف بمن صارت له التقوى
وصفا ثابتاً .

ولما أمره سبحانه بالإعراض / عن تولى عن التشرف بذكر الملك ٢٠ / ٩٨

الاعظم و اللجوء إليه ، و نهى عن التزكية للجهل بالعواقب ، و كان قد ارتد
 ناس عن الإسلام ، كان سبب ارتدادهم إخباره صلى الله عليه و سلم عن
 بعض ما رأى من الآيات الكبرى ليلة الإسراء ، و كان لما نزلت عليه
 صلى الله عليه و سلم سجدة النجم و سجد فيها صلى الله عليه و سلم بسجدة معه
 ٥ - كما فى البخارى - المسلمون و المشركون و الجن و الإنس ، و لم يكن
 فى ظن أحد من الخلق انقلابهم على أديبارهم بعد حتى و لا فى ظن المرتد إن ،
 سبب عن ذلك قوله : ﴿ افرءيت ﴾ أى أخبرونى ﴿ الذى تولى ﴾ أى
 [عن] ذكرنا بعد أن كان حريصا عليه ، يظن هو و أهله أنه عريق فى
 أهله بأيمانه و أعماله فى أيام إيمانه ﴿ و اعطى قليلا و اكدى ﴾ أى قطع
 ١٠ ذلك العطاء على مكده و قلته و أبطله و أفسده فصار كالحافر الذى وصل
 فى حفرة إلى كدية ، يقال لحافر البئر : أجبل - إذا وصل إلى جبل ،
 و أكدى - إذا وصل إلى كدية أى صفة عظيمة شديدة لاتعمل فيها
 المعاول ، فصار لايقدر معها على شيء من عمله ، و لا يستطيع النفوذ فيها
 بشيء من حيله ، و قد كان قبل ذلك لما صادف التراب اللين يظن أنه
 ١٥ لا يمنعه مانع مما يريد ، فهذا دليل خبرى شهودى على أنه لا علم لاحد
 من الخلق بما جباه الله فى نفسه فضلا عن غيره ، فلا ينبغي لاحد أن
 يزكى نفسه و لا غيره ، قيل : نزلت فى الوليد بن المغيرة أسلم ثم ارتد
 لتعبير بعض المشركين له ، و قوله له " ارجع و أنا أتحمل عنك العذاب "
 و هى تصلح لكل من ارتد ظاهرا أو نافق أو انهزمك فى المعاصى بعد

إيمانه معرضا عن الأعمال الصالحة .

ولما كان هذا - وقد وقع في خطر عظيم من إفساد العمل في الماضي وتركه في المستقبل فصار على خطأ عظيم في أحدهما - يتعلق بأصل الدين: الكفر والإيمان، وكان مثل هذا لا يفعله عاقل بنفسه إلا عن بصيرة، قال تعالى موجبا له مقرا: ﴿ اعننه ﴾ أى خاصة ﴿ علم الغيب ﴾ أى ه كله بحيث لا يشاركه فيه مشارك يمكن أن يخفى عليه شيء منه ﴿ فهو ﴾ أى فيسبب^١ عن ذلك أنه ﴿ يرى ه ﴾ أى الرؤية الكاملة فيعلم جميع ما ينفعه في تركه وجميع ما يضره فيجتنبه و يعلم أن هذا القليل الذي أعطاه قد قبل وأمن به من العطب فاكتمى به .

ولما كان النبي قد يظن أن عمل غيره ينفعه، عبر عنه جامعا للوعظ ١٠ والتهويل بقوله: ﴿ ام لم ينبا ﴾ أى يخبر إخبارا عظيما متابعا ﴿ بما في صحف موسى^٢ ﴾ أى التوراة المنسوبة إليه بانزالها عليه وكذا ما يتبعها من أسفار الأنبياء الذين جاؤا بعده بتقريرها .

ولما قدم كتاب موسى عليه السلام لكونه أعظم كتاب بعد القرآن مع أنه موجود بين الناس يمكن مراجعته، قال: ﴿ و ابراهيم ﴾ ١٥ ومدحه بقوله دالا بتشديد الفعل على غاية الوفاء: ﴿ الذى وفى^٣ ﴾ أى أتم ما أمر به وما امتحن به وما قلق شيئا من قلق، وكان أول من هاجر قومه وصبر على حر ذبح الولد وكذا على حر النار ولم يستعن بمخلوق، وخص هذين النبيين لأن المدعين / من بنى إسرائيل اليهود

٩٩ /

(١) زيدت الواو في الأصل .

و النصارى يدعون متابعة عيسى عليه السلام، ومن العرب يدعون متابعة إبراهيم عليه السلام، ومن عداهم لامتسك لهم ولا سلف في نبوة محقة ولا شريعة محفوظة، ثم فسر الذى فى الصحف أو استأنف بقوله: ﴿الأتزر﴾ أى تأثم وتحمل ﴿وازره﴾ أى نفس بلغت مبلغا تكون فيه حاملة ﴿وزر اخرى﴾ أى حملها الثقيل من الإثم، يعنى فمن يحمل عنه أثم أحد الشقين الذى لزمه فلا بد أن يكون آثما وهما قبل التولى وما بعده .

و لما نفي أن يضره إثم غيره، نفي أن ينفعه سعى غيره فقال: ﴿وان ليس للانسان﴾ كائنا من كان ﴿الا ما سعى﴾ فلا بد ان يعلم الحق فى أى جهة فيسعى، ودعاء المؤمنين للؤمن سعيه بموادته لهم ولو بموافقة لهم فى الدين وكذا الحج عنه والصدقة ونحوهما، وأما الولد فواضح فى ذلك، وأما ما كان لسبب العلم ونحوهما (٩) فكذلك، وتضحية للنبي صلى الله عليه وسلم فى عزامته أصل كبير فى ذلك، فان من تبعه فقد وادده، وهذا أصل فى التصديق عن الغير وإهداء ما له ١٥ من الثواب فى القراءة ونحوها .

ولما ثبت أنه ليس له ولا عليه إلا ما عمل، وكان فى الدنيا قد يفعل الشيء من الخير والشر ولا يراه من فعله لأجله ولا غيره، نفي أن يكون الآخرة كذلك بقوله: ﴿وان سعيه﴾ أى من خير وشر ﴿سوف﴾ أى من غير شك بوعده لا خلف فيه وإن طال المدى .

(١) فى الأصل: ما .

و لما كان الاطلاع نفسه مرضيا أو مخزيا لا بالنسبة لاحد بعينه، بناء
للجهول بقوله : (يرى) و لما كان المخوف منه المجازاة مطلقا لا من
بجاز معين قال : (ثم يحزمه) و لما كان في هذه الدار ربما وقعت المساحة
بعض الأشياء والغفلة عن بعضها، قال : (الجزء الاوفى) أى الإثم
الاكمل، إن كان خيرا فمع المضاعفة، وإن كان غيره فعلى السواء لمن
أراد الله ذلك له ويعفو عن كثير، لكنه تذكرة له .

و لما كانت رؤية الأعمال لا تقطع رؤية المتوكلين بها من الملائكة
أو غيرها من أقامه الله لذلك، وكان الرائي كلما كان أكثر كان الأمر
أهول، وكان رؤية الملك الأعظم أخوف، قال عاطفا على "لا تزر" مبينا
بحرف الغاية أن الرائي للأعمال كثير لكثرة جنوده سبحانه : ١٠
(وإن الى ربك) أى المحسن اليك لاغيره (المنتهى) أى الانتهاء
برجوع الخلائق حسا بالبعث ومعنى بالعمل والعلم، وإسناد الأمور
وإرسال الآمال، ومكان رجوعهم وزمانه كما كان منه المبتدأ، أكد
ذلك خلقا لذلك كله وحسابا عليه . روى البغوى من طريق أبى جعفر
الرازى عن أبى بن كعب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في ١٥
هذه الآية قال : لا فكرة فى الرب، قال : ومثل هذا ما روى عن أبى
هريرة رضى الله عنه مرفوعا : تفكروا فى الخلق ولا تفكروا فى الخالق
فانه لا يحيط به الفكرة . ورواه أبو نعيم فى الحلية عن ابن عباس
رضى الله عنهما : ولا تفكروا فى الله فانكم لن تقدروا قدره، هذا [هو]

(١) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٦ / ٢٢٣ .

المراد وهو واضح، فن أول الآية باتحاد أو غير ذلك من الإلحاد فعليه لعنة الله وعلى الذاب عنه والساكت عنه .

/ ١٠٠

ولما ذكر تعالى الأمور الاختيارية / وقدمها لأنها محط للبلاء
وسلب عليها عن أصحابها، وحذر من عاقبتها باحاطته بكل شيء، وكان
هـ معنى ذلك أنه القادر لا غيره والعالم لا غيره، عطف عليه قوله ذاكرة
للأمور الاضطرارية التي هي في غاية التناهي إكالا للدليل على أنه يعلم
ما في النفوس دون أصحابها وغيرهم وأنه إليه المنتهى إعادة وإبداء، يوقف
ما يشاء على ما يريد من الأسباب التي تفعل بأذنه من الضحك أو البكاء
وغيرهما من الأمور المنافية التي لولا الألف لها لقضى الإنسان
١٠ أن المتلبس بأحدهما لا يتلبس بغيره أصلا ومن غيرها (وأنه)
ولما كانت التأثيرات الإدراكية تحال على أسبابها، أكد الكلام فيها فقال:
(هو) أي لا غيره (اضحك وابكي) أي ولا [يعلم] أحد قبل وقت
الضحك أو البكاء أنه يضحك أو يبكي ولا أنه يأتيه ما يعجبه أو يحزنه،
ولو قيل له حالة الضحك أنه بعد ساعة [يبكي] لأنكر ذلك، وربما أدركه
١٥ ما أبكاه وهو في الضحك وبالعكس .

ولما كانت الإمامة والإحياء أعظم تنافيا بما مضى، فكانت القدرة على
إيجادهما في الشخص الواحد أعظم ما يكون، وكان ربما نسب إلى من
قتل أو داوى من مرض أو أطلق من وجب قتله، أكد فقال:
(. انه هو) أي لا غيره . ولما كان الإلباس في الموت أكبر، وكان
٢٠ الموت أنسب للبكاء، والإحياء أنسب للضحك، وكان طريق النشر المشوش

أفصح، قدمه فقال: ﴿ امات واحيا ١٠ ﴾ وان رأيت أسبابا ظاهرية فانه لا عبرة بها أصلا في نفس الأمر بل هو الذى خلقها .

ولما كان ذكر الإحياء، وكان تصنيف الولد إلى نوعيه ظاهرا في اختصاصه، بل وهو في غاية التعذر على [من] سواء، أعراه عن مثل التأكيد في الذى قبله فقال: ﴿ وانه خلق الزوجين ﴾ ثم فسرها بقوله: هـ ﴿ الذكر والاثني ١١ ﴾ فانه لو كان ذلك في غيره لمنع البنات لانها مكروهة لكل أحد، ثم ذكر ما يظهر ولا بد أنه من صنعه فتسبب أن مادة الاثني واحدة وهو الماء الذى هو أشد الأشياء امتزاجا فقال: ﴿ من نطفة ﴾ وصور كونها منها بقوله: ﴿ اذا تمى ١٢ ﴾ أى راق وتدقق بالفعل لا قبل ذلك ليتمكن فيه طعن بأنه كان بدوًا أو غيره بل أتم تعلبون أنه لا يخلق الولد إلا بعد الإتمام بالفعل، وخرج أصله ما يمكن خلقا من خلق الله ان يعرف بمجرد رؤيته أهو صالح الاثني فقط أو للذكر فقط أو لهما أو للأنثى شكل بالحنوثة .

ولما ساق هذه الأشياء دليلا على إحاطة تلمه فلزمها أن دلت على تمام قدرته، وختمها بالنشأ الأولى فلزم من ذلك الإقرار حتما بأنه قادر ١٥ على البعث، عبر بما يقتضى أنه لما تقدم به وعده على جميع السنة رسله صار واجبا عليه بمعنى أنه لا بد من كونه لأنه لا يبدل القول لديه، لا غير ذلك، فمبحرف الاستعلاء تأكيد له ردا لإنكارهم إياه فقال: ﴿ وان عليه ﴾ أى خاصا به علما وقنرة ﴿ النشأة ﴾ أى الحياة وهو محدود لابن

(١) راجع نثر المرجان ٧/ ١٠٣ .

كثير وأبى عمرو ومقصود لغيرهما مصدر نشأ - إذا حنى وربى وسن
 ﴿الآخرى لا﴾ أى التى ينشأ بها الخلق بعد ان يميتهم . ولما كان الغنى
 والفقر من الأمور المتوسطة بين الاختيارية والاضطرارية له بكل الأمرين
 سبب وكان مقسوما بين الإناث والذكور بحكمة ربانية لا ينفج الذكر
 فيها / قوته ولا يضر الأثني ضعفها، وكان ذكر النشأة الآخرة كالمعرض
 إنما أوجب ذكر النشأة الأولى، تعقب ذكرهما به وكان ذكر الغنى مع
 انه يدل على الفقر أليق بالامتنان، والنسبة إلى الرب، وكان الغنى الحقيقى
 إنما يكون فى تلك الدار، آخر ذكره فقال: ﴿وإنه﴾ ولما كان ربما
 سب إلى السعى وغيره، أكد بالفعل فقال: ﴿هو﴾ أى وحده من
 ١٠ غير نظر إلى سعى ساع ولا غيره ﴿اغنى﴾ ولما كان الغنى فى الحقيقة
 إنما هو غنى النفس، وهو رضاها بما قسم لها وسكونها وطمأنيتها،
 وإنما سعى ذو المال غنيا لأن المال بحيث تطمئن معه النفس، فمن كان
 راضيا بكل ما قسم الله به فهو غنى، وهو فى الجنانه مغنى وإن كان
 فى الدنيا ﴿واقى﴾ أى أمكن من المال وأرضى بجميع الأحوال،
 ١٥ قال البغوى: أعطى أصول المال وما يدخر بعد الكفاية، قال: وقال
 الأخفش أفنى أفقر - انتهى . ونقل الإصهبانى مثله عن أبى زيد، فتكون
 الهمة للإزالة^٢ ويقال، أفناه بكذا أرضاه، واقناه الصد:
 أمكنه منه .

ولما كانت الشعري لأنها تقطع السماء عرضا ادل النجوم بعد تمام

(١) فى الاصل: قسما (٢) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٦ / ٢٢٤ (٣) فى
 الاصل: للآزليه .

القدرة على الفعل بالاختيار مع أنها بما دخل تحت ذلك الجنس المقسم به أول السورة، وهى لمروها فى سيرها عرضا على جميع المنازل التى كانت العرب تستمطر بها و تنسب بالإتيان بالحد الموجب للنفى إليها كانت قد عبدها من دون الله أبو كعبشة الخزاعى لكونها عنده أجل الكواكب، قال تعالى دالا بالتأكيد على سفاهة من عبدها: ﴿وانه هو﴾ أى لا غيره ﴿رب الشعرى﴾ أى الكاملة فى معناها وهى العبور، وأهل علم النجوم يقولون: إن الأحكام النجومية المنسوبة إليها أصح ما ينسب إلى العالم العلوى، وهى نجم بضئ [خلف] الجوزاء، ويسمى كلب الجبار، وسميت الجوزاء بالجبار تشبيها لها بملك على كرسيه وعلى رأسه تاج، وقال الرازى فى اللوامع: هى أحد كوكبي ذراعى الأسد، وقال ابن القاص فى كتاب ١٠ دلائل القبلة: وترى عند صلاة الصبح نيرة زائدا نورها على نور سائر الكواكب حولها، وقد طمس الصبح نور سائر الكواكب، وأما الشعرى الأخرى فهى الغميصاء - بالغين المعجمة والصاد المهملة - فهى أقل نورا منها، ولذلك سميت الغميصاء، وقال القزاز فى جامعه: وقيل: بكت على أختها فقمصت عينها، أى غارت وذهبت . ١٥

ولما دل سبحانه على كمال علمه وشمول قدرته بأمر الخافقين: العلوى والسفلى، فكان ذلك داعيا إلى الإقبال على ما يرضيه، وناها عن الإلزام بما يسخطه، شرع فى التهديد لمن وقف عن ذلك بما وقع فى مصارع الأولين من عجائب قدرته فقال: ﴿وانه أهلك عادا﴾ ولم يأت بضمير الفصل لأنه لم يدع فى أحد غيره إهلاكهم، وهول أمرهم بقوله: ٢٠

(٥٣ الأولى) أي القدماء في الزمان جدا دلالة على أنه المنصرف في جميع الأزمنة ، و قدمهم لأن الشر أنام من حيث ظنوه خيرا و جزموا بأنه من الأنواء النافعة التي كانت عاداتهم استمطارها ، و قيل : إن عادا قبيلتان : و الأولى قوم هود عليه السلام و الأخرى أرم ذات [الهاد - ١] - قاله جماعة منهم القشيري . قال البغوي : و كان لهم عقب فكانوا عادا الأخرى ، و قال ابن جرير : و عادا الأولى / هم الذين عني الله بقوله ” ألم تركيف فعل ربك بعاد ارم “ و إنما قيل لهم عادا الأولى [لأن] بنى لقيم بن هزال هزبل بن عنبيل بن عاد كانوا أيام ارسل الله على هؤلاء عذابه سكانا بمكة مع إخوانهم من العماقة ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام فلم يصبهم من العذاب ما أصاب قومهم و هم عاد الأخرى ، ثم هلكوا بعد بغى بعضهم على بعض فتفانوا ، و قال غير ابن جرير : إن أرم هم عاد الأخرى ، و عطف عليهم قوله : (و ثمودا) أي أهلكتهم ثم سبب عن الإهلاك قوله : (فآ اتقى) أي من الفريقين أحدا ، و من قال : إن عادا قبيلتان جعل عدم الإبقاء خاصا بشمرد ، و قراءة عاصم ١٥ و حزة و يعقوب منع الصرف نص في أنهم قوم صالح عليه السلام ، و قراءة الباقيين بالصرف أنسب للإهلاك و الإعدام .

و لما قدم من كان إهلاكهم بنفس الريح التي هي مبدأ الأمطار الآتية لهم في السحاب ، و أتبعهم من إهلاكهم بها حملها للصيحة و إرجافها

(١) زيد من القرآن (٢) راجع العالم بهامش الباب ٦ / ٢٢٥ (٣) راجع تفسيره

٢٧ / ٤١ (٤) راجع ثمر المرجان ٧ / ١٠٦ .

بهم ، اتبعهم من كان إهلاكهم بالماء الذي هو غاية السحاب فقال :
 ﴿ و قوم نوح ﴾ اى أهلكهم لأجل ظلمهم بالكذب ، ولما كان
 إهلاكهم فى بعض الزمان الماضى قال : ﴿ من قبل ﴾ اى قبل الفريقين
 فصار فى الكلام تهويلان يهزان القلب و يفعلان فى النفس وصف هؤلاء
 بالقيستين ، أولئك بالأولى ، ولو لا تقديمهم ما كان هذا ، و علل ه
 هلاكهم بما يؤذن أنه لافرق عنده بين قوى و ضعيف و قليل و كثير مؤكدا
 لأن ما اشتهر من طغيان عاد يوجب أنهم أطفئ الناس : ﴿ انهم كانوا ﴾
 اى بما لهم من الأخلاق التى هى كالجبال التى لا انفكك عنها ﴿ م ﴾
 اى خاصة ﴿ اظلم ﴾ من الطائفتين المذكورتين ؛ ﴿ و اطفئ ﴾ اى
 و أشد تجازا فى الظلم و علوا و إسرافا فى المعاصى و تجبرا و عتوا لهادي ١٠
 دعوة نوح عليه السلام و لأنهم أطول أعمارا و أشد أبدانا ، و كانوا
 مع ذلك ملء الأرض ، و يجوز أن يكون الضمير للفرق الثلاثة .
 و لما ذكر الهلاك بالريح العاصفة الناشئة عنها ثم بالماء الناشئ عن
 السحاب الناشئ عن الريح ، ذكر الإهلاك بالريح و النار و الماء إعلاما بأنه الفاعل
 وحده بما أراد من العذاب من العناصر التى سبب الحياة مجتمععة و منفردة ، ١٥
 فقال مقدما عن العامل إعلاما بالتخصيص بما ذكر من العذاب إفادة
 بأنه تعالى قادر على كل شيء فلم يعذب فرقه بما عذب به الأخرى :
 ﴿ و انؤتفك ﴾ اى المدن المقلبة عن و سورها إلى أقطانها بقدره جعلتها
 من شدتها و عظمتها كأنها انقلبت نفسها من غير قالب و ذلك أنه
 سبحانه فققها من الأرض فققها ثم دفعها فى الهواء إلى عنان السماء ثم ٢٠

قلها و أتبعها حجارة النار الكبريتية و غمرها بالماء الذي لا يشبهه شيء من
 مياه الدنيا، ولذلك قال: ﴿اهوى﴾ أى رفع و حط و أزل، فكان الإنزال
 إهواء حقيقيا، و الرفع مجازيا لأنه سبه و هى مدن قوم لوط عليه السلام،
 و أشار إلى الحجارة و الماء بقوله مسيا عن الإهواء و معقبا له :
 ٥ ﴿ففسهها﴾ أى أتبعها ما غطاها فكان لها بمنزلة الغشاء، و هو لها بقوله :
 ﴿ما غشى﴾ أى أمرا عظيما من الحجارة و غيرها لا يسع العقول وصفه،
 و قد اشتمل ما ذكره سبحانه من الصحف على بيان ما ينفع من الأعمال
 و ما يضر / و بيان التوحيد باحاطة الله سبحانه بالنهايات التى لانهاية
 بعدها علما و قدرة لاختصاصه ببيان المصنوعات و ببيان البعث للتخويف
 ١٠ بالآجل و إهلاك المرتدين للتخويف بالماجل لمن كان قلبه جافيا عن النفوذ
 إلى الآجل .

/ ١٠٣

و لما أهلك كل واحدة من هذه الفرق فلم يبق من مجارها أحد،
 و أبجى من أطاعه منهم فلم يهلك منهم أحد، و كان إهلاكه لكل منها
 بشيء غير ما هلك به الفريق الآخر، فدل كل من ذلك على تمام علمه
 ١٥ و كمال قدرته، و كان كل ما تقدم فى هذه السورة من النعم و النقم لكونه
 كان أم أوجه الحكم نعمة على كل مؤمن لما فيها من الترغيب فى ثوابه
 و التهيب من عقابه، خاطب سبحانه رأس المؤمنين لأن خطابه له أشد
 فى تذكر غيره فقال مسيا عما مضى: ﴿فباي الآ ربك﴾ أى عطية المحسن
 إليك التى هى وجه الإنعام و الإكرام و هى إشارة المعرفة به سبحانه
 ٢٠ بمنزلة ظل الشخص من الشخص كما أنه لا يتصور ظل إلا لشخص
 فكذلك (٢٠) ٨٠

فكذلك فعل الفاعل ولا أثر للوثر (تبارى) أى تشك باجالة الخواطر
 فى فكرك فى إرادة هداية قومك بحيث لا تريد أن أحدا منهم يهلك
 وقد حكم ربك بأهلك كثير منهم لما اقتضته حكمته ، وكان بعض خطرك
 فى تلك الإجالة يشكك بعضا ، ولما تم الكلام على هذا المنهاج البديع
 والنمط الرفيع فى حسان البيان للواعظ والشرع والقصص القديمة
 والإنذار العظيم التام على وجه معجز من وجوه شتى ، أنتج قوله مرعبا
 مرعبا خاتما السورة بما بدأ هنا به من ذكره صلى الله عليه وسلم : (هذا)
 النبى صلى الله عليه وسلم (نذير) أى محذر بليغ التحذير ، ولما كانت
 الرسل الماضون عليهم الصلاة والسلام قد تقررت رسالتهم فى النفوس
 وسكنت إليها القلوب ، بحيث أنه لا يسع إنكارها ، فكان قد أخبر عن ١٠
 إنكار من كذبهم لأجل تكذيبهم ، وإنجائهم وإنجاه من صدقهم لأجل
 نصرتهم ، وكان لا فرق بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم فى ذلك إلا أن
 الرحمة به أبلغ وأغلب ، مرعبا فى اتباعه مرعبا من نزاعه ، قال :
 (من النذر الاولى) يجب له ما وجب لهم وأتم كالمندرين الاولين ،
 فاحذروا ما حل بالمكذبين منهم وارجوا ما كان للصدقين . ١٥
 ولما كان كل آت قريبا ، وكانت الساعة - وهى ما أُنذر به من
 القيامة وما دونها - لا بد من إتيانها لما رقع من الوعد الصادق به المتحف
 بالدلائل التى لا تقبل شكاً بوجه من الوجوه ، فكان باعتبار ذلك لاشئ
 أقرب منها ، قال دالا على ذلك بصيغة الماضى الذى قد تحقق وقوعه
 وباشتقاق الواقع الفاعل مما منه الفعل : (ازفت الأزفة) أى دنت ٢٠

الساعة الدانية في نفسها التي وصفت لكم بالفعل بالقرب غير مرة لأنها محط
الحكمة وإظهار العظمة ، وما خلق الخلق / إلا لأجلها ، المشتعلة على الضيق
وسوء العيش من القيامة ، وكل ما وعدتموه في الدنيا مما يكون به ظهور
هذا الدين وقمع المفسدين . ولما ضاق الخناق من ذكرها على هذا الوجه ،
تشوف السامع إلى دفعها ، فاستأق قوله : (ليس لها) واستدرك
بقوله : (من دون الله) أى من أدنى رتبة من رتبة الملك المحيط بكل
شئ قدرة وعلما (كاشفة له) أى كاشف يوجد ما يقيمها ويحلى علمها ،
أو يدفع كربها وهما وإن بالغ في الكشف وبذل الجهد فيه ، فالهاء
للبالغة ، ويجوز أن تكون مصدرا كالجائية والكاذبة والباقية فيكون
١٠ الهاء للتأنيث .

ولما أفهم هذا أن الله يكشفها أى يكشف كربها ممن يريد من
عباده ويثقله على من يشاء ، ويكشف علمها بأقامتها ، ولا حيلة لغيره في
شئ من ذلك بوجه ، سبب عنه وعمما تقدمه من الإنذار قوله منكرا
موبخا : (أفن هذا الحديث) أى القول العظيم الذى يأتيكم على سبيل
١٥ التجدد بحسب الوقائع والحاجات (تحبون لإ) إنكارا وهو في غاية
ما يكون من رقيق القلوب .

ولما كان المعجب قد يمسك نفسه عن الضحك ، بين أنهم ليسوا كذلك
فقال : (وتضحكون) أى استهزاء تبهجون ذلك في كل وقت مبتدأ
ضحكم منه وهو بعيد من ذلك ، ولما كان إنما يورث الحزن بكونه

(١) زيدت الواو في الأصل .

نزل بالحزن قال: ﴿ولا تبكون﴾ أى كما هو حق من يسمعه .

ولما كان البكاء قد يكون على التقصير فى العمل ، بين أن الأمر

أخطر من ذلك [فقال] : ﴿واتم﴾ أى والحال أنكم فى حال بكاكم

﴿سمدون﴾ أى دائبون فى العمل جاهدون فى العمل ، فإن الأمر جد ،

فالدأب فى العمل والجدة فيه حيثئذ علة للبكاء ، فكأنه قيل : ولا تدأبون فى هـ

العمل فبكون ، وإنما قلت ذلك لأن "سمد" معناه دأب فى العمل ورفع

رأسه تكبرا وعلا ، وسمد الإبل : جد فى السير ، وسار سيرا شديدا ،

واسماد : ورم ، وسمد : قام متحيرا وحزن وسر وغفل ولها وقام

وحصل ونام واهتم وتكبر وتحير وبطر وأشر ، وسمد الأرض : سهلها ،

وأيضا جعل فيها السجاد ، أى السرقين ، والشعر : استأصله ، وهو لك سمد ١٠

أى سرمدا ، والسميد : الحواري ، ذكر ذلك مبسوطا القزاز فى جامعه

وصاحب القاموس . فالمادة كما ترى تدور على انتشارها على الدأب

فى العمل فتارة بذكر مبدئه الباعث عليه ، وتارة الناشئ عنه ، وتارة ما

بينهما ، وهو الجد فى العمل ، فينتقل الاسم على كل من ذلك تارة حقيقة

ومرة بمجاز الأول ، وأخرى بمجاز الكون ، فالقصد باعث ، وكذا ١٥

الاهتمام والقيام ورفع الرأس ناشئان عنهما ، وذلك أوله ، والسدم

بمعنى الحرص والهم واللهج بالشئ ، والسديم : الضباب الرقيق ، هو مبدأ

الكشف ، والمسدم : البعير المهمل وما دبر ظهره ، كأنه من الإزالة ، وركية

سدم : متدققة - للمعالجة فى فتحها ، ولأن تدققها دأب فى العمل ، وكذا

سدم الباب أى ردمه ، والدسم / : الودك ، لأنه منشط على العمل ومنشأ ٢٠ / ١٠٥

منه، والوضر والدنس، ودمس المطر الأرض: بلها قليلا، لأنه مبدأ الكثير،
والقارورة: سدها، والباب: أغلقه، لأنه يعالج في فتحه، والدمسة:
غبرة إلى السواد - كأنه مبدأ السواد، والديسم لما لم يكن أبواه من نوع
واحد - كأنه مبدأ لكل نوع منهما ولأنه يلزم الخلط في العادة العلاج،
٥ ومنه الدمسة للردى من الرجال - كأنه لم يكمل فيه النوع، ولأن نقص
الشيء عن عادته يلزمه العلاج والفعل بالاختيار، والديسم: الرفيق بالعمل
المشفق، وأنا على دسم من الأمر أى طرف منه، والمسد - محركة:
المحور من الحديد، لأنه آلة القتل، وحبل من الليف أو ليف المقل لأنه
محل الدأب، والمساد: نحى السمن، ودمسه: دفته، يصلح أن يكون مبدأ
١٠ ومقصدا، ومنه دمس بينهم: أصلح، لأنه دفن أحقادهم وعالج في ذلك،
والدمس: إخفاء الشيء والظلام، لأنه منشق التعب، ودمس الموضع:
درس - للتعب في معرفته، ودمس الإهاب: غطاه فيمشط شعره، والدمس:
الشخص، وبالتحريك: ما غطى، والدودمس بالضم: حية مجرقة الغلاصيم
تنفخ فتحرق ما أصابت بنفخها، ومن آثاره الناشئة عنه الورم، وكذا
١٥ القيام متحيرا والغفلة والسرور والحزن واللهو والنوم والكبر والتبختر
والعلو والعتا، والسמיד أى الحوارى، والسمد بمعنى السرمد: والسمد: الهم
مع ندم أو الغيظ مع حزن، والديماس: الكن، وإنما بين ذلك سمد
الأرض والشعر والسير الشديد والجد فيه، وهو نفس الدأب، وكذا
السديم للكثير الذكر، وماء مسدم وعاشق مسدم: شديد العشق، والديسم:
٢٠ ظلمة السواد، والديسم: الكثير الذكر، ودمس البعير: طلاه بالحناء - والمسد:

إدآب السير - وبالتحريك : المضافور المحكم القتل ، ورجل مسود : مجدول
الخلق - شبه به - وهى بها ، ودمس^١ بينهم : أصلح ، وهو من الدفن
أيضا لأنه دفن أحقادهم فبين أن جعل السمود فى الآیة بمعنی الدآب فى
العمل هو الأولی ، وأن كون الجملة حالا من جعلها معطوفة على
”تضحكون“ - انتهى والله أعلم .

- ٥ ولما حث على السمود ، فسرہ مسیبا عن الاستفهام ومدخوله قوله :
(فاسجدوا) أى اخضعوا خضوعا كثيرا بالسجود الذى فى الصلاة
(لله) أى الملك الاعظم (واعبدوا) أى بكل أنواع العبادة فانه
”ما ضل صاحبكم“ عن الامر بذلك ”وما غوى“ قال الرازى فى اللوامع :
قال الإمام محمد بن على الترمذى : تعبدنا ربنا مخلصين أن نكون له كالعبید ١٠
و أن يكون لعبیده كما هو لهم - انتهى ، ولو كان السمود بمعنی اللهو
كان الانسب تقديمه على ”تكون“ - والله أعلم ، وقد ظهر أن آخرها
نتيجة أولها ، ومفصلها ثمرة موصلها - والله الهادى .

(١) من القاموس ، وفى الأصل : مس .

سورة القمر، و تسمى " اقتربت " /

مقصودها بيان آخر النجم في أمر الساعة من تحققها وشدة قربها
و تصنيف أهلها - باعتبار ما ذكر هناك من العجب من القرآن والضحك
و البكاء و العمل - إلى طالب علم مهتد به، و إلى متبع نفسه هواها وشهواتها
ه ضال باهمالها فهو خائب، و ذلك لأنه سبحانه وعد بذلك باخبار نبيه
صلى الله عليه وسلم و تحقق صدقه بما أيده به من آياته التي ثبت بها
اقتداره على ما يريد من الإيجاد و الإعدام، فثبت تفرد به بالملك و أيد
اقترابها بالتأثير في آية الليل بما يدل على الاقتدار على نقض السماوات
المستلزم لإهلاك... فان ذلك... بأنه ما بقى إلا تأثير آية النهار وعند ما
١٠ يكون طى الانتشار و عموم البوار المؤذن بالإحضار لدى الواحد القهار،
و أدل ما فيها على هذا الغرض كله أول آياتها، فلذلك سميت بما تضمنته
من الاقتراب و الساعة و القمر، و كانت تسميتها بالقمر أشهر لدلالته
بسرعة سيره و كثرة تقابله على الاقتراب المنجم به النجم بالإشارة
لا بالعبرة، و لم تسم بالانشقاق لأنه إذا أطلق انصرف إلى الآتم، فالسما
١٥ أحق به (بسم الله) الذي أحاط علمه فتمت قدرته (الرحمن) الذي
وسعت رحمته كل شيء فعمت الشقى و السعيد (الرحيم) الذي خص
بأتمام النعمة من اصطفاؤه فأسعدتهم رحمته .

لما ختمت النجم بالتهديد باقتراب القيامة التي ينكرونها بعد أن

(١) الرابعة و الخمسون من - ور القرآن الكريم ، مكية ، وعدداً بها (٥٥)

بالاتفاق - راجع نثر المرجان ٧ / ١١٠ .

فتجها بالاقسام البلس (٩) في النجم الذي هو أعم من القمر وغيره بتفسيره
 طلوعا و أفولا و صعودا و هبوطا ، افتتح هذه بذلك مع الدلالة عليه عقلا
 و سمعا في التأثير في أعظم آيات الله و غير ذلك ليقطع العباد عن الفساد ،
 و يستعدوا لها قبل مجيئها أحسن استعداد ، فقال دالا على عظيم اقتداره
 عليها بتأنيث فعلها : ﴿ اقتربت الساعة ﴾ اشتدت قريبا الساعة : اللحظة التي ه
 لاساعة في الحقيقة غيرها التي تقوم فيها القيامة لأنه قل ما بقي بيننا وبينها
 بالنسبة إلى ما مضى من زمن آدم عليه السلام لبعث خاتم الأنبياء الذي
 لم يبق بعد أمته أمة تنتظر ، فيكون في الزمان مهلة لذلك .

ولما كان الإخبار باقترابها يحتاج عند المعاند [إلى] آية دالة عليه ، وكانت

الآيات السماوية أعظم ، فالتأثير فيها أدل على تمام الاقتدار ، وكان القمر ١٠
 أدل على الانواء التي بها منافع الخلق في معاشهم ، وكانت العرب أعرف
 الناس بها ، دلهم على التأثير فيه على اقترابها مع الإرهاب من شذائد
 العذاب باعدام الأسباب فقال : ﴿ واشق ﴾ بغاية السرعة و السهولة
 ﴿ القمره ﴾ آية للرسول المنذر لكم بها ، فكان انشقاؤه - مع الدلالة

على ذلك بإيجاز القرآن وغيره - دالا على كونها و قربها أيضا بالتأثير ١٥
 العظيم الخارق لعادة ما قبله من التأثير في أحد الثيرين اللذين هما أعظم

الاسباب / المقامة للعائش الدال على القدرة على التأثير في الآخرة الدال
 ذلك على القدرة على تمام التصرف فيها من جمعها و خسفها و اعتدامها
 و لسببها (٩) الذي هو من أسباب خراب الأرض ، يقول الإنسان عنده : أين

المفر؟ المؤذن بطي العالم الملم بأن له ربا فاعلا بالاختيار مدبرا بالحكمة ٢٠

الدال على بعث عباده ليحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون، فيثيب من تابع رسله ويعاقب من خالفهم، وانشقاق القمر على حقيقته في زمان النبي صلى الله عليه وسلم أمر شهير جدا، وإجماع أهل التفسير عليه كما قاله القشيري، وقال: رواه ابن مسعود رضى الله عنه ولا يخالف له فيه - انتهى . وذلك أن قريشا سألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن تريهم آية فأراهم انشقاق القمر بحيث طلعت فرقة عن يمين حراء وأخرى عن يساره - رواه الشيخان^١ عن ابن مسعود وأنس رضى الله عنهما، ومعلوم أن الأمة تلقت كتابيها بالقبول فهو يكاد يلحق بالتواتر وقد أبداه القرآن فلم يبق فيه شك، قال القشيري: وروى أيضا ابن عمر وحذيفة ١٠ و ابن عباس وجبير بن مطعم رضى الله عنهم، وقال أبو حيان: سبب نزولها أن مشركى العرب من قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إن كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين، ووعده بالإيمان إن فعل ذلك، وكانت ليلة البدر فسأل ربه فانشق - انتهى، ومن قال: المراد به "سينشق" يحتاج في صرف الماضى عن حقيقته إلى المستقبل إلى صارف وأنى له ذلك ولا سيما وقد تأيدت الحقيقة بالنسبة الصحيحة الشهيرة .

١٥ وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما أعلمهم سبحانه بأن إليه المنتهى، وأن عليه النشأة الأخرى، وإذ ذاك يقع جزاء كل نفس بما أسلفت، أعلمهم سبحانه بقرب ذلك وحسابه ليزدجر من وفقه للازدجار فقال تعالى "اقتربت الساعة وانشق القمر" ثم إن سورة ص تضمنت من عناد

(١) راجع صحيح البخارى - التفسير و صحيح مسلم - أبواب المنافقين (٢) راجع

المشركين وسوء حالهم وتوبيخهم في عبادتهم ما لا يضر ولا ينفع ما يكاد يوجد في غيرها مما تقدمها، وبعد التنبيه في السورة قبلها والتحريك بآيات لا يتوقف عنها إلا من أضله الله وخذله، وأثبتت السورة بعد على تمهيد ما تضمنته سورة ص فلم يخل سورة منها من توبيخهم وتقريرهم لقوله في الزمر "والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا ه الى الله زلفى" وقوله "لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء" وقوله "قل الله اعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه" وقوله مثلا لحالهم "ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون" الآية إلى ما بعد من التقرير والتوبيخ، وقوله في سورة غافر "ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا فلا يغرك تقلبهم في البلاد" وقوله "ذلكم بانه ١٠ اذ دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله" وقوله "افلم يسيروا في الارض" الآية، وقوله "ان الذين يحادلون في ايت الله بغير سلطان اتهم ان في صدورهم الاكبر ما هم بيالغيه /" وقوله ١٠٨ / "الم تر الى الذين يحادلون في آيات الله انى يصرفون" "الذين كذبوا بالكتب وبما ارسلنا به رسلا ف سوف يعلمون" إلى قوله "فما نرينك بعض الذى نعدهم او نترفينك فالىنا يرجعون" وقوله "اولم يسيروا في الارض" إلى ما تخلل هذه الآيات، وقوله في السجدة "فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في اكنة" وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه" "ان الذين يلحدون في اياتنا لا يخفون علينا" إلى قوله "اولئك ينادون من مكان بعيد" وقوله "سنريهم ايتنا في الافاق ٢٠

وفي انفسهم، " إلى آخر السورة، وقوله في الشورى " والذين اتخذوا
من دونه اولياء الله حفيظ عليهم و ما انت عليهم بوكيل " " كبر على
المشركين ما تدعوهم اليه والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له
حجتهم داحضة عند ربهم " الآية " ام لهم شركا شرعوا لهم من الدين
ما لم يأذن به الله " الآية، " فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ان
عليك الا البلغ " وقوله في الزخرف " افنصرب عنكم الذكر صفحا،
الآية، " وجعلوا له من عبادہ جزا " إلى ما تردد في هذه السورة
بما قرعوا به أشد التقريع، و تكرر في آيات كثيرة فتأملها مثل قوله تعالى
في الدخان " بل هم في شك يلعبون " إلى قوله " يوم نبطش البطشة الكبرى "
١٠ انا منتقمون " وقوله " ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين " إلى قوله هذا
" ما كنتم به تمترون " وقوله في الجاثية " فبأي حديث بعده يؤمنون "
إلى قوله " والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم " وقوله
" افرئيت من اتخذ الاله هواه " إلى آخر السورة، وقوله في الاحقاف
" والذين كفروا عما انذروا معرضون " ومعظم هذه الآية لم يخرج
١٥ عن هذا إلى ختامها، وكذلك سورة القتال ولم يتضمن إلا الأمر
بقتلهم وأسرهم وتعجيل حربهم " فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب
الرقاب " وأما سورة الفتح فما تضمنته من البشارة و الفتح أشد
على الكفار من كل ما قرعوا به، ولم تخرج عن الغرض
المتقدم، وكذا سورة الحجرات لتضمنها من الأمر بتقدير النبي صلى الله
٢٠ عليه وسلم : لإجلاله ما يقرعين المؤمن و يقتل العدو الحاسد وما فيها

ايضا من إتلاف أمر المؤمنين و جمع كلمتهم و تأخيرهم، و موقع هذا لا يخفى على أحد، و أما سورة الذاريات والطور والنجم فما تضمنته بما ذكرناه قبل أوضح شيء، وبذلك اقتنحت كل سورة منها فأمل مطالعها في ذلك كفاية في الغرض - والله تعالى هو أعلم بالصواب، فلما انتهى ما قصد من تقرير مكذبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥ و بلغت الآي في هذه السورة من ذلك أقصى غاية، و تمحض باطلهم و انقطع دابرهم، و لم يحيروا جوابا فيما عرض عليهم سبحانه في سورة القمر من أحوال الأمم مع أنبيائهم، و كان القصد من ذلك - والله أعلم - مجرد التعريف بأنهم ذكروا فكذبوا فأخذوا ليتبين لهؤلاء أن لافرق بينهم و بين غيرهم و أن لا يغرم عظيم حلمه سبحانه عنهم، فهذه ١٠ السورة إغذار عند تبكيته و انقطاع حججهم بما تقدم و بعد أن انتهى الأمر في وعظهم و تنبيههم بكل آية إلى / غاية يعجز عنها البشر، ولهذا ١٠٩ / افتتح سبحانه هذه السورة بقوله تعالى ” و لقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فا تغن النذر“ و ختمها سبحانه بقوله ” اكفاركم خير من أولئكم ام لكم براءة في الزبر“ و هذا يبين ما قدمنا، و كان قد ١٥ قيل لهم: أى فرق بينكم و بين من تقدم حتى ترتكبوا مرتكبهم و تظنوا أنكم ستفوزون بعظيم جزائكم، فذكر سبحانه لهم قصة كل أمة و هلاكها عند تكذيبها بأعظم إيجاز و أجزل إيراد و أغخم عبارة و ألطف إشارة، فبدأ بقصة قوم نوح بقوله ” كذبت قوم نوح“ إلى قوله ” و لقد تركناها آية فهل من مدكر فكيف كان عذابي و نذري“ ثم استمر في ذكر الأمم ٢٠

مع أنبيائهم حسبما ذكروا في السورة الوارد فيها لإخبارهم من ذكر أمة
 بعد أمة إلا أن الواقع هنا من قصصهم أوقع في الزجر و أبلغ في الوعظ
 و أعرق في الإفصاح بسوء منقلبهم و عاقبة تكذيبهم، ثم ختمت كل
 قصة بقوله ” فكيف كان عذابي و نذري “ و تخلل هذه القصص بقوله
 ٥ تعالى ” و لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر “ و هي إشارة إلى
 ارتفاع عذر من تعلق باستصعاب الأمور على زواجه و تنبيهاته و مواظمه
 و يدعى بعد ذلك و استعلافه فقليل له أنه يسر قريب المرام، و هذا
 فيما يحصل عند التنبيه و التذكير لما عنده بكون الاستجابة بأذن الله
 تعالى و وراء ذلك من المشكل و المتشابه ما لا يتوقف عليه ما ذكره و حسب
 ١٠ عموم المؤمنين الإيمان بجميعه و العمل بمحكمه، ثم يفتح الله تعالى فهم
 ذلك على من شرفه به و أعلى درجته، فيتين بحسب ما يشرح الله تعالى
 صدره ” يرفع الله الذين آمنوا منكم و الذين آوتوا العلم درجات “ و من
 يسر المقصود المتقدم تكرار قصص الأنبياء مع أهمهم في عدة سورة
 أي حفظ منها اطلع على ما هو كاف في الاعتبار بهم، ثم إذا ضم بعضه
 ١٥ إلى بعض اجتمع منه ما لم يكن ليحصل من بعض تلك السورة، فسبحان
 من جعله حجة باهرة و برعانا على صدق الآتي به محمد صلى الله عليه و سلم،
 و صراطا مستقيما و نورا مينا . و لما ذكر سبحانه عواقب الأمم في
 تكذيبهم قال لمشركي العرب ” اكفاركم خير من أولئكم “ و من هذا
 النمط قول شعيب عليه السلام ” و يقوم لا يجر منكم شقاقى ان يصيكم
 ٢٠ مثل ما أصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح و ما قوم لوط منكم بعيد “
 ٩٢ (٢٣) ثم

ثم قال تعالى "أم يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر"
 أى إنكم تعلقتم بتألفكم وجماعتكم فسأفرق ذلك بهزيمتكم يوم بدر / بقتل
 ١١٠ صناديدكم فما حجتكم بعد هذا، إنما مساق القصص في هذه السورة و اعتماد
 التعريف بحال من ذكر في أن كذبوا وعاندوا، فأعقب تكذيبهم
 أحذم وهلاكهم، ثم تعقب هذا كله بصرف الكلام في مشركي
 العرب في قوله "أكفاركم خير من أوائكم" وليس شيء من السور المذكورة
 فيها قصص على هذا الاستيفاء كالآعراف و هود، وبظاهرها ليس
 في شيء من ذلك تعقيب بذكر مشركي العرب على الصفة الواردة هنا، فأبأ
 ذلك بكال المقصود من الوعظ والتحريك بذكره و انقضاء هذا الغرض،
 وذلك أنهم ذكروا أولاً بعرض أحوال الأمم والتعريف بما آل إليه ١٠
 أمرهم، وكان ذلك في صورة عرض من يريد تأديب طائفة من إليه
 نظرم قبل أن يظهر منهم تمرد وعناد، فهو يستألف في دعائهم
 ولا يكلمهم تكليم الواجد عليهم، بل يفهم الإشفاق
 والاستعطاف وإرادة الخير بهم ثم يذكرهم بذلك و يكرره عليهم المرة
 بعد المرة و إن تخلل ذلك ما يبين منهم فظاعة التهديد و شدة الوعيد، ١٥
 فلا يصحبه تعيين المخاطب و صرف الكلام بالكلية إليه، بل يكون ذلك
 على طريق التعريض والتوبيخ، ثم لو كان لا يحقر بما قبله و ما بعده من
 التلطف حتى إذا تكررت الموعظة فلم تقبل، فهنا محل الغضب و شدة
 الوعيد، وعلى هذا وردت السور المذكور فيها حال الأمم كسورة
 الآعراف و هود و المؤمنين و الزلزال و الصافات، و ما من سورة منها إلا ٢٠

والتي بعدها أشد في التعريف وأمل في الزجر بعد التعريف، فتأمل تعقيب القصص في سورة الأعراف بقوله تعالى " وكذلك نفصل الآيات ولعلمهم يرجعون " وقوله بعد موعظة بالغة بذكر من حرمه بعد إشرافه على الفوز وهو الذي أخلد إلى الأرض واتبع هواه فقال بعد ذلك ٥ " فاقصص القصص لعلهم يتفكرون " وتذكيره إياه لمح الغفلة إلى ما ختمت به السورة وذلك غير خاف في التلطف بالموعظة وقال تعالى بعد قصص سورة هود " وكذلك أخذ ربك " الآية، وقال تعالى " فلا تك في مرية بما يعبد هؤلاء - إلى قوله : وانا لموفوم نصيهم غير منقوص " وتكررت الآية إلى آخر السورة يحارى ما ذكر ولم تبق ١٠ هذه وآى الأعراف في تلطف الاستدعاء، وقال تعالى في قصص آخر سورة المؤمنين " فذرهم في غمرتهم إلى حين - إلى قوله : لا يشعرون " ثم قال " ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون " استمرت الآية على شدة الوعيد يتلو بعضها بعضا إلى قوله " الحسبم انما خلقنكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون " ١٥ وقوله تعالى بعد " انه لا يفلح الكافرون " ولم يبين هذه الآية، وبين الواقعة / عقب قصص سورة هود، وقال في آخر قصص الظلة " وانه لتنزيل رب العلين " إلى قوله خاتمة السورة " وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون " فونجهم وعنفهم ونزه نبيه صلى الله عليه وسلم [عن] تومهم وعظيم إفسكهم وافرانهم، وكل هذا تعنيف وإن لم يتقدم له مثله ٢٠ في السورة المذكورة. ثم هو صريح في مشركى العرب معين لهم في غير تلويح

تلويح ولا تعريض، ثم إنه وقع عقب كل قصة في هذه السورة قوله تعالى "ان في ذلك" وفيه تهديد ووعد، وقال تعالى في آخر الصافات "فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون الا انهم من افكهم يقولون ولد الله وانهم لكاذبون" وهذا اعظم التوبيخ واشد التقريع، ثم زه نبيه سبحانه عن بهتان مقالهم وسوء ارتكابهم وقبح فعالهم، بقوله "سبحان ربك رب العزة عما يصفون"، فلما أخذوا بكل مأخذ فما أغنى ذلك عنهم قال تعالى في سورة القمر "ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر" "حكمة بالغة فما تغني النذر"، ثم قال تعالى لنيه صلى الله عليه وسلم "قول عنهم" ولم يقع أمره صلى الله عليه وسلم بتركهم والإعراض عنهم والتولى إلا بعد حصول ١٠ القصص في السورة المذكورة وأخذهم بكل طريق، وأول أمره بذلك صلى الله عليه وسلم في سورة السجدة "فأعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون" ثم في سورة الذريات "قول عنهم فما انت بملوم"، بأشد وعيد وأعظم تهديد بعقب كل قصة بقوله "ولقد تركناها آية فهل من مدكر"، وقوله "فكيف كان عذابي ونذر" ثم صرف اليهم ١٥ بما تقدم قوله "اكفاركم خير من اولئكم أم لكم براءة في الزبر" فبلغ ذلك أعظم مبلغ في البيان وإعذار، ثم قال تعالى "وكل شئ فعلوه في الزبر" ففرق سبحانه بسابق حكمته فيهم "انا كل شئ خلقناه بقدر" وانقضى ذكر القصص فلم يتعرض لها مستوفاة على هذا المساق فيما بعد إلى آخر الكتاب - فسبحان من رحم به عباده المتقين وجعله آية وأى ٢٠

آية باهرة إلى يوم الدين، وقطع عناد الجاحدين و غائلة المعتدين وجعله
 بيانا كافيا ونورا هاديا وواعظا شافيا - جعلنا الله سبحانه وتعالى من اهتدى
 واعتلق بسبيله إنه أهل الاستجابة والعفو والمغفرة - انتهى •

ولما كان التقدير: فأعرض الكفار عن آية انشقاقه وقالوا :

• سحر، مع علمهم بأنه دال قطعا على صدق من انشق لتصديقه، عطف

عليه الإعلام بحالهم في المستقبل فظلم لمن يطلبه من المؤمنين لإجابة مقترحة

من مقترحاتهم رجاء إيمانهم فقال : (وان يروا) أى فيما يأتى (آية)

أى آية كانت (يعرضوا) أى عن / الانتفاع بها كما أن أعرضوا

/ ١١٢

عن هذه لما رأوها، وقال بعضهم : سحر، وقال بعضهم : أمهلوا حتى

١٠ يحىء السفار، فان قالوا: إنهم رأوا كما رأيتم فليست بسحر، فان محمدا

لايستطيع أن يسحر أهل الارض كلهم، فجاء السفار وشهدوا برؤيته

منشقا، ومع ذلك فلم يؤمنوا (ويقولوا) أى على سبيل التجديد

منهم والاستمرار: هذا (سحر) أى هذا الذى يأتينا به هذا الرجل

من وادى الخيال الذى لا حقيقة له وهو (مستمر) أى لأنه

١٥ فارق السحر بأنه لاينكشف فى الحال لأنه محكم قوى ثابت دائم بشموله

ولإحاطته بجميع الأنواع، ولذلك يتأثر عنه غاية الخوارق المتباينة

الأنواع الكثيرة •

ولما فطم عن التشوف إلى إجابتهم فى المقترحات على ما قدرته،

تسبب منهم عن الانشقاق بقوله : (وكذبوا) أى بكون الانشقاق

٢٠ دالا على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وجزموا بالتكذيب عنادا

أو خبنا منهم . ولما كان التكذيب في نفسه قد يكون حقا ، قال مينا أنه باطل ، فبين عن حالهم بقوله : (واتبعوا) أى بمعالجة فطرم الأولى المستقيمة في دعائها إلى التصديق (هوآهم) أى حتى نابذوا ما دلّتهم عليه بعد الفطر الأولى عقولهم ، قال القشيري : إذا حصل اتباع الهوى فن شؤمه يحصل التكذيب ، لأن الله سبحانه وتعالى يلبس على قلب صاحبه حتى لا يستبصر الرشد ، واتباع الرضى مقرون بالتصديق لأن الله تعالى بركات الاتباع للحق يفتح عين البصيرة فيأتى بالتصديق - والله الهادى . ولما كان ذلك مفضلا لقلوب المحققين ، سلام بالوصول إلى محط تظهر فيه الحقائق وتضمحل فيه الشقايق ، فقال عاطفا على ما تقديره : فسيستقر أمر كل من أمر الحق والمبطل في قراره ، ويطلع على ١٠ دقائقه وأسراره : (وكل أمر) من أموركم وغيرها (مستقره) أى ثابت وموجود ، انتهاؤه إلى غاية تظهر فيها حقيقته من غير حيلة تصاحبه إلى رد ذلك القرار ولا خفاء على أحد ، فلا بد أن ينتهى الحق من كل شيء من الآجال والهدايات والضلالات والسعادات والشقاوات وغيرها إلى نهايته فيثبت ثبوتا لا زوال له ، وينتهى الباطل بما دعاه ١٥ الخلق فيه إلى غايته فيتلاشى تلاشيا لا ثبات له بوجه من الوجوه ، فاذا استقرت الأمور ظهر ما لهم عليه وعلوا الخاسر من الفائز ، وفي مثل هذا قال ابن عمرو التيمي أخو القعقاع في وقعة السى (؟) من بلاد العراق :
والموت خيلنا لما التقينا بقارن الأمور لها انتهاء .
وقرأ أبو جعفر بالجر صفة لأمر ، فيكون معطوفا على الساعة أى واقترب ٢٠
(١) راجع نثر المرجان ١١٢/٧ .

/ ١١٣

/ كل امر مستقر اى ثابت وهو الحق أى اقرب الظهور وثباته ، وذلك لا يكون إلا وقد كان خفاء الباطل وفواته . ولما حذر و بشر قال معلما أنه يحيط العلم بأمرهم من قبل الإجابة إلى شق القمر وأنه ما شقه لطمع في إيمانهم بل للاعلام بخذلانهم مؤكدا لمن يتعلق رجاءه بأن ٥ تواتر الآيات ربما أوجب لهم التصديق المتضمن لأن ما جاءهم ليس فيه كفاية: ﴿ ولقد جاءهم ﴾ من قبيل الانشقاق ﴿ من الانباء ﴾ أى الامور العظيمة المرئية ، المسموعة التى تستحق لعظمتها أن يخبر بها إخبارا عظيما سيما ما جاء فى القرآن من تفصيل أصول الدين وفروعه وأخبار الاولين والآخرين والاولى والاخرى ﴿ ما فيه ﴾ خاصة ﴿ مزدجرا ﴾ ١٠ أى موضع للزجر من شأنه أن يكون لهم به انزجار عظيم عما فيه من الباطل ، ولكن لم يزدجر منهم إلا من أراد الله ، قال القشيري: لأن الله أسبل على أبصارهم يحوف الجهل فعموا عن مواضع الرشد .

ولما كان ما فيه ذلك قد لا يكون محكما ، بينه بقوله: ﴿ حكمة ﴾ عظيمة ﴿ بالغة ﴾ أى لها معظم البلوغ إلى منتهى غايات الحكمة لصحتها ١٥ و طهارتها و وضوحها ، ففيها مع الزجر ترجية و مواظ و أحكام و دقائق تجل عن الوصف . ولما تسبب عنها انزجارهم . سبب عن ذلك قوله: ﴿ فما ﴾ نفيا صريحا أو باستفهام إنكارى موبخ ﴿ تغن النذرا ﴾ الإنذارات و المنذرون و الامور المندر بها - إنما المعنى بذلك هو الله تعالى ، فما شاءه كان و ما لم يشأه لم يكن ، ولعل الإشارة باسقاط ياء ” تغنى “ ٢٠ باجماع المصاحف من غير موجب فى اللفظ إلى أنه كما سقطت غاية

أحرف

أحرف الكلمة سقطت نمرة الإنذار وهو القبول .

ولما كان صلى الله عليه وسلم شديد التعلق بطلب نجاتهم ، فهو لذلك
ربما انتهى إجابتهم إلى مقترحاتهم ، سبب عن ذلك قوله : (قول عنهم ٢)
أى كلف نفسك الإعراض عن ذلك فما عليك إلا البلاغ ، وأما الهداية
فالى الله وحده . ولما بين اقتراب الساعة بالإجابة إلى بعض مقترحاتهم ٥
القائمة مقامها كلها بدلالته على القدرة عليها ، وأتبع ذلك الفطم عن طلب
الإجابة إلى شئ فيها لأنها لا تغنى شيئاً ، تطلعت النفوس الكاملة إلى وصف
الساعة فأجاب عن ذلك على سبيل الاستئناف بذكر ظرفها وذكر ... ما يقع
فيه من الأحوال ، فقال معلقاً بما تقديره : الساعة كائنة على وجه الاقتراب
الشديد : (يوم يدع) ويجوز - والله أعلم - أن يكون الناصب له "تول" ١٠
لأنهم لما عرضوا حين دعاهم كان جزاءهم أن يعرض عنهم يوم حاجتهم
إليه لأن الجزاء من جنس العمل ، فكأنه قيل بعد أن عد القيامة / أمراً
محققاً لا يأتى النزاع فيه : تول عنهم فى ذلك اليوم العبوس الذى أنت فيه
الشافع المقبول ... و أتركهم لأهواله ودواهيته ، فقد بان الخاسر فتولهم
إنما يضرهم ، لأن توليهم عنك لا يضرك شيئاً أصلاً ، وتوليك عنهم يضرهم ١٥
ضرراً ما بعده ضرر - والله أعلم ، وحذف واو " يدعوا " للرسم باجماع
المصاحف من غير موجب لأن المقام لبيان اقترابها ، فكأنه إشارة إلى
كونها بأذن دعاء ، وأيضاً فى حذفه تشبيه للخبر بالامر إشارة إلى أن
هذا الدعاء لا بد على أن يكون على أعظم وجه وأتقنه وأهوله وأمكنه
كما يكون كل مأمور من الأمر المطاع ، والوقف على هذا وأشاله ٢٠

بغير واو لجميع القراء موافقة للرسم لأن القاعدة أن ما كان فيها رواية اتبعت وإن خالفت الرسم أو الأصل، وما لم يرد فيه عن أحد منهم رواية اتبع فيه الرسم وإن خولف الأصل، لأن التخفيف معهود في كلام العرب كالوال والمتعالي من أسمائه الحسنی، لكن قال علامة ٥ القراءات شمس الدين الجزري في كتابه المسمى بالنشر في هذه الاحرف الاربعة: هذا و"يدع الانسان" في سبحان و"يحي الله الباطل" في شوری و"سندع الزبانية" في العلق: نص الحافظ أبو عمرو الداني عن يعقوب على الوقف عليها بالواو على الأصل، ثم قال: قلت: وهو من أفراد، وقد قرأت به من طريقه (الداع) أي النفخ في الصور (إلى شيء نكرًا) ١٠ عظيم الوصف في النكارة بما تكرهه النفوس فتوجل منه القلوب لأنه لا شيء منه إلا وهو خارج عما تقدمه من العادة.

ولما بين دعاءه بما هال أمره، بين حال المدعويين زيادة في الهول فقال: (خشعا ابصارهم) أي ينظرون نظرة الخاضع الذليل السافل المزلّة المستوحش الذي هو بشر حال، ونسب الخشوع إلى الابصار ١٥ لأن العز والذل يتبين من النظر، فإن الذل ان يرمى به صاحبه إلى الأرض مثلاً مع هيئة يعرف منها ذلك كما قال تعالى "خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي" وإفراده في قراءة أبي عمرو ويعقوب وحمزة والكسائي على أن الخشوع بلغ في النهاية من الشدة ونسبته إلى كل بصر على حد سواء، وجمع على لغة "أكلوني البراغيث" في قراءة الباقيين بضم

راجع نثر المرجان ٧/ ١١٥.

الحاء و تشديد الشين مفتوحة أو مستندا المدعوي، و الإبصار يدل بعض الإشارة إلى أن كل ذلك موزع على الأبصار .

و لما بين من حالهم هكذا ما يدل على نكارة ذلك اليوم، بين كيفية خروجهم بيانا لما يلزم من تصويره زيادة الذعر فقال: (يخرجون)

أى على سبيل التجدد الأشرف فالأشرف (من الاجداث) أى القبور ه
المهياة لساع النفخ فى الصور (كأنهم) فى كثرتهم و تراكم بعضهم على بعض من كبيرهم / و صغيرهم و ضعيفهم و قويهم (جراد منتشر) ١١٥ /

أى منبث متفرق حيران مطاوع لمن نشره بعد ما كان فيه من سكون محتلط بعضه ببعض، لاجهة له فى الحقيقة يقصدها لو خلى و نفسه .

و لما كان الانتشار قد يكون وجه المهمل والوقار، قال مينا أن ١٠
الامر على خلاف ذلك زيادة فى هول ذلك اليوم و تقريراً لما تقدم من وصفه: (مهطعين الى الداع) أى مسرعين خائفين مقبلين بأبصارهم عليه لا يقلعون عنه، مادين أعناقهم نحوه مصوبى رؤسهم لا يلتفتون إلى سواه كما يفعل من ينظر فى ذل و خضوع و صمت و استكانة .

و لما بين حال الكل حصر حال المبطلين فقال: (يقول) أى على ١٥
سبيل التكرار: (الكنفرون) أى الذين كانوا فى الدنيا عريقين فى ستر الأدلة و إظهار الأباطيل المضلة: (هذا) أى الوقت الذى نحن فيه بما نرى من الأحوال (يوم عسره) أى فى غاية العسر و الصعوبة و الشدة، و ذلك بحسب حالهم فيه .

و لما تقدم أمره سبحانه لنيه صلى الله عليه وسلم بالتولى عنهم ٢٠

تهديدا لهم ، و صرح بما أراد من أمر الساعة لما دعا إلى ذلك من تقدم ذكرها ، ولأنها أشد هول يهددون به ، و بيانا أن الخلق ما خلق إلا لأجلها لأنها محط الحكمة ، و ختم بعسرها على الكافرين ، تتم ذلك التهديد بعذاب الدنيا ردعا لأهل الغلظة الموكلين بالمحسوسات ، فذكر عسر يوم كان على الكافرين فيها ، فقال مهديا لقريش يجعل القصة مثلا لهم في إهلاكهم و في أمر الساعة من حيث أنه كما أهلك أهل الارض في آن واحد بما أرسله من الماء فهو قادر على أن يهلكهم في آن واحد بالصيحة ، و كما صرف هذا التصريف الذي [ما] سمع بمثله في الإهلاك فهو قادر على أن يصرفه في الإحياء عند البعث على وجه ما عهد مثله تنبت فيه الاجساد و تحيا فيه العباد ، جوابا لمن كأنه قال : هذا ما يوعدهونه بعد الموت ، فهل لهم عذاب قبله دال على كمال القدرة : ﴿ كذبت ﴾ أى أوقعت التكذيب العظيم الذى عموا به جميع الرسالات و جميع الرسل ، و أنت فعلهم تحقيرا لهم و تهويانا لأمرهم في جنب قدرته .

و لما كان ما كان من تصميمهم عليه و عزمهم على عدم الانفكاك عنه لكونه جبلة مستغرقا لجميع ما بعدهم من الزمان ، و كانوا قد سنوا سنة التكذيب فكان عليهم مع وزرهم وزر من أتى بعدهم ، و كان ما قبلهم من الزمان يسيرا في جنب ما بعده عدما ، فلذلك ذكر الظرف من غير حرف [جر] لأنه مع أنه الحق أعظم في التسلية فقال : ﴿ قبلهم ﴾ أى في جميع ما سلف من الزمان و مضى بعضه بالفعل و بعضه بالقوة لقوة ١١٦ / ٢٠ العزم / : ﴿ قوم نوح ﴾ مع ما كان بهم من القوة و لهم من الانتشار

في جميع الاقطار .

ولما ذكر تكذيبهم إشارة إلى أنه جلة لهم جحدوا بها النبوة رأساً
فلاحظ لهم في التصديق للحق فلا يفرق حالهم بالنسبة إلى أحد من
الناس كان من كان، فلذلك سبب عن هذا المطلق قوله: (فكذبوا عبدنا)
أى على ما له من العظمة نسبة إلينا لكونه لم يتعبد غيرنا قط مع تشریفنا
إياه بالرسالة، فكان تكذيبهم فرا عما دخل في تكذيبهم المطلق الشامل
لكل ما يمكن تكذيبه وهو ميد (٩) (وقالوا) مع التكذيب أيضاً زيادة
على تغطية ما ظهر منه من الهداية: (مجنون) أى فهذا الذى يظهر له
من الخوارق من أمر الجن .

ولما كان إعلاء الصوت على النبي كائناً من كان عظيم القباحة جدا ١٠
زائد الفظاظة فكيف إذا كان مرسلًا فكيف إذا كان من أولى العزم
فكيف إذا كان على سبيل الإنكار عليه، فكيف إذا كان على صورة
ما يفعل بمن لا خطر له بوجه، قال بانبا للجهول إشارة إلى تبشيعه
من غير نظر إلى قاتل وإيذانا بأن ذلك لم يكن من أكابرهم فقط بل من
كبيرهم وصغيرهم: (وازدجره) أى أعملوا أنفسهم في انتهاره وتوعده ١٥
وتهديده وانتشر ذلك في جميعهم بغاية ما يكون من الغلظة كفاله عن
الرسالة ومنعاه عنها، والمعنى أنهم قالوا: إنه استظهر عليهم بالجنون .
ولما طال ذلك منهم ومضت عليه أجيالهم جيلاً بعد جيل حتى
مضى له من إنذارهم أكثر مما مضى من الزمان لامة هذا النبي الحاتم
إلى يومنا هذا، وأخبره الله أنه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن معه، ٢٠

تسبب عن ذلك الدعاء بالراحة منهم ، فلذلك قال صارفا وجه الخطاب إلى صفة الإحسان و الربوبية^١ و الامتنان إذانا بأنه أجاب دعاءه و لبي نداهه : ﴿ فدعاربه ﴾ أى الذى رباه بالإحسان إليه برسائه معلما له لما أيس من إجابتهم : ﴿ انى مغلوب ﴾ أى من قوى كلهم بالقوة والمنعة ٥ لا بالحجة ، و أكدده لأنه من يأبى عن الملك الأعظم يكون مظنة النصرة ، و إبلاغا فى الشكاية إظهارا لذل العبودية ، لأن الله سبحانه عالم بسر العبد و جهره ، فها شرع الدعاء فى أصله إلا لإظهار التذلل ، و كذا الإبلاغ فيه ﴿ فانتصره ﴾ أى أرقع نصرى عليهم أنت وحدك على أبلغ وجه .

ولما استجاب له سبحانه ، سبب عن دعائه قوله ، عائدا إلى مظهر ١٠ العظمة إعلاما بمزيد الغضب الموجب دائما للاستيعاب بالغضب : ﴿ ففتحنا ﴾

أى تسبب عن دعائه [أنا فتحنا -^٢] فتحا يليق بعظمتنا ﴿ ابواب السماء ﴾

كلها فى جميع الأقطار ، و عبر بجمع القلة عن الكثرة / لأن عادة العرب أن تستعيره لها و هو أرشق و أشهر من بيان ، و سياق العظمة بأبى كونه

أغيرها . و لما كان المراد تهويل أمر الماء بذكر حاله التى كان عليها حتى

١٥ كأن المحدث بذلك شاهده جعلت كأنه آية فتحت بها السماء فقال :

﴿ بماء منهمر قيلى ﴾ أى منصب بأبلغ ما يكون من السيلان و الصب عظما

و كثرة ، و لذلك لم يقل : بمطر ، لأنه خارج عن تلك العادة ، و استمر

ذلك أربعين يوما ﴿ و فخرنا ﴾ أى صدعنا بما لنا من العظمة و شققنا

و بعثنا و أسلنا ﴿ الارض عيونا ﴾ أى جميع عيون الارض ، ولكنه

(١) فى الأصل : الرتبة (٢) زيد نظرا للسياق .

عدل عنه للتحويل بالإيهام ثم البيان، وإفادة لأن وجه الأرض صار كله عيونا .

ولما كان الماء اسم جنس يقع على الأنواع المختلفة كما يقع على النوع الواحد، وكان قد ذكر ماء السماء والأرض، سبب عن ذلك قوله: ﴿فالتقى الماء﴾ أى المهود وهو ماء السماء وماء الأرض بسبب هـ فعلنا هذا، وزاد فى تعظيمه بأداة الاستعلاء فقال: ﴿على أمر﴾ ولما تقررت هذه العظمة لهذه الواقعة، فكان ربما ظن أنه صار جزافا، وزاد على الحد المأمور به، أشار إلى أنه بالنسبة إلى عظمته فى غاية الحفاوة فقال: ﴿قد قدر﴾ أى مع كونه مقدورا عليه فى كل وقت بغاية السهولة قد وقع تقديره فى الأزل، فلم يستطع أن يزيد على ذلك قطرة فما فوقها ١٠ ولا أن يهلك غير من أمرناه بأهلاكه، وأشار بالتخفيف إلى غاية السهولة فى ذلك سبحانه .

ولما ذكر ما علم منه بقرينة ما ذكر من خرقه للعادة، وأن إجابته لدعوته عليه الصلاة والسلام، ذكر تمام الانتصار بنجاته فقال: ﴿وحملنه﴾ أى بما لنا من العظمة على متن ذلك الماء بعد أن صار جميع وجه الأرض ١٥ مجرى واحدا، وحذف الموصوف تهويلا بالحث على تعرفه بتأمل الكلام فقال: ﴿على ذات﴾ أى سفينة ذات ﴿الواح﴾ أى أخشاب نجرت حتى صارت عريضة ﴿ودسر لا﴾ جمع دسار وهو ما يشد به السفينة وتوصل بها ألواحها ويلج بعضها ببعض بمسار من حديد أو خشب أو من خيوط الليف على وجه الضخامة والقوة والدفع والمناطة، ولعله ٢٠

عبر عن السفينة بما شرحها تنبيهاً على قدرته على ما يريد من فتح الرق
ورقق الفتق بحيث يصير ذلك المصنوع، فكان إلى ما هيأه ليراد منه
وإن كان ذلك المراد عظيماً وذلك المصنوع .

ولما كان ذلك خارقاً للعادة فكان يمكن أن يكون في السفينة خارق

٥ آخر باسكانها على ظهر الماء من غير حركة، بين أن الأمر ليس كذلك
فقال: «ظهوراً خارقاً آخر في جريها: (تجري) / أي السفينة (باعتجاج)

/ ١١٨

أي محفوظة أن تدخل بحر الظلمات، أو يأتي عليها غير ذلك من الآفات،
بحفظنا على ما لنا من العظمة حفظ من ينظر الشيء كثرة ولا يغيب
عنه أصلاً، وجوزوا أن يكون جمع تكسير لعين الماء، ثم على ذلك بقوله:

١٠ (جزآء) أي لعبدنا نوح عليه السلام، ولكنه عبر هنا بما يفهم العلة

ليحذر السامع وقوع مثل ذلك العذاب له إن وقع منه مثل فعل قومه
فقال: (لمن) وعبر عن طول زمان كفرهم [بقوله]: (كان كفره) أي وقع

الكفر به وهو أجل النعم، فقال (٩) على أهل ذلك الزمان وذلك جزاء
من كفر النعم، ويجوز أن يكون المراد به قومه بين أنه وقع الكفر

١٥ منهم وقوعاً كأنهم مجبولون عليه حتى كأنه وقع عليهم لتوافق قراءة
مجاهد بالبناء للفاعل .

ولما تم الخبر عن نجاته بحمله فيها، نبه عن آثارها بقوله:

(ولقد تركتها) أي هذه الفعلة العظيمة من جرى السفينة على هذا
الوجه وإبقاء نوعها دالة على ما لنا من العظمة، وقيل: تلك السفينة

(١) راجع أثر الرجز ١٢/٧ .

بمعناها بقيت على الجودى حتى أدرك بقايا ما هذه الأمة (آية) أى علامة عظيمة على ما لنا من العلم المحيط والقدرة النامة (فهل من مدكره) أى يجتهد فى التذكير بسبب هذا الأمر لما يحق على الخلق من شكر الخالق بما هدت إليه رسله كما قاله .

ولما قدم تعالى قوله " فأتغن النذر " وأتبعه ذكر إهلاكه ه المكذبين، وكان ما ذكره من شأنهم أمرهم فى الجلالة والعظمة بحيث يحق للسامع أن يسأل عنه ويتعرف أحواله ليتهدى بها على ذلك بقوله مسيا عن التذكير باستفهام الإنكار والتوبيخ : (فكيف كان) أى وجد وتحقق (عذابي) أى لمن كذب وكفر وكذب رسلى (ونذره) أى الإنذارات الصادرة عنى والمنذرون المبلغون عنى فانه أنجى نوحا عليه ١٠ السلام ومن آمن معه من أولاده وغيرهم ومتعهم بعد إهلاك عدوهم وجعل الناس الآن كلهم من نسله ، قال القشيري : فى هذا قوة لرجاء أهل الدين إذا لقوا فى دين الله محنة فجحد غيرهم ما آتاه الله أن يهلك الله عن قريب عدوهم ويمكنهم من ديارهم وبلادهم ويورثهم ما كان إليهم ، وكذلك سنة الله فى جميع أهل الضلال - انتهى . وكان المعنى ١٥ فى تكرير ذلك عليهم بعد التذكير بما أتياهم به من قصص هذه الأمم ميسرا لفهم صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأثام كيف كان أخذى لهم وعاقبة تخويفى إياهم لعلهم يتعظون فينتفعهم إنذار المنذرين .

ولما كان هذا التفصيل بما أنزل أول القرآن تيسيرا على الأمة، به

على ذلك / بقوله : (ولقد يسرنا) أى على ما لنا من العظمة ٢٠ / ١١٩

﴿ القرآن ﴾ أى على ما له من الجمع و الفرق و العظمة المناسبة لكونه
صفة لنا ﴿ للذكر ﴾ أى الانعاظ و التذكر و التدبر و الفهم و الحفظ
و التشريف لمن يراعيه، قال ابن برجان: أنزلناه باللسان العربى و أنزلناه
للافهام تنزيلا و خاطبناهم ببوائدهم و أعلننا من قبل أعمالهم و أقبسناهم
٥ المعرفة و اليقين من قبل ذواتهم و ضربنا لهم الامثال و أطلنا لهم فى هذه
الاعمال ليتذكروا الميثاق المأخوذ عليهم، و قال القشيرى: يسر قراءته
على ألسنة قوم، و علمه على قلوب قوم، و فهمه على قلوب قوم، و حفظه
على قلوب قوم، و كلهم أهل القرآن و كلهم أهل الله و خاصته - انتهى -
و الآية ناظرة بالعطف و المعنى إلى "و لقد جاءهم من الانباء" الآيتين، فالمعنى
١٠ أنا و لو شئنا بما لنا من العظمة لجشام بعبارات لا يشمون وائحتهما،
و بلاغات لا يهتدون إلى وجه معناها أصلا لكننا لم نفعل ذلك بل خاطبناهم
بأبلغ من بلاغتهم مع تيسير فهم ما خاطبناهم به فكان [فى] ذلك إعجازان :
أحدهما أنه فوق بلاغتهم، و الثانى أنه مع علوه يشترك فى أصل فهمه الذكى
و الغبى. و لما كان هذا القرآن العظيم الجامع ترجمة لأفعاله سبحانه فى هذا
١٥ الوجود الشاهد و الغائب الذى أخبرنا عنه و شرحنا لما أنزل علينا من
أسمائه الحسنى و صفاته العليا التى تعرف لنا بها، و كان سبحانه قد جعل
خلق الآدمى جامعا، فما من شىء من أفعاله إلا و فى نفسه منه أثر ظاهر
ناظر للتفكر فى القرآن و التعرف للاسرار منه بالتذكر الذى يكون ...
لما كان الإنسان يعرفه ثم نسيه حتى صار لا يستقل باستحضاره فاذا ذكر به
٢٠ ذكره، فقال منها على عظيم فعل العلم و القرآن الذى هو طريقه بالتكرار
و التعبير (٢٧) ١٠٨

و التعبير بما هو من الذكر على أنه المحفوظ للإنسان بما هيا له من تيسير أمره (فهل من مذكره) قال البخارى فى آخر صحيحه: قال مطر الوراق: هل من طالب علم فيعان عليه، وقد تكررت هذه الموعظة فى هذه السورة أربع مرات، وذكرت الجملة الأخيرة منها منفكة عن تيسير القرآن مرتين: مرة فى أول القصص وهى قصة نوح عليه السلام، ومرة كما يأتى ه فى آخرها، وذلك عقب قصة فرعون وهو قوله "فكيف كان عذابى ونذر" مثل ذلك، وكررت "فبأى آلاء ربكما تكذبان" فى الرحمن إحدى وثلاثين مرة، فنظرت فى سر ذلك فظهر لى - والله الهادى - أن الذى تقدم فى سورة المفضل على هذه السورة أربع سور هذه السورة خاتمتها فأشير إلى التذكر بكل سورة منها حثا على تدبرها بآية ختمت كلماتها بكلمة ١٠ عادت حروفها [فى] السور الخمس / وادغم حرف منها فى آخر بعد قلب ١٢٠ / كل منها، فكانت هذه الكلمة التى مدلولها الذكر مشيرة إلى الحواس الخمس الظاهرة التى هى مبادئ العلم، و كان ما فى أول هذه المواضع و آخرها لخلوه عن ذكر القرآن موازيا للحرفين اللذين طرفهما للوهن بالتعبير والقلب لكن لما كان الحرفان بالإدغام كحرف واحد، كانت الجملتان الموازيتان ١٥ لهما كآية واحدة من تلك الأربع، و كان هذا الأول والآخر مشارا به إلى هذه السورة التى جمعت التذكير بالسور الأربع، وأعريت عن ذكر تيسير القرآن لافتتاح السور بمحو وما يقرب من المحو وهو آية الليل والتيسير فيها والساعة التى هى أغيب الغيب، وكل من فيها سوى الله محوصرف لسلب الأمر كله عنهم وخصت بها الأولى و الآخرة ٤٠

لجامع بينهما من غرق العصاة في الماء ونجاة المطيعين بعضهم بالسفينة
وبعضهم بنفس البحر الذي هو مسرح السفن، وكانت الموعدة المذكور
فيها القرآن في ختام قصة نوح عليه السلام مع عمومها لجميع القرآن
إشارة إلى خصوص التذكير بسورة ق لما بينهما من جامع الإحاطة بأحاطة
٥ جبل ق بالارض كلها وطوفان قوم نوح عليه السلام بعموم جميع
الارض و التي في سورة عاد إشارة إلى سورة الذاريات لأن كلام
كان بالريح، والتي في قصة ثمود إشارة إلى التذكر بالطور بجامع ما بينهما
من الرج و الرجف و الذل و الصعق، أما في قصة ثمود فظاهر، وأما في
الطور فلما كان من دكة رصعق نبي إسرائيل فيه، وقد ذكر الصعق في
١٠ آخر الطور، وما في قصة لوط إشارة إلى النجم لأن مدائنهم ارتفعت
إلى عنان السماء ثم أهويت و أتبعَت الحجارة، فلما كان الأمر هكذا،
و كانت النعم محيطة بالإنسان من جهاته الست. فضربت الحواس الخمس
في الجهات الست، فكانت ثلاثين، كآء قيل: هل مدكر بهذا القرآن،
ولا سيما ما تقدم [على] هذه السورة منه في الفصل ما الله عليه من النعم
١٥ في نفسه و في الآفاق المشار إلى القسم الأول منها بمدكر. و إلى الثاني
بتكرير ذكر الآلاء فكل آية تكرر انتهى إلى العدد المخصوص و إلى
المجموع بالمجموع ليعلم أن نعم الله محيطة به على وجه لا يدرك على صنعته
إلا الله الذي له الإحاطة بجميع صفات الكمال التي أعظمها - من حيث
كونه أساسا يبنى عليه - الوحدانية المنزعة عن الشراكة فيخشى من معصيته
٢٠ أن يسلبه نعمه أو واحدة منها فلا يجد من يقوم بها ولا بشيء منها

غيره أو يعذبه بشيء مثل عذاب هذه الأمم أو بغير ذلك عما له من إحاطة القدرة والعلم فلا يجد من يرد عنه شيئاً منه سبحانه، وأما الواحد الزائد فهو إشارة إلى أن المدار في / ذلك الإدراك هو العقل والحواس ١٢١ / كما أن المقصود بذلك كله واحد وهو الله تعالى، وكل هذه الأشياء أسباب لمعرفته وأيضاً فالواحد إشارة إلى أن زيادة الآلاء من فضل الله تعالى لا تنقطع كما أن الواحد الذي هو أصل العدد لا يزال، فكما أغتت زيادتها [ابتداء] دور ثم ابتداء دور آخر دائماً أبداً، وللتنكير نكتة أخرى بديعة جداً، وهي تأكيد التقرير دلالة على اشتداد الغضب المقضى لأنهى العقوبة كما أن من اشتد غضبه من إنكار شخص لشيء من قلة إذا بينه غاية البيان بأمور متنوعة وهو يتمرد وبلد غاية اللدد يأخذه ١٠ فيجمع له جمعا لا يقدر على العدول عن الحق بحضرتهم، وهو يدعن وهو في قبضته فيذكر تلك المعاني بين ذلك الجمع، فيصير كلها ذكر له نوعاً منها بحضرتهم، قال له: هل ظهر لك هذا؟ فيقول ذاك المنكر: نعم ظهر لي، فلا يريد ذلك إلا غضباً لما تقدم له من عظيم غضبه [أو] لديه فيذكر له معنى آخر ثم يقول: هل ظهر لك هذا؟ فيقول: نعم والله لا يرجع ١٥ على اعترافه ذلك ويذكر له نوعاً آخر، ويقول مثل ذلك يريد الزيادة في تبكيته وتخجيله. وهكذا إلى أن يشتق - كل ذلك للتنبيه على لده وكفاية كل نوع منها لما أريد منه من البيان، ولما قال في الكشف: فآتته أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأدلين ادكاراً واماظاً وأن يستأقوا تنبها واستيقاظاً إذا سمعوا الحث عليه والبحث على ذلك ٢٠

كله و أن يقرع لهم العصي مرات و يقطع لهم السن تارات، لتلايلهم
 السهود و يستولى عليهم حكم الغفلة، و هكذا حكم التكريرات لتكون
 العبر حاضرة للقلوب مصورة الاذهان مذكورة غير منسية في أوان -
 انتهى، و لمثل ما مضى أو قريب منه كرر التهويل بالعذاب ست مرات:
 ٥ أربع منها " فكيف كان عذابي ونذر " و اثنان منها " فذوقوا عذابي
 ونذر " فهما بمنزلة واحدة من الأربع ليرجع الست إلى الخمس الدال
 عليها " مذكر " إشارة إلى أن الحواس الخمس كما ضربت في الجهات
 الست لأجل النعم التي هي جلب المصالح ضربت فيها للتذكير بدفع
 النقم الذي هو درأ المفاسد والتحذير منها، و من فوائد تكرر الست
 ١٠ الراجعة إلى الخمس مرتين : مرة لجلب النعم و أخرى لدفع النقم أن
 الحواس مكررة ظاهرا و باطنا، فن ذل لسانه بالقرآن ظاهرا صحت حواسه
 الظاهرة و نورت له الباطنة، و من أبي عذب بسبب الباطنة تفسد الظاهرة،
 و اختير للوعظتين عدد الست مع إرادة جماعة إلى خمس لأن الست
 عدد تام و ذلك لأن عدد كسورها إذ جمعت سادتها و لم تزد عنها و لم
 ١٥ تنقص و هي النصف و الثلث و السدس، و هذا العدد مساو لدعائم
 الإسلام الخمس و حظيره الجهاد التي هي عماد تقوى المتقين أهل مقعد
 الصدق الذين يؤمنون بالغيب و يقومون الصلاة و بما رزقاهم ينفقون
 و الذين يؤمنون بما أنزل إلى نبيهم صلى الله عليه و سلم و ما أنزل من قبله
 المشار به إلى الصيام " كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم"
 ٢٠ و الحج " و اذ جعلنا البيت مثابة للناس و أمنا " و الجهاد " أم حسبتم إن
 تدخلوا (٢٨) ١١٢

تدخلوا الجنة" إلى قوله "كتب عليكم القتال وهو كره لكم" وذلك إشارة إلى أن هذا الدين تام لا زيادة فيه ولا نقص لأن النبي الذي أرسل ختام الأنبياء، وتام الرسل الأصفياء. ولما كان قوم عاد قد تكبروا بشدتهم وقوتهم، وكانت حال قريش قرية من ذلك لقولهم إنهم أمنع العرب وأقوام وأجمعهم للكمالات وأعلام، كرر ذلك في قصتهم مرتين ٥ زيادة في تذكير قريش وتحذيرهم ولا سيما وقد كان بدء عذابهم من بلدهم مكة المشرفة كما هو مشروح في قصتهم، وكرر الأمر بالذوق في قصة لوط عليه السلام لأنهم عذبوا بما ردع من كان له قلب بالطمس، فلما لم ينفعهم ذلك أتاها أكبر منه فكانوا كأس الدابر، فلكل مرة من العذاب من الأمر بالذوق، وخصوصا بالأمر بالذوق لما في فاحشتهم ١٠ الحبيثة ما يستلذونه، وقد عم عذاب هذه الأمم جميع الجهات بما لقوم نوح ولوط عليهما السلام من جهة الغرق بالماء الماطر وحجارة السجيل ومن الحب (٩) من الماء النابع والخسف، وما في عموم عذابهم من استغراق بقية الجهات - والله الهادي .

ولما انقضت قصه نوح عليه السلام على هذا الهول العظيم، كان ١٥ ذلك موجبا للسامع أن يظن أنه لا يقصر أحد بعدهم وإن لم يرسل رسول فكيف إذا أرسل، فتشوف إلى علم ما كان بعده هل كان كما ظن أم رجع الناس إلى طباعهم؟ وكانت قصة عاد أعظم قصة جرت بعد قوم نوح عليه السلام فيما يعرفه العرب فيصلح أن يكون واعظا لهم، وكان عذابهم بالريح التي أهلكتهم ونسفت جبالهم التي كانت في محالهم ٢٠

من الرمال المتراكمة ، فنقلها إلى أمكنة أخرى أقرب دليل إلى أنه تعالى
يسير الجبال يوم الدين ، هذا إلى ما في صفها الخارج عن العوائد من
تصوير / النفخ في الصور تارة للقيامة و تارة للحياه ، فأجيب بقوله :
(كذبت عاد) أى أوقعت التكذيب العام المطلق الذى أوجب
تكذيبهم برسولى هود عليه السلام فى دعوته لهم إلى وإنذاره لهم عذابى .

/ ١٢٣

ولما كان عادة الملوك أو بعضهم أنه إذا أملك قوما كثيرين من
جنده نجما ناس مثلهم بمثل ذنوبهم أن يرفع بهم ، ويستأنهم لتلايملك
جنده ، فيختل ملكه ، عقب الإخبار بتكذيبهم الإعلام بتعديهم لأنه
لايالى بشيء لأن كل شيء فى قبضته ، ولما كان تكذيبهم إلا بارادته
١٠ كما أن عذابه بمشيئته ، قال مسيبا عن ذلك : (فكيف) أى فعلى الاحوال
لأجل تكذيبهم (كان عذابى لهم ونذره) أى وإنذارى إياهم بلسان
رسولى ، وكرر فى آخر قصتهم هذا الاستخبار ، فكان فى قصتهم مرتين
كما تقدم من سره - والله أعلم .

١٥ ولما ذكر تكذيبهم وأعقبه تعذيبهم ، علم السامع أنه شديد العظمة
فاستمطر أن يعرفه فاستأنف قوله ، مؤكدا تنبيها على أن قرىشا أفعالهم
فى التكذيب كأفعالهم كأنهم يكذبون بعذابهم : (أنا أرسلنا) بعظمتنا ،
وعبر بحرف الاستعلاء إعلاما بالنقمة فقال : (عليهم ريحا) ولما
كانت الريح ربما كانت عيانا ، وصفها بما دل على حالها فقال : (صرصرا)
أى شديد البرد والصوت . ولما كان مقصود السورة تقريب قيام الساعة

و وصف سيرهم إلى الداعي بالإسراع ، ناسب أن يعبر عن عذابهم بأقل ما يمكن ، فعبّر باليوم الذي يراد به الجنس الشامل للقليل والكثير وقد يعبر به عن مقدار من الزمان يتم فيه أمر ظاهر سواء لحظة أو أياما أو شهورا أو كثيرا من ذلك أو أقل كيوم البعث و يوم بدر و يوم الموت بقوله تعالى - "إلى ربك يومئذ المساق" - : (في يوم) و أكد هـ شؤمها بدم زمانها فقال : (نحس) أى شديد القباحة ، قيل : كان يوم الأربعاء آخر الشهر وهو شوال ثمان بقيت إلى غروب الأربعاء ، وحقق لأن المراد باليوم الجنس لا الواحد بالوصف فقال : (مستمر) أى قوى في محوسته نافذ ماض فيما أمر به من ذلك شديدة أسبابه ، موجود مرارته وجودا مطلوبا من مرسله في كل وقت ، مستحکم المارة قويا ١٠ دائما إلى وقت إنفاذ المراد .

و لما علم وصفها في ذاتها ، أتبعه وصفها [بما] يفعل فيه فقال : (تنزع) أى تأخذ من الأرض بعضهم من وجهها و بعضهم من حفر حفرها ليمتنعوا بها من العذاب ، و أظهر موضع الإضممار أى يكون نصا في الذكور / و الإناث فعبّر بما هو من النوس تفضيلا لهم فقال : (الناس) الذين هم ١٥ / ١٢٤ صور لا ثبات لهم بأرواح التقوى ، فتطيرهم بين السماء و الأرض كأنهم الهباء المشور ، فقطع رؤسهم من جثثهم و تغير ألوانهم تغيما لهم إلى السواد ، ولذا قال : (كأنهم) أى حين يزعون فيلقون لا أرواح فيهم كأنهم (اعجاز) أى أصول (تحل) قطعت رؤسها . و لما كان الحكم هنا على ظاهر حالهم . و كان الظاهر دون الباطن ، حمل على اللفظ قوله : (منقره) ٢٠

أى منقصف أى منصرع من أسفل قعره وأصل مغرسه، و التشبيه يشير إلى أنهم طوال قد قطعت رؤسهم، و فى الحاقه وقع التشبيه فى الباطن الذى فيه الاعضاء الرئيسة، و المعانى اللطيفة، فأنت الوصف حملا على معنى النخل لا للطنها - والله أعلم .

٥ ولما طابق ما أخبر به من عذابهم ما هوله به أولا، أكد ذلك لما تقدم من سره فقال مسيا عنه مشيرا إلى أنه لشدة هوله بما يجب السؤال عنه: (فكيف كان) أيها السائل، ولقت القول إلى الإقرار تنبيها للعبيد على المحافظة على مقام التوحيد: (عذابى) لمن كذب رسلى (ونذره) أى وإنذارى أو رسلى فى إنذارهم هل صدق .

١٠ ولما أتم سبحانه تحذيره من مثل حالهم بأمر ناظر أتم نظر إلى تدبير ما فى سورة الذاريات، أتبع ذلك التنبيه على أنه ينبغى للسامع أن يتوقع الحث على ذلك، فقال مؤكدا لما لاكثر السامعين من التكذيب بالقول أو بالحال معلما أنه سهل طريق الفرار من مثل هذه الفتن الكبار إليه، و سوى من الاعتماد عليه، عائدا إلى مظهر العظمة إيذانا بأن تيسير القرآن لما ذكر من إعجازه لا يكون إلا لعظمة تفوت قوى البشر، و تعجز عنها القدر (ولقد يسرنا) على ما لنا من العظمة فى الذات و الصفات (القران) الجامع الفارق كله و ما أشارت إليه هذه القصة من مفصله (للذكر) للحفظ و الشرف و الفهم و التدبير و الوعظ و الاتعاظ ما صرفنا فيه من أنواع الوعظ مع التنبيه للحفظ بالإيجاز و عذوبة اللفظ ٢٠ و قرب الفهم و جلالة المعانى و جزالة السبك و تنويع الفنون و تكثير

الشعب وإحكام الربط (فهل من مذكر؟) أى تسبب عن هذا الأمر العظيم الذى فعلناه أنه موضع السؤال عن أحوال السامعين: هل فيهم من يقبل على حفظه ثم تدبره وفهمه ويتعظ بما حل بالأمم السالفة، ويتذكر جميع ما صرف من الأقوال وينزلها على نفسه وما لها من الأحوال، ويجعل ذلك لوجهنا فيلقبه بتشريفه به أمر ديناه وأخراه . ٥

و لما كان هذا موضع الإقبال على تدبر مواعظ القرآن، وكان

١٢٥ / ثمود أعظم وعظ كان بعد عاد لما فى صيحتهم / الخارجة عن اليهود من تصوير الساعة بنفختها المميتة ثم المحيية، وقال مؤثنا فعلهم إشارة إلى سفول همهم وسفول فعلهم معلما أن من كذب هلك - على طريق الجواب

لمن لعله يقول استبعادا للتكذيب بعد ما جرى فى القصتين الماضيتين من ١٠

التعذيب: (كذبت ثمود) أى قوم صالح (بالنذرة) الإنذارات والمنذرين

كلهم لأنهم شرع واحد، ثم علل ذلك وعقبه بقوله معلما بالضمير أن

المباشر لهذا الكفر رجالهم لثلا يظن أنهم نساء فقط: (فقالوا) منكرين لما

جاءهم من الله غاية الإنكار: (ابشرا) إنكارا لرسالة هذا النوع ليكون إنكار

النوبة [إنكارا] لبوبة نبيهم على أبلغ الوجوه، وأعظم الإنكار بقولهم مقدمين ١٥

عدم الانفراد عنهم لخصوصيته: (منا) أى فلا فضل له علينا فواجه

اختصاصه بذلك من بيننا، وزادوا ذلك [تأكيدا] فقالوا: (واحدا)

أى ليس معه من يؤيده، ثم فسر الناصب لقوله "بشرا" بقوله:

(تبتة لا) أى نجاهد أنفسنا فى خلع مألوفنا وخلاف آبائنا والإقرار

على أنفسنا بسخافة العقل والعراقة فى الجهل ونحن [أشد] الناس كثرة ٢٠

وفوه وفهما ودراية، ثم استنجوا عن هذا الإنكار الشديد قولهم
 مؤكدين الاستشعار بأن كلامهم أهل لأن يكذب (إنا إذا) أى
 إن اتبعناه (لى ضلل) أى ذهب عن الصواب يحيط بنا (وسعره)
 أى تكون عاقبتنا فى ذلك الضلال الكون فى أوائل أمر لاسرى عاقبه،
 ٥ فانه لم يجرب ولم يجتبر ولم يمس أحد قبلنا سلفا لنا فيجرنا ذلك إلى
 جنون وجوع وفار كما يكون من يأتوه فى القفار فى أنواع من الحر يتوقد
 حر الجبال وحر الضلال وحر الهموم والآجال - وذلك من النار التى
 توعدا بها، وهو معنى تفسير ابن عباس رضى الله عنهما له بالعذاب،
 وجعل سفيان ابن عيينه له جمع سعيير، والمعنى إنا [نكون] إذا اتبعناك
 ١٠ كما تقول جامعين بين الضلال والعذاب بسائر أنواعه .

ولما كان فيما قالوه أعظم تكذيب مدلول على صحته فى زعمهم بما
 أومأوا إليه من لونه آدميا مثلهم . هو مع ذلك واحد من أحادهم
 فليس هو بامثلهم وهو منفرد فلم يتأيد فكره بفكر غيره حتى يكون
 موضع الوثوق به، دلوا عليه بأمر آخر ساقوه أيضا مساق الإنكار .
 ١٥ و اومأوا، الإلقاء إلى أنه فى إسرعه كانه سقط من عل وقالوا : (أى الذى)
 أى أزل عتته فى سرعه لأنه لم يكن عندهم فى مضمار هذا الشأن ولم يأتروا
 فيه قبل إتيانه به شيء منه بل أنهم به عتته فى غاية الإسراع . ولما
 كان الإلقاء يكون للأجسام غالبا، فكان لدفع هذا الوهم تقديم
 النائب عن الفاعل إلى خلاف ما تقدم فى ص - فقالوا : (الذكر)

(١) راحة البحر المحيط ٧ ١٨٠

أى الوحي الذى يكون به الشرف الأعظم، و عبروا بعلی إشارة إلى أن مثل هذا الذى تقوله لا يقال إلا عن قضاء غالب و أمر قاهر فقال: ﴿عليه﴾ و دلوا على وجه التعجب والإنكار بالاختصاص بقولهم: ﴿من بيننا﴾ أى و بيننا من هو أولى بذلك سنا و شرفا و نبلا .

و لما كان هذا الاستفهام / لكونه إنكاريا بمعنى النفي، أضربوا عنه هـ / ١٢٦ بقولهم على وجه النتيجة عطفًا على ما أفهمه الاستفهام من نحو: ليس الأمر كما زعم: ﴿بل هو﴾ لما أبديناه من الشبه ﴿كذاب﴾ أى بليغ في الكذب ﴿اشرء﴾ أى مرح غلبت عليه البطالة حتى أعجبت نفسه بمرح و تجبر و بطر، و نشط في ذلك حتى صار كالمنشار الذى هو متفرغ للقطع مهياً له خشن الأمر سىء الخلق و الأثر فهو يريد الترفع .

١٠

و لما كان هذا غاية الذم لمن يستحق منهم غاية المدح، أجاب تعالى عنه موعظة لعباده لئلا يتقولوا ما يعلمون بطلانه أو يقولوا ما لا يعلمون صحته بقوله: ﴿سيعلمون﴾ بوعده لا خلف فيه . و لما كان المراد التقريب لأنه أقعد في التهديد، قال: ﴿غدا﴾ أى في الزمن الآتي القريب لأن كل ما حقق إتيانه قريب عند نزول العذاب في الدنيا و يوم ١٥ القيامة، و قراءة ابن عامر و حمزة و رويس عن يعقوب بالخطاب ' التفات يعلم بغاية الغضب ﴿من الكذاب الاشرء﴾ أى الكذب و الاشرء هو احتقار الناس و الاستكبار على ما أبدوه من الحق محتص به و مقصود عليه لا يتعداه إلى مرميه و ذلك بأنهم جعلوا الكذب ديدنه و لم يتعدم حتى

(١) راجع نثر المرجان ٧ / ١٢٥ .

يدعى شيء منه لصالح عليه الصلاة و السلام ، فكان الكلام معينا لهم في
الكذب قاصرا عليهم بسياقه على هذا الوجه المبهم المنصف الذي فيه
من روعة القلب و هز النفس ما لا يعلمه حق عليه إلا الله تعالى ، وكلمة
كان الإنسان أسلم طبعاً وأكثر علماً كان له أعظم ذوقاً .

٥ ولما علم من هذا أنه سبحانه فصل الأمر بينهم ، تشوف السامع
إلى علم ذلك فقال تعالى مستأنفا دالاً بأنهم طالبوه بآية دالة على صدقه :
(إنا) أى بما لنا من العظمة (مرسلوا الناقة) أى موجدوها ومخرجوها
كما اقترحوا من حجر أملناه لذلك وخصصناه من بين الحجارة دلالة
على إرسالنا صالحاً عليه السلام مخصصين له من بين قومه ، وذلك أنهم
١٠ قالوا لصالح عليه السلام : زيد أن نعرف الحق منا بأن ندعو آلهمتنا
و ندعو إلهك فمن أجابه إلهه علم أنه الحق ، فدعوا أولادهم فلم تجبهم ،
فقالوا : ادع أنت ، فقال : فما تريدون ؟ قالوا : تخرج لنا من هذه الصخرة
ناقة تبع (؟) عسراء ، فأجابهم إلى ذلك بشرط الإيمان ، فوعده بذلك
و أكدوا فكذبوا بعد ما كذبوا في أن آلهمتهم تجيبهم ، وصدق هو صلى الله
١٥ عليه وسلم في كل ما قال ، فأخبره ربه سبحانه أنه يجيبهم إلى إخراجها
(فتنة لهم) أى امتحاناً يخاطبهم به فيمليهم عن حالتهم التي وعدوا بها
و يجيبهم عنها ، و سبب سبحانه عن ذلك أمره بانتظارهم فيما يصنعون بعد
إخراجهم لما توصلهم إليه عواقب الفتنة فقال : (فارتقبهم) أى كلف
نفسك انتظارهم فيما يكون لهم جزاء على أعمالهم انتظار من يحرسهم وهو
٢٠ عالم عليهم فانهم واصلون بأعمالهم إلى الداهية التي تسمى بأمر العرقوب
ليكونوا (٣٠) ١٢٠

١٣٧ /

ليكونوا كمن جعل في رقبته، ودل بصيغته الافعال على أنه يكون / له منه
أذى بالغ قبل انفصال النزاع فقال: ﴿ واصطبره ﴾ أى عالج نفسك
واجتهد فى الصبر عليهم ﴿ ونبثهم ﴾ أى أخبرهم إخبارا عظيما بأمر
عظيم، وهو أن الماء الذى يشربونه وهو ماء بئرهم ﴿ ان الماء قسمة بينهم ﴾
أى بين ثمود وبين الناقة، غلب عليها ضمير من يعقل، يعنى إذا بعثناها
كان لهم يوم لا تشاركهم فيه فى الماء، ولها يوم لا تدع فى البئر قطرة يأخذها
أحد منهم، وتوسع الكل بدل الماء لبناء. ولما أخبر بتوزيع الماء، أعلم أنه
على وجه غريب بقوله استنفا: ﴿ كل شرب ﴾ أى من ذلك وحظ
منه ومورد البرو وقت يشرب فيه ﴿ محتضره ﴾ أى أهل لما فيه من الأمر
العجيب أن يحضره الحاضرون حضورا عظيما، وتكلف أنفسهم لذلك ١٠
لأنه صار فى كثرته وحسنه كما الحاضرة للبادية وتأهل لأن تعارضه
حاضروه من حسنه ورجعوا إليه وأن يجتمع عليه الكثير ويعودوا
أنفسهم عليه .

ولما كان التقدير: فكان الأمر كما ذكرنا، واستمر الأمد الذى
ضربنا فافتتوا [كما] أخبرنا ﴿ فنادوا ﴾ بسبب الفتنة ﴿ صاحبهم ﴾ قدار بن ١٥
سالف الذى اتدبوه بطرا وأثرا لقتل الناقة، نذبتا فيها بوعدهم الإيمان
ولإكرامها بالإحسان وهو أشقى الأزلين ﴿ فتعاطى ﴾ أى أوقع بسبب
ندائهم التعاطى الذى لاتعاطى مثله، فتناول ما لا يحق له أن يتناوله بسبب
الناقة وهو سيفه يده قائما فى الأمر الناشئ عن هذا الأخذ على كل
حال. ورفع رأسه بغاية المهمة ومد يديه مدا عظيما ورفعها وقام على ٢٠

أصابع رجله حين عا طوه ذلك أى سألوه فيه فطاوعهم و تدارل الناقة
بذلك السيف غير مكترث ولا مبال ﴿ فمقره ﴾ أى فتسبب عن هذا
الجد العظيم أن صدق فيما أثبت لهم الكذب فى الوعد بالإحسان إليهما
والأشر، وهو إيقاع المقر الذى ما كان فى ذلك الزمان عقر مثله
هـ وهو عقر الناقة التى هى آية الله وإهلاكها .

ولما وقع كذبهم على هذا الوجه العظيم المبني على غاية الأشر،
حقق الله تعالى صدقه فى توعدهم على تقدير وقوع ذلك، فأوقع عذابهم
سبحانه على وجه هو من عظمه أهل لأن يقساءل عنه، فيه سبحانه على
عظمه بإيراده فى أسلوب الاستفهام مسيا عن فعل الأتى فقال:
١٠ ﴿ فكيف كان ﴾ و حافظ على مقام التوحيد كما مضى فقال: ﴿ عذابي ﴾

أى كان على حال و وجه هو أهل لأن يجتهد فى الإقبال على تعرفه
و السؤال عنه ﴿ ونذره ﴾ أى إنذارى . ولما علم تفرغ ذهن السائل
الواعى، استأنف قوله مؤكدا إشارة إلى أن عذابهم بما يستلذ وينجح به،
و إرغاماً لمن يستبعد النصيحة الواحدة بفعل مثل ذلك، و إعلاماً بأن القدرة

١٢٨ / ١٥ على عذاب من كذب من غيرهم / كهى على عذابهم فلا معنى للتكذيب :

﴿ أنا ﴾ بما لنا من العظمة ﴿ أرسلنا ﴾ إرسالاً عظيماً، و دل على كونه

عذاباً بقوله : ﴿ عليهم صيحة ﴾ و حقر شأنهم بالنسبة إلى عظمة عذابهم

بقوله تعالى : ﴿ واحدة ﴾ صاحبها عليهم جبريل عليه السلام فلم يكن

بصيحته هذه التى هى واحدة طاقة، و تلاشى عندها صياحهم حين نادوا

٢٠ صاحبهم لعقر الناقة . و لما تسبب عنها هلاكهم قال : ﴿ فكانوا ﴾ كونا

عظيماً

عظيماً (كهشيم المحتظرة) أى محطمين كالشجر اليابس الذى جعله
الراعى ومن فى معناه بمن يجعل شيئاً يأوى إليه ويحفظ به ويحفظ به
ماشيته فى وقت ما لا يقاله (٩) و هو حظيره أى شئ مستدير مانع فى ذلك
الوقت لمن يدخل إليه فهو يتهشم ويتحطم كثير منه و هو يعمل قندوسه
الغنم ثم تتحطم أولاً فأولاً ، وكل ما سقط منه شئ فداسته الغنم كان ه
هشياً ، و كأنه الحشيش اليابس الذى يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته .
و لما كان التقدير : فلقد أبلغنا فى الموعظة لكل من يسمع هذه
القصة ، عطف عليه قوله مؤكداً لأجل من يعرض عن هذا القرآن و يعطل
إعراضه عنه بصعوبته : (ولقد يسرنا) أى على ما لنا من القدرة
و العظمة (القرآن) أى الكتاب الجامع لكل خير ، الفارق بين كل ١٠
ملبس (للذكر) أى الحفظ و التذكير و التذكر و حصول النباهة به
و الشرف إلى الدارين . و لما كان هذا غاية فى وجوب الإقبال عليه
لجميع المتولين ، قال : (فهل من مدكره) أى ناظر فيه بسبب قولنا هذا
بعين الإنصاف و التجرد عن الهوى ليرى كل ما أخبرنا به فتعنه عليه .
و لما كان النذير : كأنه قال المنذرين (٩) لم يتعظوا به فزاد فى وعظهم ، و كانت ١٥
قصة لوط عليه السلام مع قومه أعظم ما كان بعد ثمود مما تعرفه العرب
بالأخبار و رؤية الآثار ، و مع ما فى قصتهم من تصوير الساعة من
تبدل الأرض غير الأرض ، استأنف قوله : (كذبت قوم لوط)
أى و هم فى قوة عظيمة على ما يحاولونه و إن كانوا فى تكذيبهم هذا
فى ضعف و قوع النساء عن التجرد بما دل عليه تأنيث الفعل بالناء و كذا ٢٠

ما قبلها من القصص ﴿بالنذر﴾ أى الإنذار والإنذارات والمنذرين،
 ودل على تنهى القباحة فى مرتكبهم بتقديم الإخبار عن عذابهم فقال:
 ﴿انآ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ارسلنا﴾ ودل على أنه إرسال إهانة
 بقوله: ﴿عليهم﴾ ودل على هوانهم وبلوغ أمره كل ما يراد به بقوله:
 ٥ ﴿حاصبا﴾ أى ريحا ترمى بحجارة هى دون ملء الكف فكانت مهلكة
 لهم محرقة خاسفة مفرقة ﴿الآل لوط﴾ وهم من آمن به وكان بحيث
 إذا رأيته فكانك رأيت لوطا عليه السلام لما يلوح عليه من أفعاله
 والمشى على منواله فى أقواله وأحواله وأفعاله.

ولما كان استنأؤهم مفها إنجازهم مع التجويز لإرسال شيء عليهم
 ١٠ غير مقيد بما ذكر، قال مستأنفا جوابا لمن كأنه قال: ما حاطم: ﴿نجينهم﴾
 أى نجية عظيمة بالتدرج، وذكر أول الشروع لإنجائهم فقال: ﴿بسحرا﴾
 أى بآخر ليلة من الليالى وهى التى عذب فيها قومه، فكان تنكيره لآما لانعرف
 تلك الليلة بعينها، ولو قصدت سحر الليلة التى صبحت منها كان معرفة
 لا ينصرف، و السحر: السدس الأخير من الليل: الوقت الذى يكون فيه
 ١٥ الإنسان لا سيما النساء والأطفال فى غاية الغفلة بالاستغراق فى النوم،
 ويفتح الله فيها أبواب السماء باذن الدعاء ليحصل منه الإجابة لأن الملوك
 إذا فتحوا أبوابهم كان ذلك إذنا للساس فى الدخول لقضاء الحوائج،
 فالزول وفتح الأبواب كناية عن ذلك - والله سبحانه وتعالى متعال عن
 حاجة إلى نزول أو فتح باب أو غير ذلك.

٢٠ ولما كان المراد من الموعظين الطاعة التى هى سبب النجاة، فلذا

قال ذاكرا للإنعام معبرا عنه بغاية المقصود منه معرفا أن انتقامه عدل
ومعافاته فضل، لأن أحدا لا يقدر أن يكافئ نعمه ولا نعمة نهما، معللا
للنجاة: ﴿نعمت من عندنا﴾ أي عظمة غريبة جدا لشكرهم، ولما كان كأنه
قيل: هل هذا محتص بهم... الإنجاة من بين الظالمين وهو محتص بهم،
أجاب بقوله: ﴿كذلك﴾ أي مثل هذا الإنجاة العظيم الذي جعلنا
جزاء لهم ﴿نجزى﴾ بقدرتنا وعظمتنا ﴿من شكره﴾ أي أرقع الشكر
بجميع انواعه فآمن وأطاع ليس.... بالامر بالمعروف والنهي عن
المعكر كائنا من كان من سوقة أو سلطان جائر شجاع أو جبان، فانتا
عليه بالإنجاة بعد هلاك عدوه، قال القشيري: والشكر على نعم الدفع
أم من الشكر على نعم النفع، ولا يعرف ذلك إلا كل موفق كيس، ١٠
فالآية من الاحتباك: ذكر الإنعام أولا - لأنه السبب الحقيقي - دليلا على
حذفه ثانيا، والشكر ثانيا - لأنه السبب الظاهر - دليلا على حذفه أولا .
ولما كان التقدير دفعا لعناد.... استشراف السامع إلى ما كان
من حاله صلى الله عليه وسلم معهم قبل العذاب: لقد بالغ في شكرنا بوعظهم
ونصحتهم ودعاتهم إلينا صرفا لما أنعمنا به عليه من الرسالة في أم مواضعه، ١٥
عطف عليه إيماء إليه قوله، مؤكدا لأن تماذى المحذور من العذاب على
الإقامة في موجه يكاد أن لا يصدق: ﴿واقعد انذرهم﴾ أي رسولنا
لوط عليه السلام ﴿بطشتنا﴾ أي أخذتنا لهم المقرونة بشدة ما لنا من
العظمة، ووحيد إشارة إلى أنه لا يستهان بشيء من عذابه سبحانه بل
الآخذة الواحدة كافية لما لنا من العظمة فهي غير محتاجة إلى التثنية، ٢٠

ودل على أن إنذاره كان جدرا بالقبول لكونه واضح الحقيقة بما سبب عن ذلك من قوله : ﴿ قتلوا ﴾ أى تكلفوا الشك الواهى ﴿ بالنذر ﴾ أى الإنذار مصدرا والإنذارات أو المندرين حتى أدام إلى التكذيب . فكان سببا للأخذ .

١٣٠ / ٥ و لما كان ترك الاحتياط فى / إعمال الحيلة فى وجه الخلاص من إنذار النذير عظيم العرافة فى السفة . دل على أنهم تجاوزوا ذلك إلى انتهاك حرمة النذير ، فقال مقسما لأن مثل ذلك لا يكاد يقع فلا يصدق من حكاة : ﴿ ولقد راودوه ﴾ أى زادوا فى التكذيب الموجب للتعذيب أن عاجلوا معالجة طويلة تحتاج إلى قتل و دوران ﴿ عن ضيفه ﴾ ليسلمهم إليهم و هم ١٠ ملائكة فى هيئة شباب مرد ، و أفردوا و إن كان المراد الجنس استعظاما لذلك لو كان الضيف واحدا ﴿ فطمسنا ﴾ أى قتسب عن مرادتهم أن طمسنا بعظمتنا ﴿ اعينهم ﴾ فسويناها مع سائر الوجوه فصارت بحيث لا يرى لها شق ، قال الغوى : هذا قول أكثر المفسرين ، و ذلك بصفقة صفقها لهم جبريل عليه الصلاة و السلام ، و قال القشيري : مسح بجناحه على وجوههم فعموا و لم يهتدوا للخروج ، و قال ابن جرير : و العرب تقول : طمست الريح الأعلام - إذا دفتها بما يسبق عليها من التراب . فانطلقوا هرابا مسرعين إلى الباب لا يهتدون إليه . لا يقعون عليه بل يصادمون الجدران خوفا مما هو أعظم من ذلك و هم يقولون : عند لوط أسحر الناس ، و ما أدتهم عقولهم أن يؤمنوا فينجوا أنفسهم مما حل بهم ، قال القشيري :

(١) راجع المعالم بهامش اللب ٦ / ٢٣٠ (٢) راجع تفسير هذه الآية فى جامعه .

وكذلك

و كذلك أجرى الله سبحانه سنته في أوليائه بأن يطمس على قلوب أعدائهم حتى يلتبس عليهم كيف يؤذون أوليائه ويخلصهم من كيدهم .
 ولما كان أول عذابهم قال : ﴿ فذوقوا ﴾ أى قسب عن ذلك أن قال قائل عن الله بلسان القائل أو الحال : أيها المكذبون ذوقوا بسبب تكذيبكم لرسلى في إنذارهم ﴿ عذابي و نذره ﴾ أى وعاقبة انذارى على ٥ السنة رسلى .

ولما كان بقاؤهم بعد هذا على حال كفرهم عجبا إذ العادة قاضية بأن من أخذ ارعوى ولو كان أجبر الخلق ، و سأل العفو عنه صدقا أو كذبا خداعا و مكرأ ليخلص مما هو فيه ... بثباتهم على تكذيبهم حتى عذبوا على قرب العهد فقال مقسما : ﴿ ولقد صبحهم ﴾ أى أتاهم في وقت ١٠ الصباح ، و حقق المعنى [بقوله] : ﴿ بكرة ﴾ أى في أول النهار العذاب ، ولو كان أول نهارك الذى أنت به كان معرفة فامتنع ... ﴿ عذاب ﴾ أى قلع بلادهم ورفعها ثم قلبها ، و حصبها بحجارة من نار و خسفها و غمرها باماء المثلث الذى لا يعيش به حيوان ﴿ مستقرئ ﴾ أى ثابت عليهم غير مزابل بخيال ولا سحر كما قالوا عند الطمس فانه أهلكهم فاتصل بعذاب البرزخ المتصل ١٥ بعذاب القيامة المتصل بالعذاب الأكبر في الطبقة التى تناسب أعمالهم من عذاب النار فقال لهم لسان الحال إن لم ينطق لسان القائل : ﴿ فذوقوا ﴾ بسبب أعمالكم ﴿ عذابي و نذره ﴾ .

و لما كرر هذا التكرير ، علم منه أن سبب العذاب / التكذيب بالإنذار لآى رسول كان ، وكان استئناف كل قصة منها على أنها أهل ٢٠ / ١٣١

على حدتها لأن يتعظ [بها] ، علم أن التقدير: فلقد بلغت هذه المواعظ
 النهاية لمن كان له قلب ، فمطف عليه قوله مذكرا بالنعمة التي لا عدل لها:
 ﴿ ولقد يسرنا ﴾ أى تعالى جدنا و تناهى مجدنا ﴿ القرآن ﴾ الجامع
 الفارق ﴿ للذكر ﴾ ولو شئنا لأعطيناه بما لنا من العظمة إلى الحد حتى تعجز
 ٥ القوى عن فهمه ، كما أعطيناه إلى رتبة وقفت القوى عن معارضته في نظمه ،
 أو مطلع لا يتشبث بأذيال أدنى علمه ، إلا الأفراد من حذاق العباد ، فكيف
 بما فوق ذلك .

ولما كانوا مع ذلك واقفين عن المبادرة إليه والإقبال عليه ، قال
 تلطفاً بهم و تعظفاً عليهم مسيياً عن ذلك : ﴿ فهل ﴾ و أكد فقال :
 ١٠ ﴿ من مدرك ﴾ مفتك لنفسه من مثل هذا الذى أوقع فيه هؤلاء أنفسهم
 ظناً منهم أن الأمر لا يصل إلى ما وصل إليه جهلاً منهم و عدم أكثرات
 بالعواقب .

ولما كان الآخر ينبغي له أن يحذر ما وقع للأول ، وكان قوم
 فرعون قد [جاء] بعد قوم لوط عليه السلام ، فكان ربما ظن أنهم لم يندروا
 ١٥ لأن من علم أن العادة جرت أن من كذب الرسل هلك أنكر أن
 يحصل من تبع ذلك تكذيب ، قال مقسماً : ﴿ ولقد جاء آل فرعون ﴾
 أى ملك انقبض بمصر و أشرافه الذين [إذا] رؤاه كان كأنه رآى فيهم
 لشدة قربهم منه و تخلفهم بأخلاقهم ﴿ النذرة ﴾ أى الإنذارات
 و المندرون بنذارة موسى و هارون عليهما السلام ، فان نذارة بعض الأنبياء
 ٢٠ كنذارة الكل لأنه لم يأت أحد منهم إلا وله من الآيات ما مثله آمن
 عليه (٣٣) ١٢٨

عليه البشر ، والمعجزات كلها متساوية في خرق العادة ، و كان قد أنذرهم يوسف عليه السلام . و لما كان كأنه قيل : فما فعلوا عند مجيء ذلك إليهم ، قال : ﴿ كذبوا ﴾ أى تكذبا عظيما متسهينين ﴿ بآيتنا ﴾ التى أتاهم بها موسى عليه السلام و غيرها لأجل تكذيبهم بها على ما لها من العظمة المعروفة قطعاً [عن] أنها من عندنا .

و لما كانت خوارق العادات كما مضى متساوية الأقدام في الدلالة على صدق الآتى بها ، و كانوا قد صمموا على أنه مهما أتاهم بآية كذبوا بها ، كانوا كأنهم قد اتهم كل آية فلذلك قال : ﴿ كلها ﴾ و سبب عن ذلك قوله : ﴿ فاخذنهم ﴾ أى بما لنا من العظمة بنحو ما أخذنا به قوم نوح من الإغراق ﴿ اخذ عزيز ﴾ أى لا يغلبه شيء و هو يغلب كل شيء . ١٠ ﴿ مقتدره ﴾ أى لا يعجل بالأخذ لأنه [لا] يخاف القوت و لا يخشى معقبا لحكمه ، بالغ القدرة إلى حد لا يدرك الوصف كنهه لأن صيغة الاقتعال مبناها على المعالجة و من عاجل فعلا اجعل نفسه فيه ، فكان على أتم الوجوه ، و هذه الغاية هى المرادة ليس غيرها ، فهو تمثيل لأنه سبحانه يخاطبنا بما نعبده ، و بهذه المبالغة فلم يلفت منهم أحد ، و قد ختمت القصص / بمثل ١٥ / ١٣٢ ما افتتحت به من عذاب المفسدين بالإغراق لطابق الختم البدأ ، و كانت نجاة المصلحين من الأولين بالسفينة ، و كانت نجاة المصلحين من الآخرين بأرض البحر كانت هى سفينتهم ، ليكون الختم اعظم من البدأ كما هو شأن أهل الاقتدار .

و لما بلغت هذه المواضع الانتهاء ، و علت أقدامها على رتبة السها ، ٢٠

ولم يبين ذلك كفار قريش عن شرادهم، ولا فتر من ججودهم وعنادهم،
 كان لسان حالهم قائلاً : إنا لانخاف شيئاً من هذا، فكان الحال مقتضياً
 لأن يقال لهم إلزاماً بالحجة : ﴿ا ك ف ا ر ك م﴾ الراسخون منكم في الكفر الثابتون
 عليه يا أيها المكذبون لهذا النبي الكريم السارون لشموس دينه ﴿خير﴾
 ٥ في الدنيا بالقوة و الكثرة أو الدين عند الله أو عند الناس ﴿من ادّٰلٰسَكُمْ﴾
 أى الكفار العظماء الجبابرة الأشداء الذين وعظناكم بهم في هذه السورة
 ليكون ذلك سبباً لا فتراق حالهم منهم فيأمنوا العذاب مع جامع
 التكذيب وإن لم يكن لهم براءة من الله ﴿ام لكم﴾ اجمعين درينهم
 كفاركم وغير كفاركم ﴿برآة﴾ من العذاب من الله ﴿في الزبرج﴾ أى الكتب
 ١٠ الآتية من عنده أأستم بها من العذاب مع أنهم خير منكم، فالآية من
 الاحتباك : أثبت الحيرية أو لا دليلاً على حذفها ثانياً، والبرائة ثانياً دليلاً
 على حذفها أولاً .

ولما بلغوا إلى هذا الحد من التهادى في الكفر مع المواعظ البالغة
 والاستعطاف المسكين، استحقوا أعظم الغضب، فأعرض عنهم الخطاب
 ١٥ إيذاناً بذلك وإهانة لهم و احتقاراً وإقبالا على النبي صلى الله عليه وسلم
 تسلياً له فقال عاطفاً على ما تقديره : أبدعون جهلاً ومكابرة شيئاً من
 هذين الأمرين : ﴿ام يقولون﴾ أى هؤلاء الذين أنت بين أظهرهم
 تعاملهم باللين في القول والقليل والصفح الجميل امثالاً لأمرونا تعظيماً
 لقدرك فاستهانوا بك : ﴿نحن جميع﴾ أى جمع واحد مبالغ في اجتماعه
 ٢٠ فهو في الغاية من الضم فلا افتراق له ﴿منتصره﴾ أى على كل من

يناويه لأنهم على قلب رجل واحد، فالأفراد للفظ «جميع»، وإفهام هذا المعنى، أو أن كل واحد محكوم له بالانتصار.

ولما كان لسان الحال ناطقا بأنهم يقولون: هذا كله فأى الفريقين خير

مقاما وأحسن نديا وحوها. وقال بعضهم: لئن بعثنا لأوتينا مالا وولدا،

ولاشك أنهم كانوا في غاية الاستحالة لغلبة المؤمنين لهم على قلاتهم؛ ضعفهم، هـ

استأنف الجواب بقوله: ﴿سيهزم﴾ بأيسر أمر من أى هازم كان بوعد

لاخلف فيه، وقراءة الجمهور 'بالبناء للفعول مفهومة للعظمة بطريقة كلام

القادرين، فهي أبلغ من قراءة يعقوب بالنون والبناء للفاعل الدالة على العظمة

صريحا ﴿الجمع﴾ الذى تقدم أنه بولغ في جمعه فصدق الله وعده وهزموا

في يوم بدر وغيره في الدنيا عن / قريب، ولم يزالوا يضعفون حتى ١٠ / ١٣٣

اضمحل أمرهم وزال بالكلية سرهم، وهى من دلائل النبوة البينة

﴿ويولون الدبره﴾ أى يقع توليتهم كلهم بهذا الجنس بأن يكون واليا لها

من منهم مع الهزيمة لأنه لم يتولهم في حال الهزيمة نوع مسكنة يطعمون

بها في الخیار، وكل من أفراد الدبر والمتنصر وجمع المولين أبلغ مما

لو وضع غيره موضعه وأقطع للتغنت. ١٥

ولما وقع هذا في الدنيا، وكان في يوم بدر، وكان ذلك من

أعلام النبوة، وكان ربما ظن ظان أن ذلك هو النهاية، كان كأنه قيل:

ليس ذلك الموعد الأعظم: ﴿بل الساعة﴾ القيامة التى يكون فيها الجمع

الأعظم وال هول الأكبر ﴿موعدهم﴾ أى الأعظم للجزاء المتوعد به

(١) راجع نثر المرجان ١٣٢/٧ .

﴿و الساعة ادهى﴾ من كل ما يفرض وقوعه في الدنيا، أفعل تفضيل
 من الداهية و هي أمر هائل لا يهتدى لدوائه ﴿وامره﴾ لأن عذابها
 للكافر غير مفارق و مزايل . و لما أخبر عن الساعة بهذا الإخبار الهائل،
 علله مقسماً لأهلها بجملاً بعض ما لهم عند قيامها بقوله مؤكداً لما [أظهروا]
 ٥ من التكذيب: ﴿ان المجرمين﴾ أى القاطعين لما أمر الله به أن يوصل
 ﴿فى ضلل﴾ أى عمى عن القصد بتكذيبهم بالبعث محيط بهم مانع
 من الخلاص من دواهي الساعة و غيرها، و من الوصول إلى شيء من
 مقاصدهم التى هم عليها الآن معتمدون ﴿وسرء﴾ أى نيران تضطرم
 و تتقد غاية الانتقاد ﴿يوم﴾ أى فى ذلك اليوم الموعود به ﴿يسحبون﴾
 ١٠ أى فى الساعة دائماً بأيسر وجه إهانة لهم من أى صاحب كان ﴿فى النار﴾
 أى الكامة فى النارية ﴿على وجوههم﴾ لأنهم فى غاية الذل و الهوان
 جزاء بما كانوا يذلون أولياء الله تعالى، مقولاً لهم من أى قائل اتفق:
 ﴿ذوقوا﴾ أى لأنهم لامنعة لهم و لاحمية عندهم بوجه ﴿مس سقره﴾ أى
 ألم مباشرة الطبقة النارية التى تلفح بحرها فتلوح الجسم و تذيبه فيسيل ذهنه ...
 ١٥ و عصاراً كما يسيل الديدس و عصارة الرطب تسمى النخلة بذلك مسقاراً .
 و لما أخبر بقيام الساعة و ما يتفق لهم فيها جزاء لأعمالهم التى
 قدرها عليهم و هى ستر فوضوا بها لاتباع الشهوات و احتجوا على رضاه
 بها، و كان ربما ظن ظان أن تماديههم على الكفر لم يكن بارادته سبحانه،
 علل ذلك منبهاً على أن الكل فعله، و إنما نسبته إلى العباد بأمر ظاهري،
 ٢٠ تقوم عليهم بها الحجة فى مجارى عاداتهم، فقال: ﴿انا﴾ أى بما لنا من
 العظمة (٣٣) ١٣٢

العظمة (كل شيء) أى من الأشياء المخلوقة كلها صغيرها و كبيرها .
 و لما كان هذا التعميم فى الخلق أمرا أفهمه النصب ، استأنف
 قوله تفسيراً للعامل المطوى و إخباراً بجعل ذلك الخلق كله على نظام
 محكم و أمر مقدر مبهم (خلقته بقدره) أى قضاء و حكم و قياس مضبوط
 / وقسمة محدودة و قودة بالغة و تدبير محكم فى وقت معلوم و مكان هـ ١٣٤ /
 محدود مكتوب فى ذلك اللوح قبل وقوعه تقيسه الملائكة بالزمان
 و غيره من العد و جميع أنواع الأقيسة - فلا يخرم عنه مثقال ذرة
 لأنه لا منازع لنا مع ما لنا من القدرة الكاملة و العلم التام ، فهذا العذاب
 بقدرتنا و مشيئتنا فاصبروا عليه و ارضوا به كما كنتم ترضون أعمالكم
 السيئة ثم تحتجون على عبادنا بأنها بمشيئتنا بنحو "و لو شاء الله ما أشركنا" ١٠
 فقد أوصلكم إلى ما تزون و انكشف آتم انكشاف أنه لا يكون شيء
 على خلاف مرادنا ، و لا يقال لشيء قدرناه : لم ؟ قال الرازى فى اللوامع :
 الكمية ساقطة عن أفعاله كما أن الكيفية و الكمية ساقطتان عن ذاته
 و صفته - انتهى . و لا يكون شيء من أمره سبحانه إلا ما هو على غاية
 الحكمة ، و لو كان الخلق لا يعيشون بعد الموت ليقع القصاص و القياس ١٥
 العدل ليكون القياس جزافا لا بقدر و عدل ، لأن المشاهد أن الفساد فى
 هذه الدار من المكلفين من الإصلاح أضعافا مضاعفة ، و قرئ فى الشواذ
 برفع " كل " و جعله ابن جنى أقوى من النصب ، و ليس كذلك لأن
 الرفع لا يفيد ما ذكرته ، و ما حمله على ذلك إلا أنه معتزلى ، و النصب
 على [ما] قدرته قاصم لآمل الاعتزال .

ولما بين أن كل شيء بفعله ، بين يسر ذلك و سهولته عليه فقال :
 ﴿ وما امرنا ﴾ أى كل شيء أردناه وإن عظم أثره ، وعظم القدر
 وحقر المقدورات بالتأنيث فقال : ﴿ الا واحدة ﴾ أى فلة سيرة
 لا معالجة فيها وليس هناك إحداث قول لأنه قديم بل تعلق القدرة
 ٥ بالمقدور على وفق الإرادة الازلية ، ثم مثل لنا ذلك بأسرع ما يعقله
 وأخفه فقال : ﴿ كلبح بالبصره ﴾ فكما أن لمح أحدكم يبصره لا كلفة
 عليه فيه ، فكذلك الأفعال كلها ، بل أيسر من ذلك .

ولما أخبر بتمام قدرته ، وكان إهلاك من ذكر من الكفار وإنجاء
 من ذكر من الأبرار فى هذه السورة نحو ما ذكر من أمر الساعة فى
 ١٠ السهولة و السرعة ، دل على ذلك بانجاء أوليائه وإهلاك أعدائه فذكر بهم
 حلة وبما كان من أحوالهم بأيسر أمر لأن ذلك أوعظ للنفوس وأزجر
 للعقول ، فقال مقسما تنبيها على عادتهم فى الكفر مع هذا الوعظ فعل
 المكذب بهلاكهم لأجل تكذيبهم عاطفا على ما تقديره : ولقد أنجينا
 رسلنا وأشياعهم من كل شيء خطر : ﴿ ولقد اهلكنا ﴾ أى بما لنا من
 ١٥ العظمة ﴿ اشياعكم ﴾ الذين أتمم وهم شرع واحد فى التكذيب ، والقدرة
 عليكم كالقدرة عليهم ، فاحذروا أن يصيبكم ما أصابهم ، فلذلك سبب
 عنه قوله : ﴿ فهل من مدكره ﴾ أى بما وقع لهم أنه مثل من مضى بل
 أضعاف ... ، و أن قدرته سبحانه عليه كقدرته / عليهم ليرجع عن غيه
 ١٣٥ / خوفا من سطوته سبحانه .

٢٠ ولما تمت الدلالة على إحاطة القدرة بما شهود من الأفعال الهائلة

التي لاتسعها قدرة غيره سبحانه ، وكانوا يظنون أن أحواله غير مضبوطة
لأنه لايمكن ضبطها ولا يسعها علم عالم ولا سيما إذا ادعى أنه واحد ،
شرع في إتمام الإخبار بعظمة القدرة بالإخبار بأن أفعالهم كلها مكتوبة
فضلا عن كونها محفوظة فقال : (وكل شيء فعلوه) أى الاشياء فى
أى وقت كان ، كأن بالكتابة (فى الزبره) أى كتب الحفظه فليحذروا هـ
من أفعالهم فانها غير منسية ، هذا ما أطبق عليه القراء مما أدى إلى هذا
المعنى من رفع كل ، لأنه لو نصب لأوهم تعلق الجار بالفعل فيوم أنهم
فعلوا فى الزبر كل شيء من الأشياء وهو فاسد .

ولما خصهم ، عم بقوله واعظا و مخوفا و محذرا بأن كل شيء
محفوظ فمكتوب فمعرض على الإنسان يوم الجمع : (وكل صغير وكبير) ١٠
من الجواهر والمعاني منهم ومن غيرهم (مستطره) أى مكتوب على
وجه عظيم من اجتهاد الحفظه فى كتابته و تحريره مع سر ذلك
و سهولته .

ولما أخبر عن أحوال الكفرة فى الدنيا والآخرة واعظا بها
وإعلاما بعظمته وعلى صفاته وسعة مملكته وشامل علمه وقدرته ، ختم ١٥
بأحوال القسم الآخر من أهل الساعة وهم أهل طاعته تتميا لذلك وإشارة
وبشارة للسالك فى أحسن المسالك ، فقال مؤكدا ردا على المنكر :
(ان المتقين) أى العريقين فى وصف الخوف من الله تعالى الذى
أدام إلى أن لايفعلوا شيئا إلا بدليل . ولما كان من البساتين والمياه
ما هو ظاهر بكل مراد على عكس ما عليه الضال البعيد عن القصد ٢٠

الواقع في الهلاك والنار [قال]: ﴿ في جنت ﴾ أى في بساتين ذات أشجار
تسر داخلها، قال القشيري: و الجمع إذا قوبل بالجمع فالأحاد تقابل الأحاد.
ولما كانت الجنان لا تقوم و تدوم إلا بالماء قال: ﴿ ونهر ﴾ و أفرد
لأن التعبير بـ « في » مفهم لعمومهم به عموم ما كأنه ظرف و هم مظلوفون
له، و لكثرة الأنهار و عظمها حتى أنها لقرب بعضها من بعض و اتصال
منابعها و تهيه جميع الأرض لجرى الأنهار منها كأنها شيء واحد، و ما
وعد به المتقون من النعيم في تلك الدار فرقا تقة معجلة لهم في هذه الدار، فلهم
اليوم جنات العلوم و انهار المعارف، و في الآخرة الأنهار الجارية و الرياض
و الأشجار و القصور و الزخارف، و هو يصلح مع ذلك لأن يكون عما
١٠ منه النهار فيكون المعنى: أنهم في ضياء و سعة لا يزايلونه أصلا بضد
ما عليه المحرم من العمى الناشئ عن الظلام، [و] لمثل هذه الأغراض أفرد
مع إرادة الجنس لا للفاصلة فقط .

و لما كانت البساتين لا تسكن / في الدنيا لأنه ليس فيها جميع ما / ١٣٦

يحتاجه الإنسان، بين أن حال تلك غير حال هذه، فقال مبدلا عما
١٥ قبله: ﴿ في مقعد ﴾ أى تلك الجنان محل إقامتهم التي تراد للعود
﴿ صدق ﴾ أى فيما أراده الإنسان صدق وجوده الإرادة و لا يقعد
فيه إلا أهل الصدق، و لا يكون فيه إلا صدقه، لا لغو فيه و لا تأثيم،
و التوحيد لإرادة الجنس مع أن الإبدال يفهم أنه لا موضع في تلك
الجنان إلا و هو الصالح للتسمية بهذا الاسم و لأنهم لاتحاد قلوبهم و رضاهم

(١) في الأصل: ما .

كانهم في قعد واحد على أنه قرئ بالجمع .

- ولما كان هذا غير معهود ، بين أن سبه تمكين الله لهم منه
 لاختصاصه لهم و تقربه إليهم لإرضائهم ، فقال مقيدا لذلك بالتعبير بالعندية
 لأن عنديته سبحانه تعالى منزلة عن قرب الأجسام والجهات : (عند ملك)
 أى ملك تام الملك (مقتدر) أى شامل القدرة بالغها إلى حد لا يمكن
 إدراكه لغيره سبحانه كما تقدم قريبا ، فهو يوصلهم إلى كل خير ويدفع
 عنهم كل ضير ، و كما أن لهم في الآخرة عندية الإشهاد ، فلهم في الدنيا
 عندية الإمداد ، ولهذا الاسم الشريف سر في الاتصاف على الظالمين ، ولقد
 ختمت السورة كما ترى كما ابتدئت به من أمر الساعة ، وكانت البداية
 للبداية والنهاية للنهاية ، وزادت النهاية بيان السبب الموجد لها ، وهو ١٠
 قدرته سبحانه وعز شأنه وعظمت رحمته وإحسانه ، وعفوه ومغفرته
 ورضوانه ، ولتصنيف الناس فيها إلى كافر مستحق للانتقام ، ومؤمن
 مؤهل لغاية الإكرام ، لم يذكر الاسم الأعظم الجامع الذى يذكر في سياق
 مقتضى جمع الجلال والإكرام لصنف واحد وهو من يقع منه الإيمان
 و [لا] يتدنس بالعصيان ، وهم الذين آمنوا ، ولمشاركتها للسورتين اللتين بعدها ١٥
 في هذا الغرض ، وهو الكلام في حق الصنفين فقط من غير ذكر عارض
 من آمن . أشرك الثلاثة في الخلو عن ذكر الاسم الأعظم ، فلم يذكر
 في واحدة منها وجاء فيها من الصفات ما يقتضى العظمة على أهل
 الكفران ، وما ينبىء عن الإكرام والإحسان لأهل الإيمان ” ولئن خاف
 مقام ربه جتان “ ولهذا ختمت هذه بصفة الملك المقتضى للسطوة التامة ٢٠

والإكرام البالغ وعدم المبالاة بأحد كائنا من كان، لأن الملك من حيث هو ملك إنما يقتضى مقامه إهانة العدو وإكرام الولي، وجعل ذلك على وجه المبالغة أيضا، كل ذلك للاعلام بأن تصريفه سبحانه لأحوال الآخرة كما قصد في هذه السورة من تصريفه في أحوال الدنيا ه من إهلاك الأعداء وإنجاء الأولياء. وكأن هذه السورة كانت هكذا لأنها جاءت عقب النجم التي شرح فيها الإسراء وكان للنبي صلى الله عليه وسلم من العظمة بخرق العوائد باختراق السماوات، والوصول إلى أنهي الغاية / ١٣٧ من المناجاة، وغيرها من سر الملكوت ومحل الجبروت، بعد أن لوح بمقامه عليه الصلاة والسلام بالطور ليعلم الفرق ويوصف كل بما هو ١٠ الحق، فكان ذلك مقتضيا لثلا يكون بعده من الناس إلا مؤمن خالص، فإن كان غيره فهو معاند شديد الكفر، وكأنها جعلت^١ ثلاثا لإرادة غاية التأكيد لهذا المعنى الشديد، فلما انقضت الثلاث كان متبركا به في معظم آيات الحديد ثم توجت كل آية من آيات المجادلة به إشارة إلى أنه قد حصل غاية التشوف إليه وترهيا لمن يعصى ولاسيما من يظاهر، ١٥ وترغيبا في الطاعة للملك الغافر، والله الموفق^٢ لما يريد إنه قوى فعال لما يريد^٣.

* * * * *

(١) في الأصل : انتهى (٢) ومن هنا تستأنف نسخة ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقین من ظ .

سورة الرحمن ' عز وجل و تسمى عروس القرآن '

مقصودها الدلالة على ما ختمت به سورة " القمر من عظيم الملك و تمام الاقدار بعموم رحمته و سبقها لفضله ، المدلول عليه بكال عليه ، اللازم عنه شمول قدرته ، المدلول عليه بتفصيل عجائب مخلوقاته و بدائع مصنوعات في أسلوب التذكير بنعماته . و الامتتان بحزب آلائه ، على وجه ه متج للعلم باحاطته بجميع اوصاف الكمال ، فقصودها ' بالذات إثبات الاتصاف بعموم الرحمة رغبة في إنعامه و إحسانه ، و ترهيا من انتقامه بقطع مزيد امتنانه . و على ذلك دل اسمها الرحمن لانه العام الامتتان و اسمها عروس القرآن واضح البيان في ذلك ، لانها الحاوية لما فيه من حل و حلل ، و جواهر وكلل . و العروس بجميع النعم و الجمال ، و البهجة ١٠ من نوعها و الكمال (بسم الله) الذي ظهرت إحاطة كماله بما ظهر من عجائب مخلوقاته (الرحمن) الذي ظهر عموم رحمته بما بهر من بدائع مصنوعات و اشتهر من عظيم آياته و بيناته (الرحيم ه) الذي ظهر اختصاصه لاهل طاعته بما تحققوا به من الذل المفيد للعز بلزوم عباداته .

لا خم سبحانه القمر بعظيم الملك و ببلغ القدرة ، و كان الملك ١٥ القادر لا يكمل ملكه إلا بالرحمة ، و كانت رحمته لاتم إلا بعمومها ، قصر

- (١) الخامسة و الخمسون من سور القرآن الكريم ، مدنية ، و عدد آياتها (٧٨) عند الكوفيين و الشامي و (٧٧) عند المدنيين و المكي (٧٦) عند البصريين كما في نثر المرحان ١٣٦/٧ (٢-٢) سقط ما بين الرمين من ظ (٣) سقط من ظ . (٤) من ظ . و في الاصل . فالفقود .

هذه السورة على تعداد نعمه على خلقه في الدارين، وذلك من آثار الملك، وفصل فيها ما أجمل في آخر القمر من مقر^٢ الأولياء والأعداء في الآخرة، وصدرها بالاسم الدال على عموم الرحمة براءة الاستهلال، وموازنة لما حصل بالملك والاقدار من غاية التبرك والظهور والهيبة ٥ والرعب باسم هو مع أنه في غاية الغيب دال على أعظم الرجاء مفتحا لها بأعظم النعم وهو تعليم الذكر الذي هز ذوى الهمم العالية في القمر إلى الإقبال عليه بقوله "ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر" لأنه لما كان للعظمة الدالة^٢ عليها نون / "يسرنا" التي هي عماد الملك / ١٣٨

نظران: نظر الكبرياء والجبروت يقتضى ان يتكلم بما يعجز خلقه من ١٠ كل جهة في الفهم والحفظ والإتيان بمثله وكل معنى من معانيه، ونظر الإكرام والرحمة، وكانت رحمته سابقة لغضبه نظر بها لخلقها لاسيما هذه الأمة المرحومة فيسر لها الذكر تحقيقا للرحمة بعد أن أبقي من آثار الجبروت الإعجاز عن النظر، ومن الإعجاز عن الفهم الحروف المقطعة أوائل السور، ومنع امتنع من أن يقول: إنه لامعاني لها بأن فهم [بعض-^١] ١٥ الأصفياء بعض اسرارها، فقال جوابا لمن كأنه قال: من هذا الملك المقتدر. فقيل: (الرحمن لا) أى العام الرحمة، قال ابن رجان: وهو ظاهر اسمه الله، وباطن اسمه الرب، جعل هذه الأسماء الثلاثة في ظهورها

(١) من ظ، وفي الأصل: في (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، وفي الأصل: الدال (٤) من ظ، وفي الأصل: الایجاز (٥) من ظ، وفي الأصل: يكون (٦) زيد من ظ .

مقام الذات يخبر بها عنه و حجابا بينه و بين خلقه ، يوصل بها الخطاب منه إليهم ، ثم أسماؤه الظاهرة مينة لهذه الاسماء الثلاثة - انتهى .

و من مقتضى اسمه " الرحمن " اثبت جميع النعم ، ولذا ذكر في

هذه السورة أمهات النعم في الدارين .

و لما كان لا شيء من الرحمة أبلغ و لا أدل على القدرة من إيصال ٥

بعض صفات الخالق إلى المخلوق نوع إيصال ليتخلقوا به بحسب ما يمكنهم

منه فيحصلوا على الحياة الأبدية و السعادة السرمدية قال : (علم القرآن ١)

أى المرتى المشهود بالكتابة و المتلو المسموع - ٢ [الجامع لكل خير ،

الفارق بين كل لبس ، و كان القياس [يقتضى - ٢] أن لا يعلم المسموع

أحد لأنه صفة من صفاته ، و صفاته في العظم كذاته ، وذاته غيب ١٥

محض ، لأن الخلق أحقر من أن يحيطوا به علما ، و أين الثريا من يد

المتناول ، فل تعليمه القرآن على أنه يقدر أن يعلم ما أراد من أراد

" و علم آدم الاسماء كلها " و لا يخفى ما فى تقديمه على جميع النعم من

المناسبة لأن [أجل النعم - ٢] نعمة الدين التى تتبعها نعمة الدنيا

و الآخرة ، وهو أعلى مراتب ، فهو سنام الكتب الساهوية و عمادها ١٥

و مصداقها و العبار عليها ، وفائدتها الإيصال إلى مقعد الصدق المتقدم

لأنه بين ما يرضى الله ليعمل به و ما يسخطه ليجنب .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : من المعلوم أن الكتاب العزيز

(١) فى ظ : بسبب (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : قائده .

(٤) من ظ ، وفى الأصل : معدم .

وإن [كانت - ١] آية كلها معجزة باهرة و سورة في جليل النظم
و بديع التأليف قاطعة بالخصوم قاهرة ، فبعضها أوضح من بعض في
تبين إعجازها ، و تظاهر بلافتها و إعجازها ، ألا ترى إلى تسارع الأفهام إلى
الحصول على بلاغة آيات و سور من أول وهلة دون كبير تأمل كقوله
ه تعالى ” [و - ١] قيل يا ارض ابلعي ماءك و يا سماء اقلعي “ و قوله
” فاصدع بما تؤمر و اعرض عن المشركين “ الآيات ، لا يتوقف في باهر
إعجازها إلا من طبع الله على قلبه أو سد دونه باب الفهم فأنى له رلوجه
وقوعه ، و سورة القمر من هذا النمط / ، ألا ترى اختصار القصص فيه
مع حصول أطرافها و توفية أغراضها ، و ما جرى مع كل قصة من
١٠ الزجر و الوعظ و التنبيه و الإعذار ، و لولا أن لم أقصد التعليق بما بينته
عليه من ترتيب السور لأوضحت ما أشرت إليه مما لم أسبق إليه ، و لعل
الله سبحانه ييسر ذلك فيما باليد من التفسير نفع الله به و يسر فيه ، فلما
انطوت هذه السورة على ما ذكرنا و بان فيها عظيم الرحمة في تكرار
القصص و شفع العظائم ، و ظهرت حجة الله على الخلق ، و كان ذلك
١٥ من أعظم أطافه تعالى لمن يسره لتدبر القرآن و وفقه لفهمه و اعتباره ،
أردف ذلك سبحانه بالتنبيه على هذه النعمة فقال تبارك و تعالى ” الرحمن
علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان “ و خص من أسمائه الحسنی هذا
الاسم لإشعارا برحمته بالكتاب و عظيم إحسانه به ” و ان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها “ ثم قد تمهد أن سورة القمر إعذار و من أين للعباد بحمیل

(١) زيد من ظ (٢) في ظ : عظام (٣) في ظ : الكتاب .

هذا اللطف و عظيم هذا الحلم حتى يرادوا إلى بسط الدلالات و إيضاح
 الينيات إن تعذر إليهم زيادة في البلاغ، فأبأ تعالى أن هذا رحمه فقال
 ”الرحمن علم القرآن“ ثم إذا تأملت سورة القمر وجدت خطابها
 و إعذارها خاصا ببنى آدم بل بمشركى العرب منهم فقط، فاتبعت سورة
 القمر بسورة الرحمن تنبيها للتقلين و إعذارا إليهم و تقريراً للجنسين على ٥
 ما أودع سبحانه في العالم من العجائب و البراهين الساطعة فتكرر فيها
 التقرير و التنبيه بقوله تعالى ” فبأى آلاء ربكما تكذبان “ خطاباً للجنسين
 و إعذاراً للتقلين فإن اتصالها بسورة القمر أشد البيان - انتهى .

و لما كان كآته قيل : كيف [عليه - '] و هو صفة من صفاته
 و لمن عليه ، قال مستأنفاً أو معللاً : ﴿ خلق الانسان لا ﴾ أى قدره و أوجده ١٠
 على هذا الشكل المعروف و التركيب الموصوف منفصلاً عن جميع الجمادات
 و أصله منها ثم^٢ عن سائر الناميات^٣ ثم عن غيره من الحيوانات ،
 و جعله أصنافاً ، و فصل بين كل قوم بلسانهم عن عداهم و خلقه لهم
 دليل على خلقه لكل شيء موجود ” انا كل شيء خلقته بقدر “ و الإنسان
 و إن كان اسم جنس لكن أحقهم بالإرادة بهذا أولهم و هو آدم عليه ١٥
 السلام ، و إرادته - كما قال ابن عباس رضى الله عنهما - لا تمنع إرادة
 الجنس من حيث هو .

(١) من ظ ، و فى الأصل : العام (٢) زيد من ظ (٣ - ٢) من ظ ، و فى
 الأصل : فيها ، مع يسير من البياض (٤) من ظ ، و فى الأصل : المناسبات .
 (٥) من ظ ، و فى الأصل : خلقهم .

ولما كان كأنه قيل : فكان ما ذا بخلقه له ، قال : (عليه البيان هـ)
 وهو القوة الناطقة ، وهى الإدراك للأمور الكلية والجزئية والحكم
 على الحاضر والغائب بقياسه على الحاضر تارة بالتوسم^٢ وأخرى بالحساب
 و مرة بالعيافة والزجر وطورا بالنظر فى الآفاق وغير ذلك من الأمور
 هـ مع التمييز بين الحسن والقبيح وغير ذلك مما أودعه سبحانه
 وتعالى له مع تعبيره عما أدركه بما هو غائب فى ضميره وإفهامه للغير
 / تارة بالقول وتارة بالفعل نطقا وكتابة وإشارة وغيرها ، فصار بذلك
 ذا قدرة على الكمال فى نفسه والتكامل لغيره ، فهذا تعليم البيان الذى
 مكن من تعليم القرآن ، وهذا وإن كان سبحانه جلنا عليه وخلقنا به
 ١٠ قد صار عندنا مألوفا ومشهورا معروفا ، فهو عند غيرنا على غير ذلك
 ٢ مما أروضه لنا^٣ سبحانه نعمة علينا بمحاجته للملائكته الكرام عن نينا
 آدم عليه الصلاة والسلام وما أبدى لهم من علمه وبهرم من رسم
 كل شئ بمعناه واسمه .

/ ١٤٠

ولما بين سبحانه النعمة فى تعليم القرآن الذى هو حياة الأرواح ،
 ١٥ و بين الطريق فيها ، دل على البيان بذكر البيانات التى يجمعها أمر ويفرقها
 آخر ، ولها مدخل فى حياة الأشباح ، وعددها على سبيل الامتنان بيانا
 لأنها من اكبر النعم فقال فى جواب من قال : ما يباهى^٤ بادئا بالكوكب
 الأعظم الذى هو أعظم نورا وأكبر جرما وأعم نفعا ليكون خضوعه

(١) من ظ ، وفى الأصل : من خلقه (٢) من ظ ، وفى الأصل : بالنوم .
 (٣-٢) من ظ ، وفى الأصل : كما أوضحته (٤) من ظ ، وفى الأصل : عدد .

لقبول الآثار أدل على خضوع غيره بيانا لحكمته في تديره وقوته في تقديره: (الشمس) وهي آية النهار (والقمر) وهو آية الليل اللذان كان بهما البيان الإبراهيمي، وأله بدأ لهذه الأمة بغاية بيانه عليه الصلاة والسلام تشريفا لها بالإشارة إلى علو أفهامها (بحسبان م) أي جريهما، يجري كل منهما - مع اشتراكهما في أنهما كوكبان سماويان^٥ - بحساب عظيم جدا لا تكاد توصف جلالة في دقته وكثرة سمته وعظم ما يتفرع عليه من^٦ المنافع الدينية والدنيوية، ومن عظم هذا الحساب الذي أفادته صيغة الفعلان أنه على نهج واحد لا يتعداه، تعلم به الأعوام والشهور والأيام والساعات والدقائق والفصول في منازل معلومة، ويعرف موضع كل منهما في الآفاق العلوية وما يحدث له وما يتأثر^٧ عنه في الكوائن السفلية بحيث أن به انتظام غالب الأمور السفلية إلى غير ذلك من الأمور التي خلقهما الله عليها ولها، وبين الإنسان وبين كل منهما من المسافات ما لا يعلمه على التحرر إلا العليم الخبير، وهذا على تطاول الأيام والدهور لا يحتل ذرة دلالة على أن صانع قیوم لا يغفل، ثم بعد هذا الحساب المستجد والحساب الأعظم الذي قدر^٨ لتكوير الشمس وانكدار القمر دلالة على أنه فاعل بالاختيار مع ما أفاد ذلك من تعاقب الملوك تارة بالاعتدال وتارة بالزيادة وأخرى بالنقص، وغير ذلك من الأمور في لطائف المقدور.

(١) من ظ، وفي الأصل: اللذين (٢) من ظ، وفي الأصل: نعيان (٣) من ظ، وفي الأصل: بمن (٤) في ظ: عظمة (٥) من ظ، وفي الأصل: خلقها.

ولما كان سيرهما على هذا المنهاج مع ما لهما فيه من الدؤب فيه
 بالتغير والتنقل طاعة منهما^١ لمديرهما ومبدعهما ومسيرهما ، وكان
 خضوعهما - وهما النيران الأعظمان - دالا على خضوع ما دونهما من
 الكواكب بطريق الأولى ، كان ذكرهما مغنيا عن ذكر ما عداهما بخصوصه ،
 ٥ فأتبعهما حضور ما هو للأرض كالكواكب للسماء في الزيتة والنفع والضرر
 / ١٤١ / والصغر والكبر / والكثرة والقلة من النبات مقدما صفاره لعموم
 نفعه وعظيم^٢ وقعه بأن منه أكثر الأقوات لجميع الحيوان والملا بس
 من القطن والكتان وغير ذلك من عجيب^٣ الشأن ، معبرا بما يصلح لبقية
 الكواكب فقال : (والنجم) أى وجميع الكواكب السماوية وكل
 ١٠ نبت ارتفع من الأرض ولاساق له من النباتات الأرضية التي هي
 أصل قوام الإنسان وسائر الحيوان (والشجر) وكل ما له ساق
 ويتفكه به أو يقات (يسجدن^٤) أى يخضعان ويتقادان لما يراد منهما
 ويذلان للارتفاع بهما انقياد الساجد من العقلاء لما أمر به بحريهما لما
 سخر^٥ له وطاعتها لما قدر^٦ فيه من غير إياه على تجديد الأوقات من
 ١٥ نمو [فى - ١] النبات وقوف و اخضرار و يبس وإثمار وعطل ،
 لا يقدر النجم أن يعاود إلى رتبة الشجر ولا الشجر أن يسفل إلى وهدة
 النجم إلى غير ذلك مما صرفنا فيه من سجود الظلال ودوران الجبال^٧
 (١) من ظ ، وفى الأصل : منه (٢ - ٢) من ظ ، وفى الأصل : عموم دفعه .
 (٣) فى ظ : عظم (٤) فى ظ : فيما (٥ - ٥) من ظ ، وفى الأصل : قدره .
 (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : الخلال .

و المثال بما يدل على وحدانية الصانع و فعله بالاختيار ، و نفي الطباع ،
و من تسيير في الكواكب و تدوير في المنافع في الحر و البرد اللذين جعل
سبحانه بهما الاعتدال في النبات من الفواكه و الأقوات ، و غير ذلك
من وجود الانتفاعات .

و لما كان تغير ما تقدم من الشمس و القمر و النجم و الشجر يدل ٥
دلالة واضحة على أنه سبحانه هو المؤثر فيه ، و كانت السماء و الأرض
ثابتين على حالة واحدة ، فكان ربما أشكل أمرهما كما ضل فيهما خلق
من أهل الوحدة أهل ' الجود و الاعتزاز و الوقوف مع الشاهد و غيرهم ،
و كان إذا ثبت أنه تعالى المؤثر فيهما ، فلذلك قال مستندا للتأثير
فيهما إليه بعد أن أغرى ما قبلهما من مثله لما أغنى عنه من الدلالة ١٥
بالتغير و السير و التنقل عطفاً على ما تقديره : و هو الذي دبر ذلك :
(و السماء رفعها) أى حسا بعد أن كانت ملتصقة بالأرض ففتتها منها
و أعلاها عنها بما يشهد لذلك من العقل عند كل من له تأمل في أن
كل جسم ثقيل مرفعه عما تحته إلا رافع ، و لا رافع لهذه إلا الله فانه
لا يقدر على التأثير غيره ، و لعظمها قدمها على الفعل تنبيها على التفكير فيما ١٥
فيها من جلالة الصنائع^٢ و أنواع البدائع ، و معنى بأنه جعلها منشأ أحكامه
و مصدر قضاياه و منزل^٣ أوامره و نواهيهِ و مسكن ملائكته الذين
يهبطون بالوحي على أنبيائه .

و لما كانت السماء مع علوها الدال على عزة موجدتها و مدبرها

(١) من ظ ، و في الأصل : هو (٢) من ظ ، و في الأصل : مشترك .

دالة على عدله باعتدال جميع أحوالها من الحر والبرد والمطر
والثلج [والتدى -^١] والطل وغير ذلك في أن كل فصل منها معادل
لضده وأنها^٢ لا ينزلها سبحانه إلا بقدر معلوم، وإلا لفست
الأرض [كلها -^٣]، ودلنا على أنه شرع لنا مثل ذلك العدل لتقوم
١٤٢ / ٥ أحوالنا وتصلح أقوالنا وأفعالنا بما قامت به السموات والأرض / فقال:
(ووضع الميزان لا) أى العدل الذى دبر به الخافقين من الموازنة وهى
المعادلة لتنظم أمورنا .

ولما ذكر أولا القرآن الذى هو ميزان المعلومات، ودل على رحانيته
بأنواع من البيان، الذى رقى به الإنسان فصار أهلا للفهم، وذكره نعمة
١٠ الميزان للحسوسات، أقبل بالخطاب عليه لافتاله عن أسلوب الغيبة تنشيطا له
إلى ارتقاء مراتب الكمال بحسن الامثال معللا فقال: (ان) أى [لأن -^١]
(لا تظنوا) أى لا تتجاوزوا الحدود (فى الميزان) أى الأشياء الموزونة
من الموزونات المعروفة والعلم والعمل المقدر أحدهما بالآخر، وفى
مساواة الظاهر والباطن والقول والفعل، فالميزان الثانى عام لميزان
١٥ المعلومات و ميزان المحسوسات .

ولما كان التقدير: فاقصدوا بأفعالى ونخلقوا بكل ما أمر به من أقوالى،
عطف عليه قوله: (واقيموا الوزن) أى جميع الأفعال التى يقاس
لها الأشياء (بالقسط) .

ولما كان المراد العدل العظيم، بينه بالتأكيد بعد الأمر بالنهاى عن

(١) زيد من ظ (٢-٢) من ظ، وفى الأصل: لضدها وانه .

الضد فقال: ﴿ ولا تخسروا الميزان ﴾ أى توقعوا فى شيء من آلة العدل التى يقدر بها الأشياء من الذرع والوزن والعدل والكيل ونحوه - نوعا من أنواع الخسر - بما دل عليه تجريد الفعل فتخسروا ميزان أعمالكم و جزائكم يوم القيامة ، وقد علم بتكرير الميزان ما^١ أريد من التأكيد فى الأمر به لما له من الضخامة سواء كان بمعنى واحد أو بمعان مختلفة . هـ

ولما ذكر إنعامه الدال على اقتداره برفع السماء ، ذكر^٢ على ذلك^٣ الوجه مقابلها بعد أن وسط بينهما ما قامتا به من العدل تنبيها على شدة^٤ العناية والاهتمام به فقال: ﴿ والارض ﴾ أى وضع الارض : ثم فسر ناصبها ليكون كالمذكور^٥ مرتين إشارة إلى عظيم تدبيره لشدة ما فيه من الحكم فقال: ﴿ وضعها ﴾ أى دحاها وبسطها على الماء ﴿ للانام^٦ ﴾ ١٠

أى كل من فيه قابلية النوم أو قابلية الونيم وهو الصوت بعد أن وضع لهم الميزان الذى لا تقوم الارض إلا به .

ولما كان فى سياق بيان^٧ الرحمة بمزيد الإنعام ، وكانت إقامة البيئة أعظم نعمة ، وكانت الفواكه الذى ما يكون ، وكانت برقتها وشدة لطافتها منافية للأرض فى يبسها وكثافتها ، فكان كونها فيها عجبا دالا على عظيم قدرته ، وكان ذكرها يدل على ما تقدمها من النعم من جميع الأقوات ،

(١) من ظ ، وفى الأصل : من (٢ - ٢) من ظ ، وفى الأصل : ذلك على .
 (٢) من ظ ، وفى الأصل : الشدة (٤) فى ظ : المذكور (٥) من ظ ، وفى الأصل : د و (٦ - ٦) من ظ ، وفى الأصل : بيان سياق .

بدأ بها ليصير^١ ما يتقدمها كالمذكور مرتين، فقال مستأنفا وصفها بما هو أعم: ﴿فيها فاكهة﴾ أي ضروب منها عظيمة جدا يدرك الإنسان بما له من البيان تباينها^٢ في الصور والألوان، والطعوم والمنافع - وغير ذلك من بديع الشأن.

٥ ولما كان المراد بتكبيرها^٣ تعظيمها، نبه عليه بتعريف نوع منها، ونوه به لأن فيه مع التفكه التقوت، وهو أكثر ثمار العرب المقصودين بهذا الذكر بالقصد الأول فقال: ﴿والنخل﴾ ودل على تمام القدرة بقوله: ﴿ذات﴾ أي صاحبة / ﴿الأكام﴾ أي أوعية ثمرها، وهو الطلع قبل أن يفتق بالثر، وكل نبت يخرج ما هو مكتم فهو ذو كأم،
١٠ ولكنه مشهور في النخل لشرفه وشهرته عندهم، قال البغوي^٤: وكل ما ستر شيئا فهو كم وككة، ومنه كم القميص، وفيه تذكير بثمر الجنة الذي يفتق عن نباهم، وذكر أصل النخل دون ثمره للتنبيه على كثرة منافعه من الليف والسعف والجريد والجذوع وغيرها من المنافع التي الثمر منها.

١٥ ولما ذكر ما يقتات من الفواكه وهو في غاية الطول، أتبعه الأصل في الاقبات للناس والبهائم وهو بمكان من القصر^٥، فقال ذاكرًا ثمرته لأنها المقصودة بالذات: ﴿والحب﴾ أي من الحنطة وغيرها، ونبه على

(١) من ظ، وفي الأصل: البصير (٢) في ظ: شأنها (٣) من ظ، وفي الأصل: بانكارها (٤) راجع العالم بهامش الباب ٧ / ٣ (٥) من ظ، وفي الأصل: الفضة (٦) زيد في الأصل: عنه، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها.

تمام القدرة بعد تنبيهه بتمايز هذه المذكورات مع أن أصل السكل الماء بقوله : ﴿ ذو العصف ﴾ أى الورق و البقل الذى إذا زال عنه ثقل الحب كان عما تعصفه الرياح التى تطيره ، و هو الثبن الذى هو من قوت البهائم . و لما كان الريحان يطلق على كل نبت [طيب الرائحة خصوصا ، و على كل نبت - '] عموما ، أتبعه به ليعم و يخص جميع ما ذكر من سائر النباتات و غيره على وجه مذكر بنعمه بغذاء الأرواح بعد ما ذكر غذاء الأشباح فقال : ﴿ والريحان ﴾ و لما كان من كفر به سبحانه بإنكاره أو إنكار شيء من صفاته ، أو كذب بأحد من رسله قد أنكر نعمه أو نعمة منها فلزمه 'بانكاره لتلك' النعمة إنكار جميع النعم ، لأن الرسل داعية إلى الله بالتذكير بنعمه ، و كان ما مضى من هذه السورة إلى هنا اثنتى عشرة آية ١٠ على عدد الكوفى و الشامى ، عدد فيها أصول نعمه سبحانه على وجه دل بفاية البيان على أن له كل كمال ، و كان هذا العدد أول عدد زائد إشارة إلى تزايد النعم لأن كسوره النصف و الثلث و الربع و السدس تزيد على أصله ، و كان قد مضى ذكر الثقلين الجن و الإنس فى قوله " الانام " قال تعالى إشارة إلى أنهم المقصودون بالوعظ ، منكرنا موجبا مبكتا لمن ١٥ أنكر شيئا من نعمه أو قال قولاً أو فعل فعلاً يلزم منه إنكار شيء منها مسيئاً عما مضى من تعداد هذه النعم المتزايدة التى لا يسوغ إنكارها و لا إنكار شيء منها فيجب شكرها : ﴿ فبأى آلاء ﴾ أى نعم و عطايا ﴿ ربك ﴾ أى المحسن إليك بما أسدى من المزايا التى أسداها إليك على (١) زيد من ظ (٢-٣) من ظ ، و فى الأصل : لانكار تلك .

وجه الكبرياء والعظمة وهي دائمة لاتنقطع من غير [حاجة إلى -']
مكافأة أحد ولا غيرها - أيها الثقلان - المدبر لكما الذي لامدبر ولا سيد
لكما غيره، من آياته وصنائه وحكمه وحكمته وعزته في خلقه واستسلام
الكل له وخضوعهما إليه، فان كل هذه النعم الكبار آيات دالة عليه
و صنائع محكمة وأحكام وحكم ظهرت بها عزته وبانت بها قدرته
(تكذبون) فخاطبته بهذا الثقلين دليل على أن هذه الأشياء نعم على
الجن كما أنها نعم على الإنس، وأن لهم من ذلك ما لهم، وذكره
لهذه الآية بعد ذكر هذا العدد من الآيات إشارة إلى أن زيادة النعم
إلى حد لا يحصى بحيث ان استيفاء عددها لا تحيط به / عقول المكلفين

/ ١٤٤

١٠. لتلايظنوا أنه لانهمة غير ما ذكر في هذه السورة، والتعبير عنها بلفظ
الآلاء من أجل أنها النعم المخصوصة بالملوك لما لها من اللعان والصف
المميز لها [من] غيرها ولما لرؤيتها من الخير والدعاء، وهي وإن كانت
من الوا فيمكن أخذها من اللؤواء إلى أن الأصل الهمزة واللام، فاذا
انضم اليها لام أخرى أو ألف ازداد المعنى الذي كان ظهورا لأن الألف
١٥ غيب الهمزة و باطنها، واللام هي عين ما كان فلم يحصل خروج عن
ذلك المعنى، فاذا نظرت إلى الآل كان المعنى أن تلك النعم الكبار
الملوكية تظهر للعباد معرفته سبحانه وأنه يؤل إليه كل شيء أولا من
غير نزاع كما أنه كان بكل شيء، وتكل عن نظرها الابصار النوافذ
كما تكل عن رؤية الأشخاص التي يرفعها الآل لأنها تدل عليه سبحانه...

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفي الأصل: الانسان .

نعم

(٣٨)

١٥٢

نعم عظيمة وإن كانت نقما لأنه لا نعمة تدل مثل ما دل عليه سبحانه ،
وكرر هذه الآية في هذه السورة من هنا بعد كل آية إلى آخرها لما
تقدم في القمر من أن المنكر إذا تكرر إنكاره جدا بحيث أحرق الأكباد
في المجاهرة بالعناد حسن سرد ما أنكره عليه ، وكلما ذكر بفرد منه قيل
له : لم تنكره ؟ سواء أقر به حال التقرير أو استمر على العناد ، فالتكرار ه
حيثئذ يفيد التعريف بأن إنكاره تجاوز الحد ، ولتغاير النعم وتعددتها
و اختلافها حسن تكرير التوقيف عليها واحدة واحدة تنبها على جلالها ،
فإن كانت نعمة فالأمر فيها واضح ، وإن كانت قنمة [فالنعمه - ١] دفعها
أو تأخير الإيقاع بها ، ولما تقدم [من - ١] أن كل تذكير^٢ بما أفاده
الله تعالى من النعم بالحواس الخمس مضروبة في الجهات الست على أنك ١٠
إذا اعتبرت نفس الآية وجدتها مشيرة إلى ذلك ، فإن كل كلمة منها
- إلا الأخيرة في رسم من أثبت ألفها من كتبه المصاحف - خمسة أحرف
إن اعتبرت هجاء الأولين والثالثة خمسة في الرسم ستة في الهجاء والنطق ،
فهى للحواس وللجهات لأن الكل من الرب ، والكلمة الأخيرة ستة
أحرف إن اعتبرت رسمها في المصاحف التي أسقطت ألفها ، فإن في ١٥
إثباتها وحذفها اختلافا بين أئمة المصاحف ، وهى إشارة إلى الجهات
لأنها التي يملك الإنسان التصرف فيها ، أما^٢ الحواس فلا اختيار له فيها ، وإن
اعتبرت هجاءها بحسب النطق كانت سبعة أحرف إشارة إلى أن النعم
(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : مذكر تذكرا (٣) من ظ ، وفي
الأصل : او .

أكثر من أن تحصى لما تقدم من أسرار عدد السبعة وإلى أن تكذيب
المكلفين متكاثر جدا، فلذلك كان في غاية المناسبة ان تبسط هذه النعم
على عدد ضرب الحواس الخمس في الجهات الست، وذلك في الحقيقة فائدة،
فانه من المألوف المعروف والجميل الموصوف أن التكرير [عند] التكذيب
٥ يوجب التكرير عند التقرير، ويبلغ به النهاية في حسن التأثير، وزاد
العدد على مسطح الخمس في الست واحدة / إشارة إلى أن نعم الواحدة / ١٤٥
لا انقطاع لها، ولذلك فصلت إلى ثمان ذكرت أولا عقب النعم، فكانت
على عدد السبع الذي هو أول عدد تام لأنه جمع الفرد والزوج وزوج الفرد
و زوج الزوج، وزاد بواحد إشارة إلى أنه كلما انقضى دور من عدد
١٠ تام جدير لنعم أخرى فهي لا تنتهى لأن موليا له القدرة الشاملة
والعلم التام ورحمته سبقت غضبه، وفي كونها ثمانية إشارة إلى أنها سبب
إلى الجنة ذات الأبواب الثمانية إن شكرت، وفي تعقيها بسبع نارية
إشارة إلى أنها سبب للنار ذات الأبواب السبعة إن كفرت، وفي تعقيها
بها إشارة إلى أن سييئتها للنار أقرب لكونها حفت بالشهوات، وفي ذلك
١٥ إشارة إلى أن من اتقى ما توعد عليه بشكر هذه النعم وفي أبواب النار
السبعة، ثم عقبها بثمانية ذكر فيها جنة المقربين إشارة إلى أن من عمل
لما وعده كما أمره به الله نال أبواب الجنة الثمانية، وثمانية أخرى عقب جنة
أصحاب اليمين إشارة إلى مثل ذلك والله أعلم، وكان ترتيبها في غاية
الحسن، ذكرت النعم أولا استعطافا وترغيا في الشكر ثم الأهوال ترهيبا
٢٠ ودرأ للفسدة بالعصيان والكفر ثم النعم الباقية لجلب المصالح، وبدأ
بأشرفها

بأشرفها فذكر الجنة العليا لأن القلب إثر التخويف يكون أنشط وأهمم تكون أعلى والعزم يكون أشد، فحيث هذه الآية الأولى من الإحدى والثلاثين مشيرة إلى أن نعمة البصر من جهة الامام، فكأنه قيل: أنعمة البصر بما يواجهكم أو غيرها [تكذبان].

ولما كان قد تقدم في إشارة الخطاب الامتتان بخلق الإنسان، ه ثم ذكر أصول النعم عليه على وجه بديع الشأن، إلى أن ذكر 'غذاء روحه': الريحان، أتبع ذلك تفصيلا لما أجمل فقال: (خلق الانسان) أى أصل هذا النوع الذى هو من جملة الانام الذى خلقنا الريحان لهم والغالب عليه الانس بنفسه وبما ألقه.

ولما كان أغلب عناصره التراب وإن كان من العناصر الأربعة، ١٠ عبر عنه إشارة به^١ إلى مطابقة اسمه - بما فيه مما يقتضى الانس الذى حاصله الثبات^٢ على حالة واحدة - لسماء الذى أغلبه التراب لقله وثباته ما لم يحركه محرك، وعبر عن ذلك بما هو في غاية البعد عن قابلية البيان فقال: (من صلصال) أى طين يابس له صوت إذا نقر عليه (كالفخار^٣) أى كالخزف المصنوع المشوى بالنار لأنه أخذه^٢ من التراب^٢ ثم خلطه^{١٥} بالماء حتى صار طينا ثم تركه حتى صار حماء مستونا مننا، ثم صوره كما يصور الإبريق وغيره من الآواني ثم أيبسه حتى صار في غاية الصلابة فصار كالخزف الذى إذا نقر عليه صوت صوتا يعلم [منه -^٤] هل

(١-١) من ظ، وفي الأصل: روجه - كذا (٢) سقط من ظ (٣-٣) من ظ، وفي الأصل: بالتراب (٤) زيد من ظ.

فيه عيب أم لا، كما أن الآدمي بكلامه يعرف حاله وغاية أمره ومآله،
فالمذكور هنا 'غاية' / تخليقه' وهو أنسب بالرحمانية، وفي غيرها تارة
مبدأؤه وتارة إنشاؤه، فالأرض أمه والماء أبوه ممزوجين بالهواء الحامل
للجزء الذي هو من فيج جهنم، فمن التراب 'جسده ونفسه'، ومن الماء
روح وعقله، ومن النار غوايته وحدته، ومن الهواء حركته وتقلبه
في محامده ومذامه .

ولما كان الجحان الذي شمله أيضا اسم الانام مخلوقا من العناصر
الاربعة، وأغلبها في جبلته النار، قال تعالى: ﴿ وخلق الجآن ﴾ أى
هذا النوع المستتر عن العيون بخلق أيهم، وهو اسم جمع للجن . ولما
١٠ كان الجن [يطلق - ٢] على الملائكة لاستقارهم، بين أنهم لم يرادوا
به هنا فقال: ﴿ من مارج ﴾ أى شيء صاف خالص مضطرب
شديد الاضطراب جدا والاختلاط، قال البغوى^١: وهو الصافي من
لهب النار الذي لا دخان فيه، وقال القشيري، هو اللهب المختلط بشواد
النار - انتهى . ومرجت نارهم - أى اختلطت - ببرد الزمهرير . ولما
١٥ كان المارج عاما^٢ في النار وغيرها، بينه بقوله: ﴿ من نار ﴾ هى أغلب
من عناصر، فتعين المراد بذكر النار لأن الملائكة عليهم السلام من نور
لا من نار، وليس عندهم مروج ولا اضطراب، بل هم في غاية الثبات
على الطاعة فيما أمروا به، وقد عرف بهذا كل مضطرب^٣ قدره
١- ١) فى ظ: آخر تخليقة (٢ - ٢) من ظ، وفى الأصل: نفسه وجسده .
(٣) زيد من ظ (٤) راجع العالم بهامش الباب ٤/٧ (٥) من ظ، وفى
الأصل: ما (٦) من ظ، وفى الأصل: مطرب .

ثلاثا يتعدى طوره .

ولما كان خلق هذين القليلين على هذين الوجهين اللذين هما في غاية التناقض مستورا أحدهما عن الآخر مع منع كل [من - '] التسلط على الآخر إلا نادرا، إظهارا لعظيم قدرته و باهر حكمته من أعظم النعم، قال مسيبا عنه: ﴿ فبأى آلاء ربكما ﴾ أى النعم المملوكة الناشئة عن مبدعكما هـ و مربيكما و سبدكما ﴿ تكذبن هـ ﴾ أى بنعمة البصر من جهة الوراثة و غيرها من خلقكم على هذا النمط الغريب، و إيداعكم ما أودعكم^٢ من القوى، و جعلكم خلاصة مخلوقاته، و من منع أحد قبيلكم عن الآخر، و تيسيره لكم الأرزاق و المنافع، و حملكم على الحنيفة السمحة، و قدرته على إعادتكم كما قدر على ابتدائكم .

١٠

ولما ذكر سبحانه هذين الجنسيتين اللذين أحدهما ظاهر و الآخر مستتر، إرشادا إلى التأمل فيما^٢ فيها من الدلالة على كمال قدرته، فكانا محتاجين إلى ما هما فيه من المحل، و كان صلاحه بما دبر سبحانه فيه من منازل الشروق الذى هو سبب الأنوار و الظهور، و الغروب الذى هو منشأ الظلمة و الخفاء، أتبعه قوله منبها على النظر فى بديع صنعه الدال^{١٥} على توحيده: ﴿ رب ﴾ أى هو خالق و مدير ﴿ المشرقين ﴾ و مديهما على كيفية لا يقدر على شيء منها غيره ﴿ و رب المغربين ﴾ كذلك، و هذه المشارق و المغارب هى ما للشتاء من البروج، السافلة الجنوبية التى

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: ابدعكم (٣) من ظ، و فى الأصل: لا (٤) من ظ، و فى الأصل: هى .

هى سبب الامطار و الثلوج ، التى هى سبب الحياة و الظهور ، حال كون الشمس منحدره فى افاق السماء ، و ما للصيف من البروج العالية / فى جهة الشمال التى هى سبب التهشم و الافول و الشمس مصعده فى جو السماء ، و ما بينهما من الربيع الذى هو للنمو ، و الخريف الذى هو للذبول ، فهى آية الإيجاد و الإعدام ، فأول المشرق الصيف وقت استواء الليل و النهار [عند - ٢] حلول الشمس بأول البروج الشمالية صاعده و هو الكبش ، يعتدل الزمان حينئذ بقطعها الجنوبية و استقبالها الشمالية ، ثم آخر مشرقه إذا كانت الشمس فى آخر الشمالية و اول الجنوبية عند حلولها برأس الميزان يعتدل الزمان ثانيا لاستقبالها البروج الجنوبية ، ثم يحلوها بآخر القوس و رأس الجدى يكون الانتهاء فى قصر الأيام و طول الليالى لتوسطها البروج الجنوبية ، ثم يحلوها كذلك عند خروجها من برج التوأمين إلى السرطان من بروج الشمال ، و هى آخر درجات الشمس ، يكون طول الأيام و قصر الليالى ، فيختلف على هذين الفصلين الحر و البرد ، و كون الشمس فى أول برج الحمل هو بمثابة طلوعها من المشرق فى أول كل نهار ، و كونها فى الاعتدال الثانى عند استقبالها البروج الجنوبية إذا حلت برأس الميزان هو بمثابة غروبها ، ثم بكونها فى الانتهاءين فى طول الأيام حين حلولها برج السرطان هو بمنزلة استوائها فى الصيف فى كبد السماء كما أن حلولها برأس الجدى عند الانتهاء فى الشتاء [فى - ٢] قصر الأيام و طول الليالى هو بمثابة استوائها فيما يقابل

(١) م س ظ ، و فى الأصل : بحال (٢) زيد من ظ .

استوائها

استواءها في الشتاء في كبد السماء في النهار^١ - ذكر ذلك ابن برجان و قال
 بعد ذلك : سخر سبحانه لعباده جهنم - أى بواسطة الشمس - وهى أعدى
 عدو لهم ، فأخرج لها بواسطة الزرع و الزيتون و الرمان و النخيل
 و الأعناب و الجمان المعروشات و غير المعروشات و من كل الثمرات .
 و لما كان في^٢ هذا من^٣ النعم ما لا يحصى ، قال مسيا : ﴿ فبأى الآء ربك ﴾ ٥
 الذى^٤ دبر لكم^٥ هذا التدبير العظيم ﴿ تكذبون ﴾ أى بنعمة البصر من جهة
 اليمين أو غيرها من تسخير الشمس و القمر دائبين دائرين لإدارة الزمان
 و تجديد الأيام ، و عدد الشهور و الأعوام ، و اعتدال الهواء و اختلاف
 الأحوال على الوجه الملائم لمصالح الدنيا و معاشها على منهاج محفوظ
 و قانون لا يزبغ .

١٠

و لما كانت باحة البحر لجرى^٦ المراكب كساحة السماء لسير الكواكب
 مع [ما -]^٧ اقتضى ذكره من تضمن ذكر المشارق و المغرب للشتاء
 الحاصل فيه من الأمطار ما لو جرى على القياس لأفاض البحار ، فأغرقت
 البرارى و الفقار ، و علت^٨ على الأمصار و جميع الأفطار ، فقال : ﴿ مرج ﴾
 أى أرسل الرحمن ﴿ البحرين ﴾ أى الملح و العذب فجعلهما مضطربين ، ١٥
 من طبعهما الاضطراب ، حال كونهما ﴿ يلتقيان ﴾ أى يتماسان^٩ على ظهر
 الأرض بلا فصل بينهما في رؤية العين و فى باطنها ، فجعل الخلو آية دالة

(١) من ظ ، و فى الأصل : النار (٢-٢) من ظ ، و فى الأصل : فيها (٣-٣) من
 ظ ، و فى الأصل : در لا (٤) من ظ ، و فى الأصل : تجرى (٥) من ظ ،
 و فى الأصل : غلب (٦) من ظ ، و فى الأصل : يتمسان .

على مياه الجنة ، و الملح آية دالة على بعض شراب أهل النار / لا يروى
 شربه ولا يغيثه ، بل يحرق بطنه و يعيه ، أو يجرى فارس و الروم هما
 ملتقيان في البحر المحيط لكونهما خليجين منه .

٥ 'و لما كان التقاء المايين و لاسيما مع الاضطراب الدائم الاختلاط'
 فيحيل ما لاحدهما أو لكل منهما من الصفات إلى الصفات الأخرى ،
 فتشوفت النفس إلى المانع^١ من مثل ذلك في البحرين ، قال^٢ مستأقفا :
 (بينهما برزخ) أى حاجز عظيم من القدرة المجردة على الأول و تسبب
 الأرض على الثاني بمنعها مع^٣ الالتقاء من الاختلاط ، و قال ابن برجان :
 البرزخ ما ليس هو بصريح هذا و لا بصريح هذا ، فكذلك السهل
 ١٠ و الجبل بينهما برزخ يسمى الخيف ، كذلك الليل و النهار بينهما برزخ
 يسمى غشا ، كذلك بين الدنيا و الآخرة برزخ ليس من هذا و لا من
 هذا و لا هو خارج عنهما ، و كذلك الربيعان هما^٤ برزخان بين الشتاء
 و الصيف بمنزلة غبش أول النهار و غبش آخره ، جعل بين^٥ كل صنفين
 من الموجودات برزخا ليس من هذا و لا من هذا و هو منهما كالجماد
 ١٥ و النبات و الحيوان^٦ .

و لما كانت نتيجة ذلك كذلك قال : (لا يغيثن^٧) أى لا يطينان
 في هلاك الناس كما طفيا فأملكا من على الأرض أيام نوح عليه الصلاة
 (١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) في ظ : النافع (٣) من ظ ، و في
 الأصل : قال (٤) في^٨ ظ : من (٥) من ظ ، و في الأصل : هو (٦) من ظ ،
 و في الأصل : سر (٧) من ظ ، و في الأصل : الحيوانات .

والسلام ، ولا يبنى واحد منهما على الآخر بالممارسة ، ولا يتجاوزان ما حده لهما خالفهما ومديرهما لا في الظاهر ولا في الباطن ، فتى حفرت على جنب المالح وجدت الماء العذب ، وإن قربت الحفرة منه بل كلما قربت كان أحلى ، غلظتها الله سبحانه في رأى العين و حجز بينهما في رأى عين القدرة ، هذا وهما جمادان لا نطق لهما ولا إدراك ، فكيف يبنى ه بعضكم على بعض أيها المدركون العقلاء .

ولما كان هذا أمرا باهرا دالا دلالة ظاهرة على تمام قدرته لاسيما على الآخرة ، قال مسيبا عنه : (فبأي آلاء ربكما) أى الموجد لكما والمربي (تكذبن ه) أى بنعمة الإبحار من جهة اليسار أو غيره ، فهلا اعتبرتم بهذه الأصول من أنواع الموجودات فصدقتم بالآخرة لعلمكم بهذه البرازخ ١٠ أن موتكم هذه برزخ وفصل بين الدنيا والآخرة كالعشاء بين الليل والنهار ، و لو استقرأتم^١ ذلك فى آيات السماوات والأرض وجدتموه شائعا فى جميع الأكوان .

ولما ذكر المنة بالبحر ذكر النعمة بما ينبت فيه كما فعل بالبر ، فقال معبرا بالبنى للفعول لأن كلا من وجوده فيه والتسليط على إخراجه ١٥ منه خارق من غير نظر إلى مخرج معين ، والنعمة نفس الخروج ، ولذلك قرأ [غير -^٢] نافع والبصريين بالبناء^٢ للفاعل من الخروج : (يخرج منهما) أى بمخالطة العذب الملتصق من غير واسطة أو بواسطة السحاب ، فصار ذلك

(١) من ظ ، وفي الأصل : استقرأنكم (٢) زيد من مد (٣) راجع نثر المرجان ١٤٤/٧ .

كالذكر والأنثى ، قال الرازى : فيكون العذب كاللقاح للبحر ، و قال أبو حيان^١ :
قال الجمهور : إنما يخرج من الأجاج فى المواضع التى يقع فيها الأنهار و المياه
العذبة فناسب إسناد ذلك إليهما ، و هذا مشهور عند الغواصين ، و قال
ابن عباس رضى الله عنهما و عكرمة مولا رضى الله عنه : / تكون هذه الأشياء
٥ فى البحر بنزول المطر لأن الصدف [و غيرها] تفتح أفواهاها للطر - انتهى .
ف تكون الأصداف كالأرحام للنطف و ماء البحر كالجسد الغازى ، و الدليل
على أنه من ماء المطر كما قال الأستاذ حمزة الكرماني : إن من المشهور
أن السنة إذا أجذبت هزلت الحيتان ، و قلت الأصداف و الجواهر -
انتهى . ثم لاشك فى أنهما و إن كانا بحرين فقد جمعتهما وصف واحد
١٠ بكونهما [ماء -^٢] ، فيسوغ إسناد الخروج إليهما كما يسند خروج
الإنسان إلى جميع البلد ، و إنما خرج من دار منها كما نسب الرسل إلى
الجن و الإنس بجمعتهما فى خطاب واحد فقال " رسل منكم " و كذا
" و جعل القمر فيهن نورا " و مثله كثير (اللؤلؤ) و هو الدر الذى
[هو -^٢] فى غاية البياض و الإشراف و الصفاء (و المرجان) أى
١٥ المقضبان المجر التى هى فى غاية الحمرة ، فسبحان من غاير بينهما فى اللون
و المنافع و الكون - نقل هذا [القول -^٢] ابن عطية عن ابن مسعود
رضى الله عنه ، و قال : [و -^٢] هذا هو المشهور الاستعمال - [انتهى -^٢] ،
و قال جمع كثير : [إن -^٢] اللؤلؤ كبار الدر و المرجان صغاره .
و لما كان ذلك من جليل النعم ، سبب عنه قوله : (فبأي آلاء ربكما)

(١) راجع البحر المحيط ١٩١/٨ (٢) زيد من ظ (٣) زيد فى الاصل : النعم ،
و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .

أى المالك لكما الذى هو الملك الأعظم ﴿ تكذبن ٥ ﴾ مع هذه الصنائع
 [العظمى - ١] ، أنعمه البصر من جهة الفوق أو غير ذلك من خلق المنافع
 فى البحار و تسليطكم عليها و إخراج الحلى الغريبة و غيرها .
 و لما كان قد ذكر سبحانه الحاج منه بماء السماء ، ذكر السائر عليه^٩
 بالهواء ، و أشار بتقديم الجار إلى أن السائر فى الفلك لا تصريف له ، وإن ه
 ظهر له تصريف فهو لضعفه كلا تصريف ، فقال : ﴿ وله ﴾ أى لا لغيره ،
 فلا تغفروا بالأسباب الظاهرة فتقفوا معها فتسندوا شيئاً من ذلك إليها كما
 وقف أهل الاغترار بالشاهد ، الذين هم أجد أهل الأرض أذهانا و أحقرم
 شأننا فقالوا بالاتحاد و الوحدة ﴿ الجوار ﴾ أى السفن الكبار و الصغار
 الفارغة و المشحونة . و لما كانت حياة كل شىء كونه على صفة كماله ، ١٠
 و كانت السفن تبنى من خشب مجمع و توصل حتى تصير على هيئة تقبل
 المنافع الجمة ، و كانت تبنى بذلك الجمع كما تبنى النباتات و الحيوانات ،
 و كانت ترتفع على البحر و يرفع شراعها و تحدث فى البحر بعد أن كانت
 مستترة بجمال الأمواج قال تعالى : ﴿ المنشئت ﴾ من نشأ - إذا حيى و ربا ،
 و السحابة : ارتفعت ، و أصل الناشئ كل ما حدث بالليل و بدأ ، و معنى ١٥
 قراءة حمزة ؛ و أبى بكر بكسر الشين أنها رافعة شراعها بسبب استمساكها
 عن الرسوب و منشئة للسير ، و معنى قراءة الباقين أنه أنشأها الصانع
 و أرسلها و رفع شراعها .

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : عنه (٣) من ظ ، و فى الأصل :

الاموال (٤) راجع ثر المرجان ١٤٠/٧ .

و لما كانت مع كونها عالية على الماء منغمسة فيه مع أنه ليس لها
 من نفسها إلا الرسوب والغوص قال : ﴿ في البحر ﴾ و لما كانت ترى
 على البعد كالجبال على وجه الماء قال : ﴿ كالاعلام ﴾ / أى كالجبال الطوال .
 و لما كان ما فيها من المزايا بالتكسب من البحر بالصيد وغيره و التوصل
 ٥ إلى البلاد الشاسعة للفوائد الهائلة ، و كانت أعمالهم في البحر الإخلاص
 [الذى - '] يلزم منها الإخلاص في البر ، لأنها بالنسبة إلى إبداعه لها
 و قدرته على التصرف فيها بكل ما يريد على حد سواء ، سبب عن ذلك
 قوله : ﴿ فبأى آلاء ربكما ﴾ أى النعمة العظمى ﴿ تكذبن ﴾ أنعمة البصر
 من تحتكم أو غيرها من الأسفار ، في محل الأخطار ، و الإنجاء عند الاضطراب
 ١٠ و الريح في محل الخسار ، و الإرشاد إلى ذلك بعد خلق مواد السفن
 و تعليم صنعتها و تسخيرها و الفلك لعدصى لوهما (٩) بمثابة جميع الكون ،
 فخدامها كالملائكة في إقامة الملكوت و تحسين تماسكها باذن ربهم ،
 و المسافرين بها الذين أنشئت لأجلهم و زان المأمورين المكلفين المتهيين
 الذين من أجلهم خلقت السماوات و الأرض و ما بينهما فعبّر بهم من
 ١٥ غربتهم إلى قرارهم ، و من غيبتهم إلى حضورهم و مشاهدتهم ، و مدبرها أمرها
 في أعلاها بأمرهم بأمره فيعبدونه و يسمعون له ، ثم قد يصرف الاعتبار
 إلى أن تكون آية على قطع المؤمن أيام الدنيا فالدنيا هي البحر ، و السفينة
 جسمه ، و باطن العبد هو المحمول فيها ، و العقل صاحب سياستها ، و القوى
 خدمتها ، و أمر الله و تدبيره محيط بها ، و الإيمان أمتها ، و التوفيق

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و في الأصل : الشخص .

ريحها ، و الذكر شرعها ، و الرسول سائقها بما جاء به من عنده ، و العمل الطيب يصلح شأنها - ذكر ذلك ابن برجان .

و لما أخبر تعالى أنه خلق السماوات و الأرض و ما بث فيها من المنافع [من الأعيان - '] و المعاني ، و استوفى الأرض بقسميها برا و بحرا ، مضمنا ذلك العناصر الأربعة التي أسس عليها المركبات ، و كان أعجب ه ما للخلق من الصنائع ما في البحر ، و كان راكمه في حكم العدم ، دل على أنه المتفرد بجميع ذلك بهلاك الخلق ، فقال مستأنفا معبرا بالاسمية الدالة على الثبات و بده من ، للدلالة على التصريح تهويلا بفناء العاقل [على فناء غير العاقل - '] بطريق الأولى : (كل من عليها) أى الأرض بقسميها و السماء أيضا (فان جملته) أى مالك و معدوم بالفعل ١ بعد أن كان هو و غيره من سائر ما [سوى - '] إليه ، و ليس لذلك كله من ذاته إلا العدم ، فهو فان بهذا الاعتبار ، و إن كان موجودا فوجوده بين عدمين أولهما أنه لم يكن ، [و] ثانيهما أنه يزول ثم هو فيما [بين - '] ذلك يتعاوره ٢ الایجاد و الإفناء في ٣ حين من أحواله و أعراضه و قواه ، و أسباب الهلاك محيطة به حسا و معنى و هو لا يراها كما أنها ١٥ محيطة بمن هو في السفينة من فوقه و من تحته و من جميع جهاته .

و لما كان الوجه أشرف ما في الوجود ، و كان يعبر به عما أريد به صاحب الوجه مع أنه لا يتصور بقاء الوجه بدون صاحبه ، فكان

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و في الأصل : الذي (٣ - ٣) سقط ما بين الرتبين من ظ .

١٥١ / التعبير به عن حقيقة ذلك الشيء أعظم وأدل على الكمال، وكان من المقرر عند أهل الشرع أنه سبحانه ليس كمثل شيء فلا / يتوهم أحد [منهم - '] من التعبير به نقصا قال : ﴿ ويبقى ﴾ أى بعد فناء الكل، بقاء مستمرا إلى ما لا نهاية له ﴿ وجه ربك ﴾ أى الربى لك بالرسالة والترقية بهذا الوحي إلى ما لا يحد من المعارف، وكل عمل أريد به وجهه سبحانه وتعالى خالصا . ولما ذكر مباينته للخلوقات، وصفه بالإحاطة الكاملة بالنزاهة والحمد، وقال واصفا الوجه لأن المراد به الذات الذى [هو] أشرفها معبرا به ولأنها أبلغ من «صاحب»، وبما ينبى على التنزيه عما ربما توهمه من ذكر الوجه بليد جامد مع المحسوسات يقيس الغائب ١٠ - الذى لا يعتريه حاجة ولا يلم بجناحه الأقدس نقص - بالشاهد الذى كله نقص وحاجة ﴿ ذو الجلال ﴾ أى العظمة التى لاترام وهو صفة ذاته التى تقتضى إجلاله عن كل ما لا يليق به ﴿ والاكرام ﴾ أى الإحسان العام وهو صفة فعله .

ولما كان الموت نفسه فيه نعم لاتسکر . وكان موت ناس نعمة ١٥ على ناس، مع ما ختم به الآية من وصفه بالإنعام قال : ﴿ فبأى الآء ربكما ﴾ أى [الربى لكما على هذا الوجه الذى مآله إلى العدم إلى أجل مسمى - '] ﴿ تكذبن ﴾ أى أيها الثقلان^٢ الإنسان والجنان، أبغمة السمع من جهة الامام أو غيرها من إيجاد الخلق ثم إعدامهم وتخليف بعضهم فى أثر بعض

(١) زيد من ظ (٢-٢) وقع ما بين الرقيين فى الأصل قبل « تكذبان » والترتيب من ظ .

وإبراث البض ما في يد البض - ونحو ذلك من أمور لا يدركها على
جهتها إلا الله تعالى .

و لما كان أدل دليل على عدم الحاجة ، وعلى دوام الوجود الغنى ،
قال دليلا على ما قبله : (يستله) ' أى على سبيل ' التجدد والاستمرار
(من في السنوات) أى كلهم (و الارض) أى كلهم من ناطق ه
أو صامت بلسان الحال أو القال [أربها - ٢] ، و لما كان كأنه قيل :
فما ذا يفعل ٢ عند السؤال ، وكان اقل الاوقات المحددة المحسوسة "اليوم" ،
عبر به عن أقل الزمان كما عبر [به - ٢] عن أخف الموزونات بالذرة
فقال مجيبا لذلك : (كل يوم) أى وقت من الاوقات من يوم السبت
و على اليهود لعنة الله و غضبه حيث قالوا فى السبت ما هو مناف لقوله ١٠
سبحانه و تعالى " و اقم خلقنا السنوات و الارض و ما بينهما فى ستة
ايام و ما مسنا من لغوب " " و لا يؤده حفظهما و هو العلى العظيم "
(هو فى شان ٤) أى من إحداث أعيان و تجديد معان أو إعدام ذلك ،
قال القشيري : [فى - ٢] فنون أقسام المخلوقات و ما يحجره عليها من اختلاف
الصفات - انتهى . و هو شؤون يديها لاشئون يتبدلها تتعلق قدرته على وفق ١٥
إرادته على ما تعلق به العلم فى الازل أنه يكون أو يعدم فى أوقاته ، فكل شئ
قانت له خاضع لديه ساجد لعظمته شاهد لقدرته دال عليه " و ان من شئ
الايسبح بحمده " و ذلك التعبير - مع أنه من أجل النعم - أدل دليل على
(١ - ١) من ظ ، و فى الأصل : سوال (٢) زيد من ظ (٢ - ٢) فى ظ : هو
الفعل (٤) فى ظ : فى (٥) من ظ ، و فى الأصل : الاختلاف و .

صفات الكمال [له و صفات - ١] النقص للتغيرات و أنها عدم في نفسها
 ولأنها نعم قال : (فبأي آلاء ربكما) أي الرب لكما بهذا التدبير العظيم
 لكل ما يصلحكما (تكذبين) أنعمة السمع من [جهة - ١] الخلف
 أو غيرها من تصرفه إياكم فيما خلقكم له هو أعلم به منكم من معاشكم
 و جميع تقلباتكم ، و قد تكررت في هذه الآية المقررة على النعم من أولها
 إلى هنا ثمانى مرات عقب النعم إشارة - والله أعلم - إلى أن نعمه الله
 سبحانه و تعالى / لا تحصى لأنها تزيد على السبعة التي هي العدد التام
 / ١٥٢
 الواحد هو مبدأ لدور جديد من العدد إشارة إلى أنه كلما انقضى منها
 دور ابتداء دور آخر ، و وجه آخر و هو أن الأخيرة صرح فيها بـ من
 ١٠ في السماوات و الأرض ، و السبع التي قبلها يختص بأهل الأرض إشارة
 إلى أن أمهات النعم سبع كالسماوات و الأرض و الكواكب السيارة
 ونحو ذلك .

ولما انقضى عد النعم العظام على وجه هو في غاية الإمكان من
 البيان ، و كان تغير سائر الممكنات من النبات و الجماد و الملائكة و السماوات
 ١٥ [و الأرض - ١] و ما حوتا مما عدا الثقلين على نظام واحد لا تفاوت
 فيه ، و أما الثقلان فأحوالهما لأجل تنازع العقل و الشهوات لا تكاد
 تنضب ، بل تغير حال الواحد منهم في اللحظة الواحدة إلى ألوان كثيرة
 متضادة لما فيهم من المكر و أحوال المغالبة و البغى و الاستئثار باللهو

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : حد (٣) من ظ ، وفي
 الأصل : حوت .

بالامر والنهي ، وكان أكثرهم يموت بناره من غير أخذ ثأره ، واقتضت
الحكمة ولا بد أنه لابد لهم من يوم يجتمعون فيه يكون بينهما فيه الفصل
على ميزان العدل ، خصهما بالذكر فقال آتيا في النهاية بالوعيد لأنه ليس
للعضاة بعد الإنعام والبيان إلا التهديد الشديد للرجوع إلى طاعة الملك
الديان ، والاتفات في قراءة الجماعة بالنون إلى اتكلم أشد تهديدا من ه
قراءة حمزة والكسائي بالتحية على نسق ما مضى : (سنفرغ) أى
بوعده^١ قريب لاخلف فيه من^٢ جميع الشؤون التي ذكرت (لكم) أى
نعمل عمل من يفرغ للشيء فلا يكون له شغل سواه بفراغ جنودنا
من الملائكة وغيرهم مما أمرناهم به مما سبق به كليتنا ومضت به
حكمتنا من الآجال والأرزاق وغير ذلك فينتهى كله ولا يكون لهم ١٠
حينئذ عمل إلا جمعكم ليقضى بينكم : (آية الثقلين ٤) بالنصفه^٤ ، والثقل
هو ما يكون به قوام صاحبه ، فكأنهما سميا بذلك تمثيلا لهما بذلك إشارة
إلى أنهما المقصودان^٥ بالذات من الخلائق ، [و - ٦] قال الرازي في
الوابع : وصفا بذلك يعظم ذلك شأنهما ، كأن ما عداهما لا وزن له^٦
بالإضافة إليهما - انتهى . وهذا كما قال صلى الله عليه وسلم ” انى تارك ١٥
فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتى “ وقال جعفر الصادق : سميا بذلك لأنهما
مقلان بالذنوب .

(١) راجع نثر المرجان ١٤٧/٧ (٢) من ظ ، وفي الأصل : بوعيد (٣) في ظ :
عن (٤) من ظ ، وفي الأصل : بالنصفه (٥) من ظ ، وفي الأصل : المقصود .
(٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، وفي الأصل : لها .

ولما كان هذا من اجل النعم التي يدور عليها العباد، ويصلح بها البلاد، و تقوم بها الساعات والارض، لان مطلق التهديد يحصل به انزجار النفس عما لها من الانتشار فيما يضر ولا ينفع، فكيف بالتهديد يوم الفصل قال: ﴿فبأى آلاء ربكما﴾ أى المحسن إليكما بهذا الصنع ٥ [المحكم - ١] ﴿تكذبين﴾ أبنعمة السمع عن اليقين أو بغيرها من إثابة امل طاعته وعقوبة امل معصيته، وسمى ابن برجان هذا الإخبار الذى لا نون جمع فيه خطاب القبض يخبر فيه عن موجوداته وما هو خالقه، قال: وذلك إخبار منه عن محض الواحدانية، وما قبله من "سفرغ" ونحوه وما فيه نون الجمع إخبار عن وصف ملكوته وجوده وهو ١٠ خطاب البسط .

ولما كان التهديد بالفراغ ربما أوهم أنهم الآن معجوز عنهم او عن بعض أمرهم، بين بخطاب القبض المظهر لمحض الواحدانية أنهم فى القبضنة، لا فعل لأحد منهم بدليل أنهم / لا يصلون إلى جميع مرادهم بما هو فى مقدورهم، ولكنه ستر ذلك بالاسباب التى يوجب انتقيد بها إسناد الامور ١٥ إلى مباشرتها فقال بيانا للراد بالتقلين: ﴿ينمشر﴾ أى يا جماعة فيهم الاهلية والعشرة والتصادق ﴿الجن﴾ قدمهم لمزيد قوتهم ونفوذهم فى المسام وقدرتهم على الخفاء والتشكل فى الصور بما ظن أنهم لا يعجزهم شئ. ﴿والانس﴾ أى الخواص والمستأنسين والمؤانسين المبني أمرهم على الإقامة والاجتماع .

٢٠ ولما بان بهذه التسمية المراد بالثنية، جمع دلالة على كثرتهم فقال:

أن

١٧٠

(ان استطعتم) [أى - ١] إن وجدت لكم طاعة الكون في (ان تفذوا)
 أى تسلكوا بأجسامكم وتمضوا من غير مانع يمنعكم (من اقطار) أى
 نواحي (السموات والارض) التى يتخللها القطر لسهولة انفتاحها لشيء.
 تريدونه من هرب من الله من إيقاع الجزاء بينكم، أو عصيان عليه في قبول
 أحكامه^٢ وجرى مرادانه وأفضيته عليكم من الموت وغيره أو غير ذلك ه
 (فانفذوا) وهذا يدل على أن كل واحدة منها محيطة بالآخرى لأن
 التفوذ لا يكون حقيقة إلا مع الحرق .

ولما كان تفوذهم في حد ذاته ممكنا ولكنه منعهم من ذلك بأنه
 لم يخلق في أحد منهم قوته ولا سيما وقد منعهم منه يوم القيامة بأمور
 منها إحداق أهل السماوات السبع [بهم - ١] صفا بعد صف و سراق ١٠
 النار قد أحاط بالكافرين ولا منفذ لأحد إلا على الصراط ولا يجوزه إلا كل
 ضامر يخف، أشار إليه بقوله مستأنفا: (لاتنفذون) أى [من - ١]
 شيء من ذلك (الا بسلطن ج) إلا بتسليط عظيم منه سبحانه بأمر قاهر
 وقدره بالغة وأنى لكم بالقدرة على ذلك، قال البغوى: وفي الخبر:
 يحاط على الخلق بالملائكة و بلسان من نار^٣ ثم ينادون: يا معشر الجن ١٥
 - الآية . انتهى، وهذا حكاية ما يكون من ذلك يوم القيامة لا أنه
 خاص بهم .

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفي الأصل: أحكامها (٣-٢) من ظ، وفي
 الأصل: لا يجد (٤) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٦/٧ (٥-٥) من ظ
 والعالم، وفي الأصل: بالخلق (٦) زيد في الأصل: جهنم، ولم تكن الزيادة في
 ظ والعالم لحذفها .

ولما كان هذا نظرم فيما بينهم وبين بقية الحيوانات بما أعطاهم
من القوى^١ الحسية و المعنوية و ما نصب لهم من المصاعد العقلية و المعارج
النقلية التي ينفذون بها إلى غاية الكائنات و يتخللون بما يؤديهم^٢ إليه عليها
إلى أعلى المخلوقات، ثم نظرم فيما بين الحيوانات و بين النباتات ثم بينها
و بين الجمادات دالا دلالة واضحة على أنه سبحانه و تعالى يعطى من
يشاء ما يشاء، فلو أراد قوامهم على النفوذ منها، و لو قوامهم على ذلك لكان
من أجل النعم، و أنه سبحانه قادر على ما يريد منهم، فلو شاء أهلكتهم
و لكنه يؤخرهم إلى آجالهم حلما^٣ منه و عفوا منه عنهم، سبب عن ذلك
قوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَا﴾ أى المحسن إليكما الربى لكما بما تعرفون به
١٠ قدرته على كل ما يريد ﴿تَكْذِبُنَّ﴾ أنعمة السمع من جهة اليسار
أو غيرها من جعلكم سواء فى أنكم لا تقدرون على مخالفة مراده سواء
كنتم جمعا أو فرادى، أو من ضمكم إلى يوم الجمع و قد جمعكم قبل حين
ابتدا بخلقكم أو اليوم المشهود و قد أشهدكم قبل على أنفسكم و عهد إليكم
أو بتكشيط السماوات و قد شاهدتم / تكشيط السحاب بعد بسطه،
١٥ أو بالجزاء و قد رأيتم الجزاء العاجل و شاهدتم ما أصاب الأمم الماضية .
و لما سلب عنهم القدرة على النفوذ المذكور تنبيها على سلب جميع
القدرة عنهم و على أن ما يقدرون عليه إنما هو بتقديره لهم نعمة منه
عليهم، و لما كان منهم من بلغ الغاية فى قسوة القلب و جهود الفكر
(١) من ظ ، و فى الأصل : القوة (٢) من ظ ، و فى الأصل : يؤديهم .
(٣) من ظ ، و فى الأصل : حكما .

فهو يحيل العجز عن بعض الأمور إلى أنه لم يحجر بذلك عادة، لا إلى أنه سبحانه المانع من ذلك، فعلمهم^(١) ثمة من ذلك سطوته فقال:

(يرسل عليكما) أى أيها المعاندون، قال ابن عباس رضى الله عنهما:

حين [تخرجون من القبور -] بسوقكم إلى المحشر (شواظ) أى لهب

عظيم منتشر مع التضايق يحيط بكم من كل جانب له صوت شديد كهينته ه

ذى الخلق الضيق الشديد النفس .

ولما كان الشواظ يطلق على اللهب الذى لا دخان فيه وعلى دخان النار وحرها وعلى غير ذلك، يفهم بقوله: (من نارٍ ونحاس) أى دخان هو فى غاية الفظاظة فيه شرر متطاير وقطر مذاب، قال ابن جرير:

والعرب تسمى الدخان نحاسا بضم النون وكسرهما، وأجمع القراء على ١٠

ضمها - انتهى . وجرها أبو عمرو وابن كثير عطفا على "نار" ورفعها

الباقون عطفا على "شواظ" .

ولما كان ذلك ممكنا عقلا وعادة، وكانوا عارفين بأنهم لو وقعوا فى مثل ذلك لم يتخلصوا منه بوجه، سبب عنه قوله: (فلا تنصرون^(٢))

قال ابن رجان: هذا مصداق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: يخرج عنق ١٥

من نار فيقول بكل جبار عنيد فليقتطعهم من بين الجمع لقط الحماح حب السمسم،

و يغشى المجرمين دخان جهنم من بين المؤمنين ولا يضرهم، وآية الشواظ

(١) من ظ، وفى الأصل: فعلم (٢) زيد من ظ (٣) داحم جامع البيان ٢٧/

تفسير هذه الآية (٤) راجع نثر الرجان ٢٧/١٥٠ (٥) من ظ، وفى الأصل: ملك.

و عنق النار هنالك صواعق ما هنا وبروقه و النار الممهودة .
 و لما كان التهديد بهذا اطفأ بهم فهو نعمة عليهم و العفو عن المعالجة
 بارساله لذلك ، سبب عنه قوله : ﴿ فبأى آلاء ربكما ﴾ أى المرنى لكما بدفع
 البلايا و جلب المنافع ﴿ تكذبين ﴾ أبغمة السمع من فوق أو غيرها ،
 ٥ ألم يكن لكم فيما شهدتموه فى الدنيا من دلائل ذلك و آياته ما يوجب
 لكم الإيمان . و لما كان هذا ما لم تجر عادة بعمومه و إن استطردت بحجراته
 منه فى أشياء منه فى أماكن متفرقة كأشخاص كثيرة ، بين لهم وقته بقوله :
 ﴿ فاذا ﴾ أى فيقتبس عن هذا الإرسال أنه إذا ﴿ انشقت السماء ﴾
 من هوله و عظمته فكانت أبوابا لنزول الملائكة و غيرهم ، و غير ذلك
 ١٠ من آيات الله ﴿ فكانت ﴾ لما يصيها من الحر ﴿ ورده ﴾ أى حره
 مشرقة من شدة لحيه ، و قال البغوى : كلون الفرس الورد و هو
 الأبيض الذى يضرب إلى حمرة و صفرة . ﴿ كالدهان ﴾ أى ذاتة صافية
 كالشيء الذى يدهن به أو كاللاديم الأحمر و المكان الزلق ، و آية ذلك فى
 الدنيا الشفقان عند الطلوع و عند الغروب ، و جواب : إذا ، محذوف
 ١٥ تقديره : علمتم ذلك علما شهوديا ، أو فما اعظم الهول حينئذ و نحو ذا أن
 يكون الجواب شيئا دلت عليه ' الآيات الآتية ' محو : فلا يسأل أحد
 إذ ذاك عن ذنبه ، و حذفه أنعم / أيذهب الوهم فيه كل مذهب .

/ ١٥٥

(١) راجع المعالم بهامش الباب ٧/٧ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
 (٣) من ظ ، وفى الأصل : هى (١) من ظ . وفى الأصل : التأخير (ه) و العبارة
 من هنا إلى ما سنبه عليه جرى نسخها من ظ إلتطمس نسخة الأصل .

و لما كان حفظ السماء عن مثل ذلك بتأخير إرسال هذا وغيره من
الاسباب وجعلها محل الروح والحياة والرزق من اعظم القواضل
قال مسيبا عنه: (فبأى آلاء ربكما) أى الربى لكما هذا التدبير المتقن
(تكذبين) أبغمة السمع من تحت أو غيرها وليس شيء بما أخبرتك
به من أحوال الآخرة إلا قد أقمت لكم فى الدنيا ما تهتدون به إلى العلم
بكونه . ولما كان يوم القيامة ذا ألوان كثيرة و مواقف مهولة طويلة
شهيرة تكون فى كل منها شوؤن عظيمة و أمور كبيرة ، ذكر بعض ما
سيه هذا الوقت من التعريف بالعاصى والطائع بآيات جعلها الله سببا فى
عليها فقال: (فيومئذ) أى فسبب عن يوم انشقت السماء لأنه (لايسئل)
سؤال تعرف واستعلام بل سؤال تقريع وتوبيخ وكلام ، وذلك أنه ١٠
لا يقال له : هل فعلت كذا ؟ بل يقال له : لم فعلت كذا ، على أنه ذلك اليوم
طويل ، و هو ذو ألوان تارة يسئل فيه وتارة لايسئل ، و الامر فى غاية
الشدة ، و كل لون من تلك الألوان يسمى يوما ، فقد مضى فى الفاتحة أن
اليوم عبارة عن وقت يمتد إلى اقضاء أمر مقدر فيه ظاهر من ليل أو نهار
أو غيرهما لقوله تعالى ” إلى ربك يومئذ المساق “ أى يوم إذا بلغت ١٥
الروح التراقي و هو لا يختص بليل ولا نهار ، و بناء للفعول تعظيما للأمر
بالإشارة إلى أن شأن المعترف بالذنب لا يكون خاصا بعهد دون عهد بل
يعرفه كل من أراد عليه ، و أضمر قبل الذكر لما هو مقدم فى الرتبة ليفهم
الاختصاص فوحد الضمير لأجل اللفظ فقال: (عن ذنبه) أى خاصة
و قد سئل المحسن عن حسنة سؤال تشریف له و تدعيم لمن دونه .

ولما كان الإس اعظم مقصود بهذا . ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم منهم ، و كان التعريف بالشاهد المألوف أعظم في التعريف ، و كان علم أحوال الشيء الظاهر أسهل ، قدمهم فقال : ﴿ انس ﴾ ولما كان لا يلزم من علم أحوال الظاهر علم أحوال الخفي ، بين أن الكل عليه سبحانه ه هين فقال : ﴿ ولا جان ﴾ ولما كان هذا التمييز من أجل النعم لثلاث يؤدي الالتباس إلى روي بعض المطيعين عاملا (١) أو نكابة بالسؤال عنه قال : ﴿ فبأي الآء ربكما ﴾ أى الذى رنى كلا منكم بما لا مطمع في إنكاره ولا خفاء فيه ﴿ تكذبن ﴾ أبنعمة الشتم من الامام أم من غيرها . ولما كان الكلام عاما عرف أنه خاص بتعرف المجرم من غيره دون ١٠ التعزير بالذنب أو غيره من الاحوال فقال معللا لعدم السؤال : ﴿ يعرف ﴾ أى لكل أحد ﴿ المجرمون ﴾ أى العريقون في هذا الوصف ﴿ بسينهم ﴾ أى العلامات التى صور الله ذنوبهم فيها فجعلها ظاهرة بعد أن كانت باطنة ، وظاهرة الدلالة عليهم كما يعرف أن الليل إذا جاء لا يخفى على أحد أصلا و كذلك النهار ونحوهما لغير الاعمى ، و تلك السيام - والله أعلم - ١٥ زرقة العيون وسواد الوجوه والعمى والصمم والمشى على الوجوه وبحو ذلك ، و كما يعرف المحسنون سيامهم من يياض الوجوه وإشراقها وتبسماها ، والغرة والتججيل ونحو ذلك ، وسبب عن هذه المعرفة قوله مشيرا بالبناء للفعول إلى سهولة الاخذ من أى آخذ كان ﴿ فيؤخذ بالنواصي ﴾ أى منهم وهى مقدمات الرأس ﴿ والاقدام ﴾ بعد أن يجمع بينهما

(١) من هنا استأنف الأصل (٢) من ظ ، وفى الأصل : بن

كما أنهم كانوا [م - '] يجمعون ما أمر الله به أن يفرق . و يفرقون ما أمر الله به أن يجمع ، فيسحبون بها سبحانه من كل صاحب أقامه الله لذلك لا يقدرّون على الامتناع بوجه فيلقون في النار .

ولما كان ذلك نعمة لا يقام بشكرها لئلا من يسمعها لأن كل أحد ينتفى من الإجماع^١ و يود للمجرمين^٢ عظيم الانتقام ، سبب عنه قوله : هـ
(فبأي آلاء ربكما) أي النعم الكبار من الذي دبر مصالحكم بعد أن أوجدكم (تكذبن^٣) أنعمة الشتم من وراء أم بغيرها بما يجب أن يفعل من الجزاء في الآخرة لكل شخص بما كان يعمل في الدنيا أو غير ذلك من الفضل .

ولما كان أخذهم على هذا الوجه مؤذنا بأنه [يصير] إلى خزي عظيم ، ١٠
صرح به في قوله ، بأننا على ما هدى إليه السياق^٤ من محو^٥ : أخذنا مقولا فيه عند وصولهم إلى محل النكال على الحال التي ذكرت من الأخذ بنواصيهم وأقدامهم : (هذه) [أي - '] الحفرة العظيمة الكريهة المنظر " القرية منكم " [الملازمة للقرب لكم - '] (جهنم التي يكذب)

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : من (٣) زيد في الأصل : ويفرق ، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها (٤) من ظ ، وفي الأصل : يحجب (٥) من ظ ، وفي الأصل : يلتقون (٦) من ظ ، وفي الأصل : يفتنى (٧) من ظ ، وفي الأصل : الاحترام (٨) من ظ ، وفي الأصل : المجرمون (٩) من ظ ، وفي الأصل : يفعل (١٠-١١) من ظ ، وفي الأصل : يتعو (١١-١٢) من ظ ، وفي الأصل : القريب لكم .

أى ماضيا و حالا و مآلا استهانة و لو ردوا إلى الدنيا - بعد إدخالهم
إياها - لعادوا لما نهوا عنه ، ﴿ بها المجرمون ٥ ﴾ أى العريقون فى الإجرام ،
و هو قطع ما من حقه أن يوصل [و هو - '] ما أمر الله به ، و خص
هذا الاسم إشارة إلى أنها تلقاها بالتجهم و العبوسة و الكلاحة و الفظاظه
٥ كما كانوا يفعلون مع الصالحين عند الإجرام [المذكور - '] ؛ قال ابن
برجان : و قرأ عبد الله " هذه جهنم التى كنتم بها تكذبون فتصليانها "
لا تموتان فيها ولا تحيان " ثم استأنف ما يفعل بهم فيها فقال :
﴿ يطوفون بينها ﴾ أى بين دركة النار التى تتجهمهم ﴿ و بين حميم ﴾
أى ماء حار هو من شدة حرارته ذو دخان .

١٠ . لما كان هذا الاسم يطلق على البارد ، بين أمره فقال : ﴿ ان ٤ ﴾
أى بالغ حره إلى غاية ليس وراءها غاية ، قال الرازى فى اللوامع :
وقيل : حاضر ، و به سمي الحال بالآن لأنه الحاضر الموجود ، فان الماضى
لا تدارك له و المستقبل أمل و ليس لنا إلا الآن ، ثم الآن ، ليس بثابت
طرفة عين ، لأن الآن هو الجزء المشترك بين زمانين ، فهم دائما
١٥ يترددون بين عذاب النار المذية للظاهر و الماء المقطع بحره للباطن الذى
لا يزال حاضرا لهم تردد الطائف الذى لا أول لتردده و لا آخر .

و لما كان عذاب المجرم - القاطع لما من شأنه أن يكون متصلا -
من أكبر النعم و أسرها لكل أحد حتى لمن سواه من المجرمين ، سبب

(١) زيد من ١٥ (٢) من ظ ، و فى الأصل : بأن تصليانها ، و فى نثر المرجان
١٥٣/٧ : تصليان (٣) من ظ ، و فى الأصل : يدرك (٤) من ظ ، و فى الأصل : الخيرة .

قوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَا﴾ أى المحسن إليكما أيها الثقلان باهلاك المجرم
 فى الدارين وإنجاء المسلم مما أهلك به المجرم لطفًا بالمهتدين ليرتدعوا
 / ١٥٧ / أو ينزجروا عما يكون سبب إهلاكهم 'هم ومن والاهم' ﴿تَكْذِبُ﴾
 أنعمه الشَّم من اليمين أم من غيرها مما أراكم من آياته، وظاهر عليكم
 من بيناته، فى السماوات والأرض، 'وما' أراكم من مطالع الدنيا من هـ
 الشمس التى هى آية النهار والقمر الذى هو آية الزمهرير، وغير ذلك
 من آياته المحكمة المرئية والمسموعة، وقد كررت هذه الآية عقب ذكر
 النار وأهوالها سبع مرات تنبيهًا على استدفاع أبوابها السبعة كما مضى -
 والله المستعان .

'ولما كان' قد عرف ما للمجرم المجترئ على العظام، وقدمه لما ١٥
 اقتضاه مقام التكبر من الترهيب وجعله سبعا إشارة إلى أبواب النار
 السبعة. عطف عليه ما للخائف الذى أداه خوفه إلى الطاعة وجعله
 [ثمانية - ٢] على [عدد - ٤] أبواب الجنة الثمانية فقال: ﴿ولمن﴾
 [أى - ٤] والكل [من - ٤]، ووحده الضمير مراعاة للفظ 'من'
 إشارة إلى قلة الخائفين ﴿خاف﴾ أى من الثقلين .

١٥

ولما كان ذكر الخوف من الزمان المضروب للحساب [والتدبير
 والمكان المعد لها أبلغ من ذكر الخوف من الملك المحاسب - ٤] المدبر،
 والخوف مع ذكر وصف الإكرام أبلغ من ذكر الخوف عند ذكر

(١-١) سقط ما بين الرهين من ظ (٢-٢) من ظ، وفى الأصل: بما (٣) من
 ظ، وفى الأصل: السبع (٤) زيد من ظ .

ارصاف الجلال، قال دلاً بذلك على ان المذكور رأس الخائفين :
 ﴿مقام ربه﴾ أى مكان قيامه الذى يقيمه و غيره فيه المحسن إليه للحكم
 'و زمانه الذى ضرب به' له و قيامه عليه و على [غيره - ٢] بالتدبير، فهو
 رقيب عليه و عليهم، فكيف إذا ذكر مقام المنتقم الجبار المتكبر فترك
 د لهذا ما يغضبه و فعل ما يرضيه ﴿جشن ع﴾ عن يمين و شمال، واحدة
 للعلم و العقل و أخرى للعمل، و يمكن أن يراد بالثنية المبالغة إفهاماً لأنها
 جنان متكررة و متكررة مثل "القيا في جهنم كل كِبَارٍ عَنِيد"
 و نحو ذلك .

ولما كانت هذه نعمة جامعة، سبب عنها قوله: ﴿فبأى الآء ربك﴾
 ١٠ أى نعم الربى لكما^١ و المحسن إليك^٢ باحسانه الكبار التى لا يقدر غيره
 على شيء منها ﴿تكذبن لا﴾ أبغعه الشم من اليسار المنبعثة من القلب
 أو غيرها من تربه جنان الدنيا بنفس جهنم من حر الشمس و حرورها،
 فجعل من ذلك جميع الفواكه و الزروع إلى غير ذلك من المراقب التى
 طبخها بها "و كائن من آية فى السموات و الارض يمدون عليها] و هم
 ١٥ عنها معرضون " - ٢ [و غير ذلك من نعمه التى لا تحصى .

ولما كانت البساتين لا يكمل مدحها إلا بكثرة الأنواع و [الألوان - ٤]
 و الفروع المشتبكة^٣ و الأغصان، قال واصفاً لهما: ﴿ذواتا﴾ أى صاحبتا^٤

(١) من ظ، و فى الاصل : الخافقين (٢-٢) عبارة ما بين الرقيين تكررت فى
 الأصل، و لم يكن التكرار فى ظ نلاحظها (٣) زيد من ظ (٤-٤) سقط ما بين
 الرقيين من ظ (٥) من ظ، و فى الاصل : النبعث (٦) فى ظ : المسكة (٧) من
 ظ، و فى الاصل : صاحباً .

رد عين الكلمة فان اصلها ذرو، ﴿ افان ٢٠ ﴾ أى جمع فن يتنوع فيه الثمار،
وفن وهو الغصن المستقيم طولا الذى تكون به الزينة بالورق والثمر و كمال
الارتفاع، قال عطاء: فى كل غصن فنون من الفاكهة؛ ولهذا سبب عنه
قوله: ﴿ فبأى الآء ربك ﴾ [أى] الربى لكما والمحسن إليك ﴿ تكذبن ٥ ﴾
أبنعمة الشم من جهة الفوق أو غيرها مما ذكره لكم من وصف الجنة الذى
جعل لكم من أمثاله ما تعجبون به .

ولما كانت الجنان لا تقوم إلا بالأنهار قال: ﴿ فيهما عين ٥ ﴾ أى
فى كل واحدة عين ﴿ تجرين ٥ ﴾ أى فى كل مكان شاء صاحبهما / وإن
علا مكانه كما تصعد المياه فى الأشجار فى كل غصن منها، وإن زاد
علوها جرى على عنبى دموعه الجاريتين من خشية الله . و ذلك على ١٠
مثال جنات الدنيا، والشمس صاعدة فى البروج الشامية من تكامل
المياه وتفجرها عيوننا فى أيام الربيع والصيف لقرب العهد بالأمطار
﴿ فبأى الآء ربك ﴾ أى المالك لكما والمحسن إليك ﴿ تكذبن ٥ ﴾ أبنعمة
الشم من جهة التحت [أو غيرها - ٢] مما ذكره وجعل له فى الدنيا
أمثالا كثيرا .

١٥

ولما كان بالمياه حياة النبات وزكاؤه، قال ذاكرا أفضل النبات:
﴿ فيهما ﴾ أى هاتين الجنتين العاليتين، ودل على جميع كل ما يعلم
وزيادة بقوله: ﴿ من كل فاكهة ﴾ أى تعلمونها أو لا تعلمونها ﴿ زونجن ٥ ﴾

(١) - قط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل: البرزخ (٣) فى ظ : حين .
(٤) زيد من ظ .

أى صنفان^١ يكمل أحدهما بالآخر كما لا يدرك كنه أحد الزوجين بسبب العمل بما يرضى و الآخر بالانتهاء عما يسخط (فأى^٢ الآء ربكما) أى النعم الكبار التى رباهما الموجد لكما المحسن إليكما (تكذبين^٣) أنعمة اللس من الامام أو غيرها من أنه أوجد لكما جنان الدنيا بواسطة حر النار التى هى أعدى عدوكما^٤ إشارة إلى أنه قادر على أنه يوجد رضوانه و محبته من موضع غضبه و انتقامه إكراما، فقد جعل ما فى الدنيا مثالا^٥ لا ذكر فى الآخرة، فأى^٦ شئ من ذلك تكذبان، لا يكمل الإيمان حتى يصدق المؤمن أنه تعالى قادر على أن يجعل من جهنم جنة بأن يجعل من^٧ موضع سخطه رحمة و يشاء ذلك و يعتد ذلك بما أرانا ١٠ من نمودجه .

ولما كان التفكه لا يكمل حسنه إلا مع التمتع من طيب الفرش وغيره، قال مخبرا عن الذين يخافون مقام ربهم من قبلى الإنسان و الجن مراعىا معنى "من" بعد مراعاة لفظها تحقيقا للواقع : (متكئين) أى لهم ما ذكر فى حال الاتكاء و هو التمكن بهيئة المتربع أو غيره من ١٥ الكون على جنب، قال فى القاموس : توكأ عليه : تحمل ، و اعتمد كأوكأ ، و التكاء كهزمة : العصا ، و ما يتوكأ عليه ، و ضربه فأتكأه : ألقاه على هيئة المتكى أو على جانبه الأيسر ، و قال ابن القطاع : و ضربه حتى أتكأته

(١) من ظ ، و فى الأصل : صنفين (٢) فى الأصل و ظ : عدوكم (٣) من ظ ، و فى الأصل : مثالا (٤) زيد فى الأصل : الآء ربكما ، و لم تكن الزيادة فى ظ لحذفها (٥) سقط من ظ (٦) راجع كتاب الأفعال ١٢١/١ .

أى سقط على جانبه ، وهو يدل على تمام التمتع بصحة الجسم و فراغ البال (على فرش) و عظمها بقوله مخاطبا للكافرين بما تحتمل عقولهم 'وإلا فليس' فى الجنة ما يشبهه على الحقيقة شئ من الدنيا (بطائنها) أى فما ظنك بظواهرها و وجوها (من استبرق) و هو تخين الدياج يوجد فيه من حسنه ريق كأنه [من - ٢] شدة لمعانه يطلب إيجاد ه حتى لانه نور مجرد .

ولما كان المتكى قد يشق عليه القيام لتناول ما يريد قال : (وجنا الجنتين) أى مجنيهما اسم بمعنى المفعول - كأنه عبر به ليفهم سهولة نفس المصدر الذى هو الاجتناء (دان) أى قريب من كل من يريد من متكى وغيره لايخرج إلى صعود شجرة ، و موجود من كل حين راد غير مقطوع ولا ممنوع .

ولما كان ربما وجد مثل من ذلك شاهد [له - ٢] من أغصان تعطف بحملتها فقرب وأخرى تكون قرية من ساق الشجرة فيسهل تناولها قال : (فبأى الآ ربكما) أى النعم الكبار الملوكة التى أوجدها لكما / هذا المبنى لكما الذى يقدر على كل ما يريد (تكذبني) أبعمه ١٥ / ١٥٩ اللس من جهة الورا أم غيرها من قدرته [على - ٢] عطف الأغصان و تقريب الثمار .

(١ - ١) من ظ ، و فى الأصل : ليس (٢) فى الأصل : بظاهاها ، و فى ظ : ظواهاها (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : مفعول (٥) فى ظ : فى .

ولما كان ما ذكر لا تتم نعمته إلا بالنسوان الحسان، قال دالا على
الكثرة بعد سياق الامتان بالجمع الذى هو ألى من الثنية بالدلالة على
أن فى كل بستان جماعة من النسوان، لما بهن من عظيم اللذة وفرط
الانس: ﴿ فيهن ﴾ أى الجنان التى علم بما مضى أن لكل فرد من
ه الخافقين منها جنتين. ولما كان سياق الامتان معرفا بأن جمع القلة
أريد به الكثرة مع ما ذكر من محسناته فى سورة «ص»، قال معرابه:
﴿ قصرت الطرف لا ﴾ أى نساء مخدرات هن فى وجوب الستر بحيث يرض
من ذكرهن بغير الوصف من غير تصريح، قد قصرن طرفهن وهمهن
على أزواجهن ولهن من الجلال ما قصرن به أزواجهن عن الالتفات
١٠ إلى غيرهن لفتور الطرف وسحره وشدة أخذه للقلوب جزاء لهم على
قصرهمهم فى الدنيا على ربهم .

ولما كان الاختصاص بالنسوة لاسيما المرأة من أعظم الملذذات
[قال -] : ﴿ لم يطمئن ﴾ أى يجامعهن ويتسلط عليهن فى هذا الخلق
الذى أنشئت فيه نوع من أنواع السلطة سواء من إنسيات أو جنيات أو غير
١٥ ذلك، يقال: طمئت المرأة كضرب وفرح: حاضت، وطمئها الرجل:
اقتضاها وأيضاً جامعها، والبعير عقلته (٩)، فكأنه قيل: هن أ بكر لم يحاط
موضع الطمئ منهن ﴿ انس ﴾ ولما كان المراد تعميم الزمان أسقط
الجار فقال: ﴿ قبلهم ﴾ أى المتكئين ﴿ ولا جان ﴾ وقد جمع هذا
(١) من ظ، وفى الأصل: الخافقين (٢) من ظ، وفى الأصل: جنتان .
(٣) زيد من ظ .

كل من^١ يمكن منه جماع من ظاهر و باطن ، وفيه دليل على أن الجنى
يفشى الإنسى كما نقل عن الزجاج ﴿ فباي الآ ربكما ﴾ أى النعم الجسم
[من] الربى الكامل العلم الشامل القدرة القيوم ﴿ تكذبن ه ﴾ أنعمة
اللس من جهة اليمنى أم غيرها عما جعله الله لكم مثالا لهذا من الأبرار
الحسان ، أو غير ذلك من أنواع الإحسان .

ولمادل ما تقدم من وصف المستمتع بهن بالعزة والنفاسة ، زاده
على وجه أفاد أنه يكون بهن غاية ما يكون من سكون النفس وقوة
القلب وشدة البدن واعتدال الدم وغير ذلك من خواص ما شبهن به
فقال : ﴿ كأنهن الياقوت ﴾ الذى هو فى صفاته بحيث يشف عن سلكه وهو
جوهر معروف ، قال فى القاموس : أجوده الأحمر الرمانى نافع للوسواس .
والخفقان وضعف القلب شربا وجمود الدم تعليقا . ﴿ والمرجان ٤ ﴾
فى يياضه ، وصغار الدر أنصح يياضا ، قال أبو عبد الله القزاز : والمرجان
صغار اللؤلؤ ، وهذا الذى يخرج من نبات البحر أحمر معروف - انتهى .
وفد يستفاد من ذلك أن ألوانهن البياض والحمرة على نوع من الإشراب
هو فى غاية الإعجاب من الشفوف والصفاء ، وهو مع ذلك ثابت لا يعتريه

تغير ليطابق الحديث الذى فيه " يرى مخ ساقها من وراء سبعين حلة " .
وقال / أبو حيان^٢ : شبهن بهما فيما يحسن التشبيه به فالياقوت فى إملاسه
وشفوفه والمرجان فى إملاسه وجمال منظره ﴿ فباي الآ ربكما ﴾ أى

(١) زيد فى الأصل : حميم ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) من ظ ،

وفى الأصل : القدر (٣) راجع البحر المحيط ٨ / ١٩٨ .

النعم الغريبة البالغة في الحسن من المالك المالك المربي يسدائع الترية
 ﴿ تكذبن ٥ ﴾ أبنعمة اللس من جهة اليسرى أم غيرها بما جعله مثالا لما
 ذكر من وصفهن من تشبيه شيء بشيئين البلوغ الأمر في الحسن إلى حد
 لا يساويه فيه شيء واحد^١ ليشبه به، فهو [كما -^٢] قيل : بيضاء في دعيج
 ٥ صفراء في نيج كأنها فضة قد شابها ذهب، وقد جعل سبحانه الأشياء
 الشفافة مثالا لذلك وأنت ترى بعض الأجسام يكاد يرى فيه الوجه
 [بل في سواد العين أعظم غرة حيث يرى فيه الوجه -^٣] فان السواد
 منشأ الظلام .

ولما كان ألد ما أفاده الإنسان من النعم ما كان تسبب منه، قال
 ١٠ سارا لهم بذلك مع ما فيه من لذة المدح لاسيما والمدح الملك الأعلى،
 معظماله بسياق الاستفهام المفيد للاثبات بعد النفي المفيد للاختصاص على
 وجه الإنكار الشديد على من يتوهم غير ذلك: ﴿ هل جزاء الاحسان ﴾ أى
 فى العمل [الكائن -^٢] من الإنس أو الجن أو غيرهم ﴿ الا الاحسان ٥ ﴾
 أى فى الثواب، فهذا من المواضع التى أعيدت فيها المعرفة والمعنى
 ١٥ مختلف، روى البغوى^١ بسنده عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله
 عليه وسلم قال : هل تدرون ما قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم،
 قال : يقول : هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة . وذلك جزاء
 إحسان العبد فى العمل فى مقابلة إحسان ربه إليه بالترية ﴿ فبأى آلاء ربكما ﴾

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : كاحد (م) زيد من ظ .

(٤) راجع المعالم بهامش الباب ١٠/٧ .

أى النعم العظيمة الحسن من السيد الكريم العظيم الرحيم الجامع لأوصاف الكمال (تكذبنه) أبغمة اللبس من جهة الفوق أم غيرها مما جعله الله سبحانه مثالا فى أن من احسن قبول بمثل إحسانه ، وهذه الآية ختام ثمان آيات حائفة على العمل الموصل إلى الثمانية الأبواب الكائنة لجنة المقربين - والله الهادى .

و لما كان قد علم بما ذكر أول هذا الكلام من الخوف مع ذكر وصف الإكرام ، وآخره من ذكر الإحسان أن هذا الفريق محسنون ، وكان من المعلوم أن العاملين طبقات ، وأن كل طبقة أجرها على مقدار أعمالها ، اقتضى الحال بيان ما أعد لمن دونهم : (ومن دونهما) أى من أدنى مكان و رتبة مما تحت جنتى هؤلاء المحسنين [المقربين] (جنتن) ١٠
أى لكل واحد لمن دون هؤلاء المحسنين - ١ [من الخائفين وهم أصحاب البمين ، قال ابن عباس رضى الله عنهما : دونهما فى الدرج ، و جعل ابن برجان الأربع موزعة بين الكل ، وأن تخصيص هذه العدة إشارة إلى أنها تكون جامعة لما فى فصول الدنيا الأربعة : الشتاء و الربيع و الصيف و الخريف ، و فسر بذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم : جنتان من ذهب ١٥
أوتيتهما وما فيهما و جنتان من فضة أوتيتهما وما فيهما . ثم جوز أن يكون المراد بالدون الأدنى إلى الإنسان ، وهو البرزخ ، فتكون هاتان لاهل البرزخ كما كان "وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك" من عذاب القبر (فبأى آية ربك) أى المحسن بنعمه السابعة إلى الأعلى ومن دونه

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : فى .

نظم الدرر (سورة الرحمن ٥٥ : ٦٣ - ٧٠) ج - ١٩

(تَكْذِبُنَّ) أبنعمة اللس من جهة التحت أم غيرها / مما جعله الله في الدنيا مثالا لهذا من أن بعض البساتين أفضل من بعض إلى غير ذلك من أنواع التفضيل .

ولما كان ما في هاتين من الماء دون ما في الباقيتين، فكان ربما ظن أن ماءهما لا يقوم بأعلى كفايتهما قال : (مدهامتن ٤) أي خضراوان خضرة تضرب من شدة الري إلى السواد، من الدهمة، قال الأصهباني: الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الأرض وفي الأولين الأشجار والقواكه (فباي الآء ربكما) أي نعم المحسن إلى العالى منكما ومن دونه بسعة رحمته (تَكْذِبُنَّ) أبنعمة الذوق من جهة ١٠ الإمام أم غيرها مما جعله مثالا لذلك من جنات الدنيا الكثيرة الري وغيره .

ولما كان ذكر ما يدل على ربهما، حققه بقوله : (فيهما) أي في كل جنة لكل شخص منهم (عيشن نضاخن ٥) أي تفوران بشدة 'توجب لها رشاش' الماء بحيث لا ينقطع ذلك، ولم يذكر جريهما فكأنهما ١٥ بحيث يرويان جنتهما ولا يبلغان الجرى، والنضخ دون الجرى وفوق النضخ، قال الأصهباني: وأصل النضخ بالمعجمة - انتهى . وكأنهما لمن تغرغر عيناه بالدمع فتمتلئان من غير جرى، وقال ابن رجان ما معناه أن حر (٩) عدم جريهما لكونهما على مثال جنة خريف ما ههنا وشتاء [به - ٢] لبعد عهدهما بنزول الماء [و - ٢] سكنا في أعماق الأرض

(١-١) من مد، وفي الأصل: توحدما رشاشا (٢) زيد من ظ .

لينعكس (٤٧)

لينعكس بالنبع والفوران صاعدا مع أن الجنة لا مطر فيها ﴿ فباي الآء ربكما ﴾
 أى نعم الربى البليغ الحكمة فى الترية ﴿ تكذبين ٥ ﴾ أنعمة الذوق
 من جهة ما وراء اللسان أم غيرها مما جعله مثالا لذلك من الاعين التى
 تفور ولا تجرى والأنابيب المصنوعة للفوران لأنها بحيث تروق^١ ناظرها
 لصعودها بقوة نبعا و ترشيشها من النعم الكبار . ولما ذكر الرى والسبب ٥
 فيه ، [ذكر - ٢] ما ينشأ عنه فقال : ﴿ فيها فاكهة ﴾ أى من كل الفاكهة ،
 وخص أشرفها وأكثرها وجدانا فى الحريف والشتاء كما فى جنان الدنيا
 التى جعلت مثالا لهاتين الجنةين فقال : ﴿ ونخل و رمان ٣ ﴾ فان كلا
 منهما فاكهة وإدام ، فلذا خص تشريفا وتنبها على ما فيهما^٢ من التفكه
 وأولاهما أعم نفعاً وأعجب [خلقا - ٢] فلذا قدم ﴿ فباي الآء ربكما ﴾ أى ١٠
 نعم المحسن إليك أيها الثقلان بجليل الترية ﴿ تكذبين ٤ ﴾ أنعمة الذوق
 من اليمين أم من غيرها مما جعل مثالا لهذا من جنان الدنيا وغير ذلك .
 ولما كان ما ذكر لا تكمل لذته إلا بالأنيس ، وكان قد ورد أنه
 يكون فى بعض ثمار الجنة وحمل أشجارها نساء و ولدان كما أن امثال ذلك
 فى بطن مياه الدنيا " وجعلنا من الماء كل شئ حى " قال جامعا على نحو ٥
 ما مضى من الإشارة إلى أن الجنةين لكل واحد من أفراد هذا الصنف :
 ﴿ فيهن ﴾ أى الجنان الأربع أو الجنان التى خصت للنساء ، وجوز ابن برجان
 أن يكون الضمير للفاكهة والنخل والرمان فانه يتكون منها نساء و ولدان
 (١) من ظ ، وفى الأصل : تروق (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل :
 قبلها (٤) من ظ وفى الأصل : بنعمه .

في داخل فشر الرمان و نحوه ﴿ خيرت ﴾ اى نساء / بليغ ما فيهن
من الخير، أصله حير مثقلا لأن " خير " الذى للتفضيل لا يجمع جمع
سلامة، ولعله خفف لاتصافهن^١ بالخفة في وجودهن وجميع شأنهن،
و لكون^٢ هاتين الجنتين دون ما قبلهما ﴿ حسان ﴾ اى فى غاية الجمال
٥ خلقا و خلقا ﴿ فبأى آلاء ربكما ﴾ اى نعم الكامل الإحسان [إليكما -^٣
﴿ تكذبين ﴾] أنعمة الذوق من جهة اليسار أم من غيرها مما جعله مثلا
لتكوين النساء و الولدان و الملابس و الحللى من ثمار الأشجار و الزروع
التي من المياه^٤ التي بها العيش، ففيها^٥ التوليد و غير ذلك مما تظهره الفكرة
لأهل العبرة لأن كل ما فى الجنة ينشأ عن الكلمة من الرزق كما ينشأ
١٠ عنه سبحانه فى هذه الدار على تسليب... والحكمة^٦، ثم يبين بقوله:
﴿ حور ﴾ اى ذوات أعين شديدة سواد السواد و شديدة بياض
البياض، وقال ابن جرير^٧: بياض جمع ﴿ مقصورت ﴾ اى على أزواجهن
و محبوسات، صيانة عن التبذل، فهو كناية عن عظمتهم ﴿ فى الخيام ﴾
التي هى من الدر المجوف الشفاف جزاء لمن قصر نفسه عن... الله فكف
١٥ جوارحه عن الزلات، و صان قلبه عن الغفلات ﴿ فبأى آلاء ربكما ﴾
أى الجليل الإحسان إليكما ﴿ تكذبين ﴾ أنعمة الذوق من جهة الفوق

(١) من ظ . وفى الأصل : لاتصافه (٢) من ظ ، وفى الأصل : لكن
(٣) ريد من ظ (٤) من ظ . وفى الأصل : ما (٥) من ظ ، وفى الأصل :
الثمار (٦) من ظ . وفى الأصل : عندها (٧) ومن هنا انقطعت نسخة ظ .

(٨) فى حاشية ٢٧ / ٨٢

أم بغيرها مما جعله مثالا لهذا في الدنيا ، فانه كما خلقنا من تراب ثم طورنا
 في أطوار الخلقة بحسب حكمة الاسباب كذلك خلق أولئك من أرض
 الجنة ورياضها وفواكهها عن كلمة السكان من غير أسباب .
 ولما كانت أنفس الاخيار ذوى الهمم العالية الكبار في الالتفات
 إلى الأبرار قال : (لم يطمئن) أى يتسلط عليهن نوع سلطة ه
 (انس) وعم الزمان بحذف الجار فقال : (قبلهم) أى اتقى الطمئ
 المذكور في جميع الزمان الكائن قبل طمئ أصحاب هذه الجنان لهم ،
 فلو وجد في لحظة من لحظات القبل لما صدق النفي (ولا جان)
 فهن في غاية الاختصاص كل بما عنده (فبأى) أى فتسبب عن هذا
 التعدد لمثل هذه النعم العظيمة أنا نقول تعجيبا من يكذب تويخا له ١٠
 وتنبيهها على ما له تعالى من النعم التى تفوت الحصر : بأى (الآ ربك)
 أى النعم الجليلة من المدبر لكما بما له من القدرة التامة والعظمة
 الباهرة العامة (تكذبين) أبغمة الذوق من تحت أم بغيرها مما جعله
 مثالا لهذا من الأبرار المخدرات ، وجميع ما ذكر من النعم العامة الظاهرة
 فى كل حالة فى الدنيا والآخرة ، وختم بالتقرير أربع وعشرون ١٥
 ثمان منها أول السورة من النعم الدنيوية ، وست عشرة جنان ، وجعلها
 على هذا العدد ، إشارة إلى تعظيمها بتكثيرها فانه عدد تام لانه جامع
 لاكثر الكسور ، ولذا قسم الدرهم وغيره أربعة وعشرون قيراطا . ولما
 تم التقرير بالنعم المحيطة بالجهات الست والحواس الخمس على الوجه
 الأكمل من درء المفسد وجلب المصالح كما تقدمت الإشارة إليه بمدكر ، ٢٠

بقوله فهل من مدكره في القمر، / بالحسن (٩) فيها إلى الحواس الخمس وبشكرارها .
 و تكرار " فكيف كان عذابي و نذري " سقا إلى الجهات الست من جهة
 الوراء والخلف، أوترها بعمه أخرى واحدة إشارة إلى أن السبب في
 هذا اعتقاد وحدانية الواحد تعالى اعتقادا أدى الخضوع لأمر مرسل كلما
 ٥ جاء من عنده تعالى فلذلك كانت نعمه لا تنقطع أصلا، بل كلما تم
 دور منها ابتداء دور آخر جديد، وهكذا على وجه لا انقطاع له أبدا
 كما أن الواحد الذي هو أصل العدد لا انتهاء له أصلا، وهذه النعمة
 الدالة على الراحة الدائمة التي هي المقصودة بالذات على وجه لا يرى أغرب
 منه ولا أشرف، فقال تعالى مبينا حال المحسنين ومن دونهم شركاهم
 ١٠ في الراحة على ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
 بشر: ﴿ متكئين ﴾ أي لهم ذلك في حال الاتكاء ديدنا لأنهم لا شغل
 لهم بوجه إلا التمتع ﴿ على رفوف ﴾ أي ثياب ناعمة و فرش رقيقة
 النسيج من الدياج لينة و وسائد عظيمة [و -] رياض باهرة و بسط
 لها أطراف فاضلة . و رفوف السحاب مده أي ذيله المتدل .

١٥ ولما كان الأخضر أحسن الألوان و أبهجها قال: ﴿ حطري و عبقري ﴾
 أي متاع كامل من البسط و غيرها هو في كماله و غرابته كأنه من عمل
 الجن لنسبته إلى بلدهم، قال في "قاموس": عبقري موضع كثير الجن،
 و قرية بناؤها في غاية الحسن، و العبقري الكامل من كل شيء، والسيد
 والذي [ليس -] [هو -] شيء . و قال الرازي: هو الطنافس الخميعة،

(١) زيد من ظ و القاموس .

قال^١ ابن جرير^٢: الطنافس الثخان. وقال القشيري: العبقري عند العرب كل ثوب موشى. وقال الخليل: كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمر رضى الله عنه^٣: فلم أربقربا من الناس يفري فريه. وقال قطرب: ليس هو من المنسوب بل هو بمنزلة كرسى ويختى.

و لما كان المراد به الجنس. دل على كثرته بالجمع مع التعمير بالمفرد إشارة إلى 'وحدة تكامله' بالحسن فقال: (حسان ع) أى هى فى غاية من كمال الصنعة وحسن المنظر لا توصف (فبأى الآء ربكنا) أى النعم العظيمة من المحسن الواحد الذى لا يحسن غيره [و-] لا إحسان إلا منه ولا تعد نعمه ولا تحصى ثناء عليه (تكذبين ه) وبهذه الآية تمت النعم ١٠ الثمان المختصة بحجة أصحاب اليمين إشارة إلى العمل لأبوابها الثمانية - والله الموفق.

ولما دل ما ذكر فى هذه السورة من النعم على إحاطة مبدعها بأوصاف الكمال. ودل بالإشارة بالنعمة الأخيرة على أن نعمه لا نهاية لها لأنه مع أن له الكمال كله متعال عن شائبة نقص، فكانت ترجمة ذلك ١٥ قوله فى ختام نعم الآخرة مناظرة لما تقدم من ختام نعم الدنيا معبرا هناك بالبقاء لما ذكر قبله، من الفناء، وهذا [بما-] من البركة إشارة

(١) من ظ، وفى الأصل: قيل (٢) راجع جامع البيان ٢٧/ ٥ (٣) راجع صحيح البخارى - المناقب (٤-٤) من ظ، وفى الأصل: الوحدة الكاملة (ه) زيد من ظ (٦) زيد فى الأصل. ولا يكاد، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها.

إلى [أن] نعمه لا انقضاء لها - ١ : (تبرك) قال ابن برجان : تفاعل من البركة ، و لا يكاد يذكره جل ذكره إلا عند أمر معجب - انتهى ، و معناه ثبت ثباتا لا يسع العقول جمع وصفه لكونه على / صيغة المفاعلة المفيدة لبذل الجهد إذا كانت ممن تمكن منازعته ، و ذلك مع اليمن و البركة و الإحسان . و لما كان تعظيم الاسم أقعد و أبلغ في تعظيم المسمى قال :
 (اسم ربك) أى المحسن إليك بانزال هذا القرآن الذى جبلك على متابعته فصرت مظهرا له و صار خلقا لك فصار إحسانه إليك فوق الوصف ، ولذلك قال واصفا للرب فى قراءة الجمهور : (ذى الجلال) أى العظمة الباهرة فهو المنتقم من الأعداء (و الأكرام ع) أى الإحسان الذى لا يمكن الإحاطة به فهو المتصف بالجمال الأقدس المقتضى لفيض الرحمة على جميع الأولياء ، و قراءة ابن عامر " ذو " صفة للاسم ، و كذا هو فى مصاحف أهل الشام ، و الوصفان الأخيران من شبه الاحتباك لأنه حذف من الأول متعلق الصفة و هى النعمة للأعداء ، و من الثانى أثر الإكرام و هو الرحمة للأولياء ، فاثبات الصفة أولا يدل على حذف ١٥ ضدها ثانيا ، و إثبات الفعل ثانيا يدل على حذف ضده أولا ، و قال الرازى فى اللوامع : كأنه يريد بالاسم الذى افتتح به السورة و قد انعطف آخر السورة على أولها على وجه أعم ، فيشمل الإكرام بتعليم القرآن و غيره و الانتقام بادخال النيران و غيرها - الله سبحانه و تعالى هو الموقف للصواب .

(١) راجع نثر المرجان ٧ / ١٦١ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقيين من ظ .

(٢-٣) من ظ ، و فى الأصل : اول السورة على آخرها .

سورة الواقعة

مقصودها شرح^١ أحوال الأقسام الثلاثة المذكورة في الرحمن للأولياء من السابقين واللاحقين و الأعداء المشاqqين^٢ من المصارحين و المناققين^٣ من الثقلين للدلالة على تمام القدرة بالفعل بالاختيار الذي دل عليه آخر الرحمن بآيات الكمال [و - °] دل عليه آخر هذه بالتنزيه بالنفى لكل هـ شيء به نقص ثم الإثبات بوصف العظمة بجميع الكمال من الجلال و الجلال ، و لو استوى الناس لم يكن ذلك من بليغ الحكمة ، فان استواءهم يكون شبهة لأهل الطبيعة ، و اسمها الواقعة دال على ذلك بتأمل آياته و ما يتعلق الظرف به (بسم الله) الذي له الكمال كله تفاوت بين الناس في الأحوال (الرحمن) الذي عم بنعمة اليان و فاضل في ١٠ قبولها بين أهل الإدبار و أهل الإقبال (الرحيم) الذي أقبل^٤ بأهل حزنه إلى^٥ أهل قربه ففاضوا بمحاسن الأقوال و الأفعال .

لما صنف سبحانه الناس [في - °] تلك إلى ثلاثة أصناف : مجرمين و سابقين و لاحقين ، و ختم بعلة ذلك و هو أنه ذو الانتقام و الإكرام ، شرح أحوالهم في هذه السورة و بين الوقت الذي يظهر فيه ١٥

(١) السادسة و الخمسون من سور القرآن الكريم ، مكة ، و عدد آياتها (٩٦)

عند الكوفيين و (٩٧) عند البصريين ، و (٩٩) عند المدنيين و المكي و الشامي .

(٢) من ظ ، و في الأصل : سر (٣) من ظ ، و في الأصل : المناققين .

(٤) من ظ ، و في الأصل : المشاqqين (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و في

الأصل : عم (٧) من ظ ، و في الأصل : و .

إكرامه و انتقامه بما ذكر في الرحمن غاية الظهور فقال بانبا على ما أرشده السياق إلى أن تقديره : يكون ذلك كله كونا يشترك في علمه الخاص والعام : ﴿ اذا وقعت الواقعة لا ﴾ أى التى لا بد من وقوعها ولا واقع يستحق أن يسمى الواقعة بلام الكمال و تاء المبالغة غيرها ، و هى النفخة الثانية التى يكون عنها البعث الأكبر / الذى هو القيامة الجامعة لجميع الخلق للحكم بينهم على الانفراد الظاهر الذى لامدعى للشاركة فيه بوجه من الوجوه ، و يجوز أن يكون " إذا " منصوبا بالمحذوف لتذهب النفس فيه كل مذهب ، فيكون أهول^١ أى إذا وقعت كانت " أمور يضيق عنها " نطاق الحصر .

١٠ ولما كان هذا معناه الساعة التى أبرم القضاء بأنه لا بد من كونها ، عبر عنه بانبا على مبتدأ محذوف فقال : ﴿ ليس لوقعتها ﴾ أى تحقق وجودها ﴿ كاذبة ؟ ﴾ [أى كذب]^٢ فهى مصدر عبر عنه باسم الفاعل للمبالغة بأنه ليس فى أحوالها شيء يمكن أن ينسب^٣ إليه كذب ولا يمشى فيها كذب أصلا ولا يقر عليه ، بل كل ما أخبر بمجيئه جاء من غير أن يردده^٤ شيء ، وكل ما أخبر بنفيه اتقى فلا يأتي به شيء ، وقرر عظمتها وحق بعث الأمور فيها بقوله مخبرا عن مبتدأ محذوف : ﴿ خافضة ﴾ أى هى لمن يشاء الله خفضه^٥ من عظماء أهل النار وغيرهم

(١) من ظ ، وفى الأصل : احوال (٢-٣) من ظ ، وفى الأصل : اسرها و يضيق (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : من (٥) من ظ ، وفى الأصل : سبب (٦) من ظ ، وفى الأصل : يره (٧) من ظ ، وفى الأصل : الحفضة .

بما يشاءه من الجبال وغيرها إلى أسفل سافلين ﴿رافعة لا﴾ أى لضعفاء أهل الجنة وغيرهم من منازلهم وغيرها بما يشاءه إلى عليين ، لا راد لأمره ولا معقب لحكمه . ولما كان فى هذا من الهول ما يقطع القلوب الواعية أكده بقوله وزاد ما يشاء منه أيضا بقوله مبدلا من الظرف الأول بعض ما يدخل فى الرفع والخفض : ﴿إذا رجت الارض﴾ أى كلها على ه سعتها وثقلها بأيسر أمر ﴿رجلا﴾ أى زلزلات زلزلا شديدا بعنف فانخفضت وارتفعت ثم انتفضت بأهلها انتفاضا شديدا ، قال البغوى^١ : والرج فى اللغة التحريك . ولما ذكر حركتها المزعجة ، أتبعها غايتها فقال : ﴿وبست الجبال﴾ أى إقنت على صلابتها وعظمتها بأذن إشارة و خلط حجرها بترابها حتى صار شيئا واحدا ، وصارت كالعهن المنفوش ، و سيرت وكانت ١٠ تمر مر السحاب ﴿بسا لا فكانت﴾ أى بسبب ذلك ﴿هباء﴾ غبارا [هو -^٢] فى غاية الانمحاق ، وإلى شدة لطافته أشار بصيغة الاتفعال فقال : ﴿منبثلا﴾ أى منتشرا متفرقا بنفسه من غير حاجة إلى هواء يفرقه فهو كالذى يرى فى شعاع الشمس إذا دخل^٣ فى كوة .

ولما ذكر غاية مبادئها المرجفه المرهبة ، ذكر مبادئ غاياتها فقال : ١٥ ﴿وكنتم﴾ أى قسمتم بما كان فى جلاتكم وطباعكم فى الدنيا ﴿ازواجا ثلثة ه﴾ أى أصنافا لا تكمل حكمة صنف منها إلا بكونها [قسمين -^١] : أعلى ودونه ، ليكون ذلك أدل على تمام القدرة وهم أصحاب الميمنة المقسمين إلى سابقين وهم المقربون ، وإلى لاحقين وهم

(١) راجع المعالم بهامش الباب ١٢/٧ (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : دخلت .

الابرار أو أصحاب اليمين ، و كأنهم من أولى القلب الذى هو العدل السواء
 من أصحاب المشئمة إلى آخر أصحاب الميمنة فأصحاب السواء هم المقربون ،
 و بقية أصحاب الميمنة أصحاب اليمين ، و أصحاب المشئمة هم أصحاب القسم
 الثالث ، و كل من الثلاثة ينقسم إلى أعلى و دونه ، و قد تبينت الأقسام
 ٥ الثلاثة آخر السورة ، قال البيضاوى : و كل صنف يكون أو يذكر مع
 صنف آخر زوج . و لما قسمهم إلى ثلاثة / أقسام و فرع تقسيمهم ، ذكر
 ١٦٦ / أحوالهم و ابتدأ ذلك بالإعلام بأنه ليس الخبر كالخبر كما أنه ليس العين
 كالآثر فقال : ﴿ فاصحب الميمنة ١ ﴾ أى جهة اليمين و موضعها و أعمالها ،
 ثم فخم أمرهم بالتعجيب من حالهم بقوله منبها على أنهم [أهل - ١]
 ١٠ لأن يسأل عنهم فيما يفهمه اليمين من الخير و البركة فكيف إذا عبر عنها
 بصيغة مبالغة فقال : ﴿ ما ٢ ﴾ و هو مبتدأ ثان ﴿ اصحب الميمنة ٣ ﴾ أى
 جهة اليمين و موضعها و أعمالها ، و الجملة خبر عن الأولى ، و الرابط
 تكرار المبتدأ بلفظه . قال أبو حيان رحمه الله تعالى : ٢ : و أكثر ما يكون
 ذلك فى موضع التهويل و التعظيم .

١٥ و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما تقدم الإعذار فى السورتين
 المتقدمتين و التقرير على عظيم البراهين ، و أعلم فى آخر سورة القمر أن
 كل واقع فى العالم بقضاءه سبحانه و قدره " انا كل شئ خلقته بقدر "

(١) زيد من ظ (٢) زيد فى الأصل : ثم فخم أمرهم بالتعجيب من حالهم بقوله
 منها على أنهم أهل لأن يسأل عنهم فيما يفهمه اليمين ، و هو تكرار لخذلتها .
 (٣) راجع البحر المحيط ٨ / ٢٠١ .

”وكل شيء فعلوه في الزبر“ و اعلمهم سبحانه في الواقعة بانقسامهم الآخري فافتح ذكر الساعة ” اذا وقعت الواقعة “ إلى قوله ” وكنتم ازواجا ثلاثة “ فجردت هذه السورة للتعريف بأحوالهم الآخريه ، و صدرت بذلك كما جرد في هذه السورة قبل التعريف بحالهم في هذه الدار ، وما انجر في السور الثلاث جاريا على غير هذا الأسلوب فبحكم استدعاء الترغيب و الترهيب اضا بالعباد و رحمة و مطالعها مبذبة على ما ذكرته تصريحاً لا تلويحاً ، و على الاستيفاء لا بالإشارة و الإيماء ، و لهذا قال تعالى في آخر القصص الآخراية في هذه السورة : ” هذا نزلهم يوم الدين “ فأخبر أن هذا حالهم يوم الجزاء و قد قدم حالهم الدنياوى في السورتين قبل و تأكيد التعريف المتقدم فيما بعد ، و ذلك قوله ” فاما ان كان ١٠ من المقربين “ إلى خاتمتها - انتهى .

و لما ذكر الناجين بقسميهم ، أتبعهم أضدادهم فقال :
 ﴿ واصحب المشمة لا ﴾ أى جهة الشؤم و موضعها و أعمالها ، ثم عظم ذنبهم فقال : ﴿ ما اصحب المشمة ﴾ أى لأنهم أهل لأن يسأل عما أصابهم من الشؤم و الشر و سوء بعض قدرته التى ساقتهم إلى ما وصلوا ١٥ إليه من الجزاء الذى لا يفعله بنفسه عاقل بل ولا بهيمة مع ما ركب فيهم من العقول الصحيحة و الأفكار العظيمة و صان الأولين عن خذلان هؤلاء فأوصلهم إلى النعيم المقيم .

و لما ذكر القسمين ، و كان كل منهما قسمين ، ذكر أعلى أهل

(١) من ظ ، و فى الأصل : ذكر .

القسم الأول ترغيا في أحسن حالهم ولم يقسم أهل المصنفة توهيا من
سوء مآلهم فقال: ﴿ والسبقون ﴾ أى إلى أعمال الطاعة أصحاب
الجتين الأولين في الرحمن وهم أصحاب القلب ﴿السبقون﴾ أى هم الذين
يستحقون الوصف بالسبق لا غيرهم لأنه منزلة أعلى من منزلتهم فلذلك
سبقوا إلى منزلتهم وهى جنتهم وهم قسمان كما يأتى عن الرازى، وعن
المهدوى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال: السابقون الذين إذا أعطوا
الحق قبلوه وإذا / سئلوه بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم .

/ ١٦٧

ولما بين علو شأنهم ونسب السبق إليهم، ترجمه نازعا للفعل منهم
بقوله: ﴿ اولئك ﴾ أى العالو الرتبة جدا من 'الذين هم' أصحاب الميمنة
١٠ ﴿المقربون﴾ أى الذين اصطفاهم الله تعالى للسبق فأرادهم لقربه أو^٢
أنعم عليهم [بقربه - ^٢] ولولا فعله فى تقريهم لم يكونوا سابقين، قال
الرازى فى اللوامع: المقربون تخلصوا من نفوسهم فأعمالهم كلها لله دينا
ودنيا من حق الله وحق الناس، وكلاهما عندهم حق الله، والدنيا عندهم
آخرتهم لأنهم يراقبون ما يبدو لهم من ملكوته فيلقونه بالرضا والانقياد،
١٥ وهم صنفان، فصنف قلوبهم فى جلاله وعظمته هائمة قد ملكتهم هيتهم
فالحق يستعملهم، وصنف آخر قد أرخى^٣ من عنائه، فالأمر عليه أسهل
لأنه [قد - ^٢] جاور بقلبه هذه الحطة ومحل أعلى فهو أمين الله فى
أرضه، فيكون الأمر عليه أسهل لأنه قد جاور - انتهى . ثم

(١-١) سقط ما بين الرقنين من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: «و» (٣) زيد
من ظ (٤) من ظ، وفى الأصل: ملكهم (٥) من ظ، وفى الأصل: رجا .

[بين - ١] تقريره لهم بقوله : ﴿ في جنت النعيم ٥ ﴾ أى الذى لا نعيم غيره لأنه لا كدر فيه بوجه ولا منقص ، و الصنف الآخر منهم المتقربون و المتشاققون من أصحاب المشمة ، أولئك المغضوب عليهم المبعودون ، و من دونهم الضالون البعيدون و هم أصحاب الشمال .

و لما ذكر السابقين فصلهم فقال : ﴿ ثلثة ﴾ أى جماعة كثيرة حسنة ، ٥ و قال البغوى^٢ : و الثلثة جماعة غير محصورة العدد ، ﴿ من الاولين لا ﴾ و هم الانبياء الماضون عليهم الصلاة و السلام ، و من آمن بهم من غير واسطة رضى الله عنهم ﴿ و قليل من الآخرين ٥ ﴾ و هم من آمن بمحمد - عليه الصلاة و السلام - كذلك بغير واسطة رضى الله عنهم ، فقد كان الانبياء

عليهم الصلاة و السلام مائة ألف و نيفا و عشرين ألفا ، و كان من خرج ١٠ مع موسى عليه السلام من مصر و هم من آمن به من الرجال المقاتلين من هو فوق العشرين و دون الثمانين و هم ستمائة ألف فها ظنك^٣ بمن عداهم من الشيوخ و من دون العشرين من التابعين و الصبيان و من النساء ، فكيف بمن عداه من سائر النبيين عليهم الصلاة و السلام المجتدين من

بنى إسرائيل و غيرهم ، و قيل : الثلثة و القليل كلاهما من هذه الامة ، رواه ١٥ الطبرانى و ابن عدى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، و فيه أبان بن أبى عياش و هو متروك و رواه إسحاق بن راهويه و مسدد بن مسرهد و أبو داود الطيالسى و إبراهيم الحزبى و الطبرانى^٤ من رواية على بن زيد

(١) زيد من ظ (٢) راجع المعالم بهامش الباب ٧ / ١٣ (٣) من ظ ، و فى

الأصل : فان (٤) راجع جمع الزوائد ٧ / ١٨٨ .

و هو ضعيف عن عقبه بن صهبان عن أبي بكرة رضى الله عنه مرفوعا
و موقوفا ، و الموقوف أدلى بالصواب ، و تطبيقه على هذه الأمة سواء
كان مرفوعا أو موقوفا صحيح لا غبار عليه ، فتكون الصحابة رضى الله عنهم
كلهم من هذه الثلاثة و كذا من تبعهم باحسان إلى رأس القرن الثالث
٥ و هم لا يحصيهم إلا الله تعالى ، [و - '] من المعلوم أنه تناقص الأمر
بعد ذلك إلى أن صار / السابق في الناس أقل من القليل لرجوع الإسلام / ١٦٨
[إلى الحال - '] الذى بدأ عليها من الغربية ” بدأ الإسلام غريبا وسيكون
غريبا فطوبى للغرباء “ و يجوز أن يقدر أيضا : [و - '] ثلثة - أى جماعة
كثيرة هلكى - من الأولين ، و هم المعاندون من الأمم الماضين ، و قليل من
١٠ الآخرين - و هم المعاندون من هذه الأمة .

ولما ذكر السابقين في الخير [بصفيتهم مشيرا إلى السابقين في الشر - ']
بصفيتهم ، ذكر جزاء أهل الخير ليعلم منه جزاء أولئك ، فقال مبينا أنهم
ملوك لكن ملكهم لا ينافس [فيه - '] و لا يحاسد ، بل هو كله
يقابل بالوداد و الصفاء (على سرر) و هو ما يسر الإنسان من المقاعد
١٥ العالية المصنوعة للراحة و الكرامة التى هى آية الملك و هو العرش
(موضونة لا) أى منسوجة نسجا مضاعفا منضودة داخلا^٢ بعضها في
بعض مقارب النسج معجبا كالدرع لكن نسجها بالذهب مفصلا بالجواهر
من الدر و الياقوت .

ولما ذكر السرر و بين عظمتها ، ذكر غايتها فقال : (متكئين)

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفق الأصل : داخل :

أى متكئين هيئة المتربع أو غيرها من الجنب أو غيرها (عليها) ولما كان الجمع إذا كثر كان ظهور بعض أهله إلى بعض ، أعلم أن جموع أهل الجنة على غير ذلك فقال : (متقبلين هـ) فلا بعد ولا مداورة لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض ولا يكره بعضهم بعضا .

ولما كان المتكى قد يصعب عليه القيام لحاجته قال : (يطوف عليهم) هـ
أى لكفاية كل ما يحتاجون إليه (ولدان) على أحسن صورة وزى
وهية (مخلصين لا) قد حكم الله ببقائهم على ما هم عليه من الهيئة ، قال
البعوى : تقول العرب لمن كبر ومن شمت : إنه مخلص ، قال : قال الحسن :
هم أولاد أهل الدنيا ، لم يكن لهم حسنات يثابون^٢ عليها ولا سيئات يعاقبون
عليها لأن الجنة لا ولادة فيها ، فهم خدام أهل الجنة .

١٠

ولما كان مدخهم هذا في غاية الإبلاغ مع الإيجاز ، وكان فيه
- إلى تبليغ ما لهم - تحريك إلى مثل أعمالهم ، وكان الآكل الذى هو من
أعظم المآرب مشارا إليه بالمدح العظيم الذى^٣ من جملة الاستراحة على
الأمرة التى علم أن من عادة الملوك أنهم لا يتسمنونها إلا بعد قضاء الوطر
منه فلم يبق بعده إلا ما تدعو الحاجة إليه من المشارب وما يتبعها قال ١٥
تعالى : (باكوأب) أى كيزان مستديرة الأفواه بلا عرى ولا خراطيم
لا يعوق الشارب منها عائق عن الشرب من أى موضع أراد منها فلا
يحتاج أن يحول الإناء إلى الحالة التى تناوله عنها ليشرب ، ويمكن أن تكون

(١) راجع المعالم بهامش الباب ٧ / ١٤ (٢) من ظ ، وفى الأصل : يثابون .

(٣) من ظ ، وفى الأصل : التى .

البداة بالشراب لما نالوا من المتاعب من العطش كما لمن يشرب من
الحوض فيكون حيثنذ قبل الأكل والله أعلم ﴿ و اباريق لا ﴾ أى اوانى
لها عرى و خراطيم فيها من أنواع المشارب ما تشتهى الأنفس و تلذ
الاعين ﴿ وكاس ﴾ أى إناء معد للشرب فيه و الشراب نفسه .

٥ و لما كان الشراب عاما بينه بقوله : ﴿ من معين لا ﴾ أى خمر جارية

صافية صفاء الماء ليس يتكلف عصرها بل ينبع كما ينبع الماء . و لما

أثبت نفعها و ما يشوق إليها، نفي ما ينفر عنها فقال : ﴿ لا يصدعون ﴾

/ أى تصدعا يوجب المجاوزة ﴿ عنها ﴾ أى بوجع فى الرأس و لا تفرق / ١٦٩

للملالة ﴿ ولا ينزفون لا ﴾ أى يذهب بعقولهم بوجه من الوجوه أى يصرع

١٠ شرابهم، من نزفت البئر - إذا نزع ماؤها كله، و نزف فلان : ذهب

عقله أو سكر، و بنى الفعلان للجهول لأنه لم تدع حاجة إلى معرفة الفاعل،

و قال الرازى فى اللوامع : قال الصادق : لا تذهل عقولهم عن موارد

الحقائق عليهم و لا يغيثون عن مجالس المشاهدة بحال .

و لما بدأ بالالذهاضم للأكل ، تلاه بما يليه مما يدعو إليه الهضم

١٥ تصريحاً به بعد التلويح فقال : ﴿ وفاكهة مما يتخيرون لا ﴾ أى هو فيها

بحيث لو كان فيها جيد وغيره و اختاروا و بالغوا فى التتقى لكان مما

يقع التخير عليه، و لما ذكر ما جرت العادة بتناوله لمجرد اللذة، أتبعه

ما العادة انه لإقامة البيئة و إن كان هناك لمجرد اللذة أيضا فقال :

(١) من ظ ، و فى الأصل : لا يذهب (٢) زيد فى الأصل : به ، و لم تكن .

الزيادة فى ظ لحذفها .

(ولحم طير) ولما كان في لحم الطير ما يرغب عنه ، احترز عنه بقوله : (مما يشتهون) أى غاية الشهوة بحيث يحدون لآخره من اللذة 'ما لآوله' .

ولما كان لم يكن بعد الأكل والشرب أشهى من الجماع ، قال عاطفا على " ولدان " : (و حور عين) أى يظفن عليهم ، و جره حمزة ه والكسائي عطفا على " سرر فان النساء في معنى الاتكاء لانهن يسمين فراشا . ولما كان المثل في الأصل الشيء نفسه كما مضى في الشورى قال : (كأمثال) أى مثل أشخاص (اللؤلؤ المكنون) أى المصون في الصدف عما قد يدنسه .

ولما أبلغ في وصف جزائهم بالحسن والصفاء ، دل على أن أعمالهم ١٠ كانت كذلك لأن الجزاء من جنس العمل فقال تعالى : (جزاء) أى فعل لهم ذلك لأجل الجزاء (بما كانوا) جبلة وطبعا (يعملون) أى يحدون عمله على جهة الاستمرار .

ولما أثبت لها الكمال وجعله لهم ، نفى عنها النقص فقال : (لا يسمعون) أى على حال من الأحوال (فيها لنوا) أى شيئا مما لا ينفع فان ١٥ انكأ... بالسميع الحكيم ذلك ، واللغو : الساقط (ولا تائبا) أى ما يحصل به الإثم أو النسبة إلى الإثم ، بل حركاتهم وسكناتهم [كلها -] رضى الله ، و ما قطع قلوب السائرين إلى الله إلاها تان الخصلتان بينا أحدم

(١-١) من ظ ، وفي الأصل : ما لا يحدون لآخره (٢) راجع نر المرجان ١٦٨/٧ .

(٣) من ظ ، وفي الأصل : بما (٤) زيد من ظ .

ينى ما ينفعه مجتهدا فى البناء إذ هو قد غلبه طبعه فهدم أكثر ما بنى ،
وبينا هو يظن أنه قد قرب إذا هو 'تحقق بمثل ذلك أنه قد بعد، نرحت
داره وشط مزاره، فآله المستعان .

ولما كان الاستثناء، معيار (٩) العموم، ساق بصورة لاستثناء قوله :

٥ ﴿ الا قىلا ﴾ أى هو فى غاية اللطافة و الرقة بما دل عليه المبنى على ما
قلها محاسن مع ما تدل عليه مادة قوله . ولما تشوف السامع إليه
بالتعير بما ذكر، بينه بقوله : ﴿ سلما ﴾ ودل على دوامه بتكريره
فقال : ﴿ سلما ﴾ أى لا يخطر فى النفس ولا يظهر فى الحس منهم قول
إلا دالا على السلامة لأنه لا عطب فيها أصلا ، [و - '] ساقه مساق
١٥ الاستثناء المتصل دلالة على أنه إن كان فيها لغو فهو ذلك حسب ، وهو
ما يؤمنهم و ينعمهم و يبشرهم مع انه دال على حسن العشرة و جميل الصبغة
و تهذيب / الأخلاق و صفاء المودة . / ١٧٠

ولما آتم سبحانه القسم الأول القلى السواى المودى من الثلاثة
بقسميه ، و ذكر فى جزائه بما لأصحاب المدن ما لا يمكنهم الوصول إليه،
١٥ عطف عليه الثانى الذى هو دونه لذلك وهم والله أعلم الأبرار وهم أيضا
صنفان ، و ذكر فى جزائهم من جنس ما لأهل البوادر أنهى ما
يتصورونه و يتمنونه فقال : ﴿ و اصحب اليمين لا ﴾ ثم نغم أمرهم و أعلى
مدحهم لتعظيم جزائهم ، و الإشارة^٢ إلى أنهم أهل لأن يسأل عن حالهم
فأنهم فى غاية الإعجاب فقال : ﴿ ما اصحب اليمين^٣ ﴾ ولما عبر عنهم بما

(١) من ظ ، و فى الأصل : قد (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى .
الأصل : اشارة .

أنهم أنهم أولو القوة والجد في لأعمال، والبركة في جميع الأحوال، ذكر
عيشهم بادئا بالفاكهة لأن عيش الجنة كله تفكه، ذاكرها منها ما يثبت في
بلاد العرب من غير كلفة بغرس ولا خدمة، وأشار إلى كثرة ما يذكره
بأن جعله ظرفهم، فقال من غير ذكر لسرير الملك الذي حبا به المقربين
من الملك، ولم يزد على ذلك المأكل وما معه بما يتصور للبهائم: هـ
(في سدر) أى شجر نبق متدلى الأغصان من شدة حمله، من سدر
الشعر - إذا سدل (مخضود لا) أى هو مع أنه لاشوك له ولا عجم
حيث تنثى أغصانه من شدة الحمل، من خضد الشوك: قطعه، والغصن: ثناه
وهو رطب، وفي ذكر هذا تنبيه على أن كل ما لانفع فيه أو فيه نوع
أذى له في الجنة وجود كرم لأن الجنة إنما خلقت للنعيم . ١٠
ولما ذكر ما يطلع في الجبال والأماكن المعطشة والرمال، اتبعه
ما لا يطلع إلا على المياه دلالة على أن أماكنهم في غاية السهولة والرى
فقال: (وطلع) أى شجر موز أو نخل، وقال الحسن: شجر له ظل
بارد طيب، الرائحة [وقال الفراء وأبو عبيدة: شجر عظام لها شوك، وقيل:
هو أم غيلان، وله نور كثير - ١]، ويحكى عن أبي تراب النخشي ١٥
أنه كان ساراً مع قوم من الصوفية على قدم التوكل، فجاعوا أياماً
فقال: آريدون أن تأكلوا، قالوا: نعم، فضرب يده على شجرة أم
غيلان فاذا عليها عراجين موز، فأكلوا إلا شاباً منهم، فقال: لا آكل
(١) من ظ، وفي الأصل: ذلك هذا (١) زيد من ظ .

ولا اصحبك بعدها ، لأنى كنت أسير بلا معلوم ، وقد صرت أنت الآن معلومى ، كلما جمعت التفقت نفسى إليك . ﴿منضود لا﴾ أى منظوم بالحمل من أعلاه إلى أسفله متراكم يتراكب بعضه على بعض على ترتيب هو فى غاية الإعجاب ، قال فى القاموس : الطلح : شجر عظيم ، و الطلع : و الموز ، ٥ و الطلع من النخل : شئ يخرج كأنه نعلان مطبقان و الحمل بينهما منضود ، و الطرف محدد . أو ما يبدو من ثمرته أول ظهورها .

ولما ذكر ما لا يكون إلا فى البلاد الحارة قال : ﴿ وظل ممدود لا ﴾ أى مستوعب للزمان و المكان فهو دائم الاستمداد كما بين الإسفار و طلوع الشمس لافناء له و لانهاية . ولما كان ما ذكر من الرى لا يستلزم ١٠ الجرى^٢ قال : ﴿ و ماء مسكوب لا ﴾ أى جار فى منازلهم من غير ا حدود و لا يحتاجون فيه إلى جلب من الأماكن البعيدة ، و لا الإدلاء فى بر كما لأهل البوادي .

ولما ذكر ما تقدم ، عم بقوله : ﴿ و فاكهة كثيرة لا ﴾ أى اجناسها و أنواعها و أشخاصها . ولما كانت لا تكون عندنا إلا فى أوقات يسيرة ، ١٥ بين أن أمر الجنة على غير ذلك فقال : ﴿ لا مقطوعة ﴾ ولما كانت فى الدنيا قد يعز التوصل إليها مع وجودها لشيء من الأشياء أقله صعود الشجرة أو التحجز / بحدار أو غيره قال : ﴿ و لا ممنوعة لا ﴾ ولما كان التفكه لا يكمل الالتذاذ به إلا مع الراحة قال : ﴿ و فرش مرفوعة ﴾ أى هى رفيعة القدر و عالية بالفعل لكثرة الحشو و لتراكم بعضها على بعض

١٧١ /

(١) من ظ ، وفى الأصل : الحبر .

ولأنها على السرر ، وروى البغوى^١ من طريق النسائي عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ارتفاعها كما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام .

ولما كانت النساء يسمين فرشاً ، قال تعالى معيدا للضمير على غير ما يتبادر إليه الذهن من الظاهر على طريق الاستخدام مؤكداً لأجل هـ إنكار من ينكر البعث : ﴿ انا ﴾ أى بما لنا من 'القبرة' و'العظمة' التى لا يتعاطفها شيء ﴿ انشأنهن ﴾ أى الفرش التى معناها النساء من أهل الدنيا بعد الموت ولو عن الهرم و'العجز بالبعث' ، وزاد فى التأكيد فقال : ﴿ انشأه لا ﴾ أى من غير ولادة ، بل جمعناهن^٢ من التراب كما فعلنا فى سائر المكلفين ليكونوا كآبائهم آدم عليه الصلاة والسلام فى خلقه من ١٠ تراب ، فتكون الإعادة كالبداءة ، ولذلك يكون الكل عند دخول الجنة على شكله عليه الصلاة والسلام ، ويجوز أن يكون المراد^٣ بهن الحور العين فيكون إنشاء مبتدعاً لم يسبق له وجود .

ولما كان للنفس أتم التفات إلى الاختصاص ، وكان الأصل فى الانشأ المنشأة أن تكون بكرة ، به على أن المراد بكرة لا تزول إلا حال ١٥ الوطئ ثم تعود ، فكلما عاد إليها وجدها بكرة ، فقال : ﴿ لجمعنهن ﴾ أى الفرش الثيبات وغيرهن^٤ بعظمتنا المحيطة بكل شيء ﴿ ابكاراً لا ﴾ أى

(١) فى معالم التنزيل بهامش باب التأويل ٧ / ١٥ (٢-٢) سقط ما بين الرقین من ظ (٣-٣) مر ظ ، وفى الأصل : للبعث بالعجز (٤) من ظ ، وفى الأصل : جعلناهن (٥-٥) فى ظ : يراد .

بكاره دائمة لأنه لا تغيير في الجنة ولا نقص .

ولما كان مما جرت به العادة أن البكر تنضر من الزوج لما يلحقها من الوجع بازالة البكرة، دل [على] أنه لا نكد هناك أصلاً بوجع ولا غيره بقوله: ﴿عرباً﴾ جمع عرب، وهي الغنجة المتحبة إلى زوجها،
 ٥ قال الرازي في اللوامع: الفطنة بمراد الزوج كفطنة العرب . ولما كان الاتفاق في السن أدعى إلى المحبة ومزيد الألفة قال: ﴿أرباباً﴾ أى على سن واحدة وقد واحد، بنات ثلاث وثلاثين [سنة - ١] وكذا أزواجهن . قال الرازي في اللوامع: أخذ من لعب الصبيان بالتراب - انتهى،
 وروى البغوى^٢ من طريق عبد بن حميد عن الحسن: قال أتت عجوز^٣ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال: يا أم فلان! [إن - ١] الجنة لا تدخلها عجوز، فولت تبكي، قال: أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول: إنا أنشأناهم، الآية، رواه الترمذى عنه في الشمائل هكذا مرسلًا، ورواه البيهقي في كتاب البعث عن عائشة رضى الله عنها والطبراني في الأوسط من وجه
 ١٥ عنها، ومن وجه آخر عن أنس رضى الله عنه، قال شيخنا حافظ عصره ابن حجر: وكل طريقه ضعيفة، وروى البغوى^٢ أيضاً من طريق الثعلبي عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية

(١) من ظ، وفي الأصل: ما (٢) زيد من ظ (٣) راجع المعالم بهامش الباب ١٦ / ٧ (٤) زيد في الأصل: إلى، ولم تكن الزيادة في ظ والمعالم غلظناها .
 (٥-هـ) من ظ والمعالم، وفي الأصل: إلى أن أدخل (٦) زيد من المعالم .

قال: مجازكن في الدنيا عمشا رمسا فجملهن أبكارا .

ولما كان هذا الوصف البديع مقتضيا لما يزدهى [عنه - ١]
النفس لأن يقال: لمن هؤلاء؟ وإن كان قد علم قبل ذلك، به عليه
بقوله تعالى: ﴿ لا صاحب اليمين طي ﴾ ويجوز أن يتعلق بـ "أترابا"
نصا على أنهم في أستان أزواجهن .

٥

١٧٢ / / ولما أنهى وصف ما فيه أهل هذا الصنف على أنهى ما يكون
لأهل البادية بعد أن وصف ما للسابقين بأعلى ما يمكن أن يكون لأهل
الحاضرة، وكان قد قدم المقايسة في السابقين بين الأولين والآخرين،
فعل هنا كذلك فقال: ﴿ ثلثة من الأولين لا ﴾ أى من أصحاب اليمين
﴿ و ثلثة ﴾ أى منهم ﴿ من الآخرين ﴾ فلم يبين فيهم قلة ولا كثرة، ١٠
و الظاهر أن الآخرين أكثر، فإن وصف الأولين بالكثرة لا ينافي كون
غيرهم أكثر ليتفق مع قول النبي صلى الله عليه وسلم: إن هذه الأمة
ثلثا أهل الجنة، فانهم عشرون ومائة صف، هذه الأمة منهم
ثمانون صفا .

ولما أتم وصف ما فيه الصنفان المحمودان، وبه تمت أقسام أصحاب ١٥
الميمنة الأربعة الذين هم أصحاب القلب واليمين، أتبعه أضدادهم فقال:
﴿ و اصحاب الشمال لا ﴾ أى الجهة التى تتشامم العرب بها وعبر بها عن
الشيء الأخرس والحظ الأنقص^٢، والظاهر أنهم أدنى أصحاب المشامة كما

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: أزواج (٣) من ظ، وفى
الأصل: الأنفس .

كان أصحاب اليمين دون السابقين من أصحاب الميمنة ، ثم عظم ذمهم
ومصائبهم فقال : ﴿ مَا أَصْحَابُ الشَّامِ ۚ ﴾ [أى - ١] إنهم بحال من الشوم
هو جدير^٢ بأن يسأل عنه^٣ . ولما ذمهم وعابهم ، ذكر عذابهم ليعلم أن
القسم الأشد منهم في الشؤم أشد عذابا فقال : ﴿ فِي سَمُومٍ ۚ ﴾ أى
ظرفهم المحيط بهم لفح من لفح النار شديد يتخلل المسام (وحميم لا)
أى ماء حار بالغ في الحرارة إلى حد يذيب اللحم .

ولما كان للتهكم في القلب من شديد الوجد ما يجعل عن الوصف
والحد قال : ﴿ وَظِلٍّ ﴾ ثم أتبعه ما صرح بأنه تهكم فقال : ﴿ مِنْ يَحْمُومٍ ۚ ﴾
أى دخان أسود كاللحم أى الفحم شديد السواد بما أفهمته الزيادة وشبه
١٠ صيغة المبالغة . ولما كان المعهود من الظل البرد والإراحة ، نقي ذلك
عنه^٤ فقال : ﴿ لَا بَارِدٍ ﴾ ليروح النفس ﴿ وَلَا كَرِيمٍ ۚ ﴾ ليؤنس به ويلجأ
إليه ويرجى خيره^٥ ويعول في حال عليه بأن يفعل ما يفعله الواسع
الخلق الصفوح من الإكرام ، بل هو مهين ، سماه ظلا لتراتح النفس إليه
ثم نقي عنه تقع الظل و بركته لينضم حرقان : الياس بعد الرجاء إلى
١٥ إحراق اليحوم فتصير الغصة غصتين .

ولما أنتج هذا أنه على خلق اللثيم فهو موضع الحرارة والضيق
والخسة والشدة ، علاه بقوله : ﴿ أَنَّهُمْ ﴾ أكدته وإن كان فيهم أهل
(١) زيد من ظ (٢ - ٢) من ظ ، وفى الأصل : هم جديرون (م) من ظ ،
وفى الأصل : عنهم (٤) من ظ ، وفى الأصل : متحلل (٥ - ٥) من ظ ، وفى
الأصل : عن ذلك (٦) من ظ ، وفى الأصل : غيره .

الضر لاجتماعهم في الاسترواح إلى منابذة الدين باتباع الشهوات، ولأن ما مضى لهم بالنسبة إلى هذا العذاب حال ناعم، وعبر بالكون دلالة على العرافة في ذلك ولو بتهوؤم له جبلة وطبعا فقال: ﴿ كانوا ﴾ أى في الدنيا. ولما كان ذلك ملازما للاستغراق في الزمان بميل الطباع، نزع الجار فقال: ﴿ قبل ذلك ﴾ أى الأمر العظيم [الذى - '] وصلوا هـ إليه ﴿ مترفين قميلاً ﴾ أى في سعة من العيش منتمكين في الشهوات مستمتعين بها متمكين فيها لترامى طباعهم إليها فأعقبهم ما في جلاتهم من الإخلاد إلى الترف عدم الاعتبار والاعتاظ في الدنيا والتكر على الدعاة إلى الله، وفي الآخرة شدة الألم لرقه أجسامهم المهمة للترف بتعودها

بالراحة باخلادها إليها وتعويلها عليها ﴿ وكانوا ﴾ أى مع الترف ١٠ ﴿ بصرون ﴾ أى يقيمون ويدومون على سبيل التجديد بما لهم من الميل الجلبى إلى ذلك ﴿ على الخنث ﴾ أى الذنب / ، ومنه قولهم: بلغ الغلام الخنث، أى الحلم الذى هو وقت المواخذه بالذنب، ويطلق الخنث على الكذب والميل إلى الأباطيل واليمين الغموس ونقض العهد المؤكد.

ولما كان ذلك قد يكون من " المعهود بما يغتفر بكونه صغيرا ١٥ أوفى وقت يسير قال: ﴿ العظيم ٤ ﴾ دالا على أنهم يستهينون العظام من القبائح والفواحش.

ولما وصفهم بالترف والإصرار على السرف، وكان ذلك يلازم

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: يدعون (٣) من ظ، وفى الأصل: فى.

البطالة، وكان يلزم عنها الغباوة و الفساد الموجب للشقاوة، ذكر إنكارهم
لما لا أبين منه، فقال عاطفا على ما أفهمه التعبير عن الإثم بالحنث
[من نحو - ١]: فكانوا يقسمون بالله جهد أيمانهم انهم لا يعثون و أن
الرسل كاذبون: ﴿ و كانوا يقولون لا ﴾ أى إنكارا مجددين لذلك دائما
٥ جلافة أو عنادا: ﴿ انذا ﴾ أى أنبث إذا، وحذف العامل لدلالة "مبعوثون"
عليه، ولا يعمل هو لأن الاستفهام و حرف التأكيد اللذين لهما الصدر
منهائ (متنا) أى فلم يبق فى رد أرواحنا طب بوجه ﴿ وكنا ﴾ أى
كونا ثابتا ﴿ ترابا وعظاما ﴾ و لما كان استفهامهم هذا لإنكار ان يكون
فى شيء من إقامة أبدانهم أو رد أرواحهم طب، أعاد الاستفهام
١٠ تأكيداً لإنكارهم فقال: ﴿ انا لمبعوثون لا ﴾ أى كائن و ثابت بعثنا ساعة
من الدهر، وأكدوا ليكون إنكارهم لما دون المؤكد بطريق الأولى .
و لما كانت أفهامهم واقفة مع المحسوسات لجودهم. وكان البلى كلما
كان أقوى كان ذلك البلى فى زعمهم من البعث أبعد، قالوا مخرجين
فى جملة فعلية عاطفا على الواو من "مبعوثون" من غير تأكيد بضمير
١٥ الفصل بالاستفهام: ﴿ او ابآونا ﴾ أى يبعث أبأونا أى يوجد بعثهم من
حين، وزادوا الاستبعاد على ما أفهموا بقولهم: ﴿ الاولون ﴾ أى
الذين قد بليت مع لحومهم عظامهم، فصاروا كلهم ترابا ولا سيما إن
حملتهم السيول ففرقت ترابهم فى كل أوب، و ذهبت به فى كل صوب،
وسكن نافس و ابن عامر الواو على أن العاطف "أو" ويجوز أن

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : أعادوا .

يكون العطف على محل 'ان' واسمها .

ولما كانوا في غاية الجلالة، رد إنكارهم بآثبات ما نفوه، وزادهم الإخبار باهانتهم ثم دل على صحة ذلك بالدليل العقلي لمن يفهمه، فقال مخاطبا لأعلى الخلق وأوقفهم به لأن هذا المقام لا يذوقه حق ذوقه إلا هو كما أنه لا يقوم بتقريره لهم والرفق بهم [إلا هو]: ﴿قل﴾ أى لهم و لكل من ٥ كان مثلهم، وأكد لإنكارهم: ﴿ان الاولين﴾ الذين جعلتم الاستبعاد فيهم أوليا، ونص على الاستغراق بقوله: ﴿والآخرين﴾ ودل على سهولة بعثهم وأنه في غاية الثبات، منها على أن نقلهم بالموت والبلّي تحصيل لا تفويت: ﴿لمجموعون﴾ بصيغة اسم المفعول، في المكان الذي يكون فيه الحساب . ولما كانت جمعهم بالتدرّج، عبر بالغاية فقال: ١٠ ﴿الى ميقات﴾ أى زمان و مكان ﴿يوم معلوم﴾ أى معين عند الله، ومن شأنه أن يعلم بما عنده من الآمارات، والميقات: ما وقت به الشيء من زمان أو مكان أى حد .

ولما كان زمان البعث متراخيا عن نزول القرآن، عبر بأداته و أكد لأجل إنكارهم فقال: ﴿ثم﴾ أى بعد البعث بعد الجمع المدرج ١٥ ﴿انكم﴾ / وأيد ما فهمه من أصحاب الشمال هم القسم الأدنى من أصحاب المشأمة فقال: ﴿ايها الضالون﴾ أى الذين غلبت عليهم الغباوة فهم لا يفهمون، ثم أتبع ذلك ما أوجب الحكم عليهم بالضلال فقال: ﴿المكذبون﴾ أى تكذبا ناشئا عن الضلال والتقيد بما لا يكذب

به^١ إلا عريق في التكذيب بالصدق (لا كلون من شجر) منبته النار .
 ولما كان الشجر معدن الثمار الشهية^٢ كالسدر و الطلح ، بينه بقوله :
 (من زقوم^٣) أى شئ هو في غاية الكراهة والبشاعة في المنظر وتن
 الرائحة والأذى ، قال أبو عبد الله القزاز في ديوانه الجامع و عبد الحق
 ه في واعيهِ : الزقم^٤ : شوب اللبن و الإفراط فيه ، يقال : بات يزقم اللبن
 زقما ، و من هذا الزقوم الذى ذكره الله^٥ تبارك و تعالى ، و قالوا : قال
 أبو حنيفة : الزقوم شجرة غبراء صغيرة [الورق - °] لا شوك لها زفرة لها
 كعابر في رؤسها و لها ورد تجرشه النحل ، و نورها أبيض و رأس و رنفها
 قبيح جدا ، و هى مرعى ، و منابتها السهل ، قال في القاموس : في الدفر
 ١٠ بالبدال المهملة ، الدفر - بالتحريك : وقوع الدود في الطعام و الذل
 و النتن ، و يسكن ، و قال في المعجمة : الدفر - محركة : شدة ذكامة الريح كالذفرة
 أو ينخص^٦ برائحة الإبط المتنن ، و النتن و ماء الفحل ، و الذفراء من الكتاب :
 السهكة من الحديد ، و الكعبرة بضميتين و عين و راء مهملتين : عقدة أنبوب
 الزرع ، و عن السهيلي أن أبا حنيفة ذكر في النبات أن شجرة بالين
 ١٠ يقال لها الزقوم لا ورق لها ، و فروعها أشبه شئ برؤس الحيات ، و قال
 البيضاوى : شجرة صغيرة الورق دفرة مرة تكون بتهامة ، و في القاموس :
 و لزقة : الطاعون . و قال في النهاية : فعول من الزقم : اللقم الشديد

(١) من ظ و في الأصل : فيه (٢) من ظ ، و في الأصل : المشبهة (٣) من ظ ،
 و في الأصل : الزقوم (٤) من ظ ، و في الأصل : ذكر (٥) زيد من ظ .
 (٦) من ظ ، و في الأصل : ذكاة (٧) في القاموس : يخصان .

و الشرب المفرط، وقال ابن القطاع^١: زقم زقما: بلع، وقد علم من [مجموع - ٢] هذا الكلام تفسيره بالطاعون تارة والشرب المفرط أخرى، ومن الاشتراط والشجرة المنتنة والبشعة المنظر أنه شيء كرهه يضطر آكله إلى التملؤ منه بنهمة وهمة عظيمة، ومن العلوم أن الحامل له على هذا مع هذه الكراهة لا يكون إلا في أعلى طبقات ه الكراهة، ولذلك حسن جدا [موقع - ٢] قوله مسيبا عن الآكل: ﴿فالتون﴾ أى ملئنا هو في غاية الثبات وأتم في غاية الإقبال عليه [مع ما هو عليه - ٢] من عظيم الكراهة ﴿منها﴾ أى الشجر، أنه لأنه جمع شجر أو^٢ هو اسم جنس، وهم يكرهون الإناث فتأنيثه - والله أعلم - زيادة [في - ٢] تنفيرهم منه ﴿البطون﴾ أى لشيء عجيب يضطركم إلى ١٠ تناول هذا الكره بما هو أشد منه كراهة بطبقات من جوع أو غيره، وإن فسرت بما قالوا [من - ٢] أنه معروف لهم أنه الزبد بالتمر لم يضر ذلك بل يكون المعنى أنهم يتملؤن منها تملؤا من يأكل من هذا في الدنيا مع أنه من المعلوم أنه لا شيء في النار المعدة [للعذاب - ٢] لمن أعدت لعذابه حسن .

١٥

ولما كان من يأكل كثيرا يعطش عطشا شديدا فيشرب ما قدر عليه رجاء تبريد ما به من حرارة العطش، سبب عنه قوله: ﴿فشربون عليه﴾ أى على [هذا - ٢] الملىء أو الأكل / ﴿من الحميم﴾ أى الماء الذى ١٧٥ / هو في غاية الحرارة بحيث ضوعف إحماؤه وإغلاؤه .

ولما كان شربهم^١ لآدنى قطرة من ذلك في غاية العجب، ٢٠

(١) في كتاب الأفعال ٢ / ٨٦ (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل : و .
(٤) من ظ ، وفي الأصل : شومهم .

أتبعه ما هو اعجب منه وهو شدة تملؤهم منه فقال مسيبا عما مضى:
 (فشربون) أى منه (شرب) بالفتح فى قراءة الجماعة وبالضم
 لنافع وعاصم وحمة، وقرئ شاذا بالكسر والثلاثة مصادر، قال فى
 القاموس: وشرب كسمع شربا ويثك أو الشراب مصدر وبالضم والكسر
 ٥ اسمان، وبالفتح القوم: يشربون، وبالكسر: الماء والحظ منه، والمورد
 ووقت الشرب، والكل يصلح هنا (الهيم^١) أى الإبل العطاش لأن
 بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع أهيم، وقال القزاز: جمع هيام
 وهو اى - الهيام - بالضم: داء يصيب الإبل فتشرب ولا تروى -
 انتهى. وقال: ذو الرمة^١:

١٠ فأصبحت كالهيام لا الماء مبرد صداها ولا يقضى عليها هيامها

ويقال: الهيم: الرمل، ينصب فيه كل ما صب عليه، والمعنى أنه يسلط عليهم من
 الجوع ما يضطرهم إلى الأكل ثم من العطش ما يضطرهم إلى الشرب على هذه الهيئة.
 ولما كان كأنه قيل: هذا عذابهم كله، قيل تهكما بهم ونكاية لهم:
 (هذا نزلهم) أى ما يعد لهم أول قدومهم مكان ما يعد للضيف أول
 ١٥ حلوله كرامة له (يوم الدين^٢) أى الجزاء الذى هو حكمة القيامة،
 وإذا كان هذا نزلهم فما ظنك بما يأتى بعده على طريق من يعنى
 به فما ظنك بما يكون [لمن -^٣] هو أغنى منهم من المعاندين وهو
 فى طريق التهنيم مثل قول أنى الشعراء الضبي:

وكنا إذا الجبار^٢ بالسيف^١ صافنا جعلنا القنا والمرفات له نولا

(١) راجع البحر المحيط ٢٠٨/٨ (٢) زيد من ظ والبحر المحيط (٣) من ظ ،
 وفى الأصل: ما الجار (٤) فى البحر: بالحيث .

ولما ذكر الواقعة وما يكون فيها للأصناف الثلاثة، وختم بها على وجه بين فيه حكمتها وكانوا ينكرونها، دل عليه بقوله: ﴿ نحن ﴾ أى لا غيرنا ﴿ خلقكم ﴾ أى بما لنا من العظمة، ولعل هذا الخطاب للدهرية المعطلة من العرب . ولما كانوا منكرين [للبعث عدوا منكرين للابتداء-^١] وإن كانوا من المخلصة (٢) بالمقرين بالخالق لأنها لما بينهما من ٥ الملازمة لا انفكاك لأحدهما عن الآخر فقال: ﴿ فلو لا ﴾ أى تسبب عن ذلك أن يقال تهديدا وعيدا: هلا ولم لا ﴿ تصدقونه ﴾ أى بالخلق الذى شاهدتموه ولا منازع لنا فيما فيه فتصدقوا بما لا يفرق بينه وبينه إلا بأن يكون أحق منه فى مجارى عاداتكم، وهو الإعادة فتعملوا عمل العبيد لساداتهم ليكون حالكم حال مصدق بأنه مربوب . ١٠ ولما حضضهم على التصديق بالاستدلال بإيجادهم، وكان البعث إنما هو تحويلهم من صورة بالية إلى الصورة التى كانوا عليها من قبل، سبب عن تكذيبهم به مع تصديقهم بالخلق عدم النظر فى تبديل الصور فى تفاصيله، أو سبب عن قول من عساه يقول من أهل الطبائع: إنما خلقنا من نطفة حدثت بحرارة كامنة^٢، فقال: ﴿ افروا ﴾ أى أخبروني هل ١٥ رأيتم بالبصر أو البصيرة أنا خلقناكم فيهدىكم ذلك أنا تقدر على الإعادة كما قدرنا على البداية فرأيتم ﴿ ماتمون ﴾ أى تريقون - / من ١٧٦ / النطف التى هى منى فى الأرحام بالجماع .

ولما كانت العبرة بالمسبب لا بالسبب، نه على ذلك بتجديد الإنكار

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: كامله .

تنبيها على أنهم وإن كانوا معترفين بتفردده بالإبداع، فإن إنكارهم للبعث مستلزم لإنكارهم لذلك فقال: ﴿وأنتم تخلقونه﴾ أى 'توجدونه مقدرا' على ما هو عليه من الاستواء والحكمة بعد خلقه من صورة النطفة إلى صورة العلقة ثم من صورة العلقة إلى صورة المضغة ثم منها إلى صورة العظام والأعصاب ﴿أم نحن﴾ خاصة. ولما كان المقام لتقرير المنكرين ذكر^٢ الخبر المفهوم من السياق على وجه أفهم أن التقدير: أو أنتم الخالقون له أم نحن؟ فقال: ^٣ بل نحن ﴿الخلقون﴾ أى الثابت لنا ذلك، فالآية من الاحتباك: ذكر أولا "تخلقون" دليلا على حذف مثله [له - ^٤] سبحانه ثانيا، وذكر الاسم [ثانيا - ^٤] دليلا على حذف مثله ١٠ لهم أولا، وسر ذلك [أنه ذكر - ^٤] ما هو الأوفق لأعمالهم بما يدل على وقت التجدد [ولو - ^٤] وقاما، وما هو الأولى بصفاته سبحانه بما يدل على الثبات والدوام.

ولما كان الجواب: أنت الخالق وحدك، وكان الطبيعي ربما قال: اقتضى ذلك الحرارة [المخمرة - ^٤] للنطفة، وكانت المفاوطة للأجال مع المساواة فى اسمية الحياة من الدلائل العظيمة على تمام القدرة على الإفاء والإبداء بالاختيار مبطله لقول أهل الطبائع دافعة لهم، أكد ذلك الدليل بقوله: ﴿نحن﴾ أى بما لنا من المظنة لا غيرنا ﴿قدرنا﴾ أى تقديرا

(١ - ١) من ظ، وفى الأصل: يجدونه مقدورا (٢) من ظ، وفى الأصل: أكد (٣-٢) -قط ما بين الرقین من ظ (٤) زيد من ظ (٥) من ظ، وفى الأصل: ما.

عظيما، لا يقدر سوانا على نقض شيء منه (بينكم) أى كلكم لم تترك أحدا منكم بغير حصة منه (الموت) أى أوجباه على مقدار معلوم لكل أحد لا يتعداه، فقصرنا عمر هذا وربما كان فى الأوج من قوة البدن وصحة المزاج، فلو اجتمع الخلق كلهم [على] إطالة عمره ما قدروا أن يؤخروه لحظة، وأطلنا عمر هذا وقد يكون فى الحضيض من ضعف هـ البدن واضطراب المزاج فلو تماثلوا على تقصيره طرفة عين لعجزوا، وأتم معترفون بأنه سبحانه رب أفعاله على مقتضى الكمال والقدرة والحكمة البالغة، فلو كانت فائدة الموت مجرد القهر لكانت نقضا لكونه يعم الغنى والفقير والظالم والمظلوم، ولكان جعل الإنسان مخلدا أولى وأحكم، فقائده غير مجرد القهر وهى الحمل على إحسان العمل للقاهر خوفا من ١٠ العرض عليه والمحاسبة بين يديه ثم النقلة إلى دار الجزاء والترقية إلى العلوم التى البدن حجابها من تمييز الخبيث والطيب والعلم بمقادير الثواب والعقاب، وغير ذلك مما يبصره أولو الأبواب .

و لما كان حاصل الموت أنه تغيير الصورة التى كانت إلى غيرها، وكان من قدر على تحويل صورة شيء إلى شيء قدر على تحويلها ١٥ إلى شيء آخر مماثل لذلك الشيء قال: (وما نحن) أى على ما لنا من العظمة، وأكد النفي فقال: (بمسبوقين) أى بالموت ولا عاجزين ولا مغلوبين (على أن نبدل) تبديلا عظيما (أمثالكم) أى صوركم وأشخاصكم لما تقدم فى الشورى من أن المثل فى الأصل هو الشيء نفسه (وتنشكم) أى إنشاء جديدا بعد تبديل ذواتكم (فى ما لا تعلمونه) ٢٠

فان بعضهم تأكله السباع أو الحيتان/ أو الطيور فنشأ أبدانها منه، 'بعضهم
يصير ترابا فربما نشأ منه نبات فأكلته الدواب، فنشأ منه' أبدانها، وربما
صار ترابه من معادن الأرض كالذهب والفضة والحديد والحجر ونحو
ذلك، وقد لمح إلى ذلك قوله تعالى "قل كونوا حجارة أو حديدا
٥ 'أو خلقا'" إلى آخرها، أو يكون المعنى كما قال البغوي^٢: نأتى بخلق
مثلكم بدلا منكم ونخلقكم فيما لا تعلمون من الصور. أى بتغيير^٣ أو صافكم
و صوركم فى صور أخرى بالمسخ، ومن قدر على ذلك قدر على الإعادة.
ولما كان التقدير: فلقد علمتم النشأة الثانية النطفية، عطف عليه
قوله مؤكدا تنبيها على أنهم لما كانوا يعملون بخلاف ما يعلمون كانوا كأنهم
١٠ منكرون لهذا العلم: ﴿ولقد علمتم﴾ أى أيها العرب ﴿النشأة الاولى﴾
التراية لآبيه آدم عليه الصلاة والسلام: أو اللحمية لأنكم حواء عليها
السلام حيث لم يكن هناك طبيعة تقتضى ذلك، وإلا لوجد مثل ذلك
بعد ذلك، والنطفية لكم، وكل منها تحويل من شئ إلى غيره، فالذى
شاهدتم قدرته على ذلك لا يقدر على تحويلكم بعد أن تصيروا ترابا إلى
٥ ما كنتم عليه أولا من الصورة؟ ولهذا سبب عما تقدم قوله: ﴿فلولا﴾
أى فهلا ولم لا ﴿تذكرون﴾ أى تذكروا عظيما تكرهون أنفسكم وإن
كان فيه خفاء ما - بما أشار إليه الإدغام من أن المعلوم عليه غيب، وكذا

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: آخره.
(٣) راجع المعالم بهامش الباب ١٩/٧ (٤) من ظ، وفى الأصل: بتغيير (ه) فى
ظ: إلى (٦) سقط من ظ.

بعض ما قيس به ان من قدر على هذه الوجوه من الإبداعات قدر على الإعادة، بل هي أهون في مجارى عاداتكم .

ولما كان عليهم بأمر النبات الذى هو الآيسة العظمى لإعادة
الأموات أعظم من عليهم بجميع ما مضى، وكان أمره في الحرث
وإلقاء البذر [فيه - ١] أشبه شيء بالجماع وإلقاء النطفة، ولذلك سميت
المرأة حرثا، وصل بما مضى مسييا عنه قوله منكرا عليهم: ﴿ افرءيتم ﴾
أى أخبرونى هل رأيتم بالبصر أو البصيرة ما نهناكم عليه وفيما تقدم
قتسب عن تنبهكم لذلك أنكم رأيتم ﴿ ما تحرثون ﴾ أى تجددون حرثه
على سبيل الاستمرار بتهيئة أرضه للبذر ' وإلقاء البذر فيه ' .

ولما كانوا لا يدعون القدرة على الإنبات بوجه، وكان القادر عليه ١٠
قادرا على كل شيء، وهم يعتقدون فى أمر البعث ما يؤدى إلى الطعن
فى قدرته، كرر الإنكار عليهم فقال: ﴿ ماتم تزرعون ﴾ أى تثبتونه بعد
طرحكم البذر فيه وتحفظونه إلى أن يصير مالا ﴿ ام نحن ﴾ خاصة،
وأكد لما مضى بذكر الخبر المعلوم من السياق فقال: ﴿ الزرعون ﴾
أى المنتبون له والحافظون، فالآية من الاحتباك بمثل ما مضى فى ١٥
أختها قريبا سواء .

ولما كان الجواب قطعا: أنت الفاعل لذلك وحدك ؟ [قال - ١]
موضحا لأنه ما زرعه غيره بأن الفاعل الكامل من يدفع عما صنعه ما

(١) زيد من ظ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) من ظ ، وفى
الأصل : بما .

يفسده، ومن إذا أراد إفساده لم يقدر أحد على منعه ﴿لو نشأ﴾ أى
لو عاملناكم بصفة العظمة، وأكد لأن فعلهم فعل الآمن [من - ١]
ذلك مع أنهم فى غاية الاستبعاد لأن يهلك زرعهم كما زرعه أو لأن
المطعم أهم من المشروب و أعظم، فانه الاصل فى إقامة البدن و المشروب
٥ تبع له فقال: ﴿لجعلناه﴾ أى بتلك العظمة ﴿حطاما﴾ أى مكسرا
مفتتا / لا حب فيه قبل النبات حتى لا يقبل الخروج أو بعده يبرد مفرط
أو حر مهلك أو غير ذلك فلا ينتفع به ﴿فظلتم﴾ أى فأقمت بسبب
ذلك نهارا فى وقت الأشغال العظيمة و فى كل وقت وتركتم كل ما
يهمكم ﴿تفكهون﴾ قال فى القاموس: فكهم بملح الكلام: أطرفهم
١٠ بها وفكه - كفرح فكها فهو فكه وفكه: طيب النفس أو يحدث
صحه فيضحكهم ومنه تعجب كفكه، والتفاكه: التمازح، و تفكه: تندم،
والأفكوكه: الأعجوبة، وقال ابن برجان: الفك هو المتردد فى القول
الذاهب فيه كل مذهب - انتهى. فأقمت دائما تندمون على العاقبة (٩)
أو معاصيكم التى سببت ذلك التلف أو تتعجبون أو تحدثون فى ذلك
١٥ ولم تعرجوا على شغل غيره كما تفعلون عند الأشياء السارة التى هى فى
غاية الإعجاب والملاحة والملازمة، ولهذا عبر عما المراد به الإقاة مع
الدوام بـ "ظل" الذى معناه أقام نهارا إشارة [إلى ترك الأشغال التى
تهم و محلها النهار: يمنع الإنسان من أكثر ما يهيمه من الكلام لهذا النازل
الأعظم، وحذف إحدى لامى ظل وتاء الفعل من تفكه إشارة - ١]

(١) زيد فى ظ: تفكه.

إلى ضعف المصابين عن الدفاع في بقائهم وفي كلامهم حال بقائهم الضعيف، وكون المحذوف عين الفعل وهو الوسط، إشارة إلى خلع القلب واختراق الجوف والقهر العظيم، فلا قدرة لأحد منهم على ممانعة هذا النازل بوجه ولا على تبريد ما اعتراه منه من حرارة الصدر وخوف الفقر بغير الشكاية إلى آماله من يعلم أنه لا ضرر في يده ولا نفع، هـ وربما كان ذلك إشارة إلى [أنه - '] عاداته سبحانه قرب الفرج في شدائد الدنيا ليكون الإنسان متمكناً من الشكر لا عذر له في تركه، ويكون المعنى أنكم مع [كثرة - '] اعتيادكم للفرج بعد الشدة عن قرب تأسون أول ما يصدكم البلاء، فتقبلون على كثرة الشكاية، ولا ينفعكم كثرة التجارب لإدراك النعم أبداً .

١٠

ولما ذكر تفكهم، وكان التفكه يطلق على ما ذكر من التعجب والتندم وعلى التعم، قال الكسائي: هو من الأضداد، تقول العرب: تفككت أى تعممت، وتفككت، أى حزنت، بين المراد بقوله حكاية لتفكهم: (أنا) وأكد إعلاماً بشدة بأسهم [فقال - ']: (لمغرمون لا) أى مولع بنا وملازمون بشر دائم وعذاب وهلاك لهلاك رزقنا، ١٥ أومكرمون بغرامة ما أنفقنا ولم ينفع به، وقراءة أبي بكر عن عاصم بالاستفهام لإنكار هذا الواقع والاستعظام له والتعجب منه، وهى منبهة على أنهم لشدة اضطرابهم^٢ من ذلك الحادث مذبذبون تارة يحزمون باليأس والشر وتارة يشكون فيه وينسبون الأمر إلى سوء تصرفهم، وعليه يدل

(١) زيد من ظ (٢) في ظ : اضطرابهم .

إضرابهم^١: ﴿ بل نحن ﴾ أى خاصة ﴿ محرومون ٥ ﴾ أى حرمانا غيرنا
 و هو من لا يرد قضاؤه، فلا حظ لنا فى الاكتساب، فلو كان الزارع من
 له حظ لأفلح زرعه، قال فى القاموس: الغرام: الولوع^٢ والشر الدائم والهلاك
 والعذاب، والغرامة ما يلزم أدائه، وحرمة: منعه، والمحروم، الممنوع عن
 ٥ الخير ومن لا ينمى له مال والمخارف - [أى -^٣] بفتح الراء - وهو الممنوع
 من الخير الذى لا يكاد يكتسب، وقال الأصهبانى فى تفسيره: والمحروم
 ضد المرزوق، أى والمرزوق المجرد بالجيم وهو المحظوظ.

/ ولما وقفهم على قدرته فى الزرع مع وجود أسبابه، وقدمهم
 بشدة إليه، وكان ربما ألبس نوع لبس لأن لهم فيه سببا فى الجملة،
 ١٠ أتبعه التوقيف على قدرته على التصرف فى سببه الذى هو الماء الذى لا سبب
 لهم فى شئ من أمره أصلا، فقال مسليا عما أقادهم هذا التنبية مذكرا
 بنعمة الشرب^٤ الذى يحوج إليه الغذاء: ﴿ افرئتم ﴾ أى أخبرونى هل
 رأيتم بالبصر أو البصيرة ما نهنا عليه بما مضى فى المطعم وغيره، أفرأيتم
 ﴿ الماء ﴾ ولما كان منه ما لا يشرب، وكانت النعمة فى المشروب أعظم،
 ١٥ قال واصفا له بما أغنى عن وصفه بالعذوبة، وبين موضع النعمة التى
 لا يحيد عنها فقال^٥: ﴿ الذى تشربون^٦ ﴾ ولما كان عنصره فى^٧ جهة
 العلو، قال منكرا عليهم مقررا لهم: ﴿ اتم انزلتموه ﴾ ولما كان الإنزال

(١) فى الأصل: اضطرابهم، وفى ظ: إضرابهم (٢) من ظ و القاموس،
 وفى الأصل: الوداع (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، وفى الأصل: مذكر (٥) من
 ظ، وفى الأصل: الرب (٦ - ٦) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) من
 ظ، وفى الأصل: من.

قد يطلق على مجرد إيجاد الشيء النفيس ، و كان السحاب من عادته
المرور مع الريح لا يكاد يثبت ، عبر بقوله تحقيقا لجهة العلو و توقيفا
على موضع النعمة في إثباته إلى أن يتم حصول النفع به : ﴿ من المزن ﴾
أي السحاب المملوء المدوح الذي شأنه الإسراع في المضي ، وقال
الأصبهاني : [و - '] قيل : السحاب الأبيض خاصة ، وهو أعذب ماء ه
﴿ ام نحن ﴾ أي خاصة . وأكد بذكر الخبر وهو لا يحتاج إلى ذكره
في أصل المعنى فقال : ﴿ المنزلون ه ﴾ أي له ، رحمة [لكم - '] وإحسانا
إليكم بتطيب عيشكم على ما لنا من مقام العظمة الذي شأنه الكبر والجبروت
وعدم المبالاة بشيء ، والآية من الاحتباك بمثل ما مضى في الآيتين
السابقتين سواء .

١٠

و لما كان الجواب : أنت وحدك فعلت ذلك على غناك عن الخلق
بما لك من الرحمة و كمال الذات والصفات ، قال مذكرا بنعمة أخرى :
﴿ لونشآء ﴾ أي حال إزاله وبعده قبل أن يتفجع به . و لما كانت صيرورة
الماء [ملحا - '] أكثر من صيرورة التبت حطاما ، لم يؤكد لذلك
وللتنيه على أن السامعين لما مضى التوقيف على تمام القدرة صاروا في ١٥
حيز المعترفين فقال تعالى : ﴿ جعلته ﴾ أي بما تقتضيه صفات العظمة
﴿ اجاجا ﴾ أي ملحا مرا محرقا كأنه في الأحشاء لهيب النار الموجع فلا
يبرد عطشا ولا يثبت نباتا يتفجع به . و لما كان هذا بما لا يساغ^٢ لإنكاره ،
(١) زيد من ظ (٢) زيد في الأصل : له ، ولم تكن الزيادة في ظ لغذفها .

سبب عنه على سبيل الإنكار والتحضيض قوله: ﴿فلو لا تشكرون﴾
 أى فهل لا ولم لا تجدون الشكر على سبيل الاستمرار باستعمال ما أفادكم^١
 ذلك من القوى فى طاعة الذى أوجده لكم ومكنكم منه وجعله ملائمة
 لطباعكم مشتتهى لنفوسكم نافعا لكم فى كل ما زونه .

٥ ولما كانت النار سببا لعنصر ما فيه الماء فيتقلب فيتقاطر كما
 كان الماء سببا لتشقيق الأرض بالزرع، ولم يكن لمخلوق قدرة على
 التوصل بنوع سبب، أتبعه بها كما أتبع الزرع بالماء لذلك وليان القدرة
 على ما لاسبب فيه لمخلوق فى السفلى كما كان إنزال الماء عرياعن سنتهم
 فى العلو، فقال مسيبا عما مضى تنبيها على أنه أهلهم للتأمل فى مصنوعاته
 ١٨٠ / ١٠ والتبصر فى عجائب آياته فقال: / ﴿افريتم﴾ أى أخبروني هل رأيتم
 بالابصار والبصار ما تقدم فرأيتم ﴿النار﴾ ولما كان المراد نارا
 مخصوصة توقفهم^٢ على تمام قدرته وتكشف لهم ذلك كشفا يينا بايجاد
 الاشياء من أضدادها فقال: ﴿التي توروون^٣﴾ أى تستخرجون من الزند
 فتوقدون به سواء كان الزند يابسا أو أخضر بعد أن كانت خفية فيه
 ١٥ لا يظن من لم يحرب ذلك أن فيه نارا أصلا، فكان ذلك مثل التورية
 التى يظهر فيها شيء ويراد غيره، ثم صار بعد ذلك الخفاء^٤ إلى ظهور
 عظيم وسلطة متزايدة وعظمة ظاهرة تحرق كل ما لا يسها حتى ما
 خرجت منه، والعرب أعرف الناس بأمر الزند، وذلك أنهم يقطعون
 (١) من ظ، وفى الأصل: افاد (٢) من ظ، وفى الأصل: توققم (٣) من
 ظ، وفى الأصل: الاخفاء (٤) فى ظ: باهرة .

غصنا من شجر المرخ و آخر من العفار ، ويحكون احدهما على الآخر
 فتقذح منها النار على أن النار في كل شجر ، وإنما خص المرخ و العفار
 لسهولة القذح منهما ، وقد قالوا: في كل شجر نار واستمجد المرخ و العفار .
 ولما كان هذا من عجائب الصنع ، كرر التقرير و الإنكار تنبيها
 عليه فقال: ﴿ اتم انشاتم ﴾ أى اخترعتم و أوجدتم و أودعتم ه
 و أحيتهم و ربيتم و أوقعتم ﴿ شجرتها ﴾ أى المرخ و العفار التى تتخذون
 منها الزناد الذى يخرج منه . و أسكنتموها النار مخلطة بالماء الذى هو ضدها
 و خبأتموها في تلك الشجرة لايبدو واحد منها على الآخر مع المضادة
 فيغلبه حتى يمحقه و يعدمه ﴿ ام نحن ﴾ أى خاصة ، و أكد بقوله :
 ﴿ المنشئون ه ﴾ أى لما بنا لنا من العظمة على تلك الهيئة ، فن قدر على ١٠
 [إيجاد - ٢] النار التى هى أيبس ما يكون من الشجر الأخضر مع ما
 فيه من المائية المضادة لها في كفيتهما ، كان أقدر على إعادة الطراوة
 و الغضاضة في تراب الجسد الذى كان غضا طريا فيبس و يلى ، و الآية
 من الاحتباك بمثل ما مضى في أخواتها سواء .

و لما كان الجواب قطعاً: أنت وحدك ، قال دالا على ذلك ١٥
 تنبيها على عظم هذا الخبر: ﴿ نحن ﴾ أى خاصة ﴿ جعلناها ﴾ بما اقتضته
 عظمتنا ، و قدم من منافعها ما هو أولى بسياق البعث الذى هو مقامه فقال :
 ﴿ تذكرة ﴾ أى شيئا تذكرونه و تذكرون به تذكرنا عظيما جليلا عن

(١) من ظ ، و فى الأصل : واحدا (٢) من ظ ، و فى الأصل : ذلك (٣) زيد
 من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : مثل (هـ-ه) سقط ما بين الرقين من ظ .
 (هـ) سقط من ظ .

كل ما أخبرنا به من البعث وعذاب النار الكبرى وما ينشأ فيها من
 شجرة الزقوم 'وغير ذلك' مما نيره لأولى البصائر والفهوم من العلوم،
 قال ابن برجان: فوزان قدح الزناد من الشجر، والزناد وزان الصيحة
 بهم ووزان إنشائه الأجسام ووزان إنشائه الشجرة النار، ويتذكر بانشائها
 ٥ في الشجر إنشاء الحياة في الأجسام وانشائها من غيبها أن النار الكبرى
 في غيب ما نشاهده، وهذا من آثار كونها في الجو - انتهى - وعلق
 بها سبحانه كثيرا من أسباب المعاش التي لاغنى عنها ليكون مذكرا لهم
 بما أوقدوا به حاضرا دائما فيكون أجدر باتعاظهم (ومتاعا) أى إنشاء
 وبقاء و تعميرا ونفعا وإيصالا إلى غاية المراد من الاستضاءة والاصطلاء
 ١٠ والإيضاح والتحليل والإذابة والتعقيد والتكليس، وهروب السباع
 وغير ذلك، والمراد أنها سبب لجميع ذلك (للقوين؟) أى الجياع
 الذين أقوت بطونهم - أى خلت - من الفقر والإغناء من التازلين بالارض
 القواء، والقواء بالكسر والمد أى القفر الخالية المتباعدة الأطراف / البعيدة
 / ١٨١ من العمران، وكل آدمى مهيا للقواء فهو موصوف به وإن لم يكن حال
 ١٥ الوصف كذلك، وقال الرازى: أقوى من الأضداد: اغتنى واقتقر،
 وقال أبو حيان^٢: وهذه الأربعة التي ذكرها الله تعالى ووقفهم عليها
 من أمر خلقهم وما به قوام عيشهم من المطعوم والمشروب، والنار
 من أعظم الدلائل على البعث إذ فيها انتقال من شئ إلى شئ وإحداث

(١ - ١) من ظ، وفي الأصل: غيرك (٢) من ظ، وفي الأصل: بارض.

(٣) راجع البحر المحيط ٢١٢/٨.

شيء من شيء، ولذلك امر في آخرها بتنزيهه - انتهى .

ولما دل [سبحانه - ١] في هذه الآيات على عجائب القدرة و غرائب الصنع، فبدأ بالزرع و ختم بالنار و الشجر، و أوجب ما نبه عليه من التذكر لأمرها و التبصر في شأنها [أنها - ١] من أسباب ما قبلها، و أنه سبب لها لكونه سببا لها للإثبات ما هي له، و كان مجموع ذلك إشارة ٥ إلى ٢ العناصر الأربعة، قال ابن برجان: إلا أن الماء و الأرض لخلق الأركان، و الأخلاق و الصفات للهواء و النار، و كان ذلك من جميع وجوهه أمرا باهرا، أشار إلى زيادة عظمته بالأمر بالتنزيه مسييا عما أفاد ذلك، فقال معرضا عن قد يلزم به الإنكار مقبلا على أشرف خلقه إشارة إلى ٣ أنه لا يفهم هذا المقام حق فهمه سواه و لا يعمل به حق عمله ١٠ غيره ٢: (فسبح) أى أوقع التنزيه العظيم عن كل شائبة نقص من ترك البحث و غيره و لا سيما بعد بلوغ هذه الأدلة إلى حد المحسوس تسليح متعجب من آثار قدوته الدالة على تناهي عظمته و تسليح شكر له و تعظيم له و إكبار و تنزيه عما يقول الجاحدون و تعجب منهم مقتديا بجميع ما فى السماوات و الأرض، و من أعجب ذلك أنه سخر لنا ١٥ فى هذه الدار جهنم، قال ابن برجان: جعل منها بجمرة الشمس جنات و ثمرات و فواكه و زروع ٤ و معاش .

(١) زيد من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) زيد فى الأصل: قال، ولم تكن الزيادة فى ظ لخذفناها (٤) من ظ ، وفى الأصل: زرع .

ولما كان تعظيم الاسم اقعد^١ في تعظيم المسمى قال : (باسم)
 أى متلبسا بذكر اسم (ربك) أى المحسن بعد الترية إليك بهذا البيان
 الأعظم بما خصك به مما لم يعطه أحدا غيرك ، وأثبتوا ألف الوصل هنا
 لأنه لم يكثر دوره كثرته في البسملة منها وحذفوه منها لكثرة دورها
 هـ وهم^٢ شأنهم الإيجاز وتقليل الكثير إذا عرف معناه ، وهذا معروف
 لا يجهل ، وإثبات ما أثبت من أشكاله بما لا يكثر دليل على الحذف منه ،
 وكذا لا تحذف الألف مع غير الباء في اسم الله ولا مع الباء في غير
 الجلالة من الاسماء لما تقدم من العلة .

ولما كان المقام للتعظيم قال : (العظيم ع)^{ثلاثة} الذي ملا^٣ الأكوان كلها
 ١٠ عظمة ، فلا شيء منها إلا وهو مملوء بعظمته تبرزها عن أن تلحقه شائبة
 نقص أو يفوته شيء من كمال ، قال القشيري : وهذه الآيات التي عددها
 سبحانه تمهيد لسلوك طريق الاستدلال وكما في الخبر ” تفكر ساعة خير
 من عبادة ستين سنة ” هذه الفكرة التي نبه الله عليها .

ولما كان من العظمة الباهرة^٢ ما ظهر في هذه السورة من أفانين
 ١٥ الإنعام في الدارين ، وبدأ بنعمة الآخرة لكونها النتيجة ، ثم دل عليها
 بانعامه في الدنيا فكان تذكيرا بالنعم لتشكر ، ودلالة على النتيجة لتذكر ،
 وفي كل حالة تستحضر فلا تكفر ، فوصلت الدلالة إلى حد هو أوضح
 من المحسوس وأضوأ من المشموس ، وكان / مع هذه الأمور الجليلة

/ ١٨٢

(١) من ظ ، وفي الأصل : انقذ (٢) من ظ ، وفي الأصل : هو (٣) من ظ ،
 وفي الأصل : التي نبه الله عليها .

في مظهر أعجز الخلائق على أن يأتوا بمثله من كل وجه، [أما -^١] من جهة الجواب عن^٢ تشبههم وتعتهم فلكونه يطابق ذلك مطابقة لا يمكن أن يكون شيء مثلها^٣، ويزيد على ذلك بما شاء الله من المعارف من غير أن يدع لبسا، و [أما -^١] من جهة المفردات فلكونها النهاية في جلالة الألفاظ ورشاقة الحروف وجمع المعاني، فيفيد ذلك أنه لا تقوم كلمة ه أخرى مقام كلمة منه أصلا، وأما من^٤ جهة التركيب فلكون كل [كلمة -^١] منها أحق في مواضعها بحيث أنه لو قدم شيء منها أو أخر لا اختل المعنى المراد في ذلك السياق بحسب ذلك المقام، وأما من جهة الترتيب^٥ في الجمل والآيات والقصص في المبادئ والغايات فلكونه مثل تركيب الكلمات، كل جملة منتظمة بما قبلها انتظام [الدر -^١] اليتيم في العقد المحكم النظيم، ١٠ لأنها إما أن تكون علة لما تلت أو دليلا أو متممة بوجه من الوجوه الفارقة^٦ على وجه تمتع الجنبات جليل الحجاب لتكون أحلى في فقه، وأجلى بعد ذوقه في نظمه و سائر علمه، فكان ثبوت جميع ما أخبر به على وجه لا مغتر فيه و لا وقفة في اعتقاد حسنه، فثبت أن الله تعالى أرسل الآتي بهذا القرآن صلى الله عليه وسلم بالهدى وبالحق، لا أنه أتاه كل ما ينبغي ١٥ له، فأتاه الحكمة وهي البراهين القاطعة واستعمالها على وجوهها، و الموعظة الحسنة، وهي الأمور المرققة للقلوب المنورة للصدور، و المجادلة التي هي على أحسن الطرق في نظم معجز موجب^٧ للإيمان، فكان من سمعه

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفي الأصل: على (٣) من ظ، وفي الأصل: منها (٤) من ظ، وفي الأصل: ان (٥) من ظ، وفي الأصل: التركيب (٦) من ظ، وفي الأصل: الفارقة (٧) في ظ: منقط .

ولم يؤمن لم يبق له من الممحلات إلا أن يقول: هذا البيان ليس لظهور المدعى و ثبوته بل لقوة عارضة المدعى وقوته على تركيب الأدلة و صوغ^١ الكلام و تصريف وجوه المقال ، و هو يعلم أنه يغلب لقوة جداله لا لظهور مقاله^٢، كما أنه ربما يقول أحد المتأخرين عند انقطاعه لخصمه: أنت تعلم أن الحق معي لكنك تستضعفى ولا تصفى، لحينئذ لا يبق للخصم جواب إلا الإقسام بالإيمان التي لا يخرج عنها أنه غير مكابر وأنه منصف، وإنما يفزع^٣ إلى الإيمان لأنه لو أتى بدليل آخر لكان معرضاً لمثل هذا، فيقول: وهذا غلبتي فيه لقوة جدالك وقدرتك على سوق الأدلة بيلاعة مقالك، فلذلك كانوا إذا ألجمهم النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: إنه يريد أن يتفضل علينا فيما نعلم خلافه، فلم يبق إلا الإقسام، فأنزل الله أنواعاً من الإقسام بعد الدلائل العظام، ولهذا كثرت [الآيات - ٤] في أواخر القرآن، وفي السبع الأخيرة خاصة أكثر، فلذلك سبب عن هذه الأدلة الرائعة والبراهين القاطعة قوله: ﴿ فلا أقسم ﴾ بآيات " لا " النافية^٤، إما على أن يكون مؤكدة بأن ١٥ بنفى^٥ ضد ما أثبتته القسم، فيجمع الكلام بين إثبات المعنى المخبر به ونفى ضده، وإما على تقدير أن هذا المقام يستحق لعظمته وإنكاركم له أن

(١) من ظ ، وفي الأصل: صدع (٢) من ظ ، وفي الأصل: لمقاله .

(٣) من ظ ، وفي الأصل: يصوع (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، وفي

الأصل: الناهية (٦) من ظ ، وفي الأصل: يبق .

يقسم عليه بأعظم من هذا على ما له من العظمة لمن له علم -
والله أعلم .

- / ولما كان [الكلام - '] السابق في الماء الذي جعله سبحانه مجعما . ١٨٢ /
- لنعم الدنيوية الظاهرة وقد رتب سبحانه لإنزاله الأنواء على منهاج دبره
وقانون أحكمه ، وجعل إنزال القرآن نجوما مفرقة و بوارق متلثة .
متألقة قال : ﴿ بمواقع النجوم ﴾ أى بمساقط الطوائف القرآنية المنيرة
النافعة المحيية للقلوب ، وبهبوطها الذى ينبى عليه ما ينبى من الآثار الجليلة
و أزمان ذلك و أما كنه و أحواله ، و بمساقط الكواكب و أنوائها و أما كنه
ذلك و أزمانه فى تدبيره على ما ترون من الصنع المحكم و الفعل المتقن
المقوم ، الدال بغروب الكواكب على القدرة على الطى بعد النشر و الإعدام ١٠
بعد الإيجاد ، و بطلوها الذى يشاهد أنها ملجأة إليه لجاء الساقط من علو
إلى سفلى لا يملك لنفسه شيئا ، لقدرة على الإيجاد بعد الإعدام ، و بآثار
الأنواء على مثل ذاك بأوضح منه - إلى غير ذلك من الدلالات التى يضيق
عنها العبارات ، و يقصر دون عليها مديد الإشارات ، و لمثل هذه
المعاني الجليلة و الخطوب العظيمة جعل فى الكلام اعتراضا بين القسم ١٥
و جوابه ، و فى الاعتراض اعتراضا بين الموصوف و صفته تأكيداً للكلام ،
و هذا لناقد الافهام تنبيها على أن الأمر عظيم و الخطب فادح جسيم ،
فقال موضحا له بالتأكيد رحمة للعبيد بالإشارة إلى أنهم جروا على غير
ما يعلمون من عظمتا فعدوا غير عالمين : ﴿ وانه ﴾ أى هذا القسم على
(١) زيد فى الأصل : انتهى ، ولم تكن الزيادة فى ظ ل فخذناها (٢) زيد من ظ .

[هذا - '] المنهج (لقسم لو تعلمون) أى لو تجدد لكم فى وقت علم
لعلتم أنه (عظيم) وإقسامه لنا على ذلك ونحن أقل قدرا وأضعف
أمرنا إعلاما بما له من الرحمة التى من أعظمها أنه لا يتركنا سدى - كل
ذلك ليصلح أنفسنا باتباع أمره والوقوف عند زجره، قال ابن برجان :
• ومن إتيانه جل جلاله فى خليقته وحكمه فى بريته أن جعل لكل
واقع من النجوم الفلكية طالعا يسمى بالإضافة إلى الواقع الرقيب دون
تأخر، وذلك هو المشار إليه بقوله تعالى ”رب المشرقين ورب المغربين
فبأى الآء ربكما تكذبان“ يجمع ذلك الشمس والقمر والنجوم وهى
نجوم منازل القمر عددها ثمانية وعشرون منزلة سوى تحجبها الشمس
١٠ فتمت تسع وعشرون منزلة يستشرفها القمر، فربما استر ليلة وربما
استر ليلتين، فالقمر ينزل فى هذه المنازل كل ليلة منزلة حتى يتمها
[لتمام - '] الشهر، وأما الشمس فانها تقيم فى كل منزلة [منها - ']
ثلاثة عشر يوما خلا الجهة فانها تقيم فيها أربعة عشر يوما ويسمى
حلولها فى هذه المحال ثم طلوع المنزلة التى تليها لوقوع هذا رقيب لها
١٥ نوء - انتهى. وهوى معنى أن من تأمل هذه الحكم علم ما فى هذا القسم من
العظم، وأشبع القول فيها أبو الحكم، وبين ما فيها من بدائع النعم، ثم
قال : ويفضل الله - ' [بفتح رحمة كما شاء فينزل] من السماء - ' [
ماء مباركا يكسر به من برد الزمهرير فيرطبه ويرد من حر السعير فيعدله،
وقسم السنة على أربعة فصول آتم / فيها أمره فى الأرض بركاتها وتقدير

/ ١٨٤]

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : لنجوم .

أقواتها ، [قال : و بارك فيها و قدر بها أقواتها - '] في أربعة أيام ،
ثم قال : و جعل هذه الدنيا على هذا الاعتبار الجنة الصغرى ، و لو آتم القسم
على هذا الوجه تم على الاعتبار تخفيفه الفيج و إنارته الزمهرير و السعير
هى جهنم الصغرى .

و لما آتم القسم على هذا الوجه الجليل ، أجابه بقوله مؤكدا [لما - '] ه
لهم من ظاهر الإنكار : (انه) أى القرآن الذى أفهمته النجوم بعموم
أفهامها (لقرا ن) [أى - '] جامع سهل قريب مفقه مبين للغوامض
ذو أنواع جليلة (كريم) ظهرت فيه أفانين إنعامه سبحانه فيما دق من
أمر هذه الدنيا و جل من أمور الدارين بما ذكر فى هذه السورة و ما
تقدمها من إصلاح المعاش و المعاد ، فهو بالغ الكرم منزّه عن كل
شائبة نقص و لؤم و دناءة ، من كرمه كونه من الملك الأعلى إلى خير
الخلق بسفارة^٢ روح القدس و بلسان العرب [الذين اتفق الفرق على
أن لسانهم أفصح اللسن و على وجه أعجز العرب - '] .

و لما ذكر المعنى ، ذكر محل النظم الدال عليه بلفظ دال على نفس
النظم فقال : (فى كتب) أى خط و مخطوط فيه جامع على وجه ١٥
هو فى غاية الثبات (مكنون) أى هو فى ستر مصون لما له من النفاسة
و العلو^٣ فى السماء فى اللوح المحفوظ ، و فى الأرض فى الصدور المشرفة ،
(١) زيد من ظ (٢) زيد فى الأصل : فيها ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .
(٣) من ظ ، و فى الأصل : جعل (٤) من ظ ، و فى الأصل : لسعار (هـ-هـ) فى
ظ : العلو و النفاسة .

وفي السطور في المصاحف المكرمة المطهرة، محفوظا مع ذلك من التغيير والتبديل .

ولما كان ما هو كذلك قد يحصل له خلل يسوء خدامه قال :
 ﴿ لا يمسّه ﴾ أى الكتاب الذى هو مكتوب فيه أعم من أن يكون
 ٥ فى السماء أو فى الأرض أو القرآن أو المكتوب منه فضلا عن أن
 يتصرف فيه ﴿ الا المطهرون ٥ ﴾ أى الطاهرون الذين بولغ فى تطهيرهم
 وهم رؤس الملائكة الكرام ، ولم يكن السفير به إلا هم ولم يسر [الله -]
 حفظه إلا لأطهر عباده ، ولم يعرف معناه إلا لأشرف حفاظه وأطهرهم
 قلوبا ، ومن عموم ما يتحمله اللفظ من^٢ المعنى بكونه كلام العالم لكل
 ١٠ شئ . فهو لا يحمل لفظا إلا وهو مراد له أنه يحرم منه على من لم يكن
 له فى غاية الطهارة^٣ بالبعد عن الحديثين الأكبر والأصغر ، فهو على هذا
 نفي بمعنى النهى وهو أبلغ ، قال البغوى^٤ : وهو قول أكثر أهل العلم ،
 وروى بإسناد من طريق أبى مصعب عن مالك عن عبد الله بن
 ابن بكر بن عمرو بن حزم أن فى الكتاب الذى كتبه رسول الله صلى الله
 ١٥ عليه وسلم لعمر بن حزم رضى الله عنه أن لا يمس القرآن إلا طاهر ،
 والمراد به المصحف للجوار كما فى النهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض
 العدو . وما يحتمله أيضا التعبير باللس أنه لا يقرأه بلسانه إلا طاهر ،

(١-١) سقط ما بين الرقعين من ظ (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل :
 فى (٤) من ظ ، وفى الأصل : الظاهر (٥) راجع المعالم بهامش الباب ٢١/٧ .
 (٦) زيد فى الأصل : وهو ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفناها .

فان اريد الجنابة كان النهى للحرمة أو للاكل .

ولما ذكر الذى منه صيائته ، أتبعه شرفه بشرف منزله و إنزاله على حال هو فى غاية العظمة مسميا له باسم المصدر للبالغة ولأن هذا المصدر أغلب أحواله ، ولذلك [غلب - ٢] عليه هذا الاسم : (تنزيل) أى

وصوله إليكم بالتدرج بحسب الوقائع والتقريب للفهام والتأنى والترقية ه من حال إلى حال وحكم إلى حكم بواسطة الرسل من الملائكة . ولما

كان هذا فى غاية الاتفاق واليسر ذكر من صفاته / ما يناسبه * فقال : ١٨٥ / (من رب العالمين ه) من الخالق العالم بتريتهم .

ولما أفصح من وصف هذا الكتاب العظيم ما يقتضى أن يكون

بمجرده مثبتا لما لا تدركه العقول من كماله وكافيا فى الإذعان لاعتقاده ١٠ فكيف إذا كان ما تحكم العقول وتقضى بفساد ما سواه ، فكيف إذا كان بما يتذكر الإنسان مثله فى نفسه ، عجب منهم فى جعله سببا لإنكار البعث الذى إذا ذكر الإنسان أحوال نفسه كفاه ذلك فى الجزم به فقال منكرا تعجبا : (أفهكذا) ولما كان الإنسان مغرما بما يجدد له

من النعم ولو خلق فكيف إذا كان أعلى النعم قال : (الحديث) ١٥ أى الذى تقدمت أوصافه العالية وهو متجدد إليكم إنزاله وقتا بعد وقت (أتم) أى وأتم العرب الفصحاء والمفوهون البلغاء (مدهنون لا)

(١) زيد من ظ ، وفى الأصل : ذلك (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : بوسائط (٤) من ظ ، وفى الأصل : التيسير (٥) من ظ ، وفى الأصل : يناسب (٦) من ظ ، وفى الأصل : انضح (٧-٧) من ظ . وفى الأصل : لدركه .

أى كذابون مافقون بسببه تظهرون غير ما تبطنون أنه كذاب^١ و اتم
تعلون صدقه بحسن معانيه، و عجزكم عن مماثلته في نظومه و مبانيه،
و تقولون: لو شئنا لقلنا مثل هذا: و جميع أفعالكم تخالف هذا فانكم تصبرون
لوقع السيوف و معانقة الختوف، و لا تأتون بشيء يعارضه يبادى شيئاً منه
٥ أو يناقضه أو تلائنون أيها المؤمنون من يكذب به و يطن في علاه،
أو يتوصل و لو على وجه خفى إلى نقض^٢ شيء من عراه، تهاوناً به
و لا يتصلبون في تصرفه^٣ تعظيماً لأمره حتى يكونوا أصلب من الحديد،
قال في القاموس: دهن: نافع، [و -^٤] المداينة: إظهار خلاف ما
تبطن^٥ كالادهان و الغش، و قال البغوي رحمه الله: هو الادهان و هو
١٠ الجرى في الباطن على خلاف الظاهر، و قال الرازي: و الفرق بين
المدارة و المداينة يرجع إلى القصد، فما قصد به غرض سوى الله فهو
المداينة، و ما قصد به أمر يتعلق بالدين فهو المدارة، و قال ابن رجان:
الادهان و المداينة: الملاينة في الأمور و التغافل و الركون إلى التجاوز
- انتهى. فهو على هذا إنكار على من سمع أحداً يتكلم في القرآن بما
١٥ لا يليق ثم لا يجاهره بالعداوة، و أهل الاتحاد كابن عربى الطائى صاحب
الفصوص و ابن الفارض صاحب التائية أول من صوبت^٦ إليه هذه الآية،
فأهم تكلموا في القرآن على وجه يطل الدين أصلاً و رأساً و يحله عروة
عروة، فهم أضر الناس على هذا الدين، و من يؤول لهم أو ينافح عنهم

(١) من ظ، و في الأصل: كذب (٢) من ظ، و في الأصل: بعض
(٣) من ظ، و في الأصل: نصرته (٤) زيد من ظ (٥) في ظ: تضم
(٦) راجع للعالم بهامش الباب ٧ / ٢٢ (٧) من ظ، و في الأصل: صوب.

و يعتذر لهم أو بحسن الظن بهم مخالف لإجماع الأمة أبحس حالا منهم فان^١
مراده إبقاء كلامهم الذي لأفسد الاسلام منه من [غير -^٢] أن يكون
لإبقائه مصلحة ما بوجه من الوجوه .

ولما كان هذا القرآن متكفلا بسعادة الدارين ، قال تعالى :

(و يجعلون رزقكم) أى حظكم [و نصيكم -^٣] و جميع ما تنتفعون به .

١٨٦ /

من هذا الكتاب و هو نفعمكم كله (انكم تكذبون) / أى توجدون حقيقة
التكذيب فى الماضى و الحال ، و تجدون ذلك فى كل وقت به و بما
أرشد إليه من الامور الجليلة ' و هى ' كل ما هو أهل للتصديق به
و تصفونه بالأوصاف المتناقضة ، و من ذلك ما أرشد إليه من أنه لا فاعل
إلا الله تعالى فتقولون أنتم إذا أمطركم ما يرزقكم به : هذا بنوه كذا ، معتقدين ١٠
تأثير ذلك النوء ، و إنما هو بالله تعالى ، لجعلتم جزاء الرزق و بذل الشكر
على الرزق التكذيب ، و قال ابن برجان : و يجعلون رزقى إياكم من
قرآن عظيم أنزله ، و كلام عظيم نزلته ، و نور إيمان بينته ، و ضياء يقين جليته ،
و ما أنزلته من السماء [من] بركات قدرتها [و] من رياح أرسلتها ، و سحب
ألفتها ، يجعلون مكان الشكر على ذلك التكذيب .

١٥

و لما أنكر عليهم هذا الإنكار ، و عجب منهم هذا التعجب فى أن
ينسبوا غيره فعلا أو يكذبوا له خبرا . سبب عن ذلك تحقيقا لأنه لا فاعل
سواه قوله : (فلولا) و هى أداة تفهم طلبا بزجر و توبيخ و تبريع

(١) مس ظ ، و فى الأصل : فانه (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل :
بمصلحة (٤) فى ظ : الحلية (٥) مس ظ ، و فى الأصل : هو .

بمعنى هل لا ولم لا ﴿ اذا بلغت ﴾ [أى - ١] الروح منكم ومن غيركم
عند الاحتضار ، أضمرت من غير ذكر لدلالة الكلام عليها دلالة ظاهرة
﴿ الحلقوم لا ﴾ وهو مجرى الطعام فى الحلق ، و الحلق مساغ الطعام
و الشراب معروف ، فكان الحلقوم أدى الحلق إلى جهة اللسان لأن الميم
منقطع التمام ﴿ و أنتم ﴾ أى و الحال أنكم أيها العاكفون حول المحتضر
المتوجعون له ﴿ حيثئذ ﴾ أى حين إذ بلغت الروح ذلك الموضع .
و لما كان بصرم لكونه لا ينفذ فى باطن كالعدم [قال - ٢] : ﴿ تنظرون لا ﴾
أى و لكم وصف التحديق إليه و لا حيلة لكم و لا فعل بغير النظر ، و لم يقل :
تبصرون ، لئلا يظن أن لهم إدراكا بالبصر لشيء^٣ من البواطن^٢ من
١٠ حقيقة الروح و غيرها نحوها ﴿ و نحن ﴾ أى و الحال أنا نحن بما لنا
من العظمة ﴿ اقرب إليه ﴾ أى المحتضر حقيقة بعلمنا و قدرتنا التامة
و ملائكتنا ﴿ منكم ﴾ على شدة قربكم منه ﴿ و لكن لا تبصرون ه ﴾ أى
مع تحديقكم إليه لا يتأثر عن ذلك التحديق غايته ، و هو الإبصار لقربنا
منه ، و لا ملائكتنا الموكلين بقبض روحه ، لتعلموا أن الفعل لنا لا لغيرنا ،
١٥ فلا يتجدد لكم شيء من هذا الوصف لتدركوا به حقيقة ما هو فيه ، فثبت
ما أخبرنا به من الاختصاص بباطن العلم و القدرة اللذين عبرنا عنهما
بالقرب الذى هو أقوى أسبابهما .

و لما كان الكلام لإثبات هذه الأغراض المهمة قبل جواب "لولا"
أعادها تأكيداً لها و تبيننا فقال : ﴿ فلولاً ان كنتم ﴾ أيها المكذبون
(١) زيد من ظ (٢) زيد و لا بد منه (٣-٢) من ظ ، و فى الأصل : بالبواطن .

بالبعث و غيره ﴿ غير مدينين لا ﴾ اى مقهورين مملوكين مجربين محاسبين
 بما عملتم فى دار البلاء التى اقامكم فيها احكم الحاكمين بامتناعكم بانفسكم
 عن أن يجازيكم أو يمنع غيركم لكم منه ، و اصل تركيب ” دان “ للذل
 و الانقياد - قاله البيضاوى ﴿ رجعوها ﴾ اى الروح إلى ما كانت عليه
 ﴿ ان كنتم ﴾ اى كونا ثابتا ﴿ صدقين ﴾ اى فى أنكم غير / مقهورين على ٥ / ١٨٧ /
 الإحضار على الملك الجبار الذى اقامكم فى هذه الدار للابتلاء و الاختبار ،
 و أنه ليس لغيركم أمركم ، و فى تكذيبكم لما يخبر به من الامور الدنيوية
 بذل شكركم ، و هذا دليل على أنه لاهياة لمن بلغت روحه الحلقوم أصلا
 و هذا إلزام لهم بالبعث حاصله أنه سبحانه إن كان لا يعيدكم فليس هو
 الذى قدر الموت عليكم ، وإن [كان - ١] لم يقدره فالكم لا زفعونه عنه ١٠
 لأنه من الفوادح التى لا يدرك علاجها ، و أتمتع الجون مقدماته . و إن
 قلتم : إنه مقدر لا يمكن علاجه ، لزمكم الإقرار بأن البعث مقدر لا يمكن
 علاجه ، فان أنكرتم أحدهما فأنكروا الآخر ، و إن أقرتم بأحدهما فأقروا
 بالآخر ، و إلا فليس إلا العناد ، فان ١ قلتم : [نحن - ١] لا نعلم أنه قدره
 فاعلموا أنه [لو] لم يكن بتقديره لأمكنت مقاومته وقتا ما لاسيما و النفوس ١٥
 مجبولة على كراهته ، و فى الموتى الحكماء و الملوك ، و تقريره أنكم قد بالقلم
 فى الجحود بآيات الله تعالى و أفعاله فى كل شىء إن أرسل إليكم رسولا قلتم :
 ساحر كذاب ، و إن صدقه مرسله بكتاب معجز قلتم : سحر و اقترأ
 و أمر عجاب ، و إن رزقكم من الماء الذى به حياة كل شىء مطرا ينعشكم

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : و ان .

به قلت: صدق نوء كذا. على حال مؤد إلى التعطيل والإهمال 'والبعث'،
 فالكم لاترجعون الروح إلى البدن عند بلوغه الحلقوم إن لم يكن ثم
 مدبر لهذا الكون بالإرسال والإنزال وإفاضة الأرواح وقبضها وبعث
 العباد لدينوتهم^١ على ما فعلوا فيما أقامهم فيه. فهو تمثيل بأفعال الملوك
 ٥ على ما يعهد. فكما أن ملوك الدنيا لا يرسل^٢ أحد منهم إلى أحد من رعيته
 يأخذه قهرا إلا للدينونة فكيف يظن بملك الملوك غير ذلك، فتكون
 ملوك الدنيا أحكم منه، فان كان ليس بتمام القدرة فافعلوا برسله كما
 تفعلون برسل الملوك، فانه ربما خلص المطلوب منهم بنوع من أنواع
 الخلاص بعد بلوغه إلى باب [الملك - ٤] فارساله سبحانه هو مثل^٣
 ١٠ إرسال الملوك غير أنه لتمام قدرته يأخذ أخذا لا يقدر احد على رده،
 ولا أن يتبع مأخوذه أصلا لا لخدمه بعد الأخذ ولا ليخفف عنه شيئا
 بما هو فيه بغير ما امر به سبحانه على السنة رسله من الدعاء والصدقة
 ولا ليعلم حاله بوجه [من الوجوه - ٤] بل الأمر كما قيل:

إذا غيب المرء استسر حديثه ولم يخبر الأفكار عنه بما يقى

١٥ ولما كان التقدير: لا يقدر أحد أصلا على ردها بعد بلوغها إلى
 ذلك المحل لأننا نريد جمع الخلاق للدينونة بما فعلوا فيما أقامهم فيه وأمرناهم
 به ولا يكون إلا ما نريد، فكما أنكم مقرون بأنه خلقكم من تراب وبأنه
 يعيدكم قهرا إلى التراب [يلزمكم حتما أن تقرروا بأنه قادر على أن يعيدكم

(١-١) من ظ، وفي الأصل: أي الغيب (٢) من ظ، وفي الأصل: لدنولهم.

(٣) في ظ: لا ينزل (٤) زيد من ظ (٥) في ظ: قبل.

من التراب - ١] فان أنكرتم هذا اللازم لزمكم إنكار ملزومه ، و ذلك
مكابرة في الحس فليكن الآخر مثله ، فثبت أنا إنما نعيد الخلائق إلى
التراب لنجمعهم فيه ثم نبعثهم منه لنجازي كلا بما يستحق و نقسمهم
إلى أزواج ثلاثة (فأما ان كان) / أى الميت منهم (من المقربين)
أى السابقين الذين اجتذبهم الحق من أنفسهم فقربهم منه فكانوا مرادين ٥
قبل أن يكونوا مرادين ، وليس القرب قرب مكان لأنه تعالى منزه
عنه ، و إنما هو بالتخلق بالصفات الشريفة على قدر الطاقة البشرية ليصير
الإنسان روحا خالصا كالملائكة لاسيلا للحظوظ و الشهوات عليه ، فان
قربهم إنما هو بالانخلاع من الإرادة أصلا ورأسا ، و ذلك أنه لاشهوات
لهم فلا أغراض فلا فعل إلا ما أمروا به فلا إرادة ، إنما الإرادة للولى ١٠
سبحانه و هو معنى و ينهى عن الفحشاء و المنكر و البغى ، أى مطلق الإرادة
فى [غير - ١] أمر من الله ، لأن المملوك الذى هو لغيره لا ينبغي أن يكون
له شيء لا إرادة ولا غيرهما - وفقنا الله تعالى لذلك (فروح) [أى - ١]
فله راحة و رحمة و ما ينعشه من نسيم [الريح - ١] و معنى قراءة يعقوب ٢
بالضم طمأنينة فى القلب و سكينة و حياة لا موت بعدما (وريحان ٣) ١٥
أى رزق عظيم و نبات حسن بهج و أزاهير طيبة الرائحة .

و لما ذكر هذه اللذذة ، ذكر ما يجمعها و غيرها فقال : (و جنت)
أى بستان جامع للفواكه و الرياحين و ما يكون عنها و تكون عنه .

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : مرادين (٣) راجع نثر

الرجان ١٩٤/٧ .

نظم الدرر (سورة الواقعة ٥٦ : ٨٩ - ٩٥) ج - ١٩

ولما كان جنان الدنيا قد يكون فيها نكد، أضاف [هذه الجنة -^١] إلى المراد بهذه الجنان إعلاما بأنها لا تنفك عنه فقال: ﴿نعيم﴾ أى ليس فيها غيره بل هى مقصورة عليه ﴿واما ان كان﴾ أى الميت منهم ﴿من اصحب اليمين لا﴾ أى الذين هم فى الدرجة الثانية من اصحاب الميمنة ﴿فسلم﴾ [أى سلامة -^١] ونجاة وأمر وقول دال عليه .
ولما كان ما يواجه به الشريف من ذلك أعلى قال: ﴿لك﴾ أى يا أعلى الخلق أو يا أيها المخاطب .

ولما كان من [أصاب -^١] السلام على وجه من الوجوه فائزا، فكيف إذا كان مصدرا للسلام ومنبعا منه قال: ﴿من اصحب اليمين﴾
١٠ أى أنهم فى غاية [من -^١] السلامة وإظهار السلام، لا يدرك وصفها، وهو تمييز فيه معنى التعجيب، فان إضافته لم تفده تعريفا، وفى اللام ودم، مبالغة فى ذلك، فالمعنى: فأما هم فعجبا لك وأنت أعلى الناس فى كل معنى، وأعرههم بكل أمر غريب منهم فى سلامتهم و سلامهم وتعافيههم و ملكهم وشرفهم و علو مقامهم، وذلك كله إنما أعطوه لأجلك زيادة
١٥ فى شرفك لاتباعهم لديك، فهو مثل قول القائل حيث قال^٢:

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مقار العمل شدت مدبل
و قول القائل أيضا حيث قال^٢:

لله در أنو شروان من رجل ما كان أعرفه بالدون والسفل
أى عجبا لك من ليل وعجبا من أنوشروان .

(١) زيد من ظ (٢-٢) فى ظ: قوله .

ولما

و لما ذكر الصنفين الناجيين ، أتبعهما الهالكين جامعا لهم في صنف واحد لأن من أريدت له السعادة يكفيه ذلك ، ومن ختم بشقائه لا ينفعه ذلك الإغلاظ والإكثار فقال : (وأما ان كان) أى ذلك الذى أخذناه من أصحاب المشأمة وأتم حوله تنقطع أكبادكم له ولا تقدرّون / له على شيء أصلا (من المكذبين) .

١٨٩ / ٥

و لما كان المكذب تارة يكون معاندا ، وتارة [يكون - '] جاهلا مقتصرا ، قال : (الضالين لا) أى أصحاب الشمال الذين وجهوا وجهة هدى فزاغوا عنها لتهاونهم فى البعث (فنزل) أى لهم وهو ما يعد للقادم على ما لاح (من حميم) أى ماء متناه فى [الحرارة - '] بعد ما نالوا من العطش كما يرد أصحاب الميمنة الحوض كما يبادر به القادم ١٠ ليرد^٢ به غلة عطشه و يغسل به وجهه ويديه (و تصليه جحيم) أى لهم بعد النزول^٣ أن يصلوا النار الشديدة التوقد صليا عظيما .

و لما تم ما أريد من إثبات البعث على هذا الوجه المحكم البين ، وكانوا مع البيان يكذبون به ، لفت الخطاب عنهم إلى أكمل الخلق ، وأكد تسميعا لهم^٤ فقال سائقا له مساق النتيجة : (ان هذا) أى الذى ١٥ ذكر فى هذه السورة من أمر البعث الذى كذبوا به فى قولهم " أنا لمبعوثون " ومن قيام الأدلة عليه . و لما كان من الظهور فى حد لا يساويه فيه غيره ، زاد فى التأكيد على وجه التخصيص فقال :

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : ايرد (٣) من ظ ، وفى الأصل : ترك (٤) من ظ ، وفى الأصل : له .

نظم الدرر (سورة الواقعة ٥٦: ٩٥ و ٩٦) ج - ١٩

﴿لَوْ حَقَّ الْيَقِينُ﴾ أى لكونه - لما عليه من الأدلة القطعية المشاهدة^١ -
كأنه مشاهد مباشر، قال الأصهباني: قال قتادة في هذه الآية: إني الله عز
وجل ليس تاركا أحدا من الناس حتى يوقفه على اليقين من هذا القرآن،
فأما المؤمن فأيقن في الدنيا فنفعه ذلك، وأما المنافق فأيقن يوم القيامة
٥ حيث لا ينفعه - انتهى .

ولما تحقق له هذا اليقين، سبب عنه أمره بالتنزيه له سبحانه عما
وصفوه به مما يلزم منه وصفه بالمعجز بعد تقسيمه للأزواج الثلاثة على
طريق الإيجاز كما أمره بذلك بعد الفراغ من تقسيمهم على طريق
الإطناب إشارة إلى أن المفاوتة بينهم مع ما لهم من العقول من أعظم
١٠ الأدلة على الفعل بالاختيار وعلى فساد القول بالطبيعة: ﴿فسبح﴾ أى
أوقع التنزيه كله عن كل شائبة نقص بالاعتقاد والقول والفعل والصلاة
وغيرها بأن تصفه بكل ما وصف به نفسه من الأسماء الحسنى وتنزهه
عن كل ما نزه عنه نفسه المقدس، ولقصره الفعل^٢ لإفادة العموم أثبت
الجار بقوله: ﴿باسم ربك﴾ أى المحسن إليك بما خصك به مما لم يعطه
١٥ أحدا غيرك عما وصفه به الكفرة من التكذيب بالواقعة، وإذا كان
هذا لاسمه فكيف بما له وهو ﴿العظيم﴾ الذى ملأت عظمته جميع
الآقطار والآكران، وزادت على ذلك بما لا يعلمه حق العلم سواء لأن من
له هذا الخلق على هذا الوجه المحكم، وهذا الكلام [الأعز الأكرم-]، لا ينبغي
(١) زيد في الأصل: كان، ولم تكن الزيادة في ظ فخذناها (٢) من ظ،
وفي الأصل: نفسه (٣) زيد من ظ .

لشائبة نقص أن تلم بجنابه، أو تدنو من فناء بابه، وقد انطبق آخر السورة على أولها في الإخبار بالبعث وتصنيف الخلائق فيه إلى الأصناف المذكورة في أولها أي انطبق، وزاد هذا الآخر بأن اعتنق بدليله أي اعتنق، واتفق مع أول التي بعدها أي اتفق، وطابقه / أجل طباق، وختمت بصفى الرحمة والعظمة، وجلت عن الاسم الجامع كاللتين قبلها ه لما ذكره في أواخر القمر من أنه لم يذكر في واحدة من الثلاث أحد من أهل المعصية المصاحبة للإيمان، ليخاطب بالاسم الجامع للاهانة والإحسان، وإنما ذكر أهل الكفران المستوجبين للهوان بالخلود في النيران، وأهل الإيمان المتأهلين للإحسان بتأييد الإمكان في أعلى الجنان - انتهى .

١٠

(١) من ظ، وفي الأصل محاطب .

سورة الحديد

مقصودها بيان أن عموم الرسالة لعموم الإلهية بالبعث [إلى -] الأزواج
 الثلاثة المذكورة في السورتين الماضيتين من الثقلين تحقيقاً لأنه سبحانه
 يختص بجميع صفات الكمال تحقيقاً انتزعه عن كل شائبة^٢ نقص المبدئية
 ٥ به هذه السورة المختوم به ما قبلها الراد لقولهم "أنا لمجموعون أو أبائونا
 الأولون" المقتضى لجهاد^٤ من يحتاج إلى الجهاد بمن عصى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بالسيف و ما ترتب عليه من النفقة ردا لهم عن النقائص الجسدية
 وإعلاء إلى الكمالات الروحية التي دعا إليها الكتاب حذرا من سواء
 الحساب يوم التجلي للفصل بين العباد [بالعدل -] ^٢ ليدخل أهل
 ١٥ الكتاب وغيرهم في الدين طوعا أو كرها ، ويعلم أهل الكتاب الذين كانوا
 يقولون : ليس أحداً فضل منهم ، فضيلة هذا الرسول صلى الله عليه وسلم
 على جميع من تقدمه من الرسل عليهم الصلاة والسلام بعموم رسالته وشمول
 خلافته ، وانتشار دعوته وكثرة أمته تحقيقاً لأنه لا حد لفائض رحمته^٥
 سبحانه لتكون هذه السورة التي هي آخر النصف الأول والتي بعدها التي
 ١٥ هي أول النصف الثاني من حيث العدد غاية المقصود من السورة التي هي
 أوله عند الالتفات والرد كما كانت السورة التي^٦ غاية النصف الأول^١

(١) السابعة والخمسون من القرآن الكريم ، مدنية ، وعدد آياتها (٢٩) عند
 الكوفيين والبصريين و (٢٨) عند المدنيين والمكي والشامي - كما في شر المرجان
 ٧ / ١٩٦ (٢) زيد من ظ (٣ - ٢) من ظ ، وفي الأصل : شائبة كل (٤) من
 ظ ، وفي الأصل : بجهاد (٥) في ظ : فضله (٦-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ .
 في

في المقدار وهي الإسراء، وكذا السورة التي هي أول النصف الثاني وهي الكهف كاشفتين لمقصد الأدلى فيما دعت إليه من الهداية وشدت إليه من الإنذار، على ذلك دل اسمها الحديد بتأمل آياته وتدبر سر ما ذكر فيه وغاياته. أسند صاحب الفردوس^٢ عن جابر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تلتجموا يوم الثلاثاء فان سورة الحديد أنزلت يوم الثلاثاء. (بسم الله) الذى أحاطت إلهيته بجميع الموجودات (الرحمن) الذى وسعهم جوده فى جميع الحركات والسكنات (الرحيم) الذى خص من بينهم بما له من الاختيار فى كمال الاقتدار اهل ولايته بما يرضيه / من العبادات .

١٩١ /

لما ختمت الواقعة بالأمر بتنزيهه عما أنكره الكفرة من البعث، ١٠ جاءت هذه لتقرير ذلك التنزيه [و - ١] تبينه بالدليل والبرهان والسيف والسنان فقال تعالى كاللعليل لآخر الواقعة: (سبح) أى أوقع التسبيح بدلالة الجبلّة تعظيماً له سبحانه وإقراراً بربوبيته وإذعاناً لطاعته، وقصره، وهو متعد ليدل على العموم بقصره، وعلى الإخلاص بتعديته باللام وجعله ماضياً هنا وفى الحشر والصف ومضارعاً فى الجمعة والتغابن ١٥ ليدل على أن ما أسند إليه التسبيح هو من شأنه وهجيره ودينه وتخصيص كل من الماضى والمضارع بما افتتح به لما يأتى [فى ١] أول الجمعة، والإتيان بالمصدر أول الإسراء أبلغ من حيث أنه يدل باطلاقة

(١) زيد من ظ (٢) راجع المخطوطة ص: ٢٠٤/ب (٣) من ظ، وفى الأصل: جميع (٤) فى ظ: هنا .

على استحقاق التسييح [من كل شيء - ١] و في كل حال (الله)
 أى الملك المحيط بجميع صفات الكمال (ما فى السموات) أى الأجرام
 العالية و الذى فيها و هى الأرض و من فيها و كل سماء و من فيها ،
 و ما بينهما لأنها كلها فى العرش الذى هو أعلى الخلق .

٥ و لما كان الكلام آخر الواقعة مع أهل الخصوص بل هو أخص
 أهل الخصوص ، لم يحتج إلى تأكيد فحذف ما جعلاً للخافقين كشيء
 واحد لأن نظره لهما نظر علو نظراً واحداً لما أخبر به عنهما من التنزيه
 فقال : (و الأرض) أى و ما فيها و كذا [نفس - ١] الأرضى كما
 تقدم ، فشمّل ، ذلك جميع الموجودات لأنه إذا سبّح ذلك كله فتسييح العرش
 ١٠ بطريق الأولى و تنزيه هذه الأشياء بما فيها من الآيات الدالة على أنه
 سبحانه لا يلى بجناحه شائبة نقص ، و أن كل شيء واقف على الباب يشاهد
 الطلب ، قال القشيري : التسييح : التقديس و التنزيه ، و يكون بمعنى سباحة
 الأسرار فى بحار الإجلال ، فيظفرون بجواهر التوحد ، و ينظمونها فى
 عقد الإيمان ، و يرصعونها فى أطواق الوصلة .

١٥ و لما قرر ذلك ، دل على أنه لا قدرة لشيء على الانتكاك عنه ،
 و أن له كل كمال ، فهو المستحق للتسييح و الحمد فقال : (وهو) أى
 وحده (العزيز) الذى يغاب كل شيء و لا يغلبه شيء (الحكيم)
 الذى أتقن كل شيء صنعه .

و قال الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير العاصمى فى برهانه : لما تقدم قوله

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : تنزيهه .

[سبحانه - ١] تعالى "فلولا تصدقون" وفيه من التقرير والتوبيخ لمن قرع به ما لا خفاء به، ثم اتبع بقوله تعالى "افرهتم ما تمنون" الآيات إلى قوله "ومتاعا للفقيرين" فعزروا وبخوا على سوء جهلهم وقبح ضلالهم، ثم قال سبحانه وتعالى بعد ذلك "ابهذا الحديث انتم مدهنون، واستمر توبيخهم" إلى قوله "ان كنتم صدقين"، فلما أشارت هذه الآيات إلى قبائح مرتكباتهم، أعقب تعالى [ذلك - ١] تنزيهه عز وجل عن سوء ما انتحلوه و^٢ضلالهم فيما^٣ جهلوه فقال تعالى "فسبح باسم ربك العظيم" أي نزهه عن عظيم ضلالهم وسوء اجترائهم، ثم أعقب ذلك بقوله "سبح لله ما في السموات والارض"، أي سبح باسم ربك، فهي سنة العالم بأسرهم / "وله أسلم من في السموات والارض" "سبح لله ما ١٠ / ١٩٢ في السموات والارض" ثم أتبع ذلك بقوله "له الملك وله الحمد" [فبين تعالى انفراده بصفة الجلال ونعوت الكمال، وأنه المتفرد بالملك والحمد - ١] وأنه الأول والآخرو الظاهر والباطن إلى قوله "وهو عليم بذات الصدور" فتضمنت هذه الآيات إرغام من أشير إلى حاله في الآية المتقدمة من سورة الواقعة وقطع ضلالهم والتعريف بما جهلوه من صفاته ١٥ العلى وسمائه الحسنى جل وتعالى، وافتتحت آى السورتين واتصلت معانيها ثم صرف الخطاب إلى عباده المؤمنين فقال تعالى "أمنوا بالله ورسوله" واستمرت الآى على خطابهم إلى آخر السورة - انتهى .

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : توبيخه (٣ - ٢) من ظ ، وفي الأصل : ضلال ما .

و لما أخبر بذلك، دل على وجه مصرح بما أفهمه الأول من تسييح
 السماوات والأرض بقوله: ﴿له﴾ أى وحده ﴿ملك السموات والأرض﴾
 أى وملك ما فيها وما بينهما ظاهرا وباطنا، فالملك الظاهر ما هو
 الآن موجود فى الدنيا من أرض مدحية وسماء مبنية وكواكب مضية
 ٥ وأفلاك عليّة ورياح محسوسة وسحاب مرئية - وما تفصل إلى ذلك من
 خلق وأمر، والملك الباطن [الغائب - ١] عنا، وأعظمه المضاف إلى
 الآخرة وهو الملوك، قال القشيري: الملك مبالغة من الملك يعنى
 بدلالة الضمة، قال، والملك بالكسر أى القدرة على الإبداع^٢ فلا مالك
 إلا الله، وإذا قيل لغيره: مالك، فعلى المجاز بالأحكام المتعلقة فى الشريعة
 ١٠ على ملك الناس أى بتصحيحه أو إفساده ونحوه ذلك، فالآية من الاحتباك:
 ذكر ما بين السماوات والأرض أولا دليلا على حذف ما بينهما ثانيا،
 وذكر الخافقين ثانيا دليلا على حذف مثل ذلك أولا ليكون التسييح
 والملك شاملا للشكل.

و لما كان ذلك مما لا نزاع فيه، وكان ربما عاند معاند، دل عليه
 ١٥ بما لا مطمع فيه لغيره فقال مقدما الإحياء لأنه كذلك فى الخارج ولأن
 زمن الحياة أكثر لأن البعث حياة دائمة لا موت بعدها: ﴿يحيى﴾ أى
 له صفة^٣ الإحياء فيحيى ما يشاء من الخلق بأن يوجد على صفة الإحياء
 كيف شاء فى أطوار يتقلبها كيف شاء^٤ وكيف يشاء^٥ وما يشاء
 (١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: الإبلاغ (٣) من ظ، وفى
 الأصل: صفات (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ.

(ويعت ع) أى له هاتان الصفتان على سبيل الاختيار والتجدد والاستمرار، فهو قادر على البعث بدليل ما ثبت له من صفة الإحياء . ولما كان هذا شاملا للقدرة على التجديد والإعادة، عم الحكم بقوله: (وهو على كل شيء) أى من الإحياء والإماتة وغيرهما من كل يمكن (قديره) أى بالغ القدرة إلى حد لا يمكن الزيادة عليه .

ولما أخبر بتمام القدرة، دل على ذلك بقوله: (هو) أى وحده (الاول) أى بالأزلية قبل كل شيء فلا أول له، والقديم الذى منه وجود كل شيء وليس^١ وجوده من شيء لأن كل ما نشاهده متأثر لانه حقير، وكل ما كان كذلك فلا بد له من موجد غير متأثر (والآخر) بالابدية، الذى ينتهى إليه وجود كل شيء فى سلسلة الترقى وهو بعد ١٠ فناء كل شيء ولو بالنظر إلى ما له من ذاته فلا آخر له لانه يستحيل عليه [نعت - ٢] العدم لأن كل ما سواه متغير، وكل ما تغير بنوع من التغير جاز إعدامه، وما جاز إعدامه فلا بد له من معدم يكون بعده ولا يمكن إعدامه .

ولما كان سبق يقتضى البطون، والتأخر يوجب / الظهور، وكانا ١٥ / ١٩٣

أمرين متضادين لا يكاد الإنسان يستقل بتعلقهما فى شيء واحد، نبه على اجتماعهما فيه، فقال مشيرا بالواو إلى تمام الاتصاف وتحقيقه: (و الظاهر) أى بالأحادية للعقل بأدلتها الظاهرة فى المصنوعات بما له من الأفعال ظهورا لا يحمله عاقل، وهو الغالب فى رفعته وعلوه فليس فوقه شيء

(١) زيد فى الأصل: منه، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفناها (٢) زيد من ظ .

(والباطن ج) بالصمدية وعن انطباع الحواس وارتسام الخيال و تصور
 الفهم والفكر و بتمام العلم والحكمة بما له من العظمة في ذاته بكثرة
 تعالى والحجب بطونا [لا - ١] بكتته شيء، وقال القشيري: الاول
 بلا ابتداء، الآخر بلا انتهاء، الظاهر بلا خفاء، [الباطن - ١] بنعت
 ٥ العلا وعز الكبرياء - انتهى، والعطف للدلالة كما أشير إليه على الإحاطة
 التامة لأنها لما كانت متضادة كانت بحيث لو أعريت عن الواو لربما ظن
 أن وجودها لا على سبيل التمكن، فلا تكون محيطة بل مقيدة بجيئة
 مثلا، فجاءت الواو دلالة على تمكن الوصف وإحاطته وأنه واقع بكل
 اعتبار ليس واحد من الأوصاف مكلا لشيء آخر ولا شارحا لمعناه،
 ١٠ فهو أول على الإطلاق^٢ وآخر كذلك، وظاهر حتى في حال بطونه
 وباطن كذلك، وهذا على الأصل فان صفاته تعالى محيطة فلا إشكال،
 إنما الإشكال عند الخلو من العطف فهو الأغلب في إيرادها كما في آخر
 الحشر، ولعل ذلك مراد الكشف بقوله: [إن - ١] الواو الأولى
 معناها الدلالة على الجامع بين الصفتين^٢ الأولى والآخرة، أي جمعا هو
 ١٥ في غاية الممكنة، والثالثة على أنه الجامع بين الظهور والخفاء، وأما الوسطى
 فعلى أنه الجامع بين مجموع الصفتين الأولين ومجموع الصفتين الأخيرتين،
 فهو المستمر الوجود في جميع الأوقات الماضية والآتية - انتهى .
 ولما كان من ظهر لشيء بطن عن غيره، ومن بطن لشيء غاب

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفي الأصل: الاطباق - كذا (٣) من ظ، وفي
 الأصل: الصفتين .

عنه عليه، و كان سبحانه في ظهوره على ذلك بمعنى^١ أنه ليس فوقه شيء،
 وفي بطونه بحيث ليس دونه شيء، فقد جمعت الأوصاف إحاطة العلم
 والقدرة، أعلم نتيجة ذلك فقال: (وهو بكل شيء عليم) أى
 لكون^٢ الأشياء عنده^٣ على حد سواء، [و - ^٤] البطون والظهور إنما
 هو بالنسبة إلى الخلق، و أما هو سبحانه فلا باطن من الخلق عنده بل ه
 هو في غاية الظهور لديه لأنه الذى أوجدكم، وهذا معنى ما قال البغوى^٥
 رحمه الله تعالى: سأل عمر رضى الله عنه كعباً عن هذه الآية فقال: معناها
 أن علمه بالاول كعلمه بالآخر، و علمه بالظاهر كعلمه بالباطن - انتهى .
 لأن العلم يستلزم القدرة على حسبه . ولما كان الصانع للشيء عالماً به،
 دل على علمه و ما تقدم من وصفه بقوله: (هو) أى^٦ وحده ١٠
 (الذى خلق السموات) و جمعها لعلم العرب بتعددتها^٧ (و الأرض)
 أى الجنس الشامل لكل، أفردتها لعدم توصلهم إلى العلم بتعددتها
 (فى ستة أيام) سنا للتأني و تقريراً للأيام التى أوترها سابعها الذى
 خلق فيه الإنسان الذى دل خلقه باسمه " الجمعة " على أنه المقصود بالذات
 و بأنه السابع^٨ على أنه نهاية المخلوقات - انتهى^٩ . ١٥

/ ولما كان تمكن الملك من سرير الملك كناية عن انقراذه بالتدبير
 / ١٩٤

- (١) من ظ ، وفي الأصل: بل بمعنى (٢) من ظ ، وفي الأصل: لكونه .
 (٣) من ظ ، وفي الأصل: على يده (٤) زيد من ظ (٥) راجع معالم التنزيل
 بهامش الباب ٧ / ٢٥ (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، وفي الأصل: بتعددته .
 (٨) من ظ ، وفي الأصل: السابق .

و إحاطة قدرته وعلمه ، وكان ذلك هو روح الملك ، دل عليه منها على
عظمته بأداة التراخي فقال : ﴿ ثم استوى ﴾ أى أوجد السواء وهو العدل
إيجاد من هو شديد العناية ﴿ على العرش ﴾ المحيط بجميع الموجودات
بالتدبير المحكم للعرش وما دونه ومن دونه ليتصور للعباد أن العرش منشاء
٥ التدبير ، ومظهر التقدير ، كما يقال فى ملوكنا : جلس فلان على سرير
الملك ، بمعنى أنه انفرد بالتدبير ، وقد لا يكون هناك سرير فضلا
عن جلوس .

ولما كان المراد بالاستواء الانفراد بالتدبير ، وكان التدبير لا يصح
إلا بالعلم والقدرة ، كشفه بقوله دالا على أن علمه بالخفايا^١ كعلمه بالجلال :
١٠ ﴿ يعلم ما يلج ﴾ أى يدخل دخولا يغيب به ﴿ فى الارض ﴾ أى
من النبات وغيره من أجزاء الأموات وغيرها و [إن -^٢] كان ذلك
بعيدا من العرش ، فإن ألما كن كلها بالنسبة إليه على حد سواء فى ^٣ القرب
والبعد^٢ ﴿ وما يخرج منها ﴾ كذلك ، وفى التعبير بالمضارع دلالة على
ما أودع فى الخافقين من القوى فصار بحيث يتجدد منها ذلك خلقه تجدد
١٥ استمرار إلى حين خرابهما .

ولما قرر ذلك فيما قد يتوهم بعده لبعده عن العرش بسفوله^٤
تنبيهها على التنزه عن التحيز فكان أولى بالتقديم ، أتبعه قسيمه وهو جهة
العلو تكميلا للعلم بسائر الخلق فقال : ﴿ وما ينزل من السماء ﴾ ولم يجمع
(١) من ظ ، وفى الأصل : بالخفاء (٢) زيد من ظ (٣-٢) فى ظ : البعد
والقرب (٤) من ظ ، وفى الأصل : سفوله .

لأن المقصود حاصل بالوحدة^١ مع إفهام التعبير^٢ بها الجنس السافل
 للكل، وذلك من الوحي والأمطار والحر والبرد وغيرها من الأعيان
 والمنافع التي يوجد بها سبحانه من مقادير أعمار بني آدم وأرزاقهم
 وغيرها من جميع شؤونهم ﴿ وما يعرج ﴾ أى يصعد ويرتقى ويغيب
 ﴿ فيها^٣ ﴾ كالأنجرة والأنوار والكواكب والأعمال وغيرها . ٥
 ولما كان من يتسع ملكه يغيب عنه علم بعضه لبعده عنه، عرف
 أنه لامسافة أصلا بينه وبين شيء من الأشياء فقال: ﴿ وهو معكم ﴾
 أى أيها الثقلان المحتاجان إلى التهذيب بالعلم والقدرة المسييين عن القرب
 ﴿ اين ما كنتم^٤ ﴾ فهو عالم بجميع أموركم وقادر عليكم تعالىا عن اتصال
 بالعلم وبماسة، أو انفصال عنه بغيبة أو مسافة، قال أبو العباس ابن تيمية ١٠
 فى كتابه الفرقان^٥ بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: لفظ [”مع-“]
 لا يقتضى فى لغة العرب أن يكون أحد الشيئين مختلطا بالآخر لقوله
 ” اتقوا الله وكونوا مع الصديقين “ وقوله ” محمد رسول الله والذين
 معه أشداء على الكفار “ ولفظه ” مع “ جاءت فى القرآن عامة وخاصة،
 فالعامة ” ما يكون من نحوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ١٥
 ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم “ الآية، فافتتح الكلام بالعلم
 واختتمه^٦ بالعلم، ولهذا قال ابن عباس رضى الله عنهما والضحاك

(١) من ظ، وفى الأصل: بالوحدة (٢) من ظ، وفى الأصل: بالتعبير .
 (٣) مثله فى الأعلام ١ / ١٤١، وفى ظ « الفرق » (٤) زيد من ظ (٥) فى
 ظ: ختمه .

وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل: هو معهم بـ'، وأما المعية / الخاصة
 فقوله تعالى "ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون" وقوله تعالى
 لموسى وهارون عليهما السلام "اننى معكما اسمع وارى" وقال "اذ
 يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا" يعنى النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر
 الصديق رضى الله عنه، فهو مع موسى وهارون عليهما السلام دون فرعون،
 ومع محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبه رضى الله عنه دون أبى جهل
 وغيره من أعدائه، ومع الذين اتقوا والذين هم محسنون دون الظالمين
 المعتدين، فلو كان معنى المعية أنه بذاته فى كل مكان تناقض الخبر الخاص
 والخبر العام، بل المعنى أنه مع هؤلاء بنصره وتأييده دون أولئك،
 ١٠ وقوله تعالى "وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله" أى هو إله
 فى السماء وإله فى الأرض كما قال تعالى "وله المثل الأعلى فى السموات
 والأرض وهو العزيز الحكيم" وكذلك فى قوله تعالى "وهو الله فى
 السموات وفى الأرض" كما فسرهُ أئمة العلم كآحمد وغيره^١ أنه
 المعبود فى السماوات والأرض .

١٥ ولما كانت الأعمال منها ظاهر وباطن، عبر فى أمرها باسم
 الذات دلالة على شمولها بالعلم والقدرة [و-°] تنبيهاً على عظمة الإحاطة
 بها وبكل صفة من صفاته فقال: (والله) أى المحيط بجميع صفات
 الكمال، وقدم الجار لمزيد الاهتمام والتنبيه على تحقق الإحاطة كما مضى

(١) من ظ، وفى الأصل: بالعلم (٢) من ظ، وفى الأصل: بمعنى (٣) زيد
 فى الأصل: من، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤ - ٥) من ظ، وفى
 الأصل: وغيرهم (٥) زيد من ظ .

التنبه عليه [غير مرة -^١] وتمثله بنحو: أعرف فلانا ولا أعرف غيره؛
 فقال: ﴿ بما تعلمون ﴾ أى على سبيل التجدد^٢ والاستمرار ﴿ بصيره ﴾
 أى عالم بجلالته ودقائقه .

ولما كان صانع الشيء قد لا يكون ملكا، وكان الملك لا يكمل ملكه
 إلا بعلم جميع ما يكون فى مملكته والقدرة عليه، وكان إنكارهم للبعث ه
 إنكارا لأن^٣ يكون ملكا، أكد ذلك بتكرير الإخبار به فقال: ﴿ له ﴾ أى
 وحده ﴿ ملك السموات ﴾ وجمع لا قضاء المقام له^٤ ﴿ والارض ﴾
 أفرد لحفاء تعددها عليهم مع إرادة الجنس، ودل على دوام ملكه وإحاطته
 بقوله عاطفا على ما تقديره: فمن الله المبدأ، معبرا بالاسم الأعظم الجامع
 ثلثا يظن الخصوص بامور ما تقدم: ﴿ والى الله ﴾ أى الملك الذى ١٠
 لا كفؤ له وحده ﴿ ترجع ﴾ بكل اعتبار على غاية السهولة ﴿ الامور ﴾
 أى كلها حسا بالبعث ومعنى بالإبداء^٥ والإفناء، ودل على هذا الإبداء
 والإفناء بأبدع الامور وأروقها فقال: ﴿ يولج ﴾ أى يدخل ويغيب
 بالنقص والمحو ﴿ آيل فى النهار ﴾ فإذا قد قصر بعد طوله، وقد انمحي
 بعد تشخصه وحلوه، ففلا الضياء الاقطار بعد ذلك الظلام ١٥
 ﴿ ويولج النهار ﴾ الذى عم الكون ضياؤه وأناره لآلاؤه ﴿ فى آيل ﴾
 الذى قد كان غاب فى علمه، فإذا الظلام قد طبق الآفاق، والطول، الذى

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: التجديد (٣) من ظ، وفى
 الأصل: لا (٤) زيد فى الأصل: فقال، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها .
 (٥) من ظ، وفى الأصل: بالابتداء (٦) فى ظ: الطول .

[كان - '] له قد صار نقصا .

ولما كان في هذا إظهار أخفى الأشياء حتى يصير في غاية الجلاء ،
أتبعه علم ما هو عند الناس / أخفى ما يكون فقال : ﴿ وهو ﴾ أى وحده
﴿ عليم ﴾ أى بالغ العلم ﴿ بذات الصدوره ﴾ أى ما يصحبها فتخفيه فلا
٥ يخرج منها من الهمزات على مدى الأيام على كثرة اختلافها وتغيرها
وإن خفيت على اصحابها .

ولما قامت الأدلة على تنزيهه سبحانه عن شائبة كل نقص ، وإحاطته
بكل صفة كمال ، المقتضى لثبوت أن الملك له ، الموجب قطعاً لتفرده بعموم
الإلهية ، المقتضى لإرسال من يريده إلى جميع من فى ملكه ، وختم بالعلم
١٠ بالضمائر التى أجملها الإيمان ، قال آمرا بالإذعان له ولرسوله صلى الله عليه
وسلم : ﴿ آمنوا ﴾ أى أيها الثقلان ﴿ بالله ﴾ أى الملك الأعظم الذى
لامثل له ﴿ ورسوله ﴾ الذى عظمت من عظمتة . ولما كان الإيمان
أساساً ، والإنفاق وجهاً ظاهراً ورأساً ، قال جامعاً بين الأساس الحامل
الخفى والوجه الظاهر الكامل البهى : ﴿ وانفقوا ﴾ أى فى إظهار دينه :
١٥ ورغبهم فى ذلك بطلب اليسير بما أعطاهم [الله - '] وزهدهم منه بقوله :

﴿ بما جعلكم ﴾ أى بقدرته ﴿ مستخلفين ﴾ أى مطلوباً . وجوداً خلافتكم
﴿ فيه ﴾ وهو له دونكم بما يرضى من استخلفكم فى تمهيد سبيله فطوبوا بها
نفساً لأنها ليست فى الحقيقة لكم وإنما أتم خزان ، وخافوا من عزلكم
من الخلافة بانزعاجها من أيديكم بتولية غيركم أمرها ، إما فى حياتكم ، وإما

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : الأسباب (٣) من ظ ، وفى
الأصل : الانطاق .

بعد عمتكم، كما فعل بغيركم حين أوصل إليكم ما وصل من أموالهم،
فليس لكم منها إلا ما أكلتم فأفقيتم أو لبستم فأبليتم أو تصدقتم فأبقيتم - وفي
رواية: فأمضيتم، ولهن الإنفاق منها عليكم كما يهون على الإنسان النفقة
من مال غيره إذا أذن له فيه .

ولما أمر بالإنفاق ووصفه بما سهله، سبب عنه ما يرغب فيه ه
فقال مبالغا في تأكيد الوعد لما في ارتكابه من العسر بالتعبير عنه بالجملة
الاسمية وبناء [الحكم - '] على الضمير بالوصف بالكبير وغير ذلك:
(فالذين آمنوا) وبين أن هذا خاص بهم لضيق الحال في زمانهم
فقال: (منكم وانفقوا) أى من أموالهم في الوجوه التى ندب إليها
على وجه الإصلاح كما دل عليه التعبير بالإنفاق (لهم اجر كبيره) أى ١٠
لا تبلغ عقولكم حقيقة كبره فاغنموا الإنفاق في أيام استخلاصكم قبل
عزلكم وإتلافكم .

ولما رغب في الإنفاق والإيمان، وكان الإيمان مقتضى بالإنفاق،
عجب بمن لا يبادر إلى الحاصل على كل خير، فقال مفعلا لما أجمل من
الترغيب فيهما، بادئا بأبين كل خير، منفسا عنهم بالتعبير بأداة الاستقبال ١٥
بالبشارة بالعفو عن الماضي مرهبا موبخا لمن لا يبادر إلى مضمون ما دخل
عليه الاستفهام، عاطفا على ما تقديره: فما لكم لا تبادرون إلى ذلك:
(وما) أى وأى شيء (لكم) من الأعذار أو غيرها فى أنكم،
أو حال كونكم (لا تؤمنون بالله ع) أى تجددون الإيمان - أى تجديدا
(١) زيد من ظ .

مستمرا - بالملك الاعلى اى الذى له الملك كله و الامر كله بعد سماعكم لهذا الكلام: لأن لا، لا تدخل على / مضارع إلا و هو بمعنى الاستقبال، ولو عبر بعبارة تدل على الحال لربما تعنت متعنت فقال: فأت ما طلب منا، و الذى بعد هذا من الحال التى هى فى معنى العلة دالة على هذا، و هى قوله: ﴿و الرسول﴾ اى و الحال أن الذى له الرسالة العامة ﴿يدعوكم﴾ صباحا و مساء على ما له من مقتضيات القبول منه من حسن السمعت و جلالة القدر و إظهار الخوارق و غير ذلك ﴿لثوموا﴾ اى لاجل أن تجددوا الإيمان ﴿بربكم﴾ اى الذى أحسن تربيتكم بأن جعلكم من أمة هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم و شرفكم به ﴿وقد﴾ ١٠ اى و الحال أنه قد ﴿أخذ ميثاقكم﴾ اى وقع أخذه [فصار - ٢] فى غاية [القباحة - ٢] ترك ما وقع التوثق بسية بنصب الادلة و التمكين من النظر بأبداع العقول، و ذلك كله منضم إلى أخذ الذرية من ظهر آدم عليه الصلاة و السلام و إشهادهم على أنفسهم و إشهاد الملائكة عليهم، و بنى الفعل للفعول فى قراءة أبى عمرو ليكون المعنى أى أخذ كان لأن الغدر ١٥ عند الكرماء شديد من غير نظر إلى معين لاسيما العرب فكيف إذا كان الآخذ الملك الأعظم القادر على كل شئ العالم بكل شئ، و رسوله الذى تعظيمه من تعظيمه، كما صرحت به قراءة الجماعة بالبناء للفاعل و لا يخفى الإعراب، و الحاصل أنهم نقضوا الميثاق فى الإيمان، فلم يؤاخذهم

(١) من ظ، و فى الأصل: جنس (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: التمكن.

حتى أرسل الرسل .

و لما حثهم على تجديد الإيمان على سبيل الاستمرار بالتعجب من ترك ذلك ، وكان كل واحد يدعى العرافة في الخير ، هيجهم و ألهمهم بقوله :
 ﴿ ان كنتم ﴾ أى جلبة ووصفا ثابتا ﴿ مؤمنين ه ﴾ أى عريقين في وصف الإيمان ، و هو الكون على نور الفطرة الأولى .
 و لما وصفه بالربوبية ، دل عليها بقوله : ﴿ هو ﴾ أى وحده
 [لا غيره - '] ﴿ الذى ينزل ﴾ أى على سبيل التدرج و الموالاة بحسب الحاجة . و لما كان الخطاب في هذه السورة للخاص ، قال مضيفا إلى ضميره غير مقرون بما يدل على الجلال و الكبرياء ﴿ على عبده ﴾ أى الذى هو أحق الناس بحضرة جماله ' و إكرامه لأنه ما تعبد لغيره قط ﴿ 'أيت ﴾ ١٠
 أى علامات هى من ظهورها حقيقة بأن يرجع إليها و يتقيد [بها - ']
 ﴿ بينت ﴾ جدا على ما له من التعوت التى هى فى غاية الوضوح ﴿ ليخرجكم ﴾
 أى الله أى عبده بما أنزل إليه مع أنه بشر مثلكم ، و الجنس إلى جنسه
 أميل و منه أقبل ، و لا سيما إن كان قريبا و لييا أريبا ﴿ من الظلمت ﴾
 التى أتم منغمسون فيها من الحظوظ و النقائص ' التى جبل عليها الإنسان ١٥
 و الغفلة و النسيان ، الحاملة على تراكم الجهل ، فن آتاه سبحانه العلم و الإيمان
 فقد أخرجه من هذه الظلمات التى طرأت عليه ﴿ الى النور ﴾ الذى كان
 وصفا لروحه و فطرته الأولى السليمة .

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : جلاله (٣) ليس فى الأصل .

(٤) من ظ ، و فى الأصل : النقصان (ه) زيد فى ظ : له .

ولما كان التقدير: / فان الله به اللطيف خبير، عطف عليه قوله مؤكدا لأجل زلزال من يطول به البلاء من المؤمنين وإنكار الكفار: ﴿وان الله﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿بكم﴾ قدم الجار لأن عظيم رحمته لهذه الامة موجب لعد نعمته^١ على غيرنا عدما بالنسبة إلى نعمته علينا ﴿لرؤف رحيم﴾ أى كنتم بالنظر إلى رحمته الخاصة التى هى لإتمام النعمة العامة صنفين: منكم من كان له به وصلة بما يفعل فى أيام جاهليته من الخيرات كالإتفاق^٢ فى سبيل المعروف، وعبر بالإتفاق لكونه [خيرا -^٣] لا رياء ونحوه [فيه] كالصديق^٤ رضى الله عنه فعاد عليه، بعد عموم 'رحمته بالبيان'، بخصوص رحمة عظيمة أوصلته إلى 'أعظم درجات' العرفان، ومنكم من كان بالغاً فى اتباع الهوى فابتدأه بعد عموم رحمة البيان بخصوص رحمة هداه بها إلى أعمال الجنان، وهى دون ما قبلها فى الميزان، وفوقها من حيث أنها بدون سبب من المحروم.

ولما أمرهم بالإيمان والإتفاق، وكان^٥ الإيمان مع كونه الأساس الذى لا يصح عمل بدونه ليس فيه^٦ شئ من خسران أو نقصان، فبدأ به لذلك، ورغب بحتم الآية بالإشارة بالرأفة^٧ إلى أن [من -^٨] توصل

(١) من ظ، وفى الأصل: رحمته (٢) من ظ، وفى الأصل: كاتفاق (٣) زيد من ظ (٤) زيد بعده فى الأصل: نحوه، ولم تكن ازيادة فى ظ فخذناها (هـ) فى ظ: رحمة البيان (٦-٧) فى ظ: أعلى درجة (٧) من ظ، وفى الأصل: كون. (٨) من ظ، وفى الأصل: فيها (٩) من ظ، وفى الأصل: الى الراة.

إليه بشيء من الإيمان أو غيره زاده من فضله « من تقرب مني شبرا
تقربت منه ذراعا - إلى قوله : و من أتاني يمشي أتيته هرولة ، عطف
عليه الترغيب في التوصل إليه ' بالإئفاق منكرا على من تركه موجبا لمن
حاد عنه ' و هو يعلم أنه فأن ، مفهما زيادة " أن " المصدرية اللوم على
تركه في جميع الأزمنة الثلاثة فقال : ﴿ و ما ﴾ أي و أي شيء يحصل .
﴿ لكم ﴾ في ﴿ الا تنفقوا ﴾ أي توجدوا الإخراج لئال ﴿ في سبيل الله ﴾
أي في كل ما يرضى الملك الأعظم الذي له صفات الكمال لتكون لكم
به وصلة فينصمكم بالرأفة التي هي أعظم الرحمة ، فانه ما بجمل [به - ١]
أحد عن وجه خير إلا سلب الله عليه غرامة في وجه شر ، و أظهر موضع
الإضمار في جملة حالة باعثا على الإئفاق بأبلغ بعث^٢ فقال : ﴿ والله ﴾ ١٠
تأكيدا للعظمة بالنذب إلى ذلك باستحضار جميع صفات الكمال لاسيما
صفة الإرث المتقضية للزهد في الموروث ﴿ ميراث ﴾ [أي - ٢] الإرث
والموروث^٣ و الموروث عنه و غير ذلك ﴿ السموات و الارض^٤ ﴾ جميعا
لا شيء فيهما أو منهما إلا هو كذلك يزول عن المنتفع به و يبقى لله بقاء
الإرث^٥ ، و من تأمل أنه زائل هو و كل ما في يده و الموت من وراءه ، ١٥
و يد طوارق الحوادث مطبقة به ، و عما قليل ينقل ما في يده إلى غيره

(١-١) نكرما بين الرقين في الأصل : قبل « بشيء من الإيمان » س ١ (٢) زيد
من ظ (٣) من ظ ، و في الأصل : نعت (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ .
(٥) من ظ ، و في الأصل : الأرض .

هان عليه الجود بنفسه وماله .

ولما رغبتهم في الإنفاق على الإطلاق، رغبتهم في المبادرة إليه،

مادحا أهله خاصة منهم أهل السباق فقال: ﴿ لا يستوى ﴾ . ولما

كان المراد أهل الإسلام بين بقوله: ﴿ منكم من أنفق ﴾ أى أوجد

/ ١٩٩

الإنفاق في ماله وجميع قواه وما يقدر عليه . / ولما كان المقصود الإنفاق

في زمان الإيمان لا مطلق الزمان، خص بالجار فقال: ﴿ من قبل الفتح ﴾

أى الذى هو فتح جميع الدنيا في الحقيقة وهو فتح مكة الذى كان سببا

لظهور الدين [على الدين - '] كله لما نال المنفق إذ ذاك بالإنفاق

من كثرة المشاق لضيق المال حينئذ، وذلك مستلزم لكون المنفق أنفذ

بصيرة ونفقتة أعظم غنا وأشد نفعا، وفيه دلائل على فضل أبى بكر

رضى الله عنه فإنه أول من أنفق ولم يسبقه في ذلك أحد، وفيه نزلت

الآية - كما حكاه البغوى^٢ عن الكلبي .

ولما كان المراد بالإيمان خدمة الرحمن، وكان الإنفاق وإن كان

مصدقا للإيمان لا يكمل تصديقه إلا ببذل النفس قال: ﴿ وقتل^٣ ﴾ أى سعييا

١٥ في إفاق نفسه لمن آمن به، وحذف المنى للتسوية به وهو [من - ']

لم ينفق مطلقا أو بقيد القبلية لدلالة ما بعده، وأعله أفرد الضمير إشارة

إلى قلة السابقين .

ولما كان نفي المساواة لا يعرف منه الفاضل من غيره، وقد كان

(١) من ظ : وفى الأصل : فى ظهور (٢) زيد من ظ (٣) راجع معالم التنزيل

بها مش الباب ٧ / ٢٧ .

حذف قسم من أتفق لوضوحه والتفكير منه ودلالة ما بعده عليه ، نفي اللبس بقوله : ﴿ أولئك ﴾ أى المنفقون المقاتلون وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، المقربون من أهل الرتبة العالية لمبادرتهم إلى الجود بالنفس والمال ﴿ اعظم درجة ﴾ وبمعظم الدرجة يكون عظم صاحبها ﴿ من الذين اتفقوا ﴾ ولما كان المراد التفضيل على من أوجد ٥ الإتفاق والقتال [فى زمان بعد ذلك ، لا على من استغرق كل زمان بعده بالإتفاق والقتال - ٢] أدخل الجار فقال : ﴿ من بعد وقتلوا ﴾ ولما كان التفضيل مفهوما اشتراك الكل فى الفضل ، صرح به ترغيبا فى الإتفاق على كل حال فقال : ﴿ وكلا ﴾ أى من القسمين ﴿ وعد الله ﴾ [أى - ١] الذى له الجلال والكمال والإكرام ﴿ الحسنى ﴾ أى الدرجة ١٠ التى هى غاية الحسن وإن كانت فى نفسها متفاوتة ، وقرأ ابن عامر ٢ " وكل " وهو أوفق لما عطف عليه .

ولما كان زكاء الأعمال إنما هو بالنيات ، وكان التفضيل مناط العلم ، قال ٣ مرغبا فى ٤ إحسان النيات مرهبا ٥ من ٦ التقصير فيها : ﴿ والله ﴾ أى الذى له الإحاطة الشاملة بجميع صفات الكمال ، وقدم الجار إعلاما ١٥ بمزيد اعتناء بالتمييز عند التفضيل فقال : ﴿ بما تعملون ﴾ أى يحددون عمله على مر الاوقات ﴿ خير ﴾ أى عالم يباطنه وظاهره علما لا مزيد

- (١) زيدت الواو فى الأصل : ولم تكن فى ظ فحذفناها (٢) زيد من ظ .
(٣) راجع نثر المرجان ٢٠٥/٧ (٤-٥) من ظ ، وفى الأصل : ابن عباس (٤) من ظ ، وفى الأصل : فى (٦) من ظ ، وفى الأصل : ممر .

عليه بوجه ، فهو يجعل جزاء الأعمال على قدر النيات التي هي أرواح صورها .

ولما فضل السابقين بالإتفاق ، ووعد 'بالحسني' اللاحقين 'بحسن' الاتباع ، وأشار إلى^٢ أنه ربما ألحقهم ببعضهم بصفاء الإخلاص فتوفرت الدواعي على البذل ، أثمر^٣ ذلك قوله^٤ مسميا الصدقة التي صورتها [صورة -^٦] لإخراج من غير عوض باسم القرض الذي هو إخراج بعض ترغيا فيها لما أعد عليها من الجزاء المحقق فكيف إذا كان مضاعفا : / (من) وأكد بالإشارة بقوله : (ذا) لأجل^٥ ما للنفوس من الشح (الذي يقرض الله) أي يعطى^٦ الذي له جميع صفات الجلال والإكرام باعطائه المستحق لأجله عطاء من ماله هو على صورة القرض لرجائه الثواب (قرضا حسنا) أي طيبا خالصا فيه متحررا به أفضل الوجوه طيبة به النفس من غير من ولا كدر بتسويق ونحوه .

ولما كان ما يعطى الله المنفق من الجزاء مسييا عن إنفاقه ، ربطه بالقاء فقال عطفا على " يقرض " : (فيضعفه له) مرغبا فيه بجعله

١٥ مبالغا فيه بالتضعيف أولا وجعله من باب المفاعلة ثانيا ، وكذا التفضيل

/ ٢٢٠

- (١) من ظ ، وفي الأصل : لا (٢-٢) من ظ ، وفي الأصل : اللاحقين بالحسن .
- (٣) من ظ ، وفي الأصل : لهم (٤-٤) من ظ ، وفي الأصل : قوله ذلك .
- (٥) زيد في الأصل : هي ، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفناها (٦) زيد من ظ .
- (٧) من ظ ، وفي الأصل : جل (٨) زيد في الأصل : الله ، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفناها (٨) زيدت الواو في الأصل ، ولم تكن في ظ لحذفناها .

في قراءة ابن كثير وابن عامر ويعقوب^١ " فيضعفه " وقرأه ابن عامر
[ويعقوب - ٢] بالنصب جوابا للاستفهام تأكيدا للربط والتسيب .
ولما كانت المضاعفة^٢ منه سبحانه لا يعلم كنهها إلا هو قال : (وله)
أى المقرض من بعد ما تعقلونه من المضاعفة زيادة على ذلك (اجر)
لا يعلم قدره إلا الله ، وهو معنى وصفه بقوله : (كريم) أى حسن ه
طيب زاك نام .

و لما بين ما لهذا المقرض ، بين بعض وصفه بالكرم ببيان وقته
قال : (يوم) أى لهم ذلك فى الوقت الذى (ترى) فيه [بالعين - ٣] ،
وأشار إلى أن المحبوب من المال لا يخرج عنه ولا سيما [مع - ٢]
الإقتار إلا من قر الدين فى قلبه بتعبيره بالوصف فقال : ١٠
(المؤمنين و المؤمنات) أى الذين صار الإيمان لهم صفة راسخة (يسعى)
شعارا لهم وأمانة على سعادتهم (نورهم) الذى يوجب إبصارهم لجميع
ما ينفعهم فيأخذونه^٤ و ما يضرهم فيتركوه^٥ ، وذلك بقدر أعمالهم الصالحة
التي كانوا يعملونها بنور العلم الذى هو مئمة الإيمان كما أنهم قدموا المال
الذى إنما يقتنيه الإنسان لمثل^٦ ذلك جزاء وفاقا . ١٥

و لما كان من يراد تعظيمه يعطى ما يجب وما بعده شريفا (٩) فى
الاماكن التي يحبها قال : (بين ايديهم) أى حيث ما توجهوا ، ولذلك

(١) راجع نثر الرمان ٢٠٦/٧ (٢) زيد من ظ (٣) تكرر فى الأصل (٤) من
ظ ، وفى الأصل : فيأخذونه (٥) من ظ ، وفى الأصل : فيتركونه
(٦) من ظ ، وفى الأصل : بمثل .

حذف الجار ﴿ و بايمانهم ﴾ [اى - '] و تلتصق بتلك الجهة لان هاتين الجهتين أشرف جهاتهم، وهم إما من السابقين، وإما من اهل البين . و يعطون صحائفهم من هاتين الجهتين، و الشقى بخلاف ذلك لانور له و يعطى صحيفته بشماله و من وراء ظهره، فالأول نور الإيمان و المعرفة و الأعمال المقولة، و الثانى نور الإتياق لأنه بالإيمان^٢ - [نه - '] عليه الرازى .

و لما ذكر نفوذهم فيما يحبون من الجهات و تيسيره لهم، أتبعه ما يقال لهم من المحبوب فى سلوكهم لذلك المحبوب فقال: ﴿ بشرنكم اليوم ﴾ أى بشارتكم العظيمة فى جميع ما يستقبلكم من الزمان . و لما تشوفوا لذلك أخبروا بالمبشر به بقوله مخبرا إشارة إلى أن المخبر به يحسد من البشرى لكونه معدن السرور ﴿ جنت ﴾ أى كائنة لكم تتصرفون فيها أعظم تصرف، و الخبر فى الأصل دخول، ولكنه عدل عنه لما ذكر من المبالغة ثم وصفها بما لا / تكمل اللذة إلا به فقال: ﴿ تجرى ﴾ و أفهم القرب باثبات الجار فقال: ﴿ من تحتها الانهر ﴾ و لما كان ذلك لا يتم مع خوف الانقطاع قال: ﴿ تخلصون فيها^٣ ﴾ خلودا لا آخر له لأن الله أورثكم ذلك ما لا يورث عنكم كما كان حكام الدنيا لأن الجنة لا موت فيها . و لما كان هذا أمرا سارا^٤ فى ذلك المقام الضنك^٥ محبا بأمر (٢) استأنف مدحه بقوله: ﴿ ذلك ﴾ أى هذا الأمر العظيم جدا ﴿ هو ﴾ أى وحده

(١) ريد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : الايمان (٣) من ظ ، و فى الأصل : اشار (٤) من ظ ، و فى الأصل : بالصنك .

- (الفوز العظيم ع) أى الذى ملا* بعظمته جميع الجهات من ذواتكم و أبدانكم و نفوسكم و أرواحكم .
- ولما عظم هذا الأجر الكريم بيان ما لاهله فى الوقت الكائن فيه ، عظمه بما لأضدادهم من النكال ، فقال مبدلاً من الظرف الأول :
- (يوم يقول) أى قولاً مجدداً لما^١ يلجىء إليه من الأمور العظيمة الشاقة هـ
- (المنفقون والمنفقت) أى بالعراقة فى إظهار الإيمان و إبطان الكفران
- (للذين آمنوا) أى ظاهراً و باطناً ، و أما من علا من هذا السن من المؤمنين و من فوقهم فالظاهر أنهم لا يرونهم ليطمعوا فى مناداتهم^٢ ، و أين الثريا من يد المتناول ، (انظرونا) أى انظرونا بأن تمكثوا فى مكانكم للحق بكم ، و كأن الفعل جرد فى قراءة الجماعة لاقتضاء الحال الإيجاز بغاية ١٠
- [ما - ٢] توصل المقدرة إليه خوف الفوت ، لأن المسؤولين يسرعون إلى الجنة كالبرق الخاطف ، و قد حققت المعنى قراءه حمزة^٣ بقطع الهمزة و كسر الظاء أى أخرجونا فى المشى و تأنوا علينا و أمهلوا علينا ، لا نطلبوا منا السرعة فيه بل امكثوا فى مكانكم لتنظر فى أمرنا كيف نلحق بكم ، و الحاصل^٤
- أنهم عدوا تأنيهم فى المشى و تلبثهم ليلحقوا بهم إنظاراً لهم (نقتبس) ١٥
- أى نأخذ و نصيب و نستصبح (من نوركم ع) أى هذا الذى نراه لكم و لا يلحقنا منه شئ . كما كنا فى الدنيا نرى إيمانكم بما نرى من ظواهركم^٥
-
- (١) من ظ : وفى الأصل : بما (٢) من ظ ، وفى الأصل : مادتهم (٣) زيد من ظ (٤) راجع ثر المرجان ٢٠٨/٧ (٥) من ظ ، وفى الأصل : الحال (٦) من ظ ، وفى الأصل : ظهوركم .

ولا تعلق من ذلك بشيء جزاء وفاقا ، و سبب هذا القول أنهم يعطون
مع المؤمنين نورا^١ خديعة لهم بما خادعوا في الدنيا لتعظم عليهم المشقة
بفقدته لأنه لا يلبث أن يبعث الله عليهم ريحا و ظلة فتطفيء نورهم و يكون
في الظلة ، و إلى ذلك ينظر قول المؤمنين ” اتمم لنا نورنا “ أى [لا -^٢]
م . تطفئة كما أطفأت نور المنافقين .

و لما كان المنكى لهم إنما هو الرد من^٣ أى قاتل كان ، بنى للمفعول
قوله : (قيل) أى لهم جوابا لسؤالهم قول رد و توبيخ و تهكم و تنديم :
(ارجعوا و رآكم) أى فى جميع جهات الراء التى هى أبعد الجهات
عن الخير كما كنتم فى الدنيا لا تزالون مرتدين على أعقابكم عما يستحق
١٠ أن يقبل عليه و يسعى إليه (فالتمسوا) بسبب ذلك الرجوع (نورا^٤)
و يصح أن يراد بالوراء الدنيا لأن هذا النور إنما هو منها بسبب ما عملوا
فيها من الأعمال الزاكية و المعارف الصافية ، و لهذا قال الإمام الغزالي رحمه
الله تعالى فى كتاب المحبة من الإحياء : إن هذه الآية تدل على / أن الأنوار
لا بد أن يتجدد أصلها فى الدنيا ثم يزداد فى الآخرة إشراقا [فاما -^٥]
١٥ أن يتجدد ثم نور فلا .

/ ٢٢٢

و لما كان التقدير : فرجعوا أو فأقاموا فى الظلة ، سبب عنه و عقب
قوله : (فضرِب) مبنيًا للمفعول على نحو الأول ، و لإفادة أن الضرب
كان فى غاية السرعة و السهولة ، و يجوز أن تكون الفاء معقبة على ما
(١) من ظلمة و فما الأصل : نور (٢) زيد من ظلمة (٣) من ظلمة ، و فى الأصل :
على .

قبله من غير تقدير (بينهم) أى فى [جميع - ١] المسافة التى بين
الذين آمنوا وأضدادهم فى وقت قولهم هذا . ولما كان المقصود أن
ضربه كان فى غاية السرعة ، لم يوقع الفعل وأتى بالقاء ليقيد أنه كان
كأنه عصى ضربت به الأرض ضربة واحدة ، فقال : (بسور) أى
جدار محيط بحبل بين الجنة والنار لا يشذ عنه أحد منهم ولا يقدر
أحد من سواهم أن يتجاوزهم إليهم (له باب ١) موكل به حجاب
لا يفتحون إلا لمن أذن الله له من المؤمنين بما يهديهم إليه من نورهم الذى
بين أيديهم لشفاعته أو نحوها (باطنه) أى ذلك السور والباب وهو
الذى من جهة الذين آمنوا جزاء لإيمانهم الذى هو غيب (فيه الرحمة)
وهى ما لهم من الكرامة بالجنة التى هى ساترة بطن من فيها بأشجارها ١٠
وبأسبابها كما كانت بواطنهم ملاء رحمة ٢ (وظاهره) أى السور
أو الباب الذى يظهر لأهل النار ، مبتدئ (من قبله) أى تجاه ذلك
الظاهر وناحيته وجهته وعنده (العذاب ٣) من النار ومقدماتها لاقتصار
أهله على الظواهر من غير أن يكون لهم نفوذ إلى باطن وعكس ما أرادوا
من حفظ ظواهرهم فى الدنيا مع فساد بواطنهم ، ودل على ما أفهمه ١٥
التعبير بالمضارع فى " يقول " من التكرير بقوله استئنافا : (ينادونهم)
أى المناقون والمناقات ، يواصلون النداء وهم فى الظلمة للذين آمنوا
يرققون لهم فى مدة هذا القول والضرب : (الم نكن) أى بكلماتنا
(١) زيدتمن ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : ان (م) من ظ ، وفى الأصل :
الرحمة (٤) من ظ ، وفى الأصل : ه وه (ه) من ظ ، وفى الأصل : العذاب .

﴿ معكم ﴾ أى فيما كنتم فيه من الدين فتستحق المشاركة فيما صرتم إليه بسبب ذلك [الدين - ١] الذى كنا معكم فيه ﴿ قالوا ﴾ أى الذين آمنوا: ﴿ بلئى ﴾ قد كنتم معنا ﴿ ولكنكم قتتم ﴾ أى كنتم بما كان لكم من الذبذبة تختبرون ﴿ انفسكم ﴾ فتخالطونها^٢ باختبار أحوال الدين^٣ مخالطة محيلة لها بميلة عما كانت عليه من أصل الفطرة من الاستقامة، تريدون بذلك أن تظهر لكم فيه أمور محسوسة لتخلصوا فيه من الشكوك فتخلصوا، فما آمنتم بالغيب فأهلكتموها^٤ و تبعتم أيضا الأمور التى كنتم تفتنون بها [من - ١] الشهوات، فأرجتم لكم الإعراض عن المعالى الباطنات ﴿ وتربصتم ﴾ أى كلفتم أنفسكم أن أخرجتموها عن الفطرة الأولى ١٠. فأهلتم وانتظرتهم لتروا الأمر عيانا أو لم تفعلوا كما فعلنا من الإيمان بالغيب وترك التجربة ونسبة ما يحصل لنا بما فيه فتنة إلى أنفسنا بتقصيرنا، وكنا كلما حصل لنا ما يزلزل نقول: هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ولا يزيدنا ذلك إلا إيمانا وتسليما، وانتظرتهم أيضا الدوائر بأهل الإيمان لتظهروا النفاق ﴿ وارقبتم ﴾ أى شككتهم بتكليف أنفسكم الشك بذلك التربص ﴿ وغرتكم الامانى ﴾ أى ما تمنون / أى تريدون وتقدرتون ١٥ / ٢٢٣ من الإرادات التى معها شهوة عظيمة من الاطماع الفارغة التى لا سبب لها غير شهوة النفس إياها بما كنتم تتوقعون لنا من دوائر السوء ﴿ حتى جاء امر الله ﴾ أى قضاء الملك المتصف بجميع صفات الكمال، فلا كفوه له ولا خلف لقوله من الموت . ومقدمات من الأمور الدهشة، (١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل: فتخالطوهم (٣) من ظ ، وفى الأصل: الدنيا (٤) من ظ ، وفى الأصل: فانهلكتموها .

فكما كنتم في الدنيا مقصرين كنتم في هذا الوطن ﴿ و غركم بالله ﴾ أى الملك الذى له جميع العظمة، فهو بحيث لا يخلف الميعاد وهو الولى الدود ﴿ الغروره ﴾ أى من [لا - ١] صنع له إلا الكذب وهو الشيطان وهو العدو الحسود، فانه ينوع لكم بفروره التسويف ويقول: إن الله غفور رحيم [و - ١] عفو كريم، وما ذا عسى أن تكون ذنوبكم عته وهو عظيم ومحسن وحليم ونحو هذا، فلا يزال حتى يوقع الإنسان، فاذا أوقع واصل عليه مثل ذلك حتى يتماهى، فاذا تماهى صار الباعث له حيثئذ من قبل نفسه فصار طوع يده .

ولما أقروا لهم بالكون الجامع . وذكروا ما حصل به والفرق المانع فظهر أن لا كون، سيوا عنه قولهم: ﴿ فاليوم ﴾ أى بسبب أفعالكم ١٠ تلك ﴿ لا يؤخذ ﴾ بناء للفعل لأن الضار عدم الأخذ لا كونه^٢ من أخذ معين وليفيد سد باب الأخذ مطلقا ﴿ منكم فدية ﴾ أى نوع من أنواع الفداء وهو البذل والعوض للنفس على أى حال من قلة أو كثرة أو حسن أو غيره لأن الإله غنى وقد فات محل العمل الذى شرعه لإنقاذ أنفسكم .
ولما كانوا مكذبين أكد فقال: ﴿ ولا من الذين كفروا^٣ ﴾ أى أظهروا ١٥ كفرهم ولم يستروه كما سترتموه أتم لمساواتكم لهم فى الكفر . ولما كان كأنه قيل: فإن نكون؟ قال: ﴿ ما وكنم ﴾ أى منزلكم ومسكنكم وجمعكم ﴿ النار^٤ ﴾ لا مقر لكم غيرها، تحرقكم كما كنتم تحرقون قلوب الأولياء بأقبالكم على الشهوات، وإضاعتكم حقوق ذوى الحاجات، وأكد ذلك

(١) زيد من ظ (٢-٢) من ظ ، وفى الأصل: لكونه .

بقوله: ﴿هى﴾ أى لا غيرها ﴿مولسكم﴾ أى قرينكم وموضع قربكم ومصيركم وناصركم على نحو "نحية بينهم" ضرب وجيع "هى أولى لكم، لا قرب لكم إلى غيرها، ولا غيرها مولى ولا مصير [إلى - ٣] سواها ولا ناصر إلا هى. ولما كان التقدير: فبئس المولى هى، عطف عليه قوله: ﴿وبئس المصيره﴾ أى هذه النار التى صرتم إليها.

ولما كان هذا وعظا شافيا لسقام القلوب، وكاشفا لغطاء الكروب، اتج قوله حاثا على الإقبال على كتابه الذى رحم به عباده بإزاله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم على وجه معلم بأعجازه أنه كلام الله مستعظفا لهم إلى جنابه زاجرا لهم^٢ عما سألهم بعضهم فيه سلمان رضى الله عنه من أن يحدثهم عن التوراة والانجيل، فكانوا كلما سألوه عن شىء أنزل سبحانه آية يجرم بها وينبهم على أن هذا القرآن فيه [كل ما - ٢] يطلب إلى أن أنزل هذه الآية زاجرة هذا الزجر العظيم لثلا يظن ظان أن القرآن غير كاف، مخوفا لهم بما وقع لأهل الكتاب من الإعراض عن كتابهم. قال الكلبي: زلت فى المنافقين بعد الهجرة بسنة، وقال ابن عباس ١٥ / ٢٠٤ رضى الله عنهما: إن الله استبطأ قلوب المؤمنين على رأس / ثلاث عشرة سنة من زول القرآن، فقال: ﴿الم يأن﴾ أى يحن وينتهى ويدرك إلى الغاية ﴿لدين آمنوا﴾ أى أقروا بالإيمان بأستهم صدقا أو كذبا ﴿ان تخشع﴾ أى أن يكون لهم رتبة عالية فى الإيمان بأن تلين وتسكن وتخضع وتذل وتطمئن فتخبت فعرض عن الفانى وتقبل على الباقى ﴿قلوبهم لذكر الله﴾

(١) من ظ ، وفى الأصل : بينكم (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) راجع .

أى الملك الأعظم الذى لاخير إلا منه فيصدق في إيمانه من كان كاذبا
و يقوى في الدين من كان ضعيفا ، فلا يطلب لذلك دينة دواء و لالمرض قلبه
شفاء في غير القرآن ، فان ذكر الله يحلو أصداء القلوب و يصقل مراتبها .
ولما كان الذكر وحده كافيا في الخشوع و الإنابة و الخضوع لانه
يجمع لكل رغبة و منبع لكل رهبة ، و كان من الناس من لا تقوذه فيما ه
له سبحانه من الجلال و الإكرام قال : ﴿ وما نزل ﴾ أى الله تعالى
بالتدريج - على قراءة الجماعة بالتشديد ، و ما وجد إنزاله من عند الله على
حاتم رسله صلى الله عليه وسلم على قراءة نافع و حفص عن عاصم و رويس
بخلف عنه عن يعقوب بالتحفيف ﴿ من الحق لا ﴾ أى من الوعد و الوعيد
و الوعظ و غير ذلك على بنينكم صلى الله عليه وسلم من القرآن إشارة ١٠
إلى ان غير هذا الذكر دخله الدخيل ، و اما هذا فتأيت ثباتا لا يقدر
أحد على إزالته .

ولما كان للسابقة و المنافسة أمر عظيم في تحريك الهمم لأهل
الأنفة و أولى المعالي قال : ﴿ ولا يكونوا كالذين ﴾ و لما كان العلم بمجرده
كافيا في إعلاء الهمة فكيف [إذا - ٢] كان من عند الله فكيف إذا ١٥
كان بكتاب ، إشارة إلى ذلك بالبناء للجهول فقال : ﴿ اوتوا الكتب ﴾
أى لو كان الإتيان من عند غير الله لكان جديرا بالهداية فكيف وهو
من عنده . و لما كان إنزال الكتب لم يكن إلا على بنى إسرائيل
(١) راجع نثر المرحان ٢١٤/٧ (٢) من ظ ، و في الأصل : انزله (٣) زيد من ظ .
(٤) من ظ ، و في الأصل : اشارة .

فلم يكن مستغرقاً للزمان الماضي أدخل الجار فقال : (من قبل) أى قبل ما نزل إليكم وهم اليهود والنصارى . ولما كانوا في كل قليل يعبرون قال عاطفاً على " اوتوا الكتاب " : (فطال عليهم الآمد) أى الزمان الذى ضربناه لشرفهم ومددناه لعلوم من أول إيتائهم^٢ الكتاب الذى من شأنه ترفيق القلوب ، والآمد الاجل ، وكل منهما يطلق على المدة كلها وعلى آخرها ، وكذا الغاية بقول النحاة : " من " لابتداء الغاية و " إلى " لانتهايتها ، والمراد جميع المدة (فقصت) أى بسبب الطول (قلوبهم) أى صلبت واعوجت حتى كانت بحيث لا تفعل للطاعات والخير فكانوا كل القليل^٣ فى تعنت شديد على أنفياهم عليهم الصلاة والسلام يسألونهم ١٠ المقترحات ، وأما بعد إيتائهم فابعدوا فى القساوة ، فقالوا إلى دار الكدر بكلياتهم وأعرضوا عن دار الصفا فأنجمروا إلى الهلاك باتباع الشهوات ، قال القشيري : وقسوة القلب إنما تحصل من اتباع الشهوة ، وأن الشهوة والصفوة لا يجتمعان .

ولما كان التقدير : فبعضهم ثبت على تزلزل ، عطف عليه قوله :

(وكثير منهم) أخرجه قساوته عن الدين أصلاً ورأساً فهم / (فسقون هـ) ١٥ / ٢٠٥

أى عريقون فى وصف الإقدام على الخروج من دائرة الحق التى عداها

لهم الكتاب ، وعن عبد الله بن الزبير عن عبد الله بن مسعود رضى الله

عنه انه قال : لم يكن بين إسلامهم وبين أن نزلت هذه الآية يعاتبهم الله

(١) من ظ ، وفى الأصل : كان (٢) من ظ ، وفى الأصل : إيتائهم .

(٣-٢) من ظ ، وفى الأصل : قليلاً (٤) من ظ ، وفى الأصل : الهوى .

بها إلا أربع سنين - رواه الطبراني في الكبير، قال الهيثمي : وفيه موسى ابن يعقوب الربي وثقه ابن معين وغيره وضعفه ابن المديني وبقية رجاله رجال الصحيح - انتهى .

ولما كان الموجب الأعظم للقسوة إنكار البعث، وكان^٢ العرب يزيدون على أهل الكتاب من موجبات القسوة به، وكان عمل العامل بما يدل^٥ على القسوة عمل من ينكره، قال مهددا لهم به مقررا لما ابتدأ به السورة من أمر الإحياء مشيرا إلى القدرة على إحياء القلوب مثلا لإزالة القسوة عنها بصقل الذكر والتلاوة ترغيا في إدامة ذلك : ﴿ اعلوآ ﴾ أى يا من آمن بلسانه ﴿ ان الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى له الكمال كله فلا يحجزه شيء ﴿ يحيى ﴾ أى على سبيل التجديد والاستمرار كما تشاهدونه^{١٠} ﴿ الارض ﴾ اليابسة بالنبات . ولما كان هذا الوصف ثابتا دائما بالفعل وبالقوة أخرى، وكان الجار هنا مقتضيا للتعميم قال : ﴿ بعد موتها ﴾ من غير ذكر الجار وكما أنه يحياها فيخرج بها النبات بعد أن كان قد تفتت و صار ترابا فكذلك يحيى بجمع* أجسامهم وإفاضة الأرواح عليها كما فعل بالنبات وكما فعل بالأجسام أول مرة سواء، لا فرق بوجه^{١٥} إلا بأن يقال : الابتداء أصعب في العادة، فاحذروا سطوته واخشوا غضبه وارجوا رحمته لإحياء القلوب، فانه قادر على إحيائها بروح الوحي كما

(١) راجع مجمع الزوائد ٧/ ١٢١، (٢) من ظ، وفي الأصل : ان (٣) من ظ، وفي الأصل : دل (٤) زيد في الأصل : فقال تعالى، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفناها (٥) من ظ، وفي الأصل : لجميع .

أحيى الأرض بروح الماء لتصير باحيائها بالذكر خاشعة بعد قسوتها كما
صارت الأرض بالماء راية بعد خشوعها و موتها .

ولما انكشف الأمر بهذا غاية الانكشاف ، أتج قوله : (قد بينا)
أى على ما لنا من العظمة ، ولما كان العرب يفهمون من لسانهم ما
لا يفهم غيرهم فكانوا يعرفون - من إعجاز القرآن - بكثرة فوائده و جلالة
مقاصده و دقة مسالكه و عظمة مداركه ، و جزالة تراكيبه و متانة أساليبه
و غير ذلك من شؤنه و أنواعه و فنونه ، المنتج لتحقيق أنه كلام الله - 'أما
لا يعلمه غيرهم فكأنما كانوا مخصوصين بهذا البيان ، فقدم الجار فقال :
(لكم الإيت) أى العلامات المنيرات . ولما كان السياق للبعث ، وكان
١٠ من دعائم أصول الدين ، و كان العقل كافيا فى قياسه على النبات ، وكان
الفعل^٢ الذى لا يعود إلى سعادة الآخرة ناقصا ، و كان العقل الذى لا ينحى
صاحبه مساويا للعدم ، قال معبرا بأداة التراخي بخلاف ما سبق فى آل
عمران فانه من مصالح النفس التى اختفت ، و دواع تدعو إلى فهمها ،
و تبعث إلى إيقان / عليها (لعلمكم تعقلون) أى لتكونوا عند من يعلم
١٥ ذلك و يسمعه من الخلائق على رجاء من حصول العقل لكم بما يتجدد لكم
من فهمه على سبيل التواصل الدار بالاستمرار .

ولما كانت الصدقة كالبذر الذى تقدم أن الله تعالى يحياه و يضاعفه
أضعافا كثيرة على حسب زكاه الأرض ، قال منتجا بما مضى ما يعرف

(١-١) من ظ ، و فى الأصل . دالا (٢) من ظ ، و فى الأصل : العقل .

أن من أعظم ما دل على الخشوع المحث عليه و البعد عن حال^١ الذين
أوتوا الكتاب في القسوة الصدقة بالإنفاق الذي قرنه في أولها بالإيمان ،
و حث عليه في كثير من آياتها تنفيها على أنه ثمرته التي لا تختلف عنه ،
معبرا عنه بما يرشد إلى أنه المصدق لدعواه ، و أكدته^٢ لمن يشك في البعث
من إنكار بركة الصدقة عاجلا أو آجلا تقيدا بالمحسوسات : (ان المصدقين) ه
أى العريقين في هذا الوصف من الرجال (و المصدقت) أى من
النساء ، بأموالهم على الضعفاء الذين إعطاؤهم يدل على الصدق في الإيمان
لكون^٣ المعطى لا يرجى منه تقع دنيوى ، و لعله أدغم إشارة إلى إخفاء
الصدقات ، و قراءة [أبى -^٤] رضى الله عنه بالإظهار ترشد إلى الإكثار
من الصدقة حتى تصير ظاهرة ، و قراءة ابن كثير و أبى بكر عن عاصم ١٠
بالتخفيف^٥ تدل مع ذلك على التصديق بالإيمان ، فكل من القراءات يدل
عليهما ، و من التفصيل بذكر النوعين تعرف شدة الاعتناء .

و لما كانت صيغة التفعّل تدل على التكلف حثا على حمل النفس
على التطبع بذلك حتى يهvir لها خلقا في غاية الخفة عليها فقال عاطفا
على صلة الموصول في اسم الفاعل معبرا بالماضى بعد إفهام الوصف الثبات ١٥
دلالة على الإيقاع بالفعل عطفا على [ما -^٤] تقديره موقعا ضمير المذكر
على الصنفين تغليا الذين صدقوا إيمانهم بالتصدق^٦ : (و اقرضوا الله)

(١) من ظ ، و في الأصل : الحال (٢) من ظ ، و في الأصل : أكد كما (٣) من
ظ ، و في الأصل : لكونه (٤) زيد من ظ (٥) راجع نثر المرجان ٢١٧ / ٧
(٦) من ظ ، و في الأصل : بالصدق .

الذى له الكمال كله بتصديقهم سواء كانوا من الذكور أو الإناث ، و إنفاقهم في كل ما ندب [إلى الإنفاق -^١] فيه ، و أكد و وصف بقوله : ﴿ قرظا حسنا ﴾ أى بغاية ما يكون من طيب النفس و إخلاص النية في الصدقة و النفقة في سبيل الخير ، و حسنه أن يصرف 'بصره' إلى النظر^٢ إلى فعله ٥ و الامتياز به و طلب العوض عليه ، قاله الرازى . ﴿ يضنف ﴾ أى ذاك القرض ﴿ لهم ﴾ و يثابون بحسب تلك المضاعفة لأن الذى كان القرض له سبحانه حلیم كريم و لا يرضى في الخير إلا بالفضل ، و ثقل في قراءة ابن كثير و ابن عامر و أبى جعفر [و يعقوب -^١] دلالة على المبالغة في التكثير ، و عبر بالمفاعلة^٢ في قراءة الجماعة لإفهام أن تلك الكثرة ١٠ مما لا بد من كونه ، و أنه عمل فيه عمل من يبارى آخر و يغالبه ، و بنى للفعول دلالة على باهر العظمة اللازم عنه كونه بغاية السهولة ﴿ ولهم ﴾ أى مع المضاعفة ﴿ اجر كريم ٥ ﴾ أى لا كدر فيه بانقطاع و لافلة و لازيادة بوجه من الوجوه أصلا .

/ ٢٠٧

/ و لما بين سبحانه و تعالى أن الصدقة كالبذر الذى هو من أحسن ١٥ الأرباح و أبهجها ، بين الحامل عليها ترغيبا فيها ، فقال عاطفا بالواو ، إشارة إلى التمكن في جميع هذه الصفات : ﴿ والذين آمنوا ﴾ أى أوجدوا هذه الحقيقة العظيمة في أنفسهم ﴿ بالله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له الجلال و الإكرام ﴿ ورسلة ﴾ أى كلهم لما^١ لهم من النسبة إليه ، فن

(١) زيد من ظ (٢-٢) من ظ ، وفى الأصل : البصر بالنظر (٣) راجع

نثر المرجان ٧ / ٢١٧ (٤) فى ظ : لأجل ما .

كذب

(٧١)

٢٨٤

كذب بشيء على أحد منهم أو عمل عمل المكذب له لم يكن مؤمنا به
 ﴿أُولَئِكَ﴾ أى الذين لهم الرتب العالية والمقامات السامية ﴿هم﴾ أى
 خاصة 'لا غيرهم' ﴿الصدّيقون صلّى﴾ أى الذين هم فى غاية الصدق والتصدق
 لما يحقّ له أن يصدقه من سمعته، وقال القشيري: الصدّيق من استوى
 ظاهره وباطنه، ويقال: هو الذى يحمل الأمر على الاثاق ولا ينزل^٥
 إلى الرخص، ولا يحتاج للتأويلات، ولما كان الصدّيق لا يكون غريبا
 فى الصّدقية إلا بالتأهيل لرتبة الشهادة قال تعالى: ﴿وَالشَّهَادَةُ﴾ معبرا
 بما مفردة شهيد عاطفا بالواو إشارة إلى قوة التمكن فى كل من الوصفين،
 [قال القشيري - ٢]: هم الذين يشهدون بقلوبهم بواطن الوصلة ويعتقدون
 بأسرارهم فى أوطان القرية، وزاد الأمر عظميا بقوله: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ١٠
 أى الذى أحسن إليهم بالقرية [بمثل تلك الرتبة - ٢] العالية من الشهادة لله
 بكل ما أرسل به رسله والأنبياء الماضين على أئمتهم والحضور فى جميع
 الملاذ بالشهادة فى سبيل الله، قال مجاهد: كل مؤمن صدّيق وشهيد - وتلى
 هذه الآية ﴿لهم﴾ أى جميع من مضى من الموصوفين^٥ [بالخير - ٢]
 ﴿أَجْرُهُمْ﴾ أى الذى جعله ربهم [لهم - ٢] ﴿وَنُورُهُمْ﴾ [أى - ٢] ١٥
 الذى زادهموه من فضله برحمته، أولئك أصحاب النعيم المقيم.

ولما ذكر أهل السعادة جامعا لأصنافهم، أتبعهم أهل الشقاوة لذلك
 قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أى ستروا ما دلت عليه أنوار عقولهم ومرآى

(١-١) سقط ما بين الرقنين من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: لا يتنزل (٣) زيد
 من ظ (٤) راجع البحر المحيط ٢٢٣/٨ (٥) من ظ، وفى الأصل: الموضعين.

فكرهم ﴿و كذبوا بآياتنا﴾ على ما لها من العظمة بنسبتها إلينا سواء كانوا في ذلك مسأرين أو مجاهرين أو عمل العالم بها عمل المكذب ﴿اولئك﴾ أى المبعدون 'من الخير' [خاصة - ٢] ﴿اصحاب الجحيم﴾ أى النار التى هى غاية فى توقدها، خالدون فيها من بين العصاة، وأما غيرهم فدخلوهم [لها - ٢] إذ دخلوها ليس على [وجه - ٢] الصفة الدالة على الملازمة، وأولئك هم الكاذبون الذين لا تقبل لهم شهادة عند ربهم، لهم عقابهم و [عليهم - ٢] ظلامهم، والآية من الاحتباك: ذكر الصديقة ° وما معها أولا° دليلا على أضرارها ثانيا، والجحيم ثانيا دليلا على النعيم أولا، وسره أن الأول أعظم فى الكرامة، والثانى أعظم فى الإهانة .

ولما ذكر [سبحانه - ٢] حال الفريقين: الأشقياء والسعداء، فقرر^٢ بذلك أمر الآخرة، فعملوا أنها / الحيوان الذى لا انقضاء له من إكرام أو هوان، وكان الموجب للهوان فيها إنما هو الإقبال على الدنيا لحضورها ونسيان الآخرة لغيابها^٣، قال منتجما^٤ مضى مينا لحقيقة ما يرغب فيه المكلف المركب على الشهوة من العاجلة بما زهه فيه مصدرا له بما يوجب

/٢٠٨

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد من ظ (٣ - ٣) من ظ، وفى الأصل: فى غاية (٤ - ٤) من ظ، وفى الأصل: شهادتهم (٥ - ٥) من ظ، وفى الأصل: أولا ومعها (٦) زيد فى الأصل: أهل، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها (٧) من ظ، وفى الأصل: فقرر (٨) زيد فى الأصل: على، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها (٩) من ظ، وفى الأصل: لا .

غاية

غاية اليقظة والحضور: ﴿اعلموا﴾ أى ايها العباد المبجلون، وأكد المعنى بزيادة "ما" [لما - ١] للناس من الغفلة عنه فقال قاصرا قصر قلب: ﴿انما الحيوة الدنيا﴾ أى الحاضرة التى رغبنا فى الزهد فيها والخروج عنها بالصدقة والقرض الحسن ﴿لعب﴾ أى تعب لا ثمرة له فهو باطل كلعب الصبيان ﴿ولهو﴾ أى شئ يفرح الإنسان به فيلهو ويشغله عما بينه ثم ينقض كلهو الفتيان، ثم اتبع ذلك عظم ما يلهى فى الدنيا فقال: ﴿وزينة﴾ أى شئ يبهج العين ويسر النفس كزينة النسوان، واتباعها ثمرتها فقال: ﴿وتفاخر﴾ أى كتفاخر^٢ الاقران يفتخر بعضهم على بعض. ولما كان ذلك مخصوصا بأهل الشهوات قال: ﴿يتكم﴾ أى يجر إلى الترفع الجار إلى الحسد والبغضاء، ثم أتبع ذلك ما يحصل به الفخر^{١٠} فقال: ﴿وتكاثر﴾ أى من الجانبين ﴿فى الاموال﴾ أى التى لا يفتخر بها إلا أحق لكونها ماثلة ﴿والاولاد﴾ الذين لا يغتر بهم إلا سفيه لانهم الاعداء، وأن جميع ما ذكر زائل وأن الدنيا آفاتنا هائلة، وإنما هى فتنة وابتلاء يظهر بها الشاكر من غيره، ثم إلى ذلك كله 'قد يكون' ذهابه عن قرب فتكون على أصداد ما كان عليه، فيكون أشد فى ١٥ الحسرة، ومطابقة ذلك لما بعده أن الإنسان ينشأ فى حجر وليه فيشب ويقوى ويكسب المال والولد ويتغشاه الناس فيكون بينهم أمور معجبة وأحوال ملهية مطربة، فإذا تم شبابه وأطفأ مجيئه وذهابه

(١) زيد فى الأصل: فقال، ولم تكن الزيادة فى ظ لغذفناها (٢) إزيد من إظ
(٣) فى ظ: تفاخر (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ.

نظم الدرر (سورة الحديد ٥٧: ٢٠) ج - ١٩

و أشكاله و أترابه، أخذ في الانحطاط ولا يزال حتى يشيب و يسقم
و يضعف و يهرم و تصيبه النوائب و القوارع و المصائب في ماله و جسمه
و أولاده و أصحابه، ثم في آخر ذلك يموت، فإذا قد اضمحل أمره و نسي
عما قليل ذكره، و صار ماله لغيره و زينته متمتعا بها سواء فالدينا حفيرة
و أحقر منها طالبها و أقل منها خطر المزاحم فيها، فما هي إلا جيفة،
و طلاب الجيفة ليس لهم خطر، و أخسهم من بخل بها، قال القشيري:
و هذه الدينا المذمومة هي ما يشغل العبد عن الآخرة [فكل ما يشغله
عن الآخرة - '] فهو الدينا - انتهى .

و لما قرر سبحانه أنها ظل زائل و عرض هائل، و كان بعض
١٠ الناس يتنبه فيشكر^٢ و بعضهم يعصى فيكفر. و كان القسم الثاني أكثر
لأن وجودها و إقبالها يعصى أكثر القلوب عن حقارتها، ضرب لذلك
مثلا مقررًا لما مضى من وصفها لأن للامثال^٣ في تقرير الأشياء و تصويرها
ما ليس لغيرها فقال تعالى: ﴿ كمثل ﴾ أى هذا الذى ذكرته من أمرها
يشبه مثل ﴿ غيث ﴾ أى مطر / حصل بعد جذب [و - '] سوء حال .

/ ٢٠٩

١٥ و لما كان المثل في سياق التحقير للدينا و انتفير عنها، عبر عن الزراع
بما ينفر فقال: ﴿ اعجب الكفار ﴾ أى الزراع الذين حصل منهم الحارث
و البذر الذى يستره الحارث بحرثه كما يستر الكافر حقيقة أنوار الإيمان
لما يحصل منه من المجدو الطغيان ولا يتناهى إعجاب^٤ الزارع [إلى - ']

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : و يشكر (٣) من ظ ، و فى
الأصل : الامثال (٤) من ظ ، و فى الأصل : لهم (٥) من ظ ، و فى
الأصل : اعجب .

سعد يلهى عن الله إلا مع الكفر به سبحانه ، فان المؤمن وإن أعجبه ذلك
يتذكر به قدرة الله سبحانه و تعالى وعظمته و ما أهد لأهل طاعته في
الآخرة ، فيحمله ذلك على الطاعة ، فالتعبير بالكفار الذى هو بمعنى الزوابع
دونه إشارة إلى عظمة ذلك النبات فانه لا يعجب العارفين به الممارسين
له الذين لهم غاية الإقبال على تلك الحرفة فالمنافسة فيها إلا ما يكون هـ
منها نهاية في الإعجاب ، و إلى أنه لا يعجب أحدا شيء من الدنيا إعجابا
يركن و يأنس به أنسا يؤدي إلى ما فى الآية من اللهو و ما معه
إلا لكفر فى نفسه أقله كفر النعمة التى من شأنها أن تدعو إلى تذكر
الخالق^٢ و تذكر الجميل على الشكر ، و ترك الشكر كفر (نباته) أى نبات
ذلك الفيت كما يعجب الكافر فى الكفر فى الغالب بسط الدنيا له ١٠
استراجا من الله تعالى .

و لما كان الزرع يشيخ بعد مُدَيِّدَةٍ فيضمحل كما هو شأن الدنيا
كلها قال^٣ : (ثم يهيج) أى يسرع تحركه فيتم جفافه فيحين حصاهه
(فترويه مصفرا) أى عقب ذلك و بالقرب منه على حالة لا ثمر معها
[بل - °] و لانبات ، و لذلك قال معبرا بالكون لأن السياق للزميد ١٥
فى الدنيا و أنها ظل زائل لاحقيقة لها^٤ : (ثم) أى بعد تنهى جفافه^٥
و ايضاضه (يكون) أى كونا كأنه مطبوع عليه ، و أبلغ سبحانه فى
تقرير اضمحلاله بالإتيان مع فعل الكون هنا للبالغة لأن السياق لتقرير
(١) فظ : منه (٢) من ظ ، و فى الأصل : الخلق (٣) من ظ ، و فى الأصل :
فقال (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : له .
(٧) فى الأصل : الجفافة ، و فى ظ : الجفاف ،

أن الدنيا عدم وإن كانت في غاية الكثرة والإقبال والمواتاة^١ بخلاف ما مضى في الزمر فقال: ﴿حطاما^٢﴾ كأن الحطامية^٣ كانت في جبلته وأصل طبعه .

ولما ذكر الظل الزائل، ذكر أثره^٤ الثابت الدائم مقسما له على قسمين، فقال عاطفا على ما تقديره هذا حال الدنيا في سرعة زوالها وتحقق فنائها [واضمحلها -^٥]: ﴿وفي﴾ أى هذا الذى غر من حال الدنيا وهو فى ﴿الأخرة﴾ على أحدهما ﴿عذاب شديد لا﴾ أى لمن أخذها بغير حقها معرضا عن ذكر الله لأن الاغترار بها سيئه، فكان كأنه هو .

ولما قدم ما هو السبب الأغلب لأن أكثر الخلق هالك، اتبعه ١٠ الصنف الناجى فقال: ﴿ومغفرة﴾ أى لأهل الدرجة الأولى فى الإيمان ﴿من الله﴾ أى الملك الأعظم لمن يذكر بما صنعه له فى الدنيا عظمته سبحانه وجلاله فتأب من ذنوبه، ورجع إليه فى التطهير من عيوبه ﴿ورضوان^٦﴾ لأهل الدرجة العليا وهم من أقبل عليه سبحانه فشكره حق شكره ببذل وسعه^٧ فيما يرضيه، فأخر الآية تقسيم للدنيا على الحقيقة ١٥ / ٢١٠ ثلثا يظن من حصرها فيما ذكر أول الآية أنها لاتسكون إلا / كذلك،

فالمعنى أن الذى ذكره أولا هو الأغلب لأحوالها وعاقبه النار، وما كان منها من إيمان وطاعة ونظر توحيد لله وتعظيم ومعرفة تؤدى إلى

(١) من ظ، وفى الأصل: الموالاة (٢) من ظ، وفى الأصل: الحاطمة .

(٣) من ظ، وفى الأصل: أثر (٤) زيد من ظ .

أخذها تزوداً^١ ونظرها اعتباراً وتعبداً، فهو^٢ آخرة لا دنيا، وقد تحرر
 أن مثل الغيث المذكور الحطام وتارة يعقبه نكد لازم وأخرى سرور
 دائم، فمن عمل في ذلك عمل الحزمة فحرس الزرع مما يؤذيه وحصده
 في وقته وعمل فيه ما ينبغي ولم ينس حق الله فيه سره أثره وحدث
 عاقبته، ومن أهمل ذلك [أعقبه الأسف، وذلك هو مثل الدنيا: من ه
 عمل فيها بأمر الله أعقبته حطاميتها سروراً دائماً، ومن أهمل ذلك -^٣]
 أورثته حزناً لازماً، وكما كان التقدير: فما الآخرة لمن سعى لها سعيها
 وهو مؤمن إلا حق مشهور وسعى مشكور، عطف عليه قوله:
 ﴿ وما الحياة الدنيا ﴾ أى لكونها تشغل بزينتها مع أنها زائلة
 ﴿ الا متاع العرور ﴾ أى هو فى نفسه [غرور -^٤] للاحقيقة له ١٠
 إلا ذلك، لأنه لا يجوز لمن أقبل على التمتع إلا ذلك لأنه لا يسر
 بقدر ما يضر .

ولما بين أن الدنيا خيال ومحال ليصرف الكلمة من العباد عنها
 لسفولها وحقارتها، وأن الآخرة بقاء وكال ليرغبوا غاية الرغبة فيها
 وليشتاقوا كل^٥ الاشتياق لكمالها وشرفها وجلالها، أتج ذلك قوله تعالى: ١٥
 ﴿ سابقوا ﴾ أى افعلوا فى السعى^٦ لها بالأعمال الصالحة حق السعى فعل

(١) من ظ، و، الأصل: من ردا (٢) من ظ، وفى الأصل: فلو (٣) زيد
 من ظ (٤) زيد فى الأصل: فكان تمام الجواب عنها وهى، ولم تكن
 الزيادة فى ظ لخصفناها (هـ-ه) من ظ، وفى الأصل: المتاع (٦) من ظ، وفى
 الأصل: عاته (٧-٧) من ظ، وفى الأصل: بالسعى .

من يسابق شخصا فهو يسعى و يجتهد غاية الاجتهاد في سبقه، ولكن
ربما كان قرينه بطيئا فصار هونا، و أما المسارعة فلا تكون إلا بجهد
النفس من الجانبين مع السرعة في العرفة، فآية آل عمران الآمرة بالمسارعة
الأخص من المسابقة^١ أبلغ لأنها للحث على التجرد عن النفس و المال
٥ و جميع الحظوظ أصلا و رأسا، و لذلك كانت جنتها للتقنين الموصوفين،
و أما هذه ففي سياق التصديق الذي هو تجرد عن فضول الأموال
و لذلك كانت [جنة - ٢] للذين آمنوا .

و لما كان المقام عظيما، و الإنسان - و إن بذل الجهد - ضعيفا،
لايسعه إلا العفو سواء كان سابقا أو لاحقا من الأبرار و المقربين، به
١٠ على ذلك بقوله في السابقين: ﴿ الى مغفرة ﴾ أى ستر^٢ لذنوبكم عينا و أثرا
﴿ من ربكم ﴾ أى المحسن إليكم بأن ربكم و طوركم بعد الإيجاد بأنواع
الأسباب بأن تفعلوا أسباب ذلك بامثال أوامره سبحانه و اجتساب
زواجه . و لما كان المقصود من المغفرة ما يترتب عليها من نتائجها
قال: ﴿ و جنة ﴾ أى و بستان هو من عظم أشجارها و إطراد أنهارها
١٥ بحيث يستر داخله . و لما كان ذلك لا يكمل إلا بالسعة قال: ﴿ عرضها ﴾
أى فاطنك بطولها . و لما كان السياق كما بين للتجرد عن فضول الأموال
فقط لأن الموعود به دين ما في آل عمران فأفرده و صرح بالعرض
فقال: ﴿ كعرض السماء و الأرض لا ﴾ أى لو وصل بعضها ببعض، فآية آل
عمران تحتل الطول و جميع السماوات و الأرض على هيئتها، و يحتمل أن
(١) من ظ، و فى الأصل: المسافة (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، و فى
الأصل: سائر .

/ ٢١١

يكون ذلك على تقدير / أن تقد^١ كل واحدة منهما و يوصل [رأس^٢ -
كل قدة برأس الأخرى ، و تمتد جميع القدات إلى نهايتها على مثل
الشراك ، وهذه الآية ظاهرها^٣ عرض واحد و أرض واحدة (أعدت)
أى هيئت هذه الجنة الموعود بها و فرغ من أمرها بأيسر أمر
(للذين آمنوا) أى أوقعوا هذه الحقيقة و هم من هذه الأمة إيقاعا ه
لاريب معه و لو أنه على أدنى الوجوه فكانوا من السابقين ، وهذا يدل
على أن الجنة موجودة الآن فى آيات كثيرة ، و أن الإيمان كاف فى
استحقاقها ، و أحاديث الشفاعة مؤيدة لذلك (بالله) أى الذى له جميع
العظمة لأجل ذاته^٤ مخلصين له بالإيمان (و رسله^٥) فلم يفرقوا بين أحد
منهم ، فهذه الجنة غير مذكورة فى آل عمران ، و إن قيل : إن الساء هنا ١٠
للجنس لكون السياق فيه الصديقون و الشهداء كانت أبلغته تلك بالتصریح
بالجمع و عدم التصریح بالعرض لكونها فى سياق صرح فيه بالجهاد ، و قد
جرت السنة الإلهية بأعظام المواعيد للجاهدين أشدة الخطر فى أمر النفس
و صعوبة الخروج عنها و عن جميع المألوفات .

و لما كان ما ذكر من الوعد بالمغفرة و الجنة عظيما لاسيما لمن آمن ١٥
و لو كان إيمانه على أعلى الدرجات و مع^{*} التجرد من جميع الأعمال ،
عظمه بقوله ردا على من يوجب عليه سبحانه شيئا من ثواب أو عقاب :
(ذلك) أى الأمر العظيم جدا (فضل الله) أى الملك الذى لا كفوء له

(١) من ظ ، و فى الأصل : تقدير (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل :

ظاهره (٤) من ظ و فى الأصل : و أنه (٥) من ظ ، و فى الأصل : من .

فلا اعتراض عليه ﴿يؤتية من يشاء﴾ ولعل التعمير بالمضارع للإشارة إلى أن هذا خاص بهذه الأمة التي هي أقل عملا وأكثر أجرا، فاذا حسدهم أهل الكتاب قال تعالى: [هل - ١] ظلمتكم من أمركم شيئا، فاذا قالوا: لا، لأن المصروف من الأجر لجميع الطوائف على حسب الشرط، قال: ذلك فضلي أوتيه من أشاء. ﴿والله﴾ أى والحال أن الملك المختص بجميع صفات الكمال فله الأمر كله ﴿ذو الفضل العظيم﴾ أى الذى جل عن أن يحيط بوصفه العقول.

ولما كانت الدنيا مانعة عن العكوف إلى الآخرة بلذاتها وآلائها، وكانت كما انها منزل رخاء هى دار [بلاء - ١]، وكان قد اقتصر سبحانه ١٠ فى الآية السالفة على الأول لأن السياق للاتفاق والترغيب فى معالى الأخلاق وجعل المسابقة إلى السعادة نتيجة الزهد فيها، تحركت النفس ٢ إلى السؤال عما يعوق عن الخير من الضرب بسياط البلاء فقال مسلما عنه لأن النفوس أشد تأثرا بالمكآره وأسرع انفعالا بالمقلوع ومحققا ومغريا بالإعلام بأنه لم يكن فيها خير ولا شر إلا بقضاء حتم فى الأزل ١٥ وقدر أحكم ووجب حين لم يكن [غيره - ١] شيء عز وجل، وذكر فعل المؤنث الجائز التذكير لكون التانيث غير حقيقى إشارة إلى عظم وقع الشر: ﴿ما أصاب﴾ وأكد النفي فقال: ﴿من مصية﴾ / وهى فى الأصل لكل آت من خير أو شر إلا أن العرف خصها بالشر، وعم الساكن

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: الامهات (٣-٢) من ظ، وفى الأصل: للسؤال (٤) من ظ، وفى الأصل: لا.

و المتحرك بقوله : (في الارض) أى من منابتها و مياهها و نحو ذلك
 (و لا في انفسكم) [أى-١] موت و مرض و عين و عرض (الا) هى
 كاتبة (في كتب) أى مكتوب لانه مقدر^٢ مفروغ من القدم ، و بين
 أن الكتابة حدثت بعد أن كان هو سبحانه و لا شيء معه بادخال الجار
 فقال : (من قبل ان نراها^٣) أى نخلق و نوجد و تقدر المصيبة و الارض ه
 و الآتس ، و هذا دليل على أن اكتساب العباد بعمله سبحانه و تقديره .
 و لما كان ذلك متذرا على المخلوق فهو أشد شيء تكرها له وقوفا
 مع الوهم قال مؤكدا : (ان ذلك) أى الامر الجليل و هو عليه
 بالشيء و كتبه له على تفاصيله قبل كونه ، ثم سوفه النفوس و الاسباب
 إلى إخراجة بعد التكوين على مقدار ما سبق عليه به و كتبه له (على الله) ١٠
 أى على ما له من الإحاطة بالكمال (يسير^٤) لأن عليه محيط بكل شيء
 و قدرته شاملة لا يعجزها شيء .

و لما بين هذا الامر العظيم الدال على ما له سبحانه من الكبرياء
 و العظمة ، بيز ثمره أعماله بقوله : (لكيلا) أى أعلنناكم بأننا على ما لنا
 من العظمة قد فرغنا من التقدير ، فلا يتصور فيه تقديم و لا تأخير ١٥
 و لا تبديل و لا تغيير ، لأن الحزن لا يدفعه ، و لا السرور يعجله و يجمعه ،
 كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : يا معاذ ليقُلْ همك ما قدر يكن .
 لاجل أن لا (تأسوا) أى تحزنوا حزنا كبيرا زائدا (على) [ما -١]
 في أصل الجبلية ، يوصل^٥ إلى المبلغ بتعاطى أسبابه و التهادى فيها ليتأثر عنها
 (١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و في الأصل : تقدر (٣) من ظ ، و في
 الأصل : يبلغ .

السخط وعدم الرضا بالقضاء ، فرمما جر ذلك إلى أمر عظيم ﴿ ما فاتكم ﴾ من المحبوبات الدنيوية ﴿ ولا تفرحوا ﴾ أى تسروا سرورا يوصل إلى البطر بالتماهى مع [ما] فى أصل الجبلية ﴿ بما آتاكم ﴾ أى جاءكم منها على قراءة أبى عمرو^١ بالقصر ، وأعطاكم [الله -^٢] على قراءة الباقرين بالمد ، ه وهى تدل على أن النعم لا بد فى إيجادها وإبقائها من حافظ ، ثم إنها لو خليت ونفسها فانت لأنه ليس من ذاته إلا العدم ، وقد بين سبحانه أن فى تقديره هذا وكتبه من السر أن من وطن نفسه على فقد ما لديه من أعيان ومعان^٣ قبل أن تأمره بالعدم والوجدان ، فلم يغيره ذلك عن المسابقة المذكورة ، فالتمهى عنه التماهى مع الحزن حتى يخرج ١٠ عن الصبر ومع الفرح حتى يلهى عن الشكر ، لا أصل المعنى لأنه ليس من الأفعال الاختيارية ؛ قال جعفر الصادق : ما لك تأسف على مفقود ولا يرده إليك القوت ، وما لك تفرح بوجود ولا يتركه فى يدك الموت - انتهى ، ولقد عزى الله المؤمنين رحمة لهم فى مصائبهم وزهدهم فى رغائبهم بأن أسفهم على فوت المطلوب لا يعيده ، وفرحهم بحصول ١٥ المحبوب لا يفيدهم ، ولأن ذلك لا مطمع فى بقاءه إلا بادخاره عند الله / ، وذلك بأن يقول فى المصيبة : قدر الله وما شاء [الله -^٢] فعل / ٢١٣
و يصير وفى النعمة هكذا قضى ، وما أدرى ما مثاله ” هذا من فضل (١) راجع نثر المرجان / سورة الحديد (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : معادن (٤) فى ظ : يدك .

ربى ليلوفى اشكر ام اكفر " فلا يزال [خاتفا -^١] عند النعمة راجيا
أثر النعمة، قائلا فى الحالين : ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأكمل
من هذا أن يكون مسرورا بذكر ربه له فى كللى الحالين كما قال
[القاتل -^١] :

سقى لمعهدك الذى لو لم يكن ما كان قلبى للصباة مهذا .
وهذه صفة المتحررين^٢ من رق النفس، وقيمة الرجال إنما تعرف بالواردات
المغيرة . فمن لم تغيرة المضار ولم يتأثر بالمسار فهو سيد وقته، أشار
إليه القشبرى .

ولما كان الإيمان فى استجلاب الآسى إنما هو من اليأس ونسيان
النعم وزيادة الفرح الموصل إلى المرح إنما يحمره الكبر والمرح، وكان ١٠
فى أوصاف أهل الدنيا التفاخر، قال تعالى مينا أن المنهى عنه سابقا التهادى
مع الجلبة فى الحزن والفرح، عاطفا على ما تقديره : "فإن الله لا يحب كل
يؤوس كفور" (والله لا يحب)^٣ أى لا يفعل فعل المحب بأن يكرم
(كل محال) أى متكبر نظر إلى ما فى يده من الدنيا (نخور) قال
القشبرى : الاختيال من بقايا النفس ورويتها، والفخر [من -^١] رؤية ١٥
خطر ما به يفتخر .

ولما كان من جملة صفات المختال المكائر^٤ بالمال البخل، وكان
قد تقدم الحث على الإفاق، وكان ما يوجه لذة الفخر والاختيال

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : المتجردين (٣) زيد فى الأصل :
كل مختال (٤) من ظ ، وفى الأصل : يكروه (٥) من ظ ، وفى الأصل : التكائم ،

التي أوصل إليها المال حاملة على البخل خوفا من الإقتار الموجب عند أهل الدنيا للصغار ، قال تعالى واصفا للختال أو " لكل " : ﴿ الذين يبخلون ﴾ أى يوجدون هذه الحقيقة مع الاستمرار ﴿ و يامرون الناس ﴾ أى كل من يعرفونه ﴿ بالبخل ﴾ إرادة أن يكون لهم رفقاء يعملون بأعمالهم الخبيثة فيحامون عنهم أو أنهم يوجبون بأعمالهم من التكبر والبطر في الأموال التي حصلها لهم البخل استدراجا من الله لهم بخل غيرهم لانه إذا رآهم عظموا بالمال بخل لىكثر ماله و يعظم ، و ذلك كله نتيجة فرحهم بالموجود و بطرم عند إصابته ، فكانوا آمرين بالبخل لكونهم أسبابا له و السبب كالآمر في إيجاد شيء .

١٠ و لما كان التقدير : فن أقبل على مائندب [إليه - ٢] من الإقراض الحسن و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فان الله شكور حلیم ، عطف عليه [قوله - ٢] ذاما للبخل محذرا منه : ﴿ ومن يتول ﴾ أى يكلف نفسه [من - ٢] الإعراض ضد ما في فطرته من محبة الخير و الإقبال على الله ﴿ فان الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ الغنى ﴾ ٢٥ أى عن ماله و إنفاقه و كل شيء إلى الله مقتدر ﴿ الحميد ﴾ أى المستحق للحمد و سواء حمده الحامدون أم لا ، و قراءة نافع و ابن عامر باسقاط [" هو - ٢ "] مفيدة المحصر المبتدأ في الخبر للتعريف و إن كانت قراءة الجماعة أكد .

(١-١) من ظ ، وفي الأصل : بالايحوا شيء (٢) زيد من ظ (٣) راجع نثر المرجان ٧/ سورة الحديد (٤-٤) من ظ ، وفي الأصل : المحصر المبتدأ للخبر في التعريف .

ولما ظهرت الأدلة [حتى - ١] لم يبق لأحد علة ، و انتشر نورها
 حتى ملأ الأكوان ، وعلا علوا تضائل دون علياته كيوان ، وكان فيما تقدم
 / شرح مآل الدنيا و بيان حقيقتها ، و أن الأدمى إذا خلى و نفسه ارتكب
 ٢١٤ / ما لا يليق من التفاخر و ما شاكله^١ و ترك ما يراد به بما دعى إليه من
 الخير جهلا منه و اعتيادا مع طبعه ، و كان ختم الآية السابقة ربما أوم
 المشاركة ، قال تعالى نافيا ذلك في جواب من توقع الإخبار عن سائر
 الأنبياء : هل أوتوا من البيان ما أزال اللبس ، مؤكدا لإزالة العذر بإقامة
 الحجج بارسال الرسل بالمعجزات الحاضرة و الكتب الباقية ، معلما أن
 من أعرض كلف الإقبال بالسيف ، فإن الحكيم العظيم تأبى عظمته
 و حكمته أن يخلى المعرض عن بيته ترده عما هو فيه . و قسر يكفه عما يطغيه :^{١٠}
 ﴿ لقد أرسلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ أرسلنا ﴾ أى الذين لهم نهاية
 الإجلال بما لهم بنا من الاتصال من الملائكة^{١١} إلى الأنبياء^{١٢} على جميعهم
 أفضل الصلاة و السلام [و التحية - ١] و الإكرام ، و من الأنبياء إلى الأمم^{١٣}
 ﴿ بالبينت ﴾ أى الموجبة للإقبال فى الحال لكونها لاليس فيها أصلا ، و دل
 على عظمة أنبيائه عليهم الصلاة و السلام بأنهم لعلو مقاماتهم^{١٤} بالإرسال^{١٥}
 كأنهم^{١٦} أتوا إلى العباد من موضع عال جدا فقال : ﴿ و أنزلنا ﴾ بعظمتنا

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : ارتكبت (٣) من ظ ، و فى
 الأصل : يشاكة (٤) زيد فى الأصل : قال تعالى ، و لم تكن الزيادة فى ظ
 لحذفها (٥-٥) من ظ ، و فى الأصل : هم آية (٦-٦) من ظ ، و فى الأصل :
 للأنبياء (٧) من ظ ، و فى الأصل : من (٨) فى ظ : مقامهم (٩) من ظ ، و فى
 الأصل : فانهم .

التى لاشئ أعلى منها (معهم الكتب) أى الحافظ فى زمن الاستقبال فى الأحكام والشرائع .

ولما كان فهم الكتاب ربما أشكل فانه يحتاج^١ إلى ذهن صقيل وفكر طويل، وصبر كبير وعلم كثير - قال الرازى: وهذا [قيل -^٢]:
 ٥. لولا الكتاب لأصبح العقل [حائرا ولولا العقل -^٣] لم ينتفع بالكتاب، - عقبه بما يشترك فى معرفته الكبير والصغير، والجاهل والنحرير، وهو أقرب الأشياء إلى الكتاب فى العلم بمطابقة^٤ الواقع لما يرد فقال:
 (والميزان) أى العدل والحكمة، ولعله كل ما يقع به التقدير حسا أو معنى، وتعقيقه به إشارة إلى أن عدم زيغه لعدم حظ ونحوه، فمن
 ١٠. حكم الكتاب خاليا عن حظ نفس وصل إلى المقصود (ليقوم الناس) أى الذين فيهم قابلية التحرك إلى المعالى كلهم (بالقسط) أى العدل الذى لا مزيد عليه لاتنظام جميع أحوالهم، [هذا -^٥] لمن أذعن للينات لذات من أقامها أو^٦ للرغبة فيما عنده .

ولما كان الإعراض بعد الإبلاغ فى الإيضاح موجبا للرد عن الفساد بأنواع الجهاد، قال مهديا وممتا ترغيا وترهيا معبرا عن الخلق بالإنزال تشريفا وتعظيما: (وازلنا) أى خلقنا خلقا عظيما بما لنا من القدرة* (الحديد) أى المعروف على وجه من القوة والصلابة

(١) من ظ، وفى الأصل: محتاج (٢) زيد من ظ (٣-٣) من ظ، وفى الأصل: مطابقته (٤) فى ظ «و» (٥) فى ظ: العزة .

واللبن والحدة لقبول التأثير يعد به كالبائن لما في الأرض ، فلذلك سمي
إيجاده إنزالا ، ولأن الآدمر بالإيجاد والإعدام تنزل من السماء على
أيدى الملائكة لأن السماء محل الحوادث الكبار ، والبدايع والأسرار ،
لأن الماء^٢ الذي هو أصله [و أصل -^٣] كل نام ينزل من السماء وتكون
الأرض له بمنزلة الرحم للطفة .

٥

ولما وقع التشوف إلى سبب إنزاله ، قال : ﴿ فيه باس ﴾ أى قوة
وشدة^٤ وعذاب (شديد) لما فيه من الصلابة الملائمة للضاء والحدة
(ومنافع للناس) بما يعمل منه من مراعاتهم ومعاونهم لتقوم / أحوالهم
بذلك ، قال اليبضاوى : ما من صنعة إلا والحديد آلتها . ولما كان التقدير :

٢١٥ /

ليعلم الله من يعصيه ويخذل أوليائه ، بوضع^٥ باسه في غير ما^٦ أمر به .
نصرة لشیطانه وهواه واقتناه ، عطف عليه قوله : ﴿ وليعلم الله ﴾
أى الذى له جميع العظمة علم شهادة لأجل إقامة الحججة بما يليق بمقول
الخلق فيكون الجزاء على العمل لا على العلم ، وأوقع ضمير الدين [عليه -^٧]
سبحانه تعظيما له لأنه شارعه فقال : ﴿ من ينصره ﴾ أى يقبل مجدا على
الاستمرار على نصر دينه ﴿ ورسله ﴾ بالذب عنهم والدعاء إليهم ، كأننا
ذلك النصر ﴿ بالغيب ﴾ من الوعد والوعيد ، [أى -^٨] بسبب تصديق

(١) من ظ ، وفى الأصل : يد (٢) زيد فى الأصل : ولما كان كذلك ،
ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٣) من ظ ، وفى الأصل : ان (٤) زيد من
ظ (٥-٥) من ظ ، وفى الأصل : شدة وباس (٦-٦) من ظ ، وفى
الأصل : اسمه فيما .

الناصر لما غاب عنه من ذلك، أو غائبا عن كل ما أوجب له النصرة،
 وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: ينصرونه ولا يصرونه -
 انتهى . فلم يدع سبحانه في هذه الآية لاحد عذرا بالرسل الذين هم
 الجنس مع تأييدهم بما ينفي عنهم اللبس، و الكتاب العالى عن كلام الخلق،
 ٥ والعقل الذى عرف العدل، و السلاح الذى يرد أولى الجهل، كما قال
 صلى الله عليه وسلم: «بعثت بين يدي الساعة بالسيف» فبيان الشرائع
 بالكتاب، و تقويم أبواب العدل بالميزان، و تنفيذ هذه المعاني بالسيف،
 فان مصالح الدين من غير هية السلطان لا يمكن رعايتها، فالملك و الدين،
 توأمان، فالدين بلا ملك ضائع، و الملك من غير دين باطل، و السلطان
 ١٠ ظل الله فى الأرض، فظواهر الكتاب للعوام، و وزن معارفه لأهل
 الحقائق بالميزان، و من خرج عن الطائفتين فله الحديد و هو السيف،
 لان تشويش الدين منه - نبه عليه الرازى .

و لما كان طلب النصرة مظنة لتوهم الضعف، قال نافيا لذلك مؤكدا
 قطعا لتعنت المتعنتين مظهرها للاسم الأعظم إشارة إلى ان من له جميع
 ١٥ صفات الكمال لا يمكن أن تطرقه حاجة: (ان الله) أى الذى له العظمة
 كلها . و لما لم يكن هنا داع إلى أكثر من هذا التأكيد، بخلاف ما أشير
 إليه من الإخراج من الديار المذكورة فى الحج و نحوه، قال معلما بأنه
 غنى عن كل شئ معريا الخبر من اللام: (قوى) أى فهو قادر على

(١) من ظ، و فى الأصل: له (٢) من ظ، و فى الأصل: يشوش .

'إهلاك جميع' أعدائه وتأيد من ينصره من أوليائه (عزيزي) فهو غير مفتقر إلى نصر أحد، وإنما دعا عباده إلى نصر دينه ليقم الحجة عليهم فيرحم من أراد بامثال المأمور، ويغضب من يشاء بارتكاب المنهي، بيناته هذه الدار على حكمة ربط المسميات^٢ بالأسباب .

و لما عم الرسل جامعا لهم في الينيات، فكان السامع جديرا بأن ه يتوقع التعيين، وخص من بينهم من أول العزم أبوين جامعين^٣ في الذرية والرسالة، لأن ذلك أنسب لمقصود السورة لتبيين فضل محمد صلى الله عليه وسلم الذي عم برسالته عموما لم يكن لاحد غيره، فوح عليه السلام أرسل لأهل الأرض لكونهم كانوا على لسان واحد، وعموم إبراهيم عليه السلام بأولاده عليهم السلام ونص^٤ بعدهما على عيسى ١٠

٢١٦/ عليه السلام بما له من عموم الرسالة إلى / بنى إسرائيل بالنسخ والتشريع، ثم من نزوله في هذه الأمة بالتقرير والتجديد فقال: (ولقد أرسلنا) أى بما لنا من صفات الكمال والجمال والجلال (نوحا) الأب الثاني، وجعلنا^٥ الأغلب على رسالته مظهر الجلال (وإبراهيم) أبا العرب والروم وبنى إسرائيل الذى أكثر الانبياء من نسله، وجعلنا ١٥ الأغلب على رسالته مجلى الإكرام (وجعلنا) بما لنا من العظمة (في ذريتهما النبوة) المقتضية للوصلة بالملك الأعظم لتنفيذ الأوامر

(١-١) في الأصل وظ: جميع اهلاك (٢) من ظ، وفي الأصل: المسميات.
(٣) زيد في الأصل فقط: في أبوين جامعين (٤) من ظ، وفي الأصل: نفر.
(٥) في الأصل: فجعلناه، وفي ظ: وجعلناه .

(و الكتب) الجامع للاحكام الضابط للشرائع بأن استباننا بعض
فريتهما وأنزلنا إليهم الكتب^١ فلا يوجد نبي ولا كتاب إلا وهو مدل
إليها بأمتن الاسباب وأعظم الانساب .

ولما كان مظهر العظمة مقتضيا لإشقاء^٢ من أريد إشقاؤه^٣ مع
عدم المبالاة به، كائنا من كان، سواء اتصل بالاولياء أو الأعداء
ثلاثا يأمن أحد فيقع في الخسران أو يئأس أحد فيلزم الهوان [قال:
(فهم) أي ذرية هذين الصنفين (مهتج) هو بعين الرضا منا -^٤
وهو من لزم طريق الاصفياء واستمسك بهدم ولم يزغ أصلا وإن
كان من أولاد الأعداء .

١٠ ولما كان من زاغ بعد تذكيره بالكتب والرسل، كان مستحقا
للبالغة في الذم ولو أنه واحد فكيف إذا كان كثيرا، فبه بتغير السياق
على ذلك وعلى أن الأغلب الضلال فقال: (وكثير منهم) أي الذرية
الموصوفين (فسقون^٥) هم بعين السخط وإن كانوا أولاد الاصفياء
وهم من خالف الاولياء بمنازمة أو ابتداع أو زبغ عن سيلهم بما لم ينهجوه
١٥ 'من تفريط وإفراط' .

ولما كان من مقاصد هذه السورة العظمى الإعلام بنسخ الشرائع
كلها بشريعة هذا النبي الفاتح الخاتم العام الرسالة لجميع الخلائق صلى الله
عليه وسلم، قال مشيرا إلى عظمة الإرسال والرسل بأداة التراخي:

(١) في ظ: الكتاب (٢-٢) في ظ: أراد شقاوة (٣) زيد ما بين الحاذرين من
ظ (٤-٤) في ظ: بإفراط و تفريط .

(ثم قفينا) أى بما لنا من العظمة تقفية لها من العظمة ما يحل وصفه (على اثرهم) أى الآبوين المذكورين ومن مضى قبلهما من الرسل ، ولا يعود الضمير على " الذرية " لأنها باقية مع الرسل وبعدهم (برسلنا) أى فأرسلناهم واحدا فى أثر واحد بين ما لا يحصى من الخلق من الكفرة محروسين منهم فى الأغلب بما تقتضيه العظمة ، لا ننشئ ٥ آثار الأول منهم حتى يرسل الذى بعده فى قفاه ، [فكل رسول بين يدى الذى بعده ، و الذى بعده فى قفاه - ١] فهو مقف له ٢ لأن الأول ذاهب إلى الله والثانى تابع له ، فنينا ٣ صلى الله عليه وسلم أعرق الناس فى هذا الوصف لأنه لا نبى بعده ، ولهذا كان الوصف أحد أسمائه .

و لما كان عيسى عليه السلام أعظم من جاء بعد موسى عليه السلام ١٠ من بنى إسرائيل فهو الناسخ لشريعته و المؤيد به هذا النبى الخاتم صلى الله عليه وسلم فى تجديد دينه و تقرير شريعته ، وكان الزهد ٤ والرأفة والرحمة فى تابعيه فى غاية الظهور مع أن ذلك لم يمنعهم من القسوة المنبهة سابقا على أن الموجب لها طول الأمد الناشئ عنها الإعراض عن الآيات ٥ الحاضرة

معه و الكتاب الباقي بعده ، خصه بالذكر و أعاد العامل فقال : (وقفينا) ١٥ أى اتبعنا ٦ بما لنا من العظمة على آثارهم قبل أن تدرس (بعيسى ابن مريم) وهو آخر من قبل النبى الخاتم عليهم الصلاة والسلام ، فأتمه أول الأمم بالآسر باتباعه صلى الله عليه وسلم (و اتيناه) بما لنا من العظمة

(١) زيد من ط (٢) من ظ ، وفى الأصل : لها (٣) من ظ ، وفى الأصل : وليينا (٤) زيد فى ظ : به (٥) من ظ ، وفى الأصل : اتبعناه .

(الانجيل لا) كتابا ضابطا لما جاء به مفيها ملته ميينا للقيامه مبشرا بالنبي
العربي موضحا لأمره مكثرا من ذكره (وجعلنا) لعزتنا
(في قلوب الذين اتبعوه) أى بغاية جهدهم، فكانوا على منهاجه
(رافة) أى أشد رقة على من كان يتسبب إلى الاتصال بهم (ورحمة)
هـ أى رقة و عطفًا على من لم يكن له سبب في الصلة بهم كما كان الصحابة
رضى الله تعالى عنهم رحماء بينهم حتى كانوا أدلة على المؤمنين مع أن
قلوبهم في غاية الصلابة فهم أعزة على الكافرين، وترتيب الوصفين هكذا
أدل دليل على أنهما لم يقصد بهما مراعاة الفواصل في "رؤف رحيم" كما
قاله^٢ بعض المفسرين و تقدم في آخر برائة أن^٢ ذلك قول لا يحل التصويب
١٠ إليه ولا التعويل عليه وإن قاله من قال (ورهبانية د) أى أمورا
حاملة على الرهبة والتزبي بزيتها والعمل على حسبها مبالغة في العبادة
و الرياضة و الانقطاع عن الناس .

ولما قدم المعمول لفعل غير مذكور ليدل عليه بما يفسره ليكون
مذكورا مرتين تأكيداً له لإفهاماً لزم نفس الابتداء، أتبعه المفسر لعامله
١٥ فقال: (ابتدعوها) أى حملوا أنفسهم على عملها و التطويق بها من
غير أن يكون لهم فيها سلف يهملونه أو يكون بما صرح به كتابه و إن
كانت مقاصده لا تأبأها^١ فاعتزلوا لأجلها الناس، و انقطعوا في الجبال

(١) من ظ، و في الأصل: منها (٢) من ظ، و في الأصل: قال (٣) زيد في
الأصل و ظ: في (٤) من ظ، و في الأصل: أمور (٥) من ظ، و في
الأصل: إليها (٦) من ظ، و في الأصل: لاتأبأها .

عن الاستئناس ، وكانت لهم [بذلك - '] أخبار شائعة في النواحي
والأمصار ، وفي التقديم على العامل سر آخر وهو الصلاحية للعطف
على ما قبلها لئلا يتوهم من لفظ الابتداء أن لا صنع لله فيها (ما كتبها)
أى فرضناها [بعظمتنا - '] (عليهم) فى كتابهم ولا [على - '] لسان
رسولهم (الا) أى [لكن - '] ابتدعوها (ابتغاء) أى لأجل تكليفهم ٥
أنفسهم الوقوع بغاية الاجتهاد فى تصفية القلوب و تهذيب النفوس
و تزكية الأعمال على (رضوان الله) أى الرضا العظيم من الملك الأعظم ،
و ساق المنقطع مساق المتصل إشارة إلى أنه بما رضى الله ، وأنه ما ترك
فرضاها عليهم إلا رحمة لهم لأجل صعوبتها ، وأنه صيرها بعد إلزامهم بها
كالمكتوبة ، فيكون التقدير حيثئذ : إلا لأجل أن يبتغوا رضوانه على ١٠
وجه الثبات و الدوام ، قال ٢ الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله
ابن [عبد - '] الحكم المصرى فى كتابه " فتوح مصر و المغرب " :
/ فلما أن أغرق الله عز وجل فرعون و جنوده كما حدثنا هانى بن المتوكل
عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن تبيع قال : استأذن الذين كانوا
آمنوا من السحرة لموسى عليه السلام فى الرجوع إلى أهله ٣ و ماله ١٥
بمصر فأذن لهم و دعا لهم فترهبوا فى رؤس الجبال ، فكانوا أول من
(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : الزامهم (٣) زيد فى الأصل :
الاصبهانى و ، و لم تكن الزيادة فى ظ لحذفها (٤) من ظ ، و فى الأصل :
عبد الله (٥) راجع ص : ٤٤ (٦) من ظ و الفتوح ، و فى الأصل : من (٧) زيد
فى الأصل الرجوع ، و لم تكن الزيادة فى ظ و الفتوح لحذفها .

ترهب، وكان يقال لهم الشيعة، و بقيت ' طائفة منهم مع موسى ع
السلام حتى توفاه الله عز وجل، ثم انقطعت الرهبانية بعدهم حتى ابتدعها
بعد ذلك أصحاب المسيح عليه السلام .

و لما تسبب عن صعوبتها انهم أضعوا بالتقصير عن شؤنها
٥ و السفول عن عليائها قال : (فارعوها) أى حفظوها كلهم بحفظ
من هو مرتاع من خوف ضياعها (حق رعايتها ع) بصون العناية في
رعاية الأعمال و الأحوال و الأقوال ، فصون الأعمال توفيرها لتحقيرها
من غير إلتفات إليها ، و رعاية الأحوال عند الاجتهاد من أتاه و الحال
دعوى ، و رعاية الوقت الوقوف مع حضور على بساط شهود الجلال -
١٠ ذكره الرازى . بل غلبت عليهم صفات البشر فقصر بعضهم عن على
مداها ، و انحطوا عن شامخ ذراها ، هذا تنفير عظيم عن البدع ، و حث
شديد على لزوم ما سنه الله و شرع ، و تحذير^١ من التشديد ، فانه لن
يشاد^٢ الدين أحد إلا غلبه و هو الترحال إلى البدعة و لهذا أكثر في
أهل الرهبانية المروق من الدين بالاتحاد و الحلول و غير ذلك من البلايا
١٥ و لو كان يظهر أن ' التشدد و التعمق ' خير لأن الشارع الذى أحاط
علما بما لم يحيط به نهى عنه ، و قد أفادت التجربة أنه قد يفر لأن هؤلاء
ابتدعوا ما أرادوا الخير ، فكان داعيا لكثير منهم إلى دار البوار ، و فيه
أيضا حث عظيم على المداومة على ما اعتد من الأعمال الصالحة خصوصا ،
ما عمل النبي صلى الله عليه و سلم * عملا إلا * داوم عليه ، و كان ينهى
(١) في ظ : بقى (٢) في ظ : تحذيرا (م-م) من ظ ، و في الأصل : أحد الدين
(٤-٤) من ظ ، و في الأصل : التشديد و التعميق (ه-ه) من ظ ، و في
الأصل : من عمل .

عن التعمق في الدين، و يأمر بالرفق^١ و القصد .

و لما كانت متابعة النفس في التقصير بالإفراط أو^٢ التفريط قد توصل إلى المروق^٣ من الدين فيوجب^٤ الكفر فيحط على الهلاك كله، أشار إلى ذلك بقوله: ﴿ فأتينا ﴾ أى بما لنا من صفات الكمال ﴿ الذين آمنوا ﴾ أى استمروا على الإيمان الكامل، ولعل في التعبير بالماضى بعد إرادة^٥ التعميم للأدنى و الأعلى إشارة إلى أن المتعمق بين إيمان وكفر لا تجرد مصيته كما أشار إليه ختم الآية فهو في غاية الذم للتعمق^٦ و المدح للاقتصاد^٧ ﴿ منهم ﴾ أى من هؤلاء المبتدعين لأنهم رعوها حق رعايتها و وصلوا لإيمانهم بعيسى و من قبله عليهم الصلاة و السلام بإيمانهم بمحمد صلى الله عليه و سلم الذى دعا إليه الخروج عن النفس الذى هو روح ١٠ الرهبانية^٨ بموافقتهم لما في كتابهم من البشائر به ﴿ اجرهم ﴾ أى اللاتق بهم و هو الرضوان المضاعف^٩ .

٢١٩ / و لما كانت متابعة / الأهواء تكسب صفات ذميمة تصير ملكات راسخة للأنفس، أشار إلى ذلك بالعدول عن النهج الأول فقال: ﴿ و كثير منهم ﴾ أى هؤلاء الذين ابتدعوا فضيعوا ﴿ فسقون ﴾ أى ١٥ عريقون في وصف الخروج عن الحدود التى حدها الله تعالى، روى البغوى^{١٠}

- (١) من ظ ، و فى الأصل : بالروى (٢) من ظ ، و فى الأصل : « و » .
- (٣) من ظ ، و فى الأصل : المعروف (٤) من ظ ، و فى الأصل : توجب .
- (٥) من ظ ، و فى الأصل : للتعميق (٦) من ظ ، و فى الأصل : للاقتصاد .
- (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٨) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٧/ ٣٣ .

من طريق الثعلبي عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من آمن بي فقد رعاها [حق رعايتها - ^١] ، ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون - انتهى . و مثل هذه الرهبانية في أنها لا تأبأها قواعد الدين ما يفهمه بعض العلماء من الكتاب و السنة فيتذكره . فيكون

٥ أخذنا له من الأصول التي نه عليها لا منه ، كما أن الصحابة رضى الله تعالى عنهم [كانوا - ^٢] يفعلون أشياء فان قرهم النبي صلى الله عليه وسلم عليها كانت شرعا لنا وكنا آخذين لها من تفسيره صلى الله عليه وسلم لا منهم ، فان من ملكه الله رتبة الاجتهاد في شيء وأمكنه فيه من القواعد فأداه اجتهاده إلى ^٣ أن هذا مندوب إليه مرغوب فيه مثلا ،

١٠ كان ذلك بما يشهد له من قواعد الدين بمنزلة ما قاله الصحابة رضى الله عنهم فأقرهم النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا فرق بين أن يقرره النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه أو بقواعد شريعته ، و مهما كان مقررا بقواعد شرعه كان عليه أمره ، و مهما لم يكن مقررا بها كان بما ليس عليه أمره فهو رد على قائله ، فهذا فرق بين البدع الحسنة و البدع القبيحة - والله

١٥ الموافق ، و ذكر ابن برجان تنزيل هذا الحديث الذي فيه « لتبعن سنن من كان قبلكم » فذكر أن أصحاب عيسى عليه السلام عملوا بعده بالإنجيل حتى قام فيهم ملك بدل كتابهم ، وشايه على ذلك روم و يونان ، فضعف أهل الإيمان ، فاستذلوم حتى هربوا إلى البرارى ، و عملوا الصوامع

(١) زيد من ظ و العالم (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و في الأصل : على .
(٤) في ظ : شرعية (هـ) من ظ ، و في الأصل : بما .

و ابتدعوا الرهبانية ، 'و كذلك كان' في هذه لتصديق الحديث الشريف فانه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعه خلفاؤه باحسان ، فلما مضت الخلافة الراشدة تراكت الفتن كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد البلاء على المتمسكين بصريح الإيمان ، و رجم البيت العتيق بحجارة المنجنيق و هدم ، و قتل عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما واستيحت مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام ، و قتل 'خيار من فيها' فرأى المسلمون العزلة واجبة ، فلزموا الزوايا^٢ و المساجد و ابتنوا الروابط على سواحل البحر و أخفوا في الجهاد للعدو و النفوس ، و عاجلوا تصفية أخلاقهم و لزموا الفقر أخذوا من أحوال أهل الصفة ، و تسموا بالصوفية و تكلموا على الورع 'و الصدق' و المنازل و 'الأحوال و المقامات' فهؤلاء ١٠ و زان أولئك - و الله الموفق .

ذكر ما في الإنجيل من الحكم التي توجب الزهد في الدنيا و الإقبال على الله التي يصح تمسك أهل هذه الرهبانية بها : قال متى^١ و غيره و أغلب / السياق لمتي : إن أخطأ عليك أخوك فاذهب أعته و حدكما ، فان سمع منك فقد ربحت أخاك ، و إن لم يسمع منك [تخذ معك - ٢] واحدا ١٥ أو اثنين ، لأن من فم شاهدين أو ثلاثة تقوم كل كلمة ، و إن لم يسمع

(١-١) من ظ ، و في الأصل : كان كذلك (٢-٢) في ظ : فيها خيار المسلمين .

(٣) من ظ ، و في الأصل : الزوايا (٤-٤) من ظ ، و في الأصل : بالصدق .

(٥-٥) من ظ ، و في الأصل : المقامات و أحوال (٦) راجع آية ١٥ فما بعدها

من الأصحاب ١٨ (٧) زيد من ظ .

منهم قتل للبيعة ، فان لم يسمع من البيعة فيكون عندك كالوثقى والعشار ،
الحق أقول لكم ، وقال لوقا^١ : انظروا [الآن - ٢] ! إن أخطأ إليك
أخوك فاهه ، فان تاب فاغفر له ، فان أخطأ^٢ إليك سبع دفعات^٣ في اليوم
ورجع إليك سبع دفعات يقول لك : أنا تائب ، فاغفر له ، وقال متى^٤ :
٥ حينئذ جاء إليه بطرس وقال له : إذا أخطأ إليّ أخى لم أغفر له سبع مرات ،
قال : ليس أقول لك إلى سبع مرات ، بل إلى سبعين مرة ، ولهذا
يشبه ملكوت السماوات ملكا أراد أن يحاسب عبيده ، فلما بدأ بحسابتهم
قدم إليه عبد مديون عليه جملة ووزنات ، ولم يكن معه ما يوفى ، فأمر سيده
أن تباع امرأته وبنوه وكل ما له حتى يوفى ، فخر ذلك العبد [له - ٢]
١٠ ساجدا قائلا : يارب ، ترأف علىّ تأن ، أوفك كل مالك ، فتحن عليه
سيده وترك له كل ما عليه ، فخرج ذلك العبد فوجد^٥ عبدا من أصدقائه
عليه مائة دينار فأمسكه وخنقه وقال : أعطنى ما عليك ، فخر ذلك
العبد على رجليه وطلب [إليه - ٢] قائلا : ترأف علىّ فأنا أعطيك
مالك ، فأبى ومضى وتركه في السجن حتى يوفى الدين ، فرأى العبد
١٥ أصحابه فحزنوا عليه [جدا - ٢] وأعلموا سيده بكل ما كان منه ، حينئذ
دعاه سيده وقال له : أيها العبد الشرير ! كل ما كان عليك تركت بذلك
لأنك سألتنى ، ما كان ينبغي لك أن ترحم ذلك العبد صاحبك كرحمى
(١) راجع آية ٤ فما بعدها من الأصحاح ١٧ (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفي
الأصل : أخطأت (٤) من ظ ، وفي الأصل : مرات (٥) راجع آية ٢١ فما
بعدها من الأصحاح ١٨ (٦) من ظ ، وفي الأصل : فوجد .

إياك ، وغضب سيده ودفعه إلى المعذنين حتى يوفى جميع ما عليه ، هكذا
 أبى السماوى يصنع بكم إن لم تغفروا لإخوانكم سيئاتهم من كل قلوبكم ،
 فلما أكل يسوع هذا الكلام انتقل من الجليل و جاء إلى تخوم يهود
 عبر الأردن فتبعه جمع كثير فأبرأهم^١ هناك ، قال لوقا^٢ : فلما أكل
 أيام صعوده أقبل بوجهه إلى يروشلیم ، وأرسل مخبرين قدام وجهه فوضوا^٣
 ودخلوا قرية السامرة ، لكيما يعدوا له فلم يقبلوه فقال تلميذاه^٤ يعقوب
 'ويوحنا' : يارب تريد أن نقول فنزل عليهم نار^٥ من السماء فتهلكهم كما
 فعل إلیا ، فالتفت فنهروها قائلاً : لستما تعرفان أى روح أتما ، إن ابن البشر
 لم يأت ليهلك نفوس الناس بل يحيى ، ومضى إلى قرية أخرى ، وقال متى^٦ :
 حيثئذ قدم إليه صبيان ليضع يده عليهم ويباركهم فنهروهم التلاميذ فقال لهم^٧ ١٠
 يسوع : دعوا الصبيان ولا تمنعوه أن يأتوا إلى^٨ لأن ملكوت السماوات
 لمثل هؤلاء ، ووضع يده عليهم وبارك لهم ، وقال مرقس^٩ : الحق أقول
 لكم ، إن من لا يقبل ملكوت الله مثل صبي لا يدخلها ، واحتضنهم ووضع
 يده عليهم وباركهم ، وقال متى^{١٠} : ومضى من هناك و جاء إليه واحد
 وقال : يا معلم صالح - وقال مرقس^{١١} : أيها المعلم الصالح - ما أعمل من ١٥

- (١) في ظ : فابقاهم (٢) راجع آية ٥٢. فما بعدها من الأصحاح ٩ (٣) من ظ ،
 وفي الأصل : تلميذه (٤ - ٤) من ظ ، وفي الأصل : ريحنا - كذا .
 (٥) في ظ : ثارا (٦) راجع آية ١٣ فما بعدها من الأصحاح ١٩ .
 (٧) من ظ ، وفي الأصل : اليهم (٨) راجع آية ١٥ فما بعدها من الأصحاح ١٠ .
 (٩) راجع آية ١٦ فما بعدها من الأصحاح ١٩ (١٠) راجع آية ١٧ من
 الأصحاح ١٠ .

الصلاح لأثر الحياة الدائمة، 'قال له: لماذا تقول: صالح، ولا صالح
إلا الله الواحد، إن كنت^١ / تريد أن تدخل الحياة احفظ الوصايا،
قال^٢ له: وما هي؟ قال يسوع: لا تقتل ولا تسرق ولا تزني ولا تشهد
الزور، وقال مرقس: لا تجر، أكرم أباك وأمك - حب قريبك مثلك،
٥ قال له الشاب: كل هذا قد حفظته^٣ من صغرى، قال له يسوع: إن
كنت تريد أن تكون كاملاً فاذهب، وقال مرقس: [فظر إليه يسوع
وأجبه، وقال: تريد أن تكون كاملاً -^٤]، واحدة بقيت عليك: امض
وبع كل شيء لك وأعطه للساكنين ليكون لك كنز في السماء وتعال
اتبعني، فلما سمع الشاب الكلام مضى حزينا لأنه كان له مال كثير،
١٠ فقال يسوع لتلاميذه: الحق أقول [لكم -^٤] إنه يصعب على الغني الدخول
إلى ملكوت السماء، وأيضاً أقول لكم: إنه أسهل أن يدخل الجمل في
ثقب الإبرة من غنى يدخل ملكوت السموات، فلما سمع التلاميذ بهتوا
جدا وقالوا: من يقدر أن يخلص، فظهر يسوع وقال لهم: أما عند
الناس فلا يستطيع هذا، وأما عند الله فكل يستطيع، حينئذ أجاب
١٥ بطرس وقال له: هو ذا نحن قد تركنا كل شيء واتبعناك، فماذا عسى
أن يكون لنا، قال لهم يسوع: الحق والحق أقول [لكم -^٤] أنتم الذين
اتبعتموني في^٥ الجبل الآتي^٥ إذا جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون

(١ - ١) تكرر ما بين الرقيين في الأصل (٢) من ظ، وفي الأصل: قيل .

(٣) من ظ، وفي الأصل: حقيقته (٤) زيد من ظ (٥ - ٥) في إنجيل متى:

التجديد .

أنتم على اثني عشر كرسيًا، تدينون اثني عشر سبط بني إسرائيل، كل من ترك بنين أو أخا أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة أو يتما أو حقلا من^١ أجل اسمي يأخذ مائة ضعف ويرث حياة الأبد، وقال [لوقا^٢]: ما من أحد ترك منزلا أو والدين أو إخوة أو امرأة أو مالا من أجل ملكوت الله إلا وينال العوض أضعافا كثيرة في هذا الزمان وفي الدهر^٣ الآتي حياة الأبد، وقال - [متى^٤ وغيره: كثيرا أولون يصيرون آخرين، وآخرون يصيرون أولين، يشبه ملكوت السماوات لإنسانا رب بيت خرج الغداة ليستأجر فعلة لكرمه، فشارك الأكره^٥ على دينار واحد في اليوم - إلى آخر ما مضى في الاعراف من البشارة بأمة محمد صلى الله عليه وسلم في مثل الفعلة في الكرم الذي فضل آخرهم وهو العامل^{١٠} قليلا على من عمل أكثر النهار، وقد ساقه ابن برجان في آخر تفسير سورة الحديد عن الإنجيل بعبارة أخرى تفسيرا كثيرا^{١١} من عبارة النسخة التي نقلت ذاك منها، فأحييت أن أذكر عبارة ابن برجان هنا تكميلا للفائدة، قال: وفي الكتاب الذي [يذكر^{١٢}] أنه الإنجيل: وكثيرا يتقدم الآخرون الأولين ويكون [الأولون^{١٣}] ساقا الآخرين، ولذلك يشبه^{١٥} ملكوت السماوات برجل ملئ خرج في استئجار الأعراف لحفر كرم في

(١) من ظ، وفي الأصل: ما (٢) راجع آية ٢٩ فما بعدها من الأصحاح ١٨ .

(٣) زيد من ظ (٤) راجع آية ٣٠ فما بعدها من الأصحاح ١٩ و راجع آية ٣١

من الأصحاح ٣٠ من مرقس (٥) في الإنجيل متى: الفعلة (٦) من ظ، وفي

الأصل: كثير (٧) زيد من لإنجيل متى .

أول النهار، و عامل كل واحد في نهاره على درهم ثم أدخلهم كرمه،
فلما كان في الساعة الثالثة بصر لغيرهم في الرحاب لا شغل لهم فقال: اذهبوا
أنتم [أيضا -^١] إلى الكرم و سآمر لكم بحقوقكم، ففعلوا، ثم فعل مثل
ذلك في الساعة السادسة [و التاسعة -^٢]، فلما كان في^٣ الساعة الإحدى
عشرة^٥ وجد غيرهم وقوفاً فقال لهم: لم وقفتم هنا طول نهاركم دون
عمل؟ فقالوا له: إنا لم يستأجرنا / أحد، فقال لهم: اذهبوا أنتم و سآمر لكم
بحقوقكم، فلما انقضى النهار قال لوكيله: ادع الاعوان و أعطهم أجرتهم
و ابدأ بالآخرين حتى تنتهي إلى الأولين، فبدأ بالذين دخلوا في الساعة
الإحدى عشرة و أعطى كل واحد [منهم -^٤] درهما، فأقبل الأولون
١٠ و هم الذين يرجون الزيادة، فأعطى كل واحد منهم درهماً، فاستذكروا
ذلك على صاحب الكرم^٥ و قالوا: سويتنا بالذين لم يعملوا إلا ساعة من
النهار في شئنا طول نهارنا و عذابنا بحارته، فأجاب أحدهم و قال:
لست أظلمك يا صديق، أما عاملتي على درهم فخذ حقه و انطلق فانه
يوافقني ان أعطى^٦ الآخر كما أعطيتك، أفلا يحل لي^٧ ذلك؟ وإن
١٥ كنت حسوداً فاني أنا رحيم، و من أجل ذلك يتقدم الآخرون
الأولين، و يكون الأولون ساقطاً الآخرين فالدعوى كثير، و الخيرون
قليل، و ذكر ابن برجان أن الساعة السادسة لعيسى عليه السلام و أصحابه

(١) زيد من ظ (٢) زيد من انجيل متى (٣) من ظ، وفي الأصل: الى (٤-٥) من
ظ، وفي الأصل: وجدهم وتوفي (٥) زيد من ظ (٦) في انجيل متى:
دينارا (٧) في ظ: الكومة (٨) من ظ، وفي الأصل: اعط (٩) في ظ: لك .

في أول الأمر والتاسعة^١ لمحمد صلى الله عليه وسلم والحادية عشرة
 لآخر^٢ الزمان - كأنه يعني ما بعد الدجال من أيام محمد صلى الله عليه
 وسلم التي يكون فيها عيسى عليه السلام مجدداً، ولهذا جعلهما النبي صلى الله
 عليه وسلم في حديثه الصحيح شيئاً واحداً من العصر إلى غروب الشمس،
 ثم قال متى^٣ في بقية ما مضى من الإنجيل في النسخة التي نقلت منها عقب هـ
 ما تقدم أنه في الأعراف: فصعد يسوع إلى يروشلیم وأخذ الاثنى عشر،
 جيتن^٤ جاءت إليه أم ابني زبدي - هما يعقوب ويوحنا - مع ابنيها^٥
 وسجدت له، فقال لها: ماذا تريدان؟ قالت: أن يجلس ابناي^٦ أحدهما
 عن يمينك والآخر عن يسارك في ملكوتك، أجاب يسوع: أما جلوسهما
 عن يميني ويساري فليس لي بل للذي أعده لهم ربي، فلما سمع العشرة ١٠
 تقمقموا على الآخرين - وقال مرقس^٧: على يعقوب ويوحنا - فدعاهم يسوع
 وقال لهم: أما علمتم [أن -^٨] رؤساء الأمم يسودونهم وعظائمهم مسلطون^٩
 عليهم، ليس هكذا يكون فيكم، لكن من أراد أن يكون^{١٠} فيكم كبيراً^{١١}
 فيكون لكم خادماً، ومن أراد أن يكون فيكم أولاً فيكون لكم
 عبداً، وقال مرقس: فيكون آخرها للكل وخادماً للجميع، كذلك ابن ١٥

(١) من ظ، وفي الأصل: السادسة (٢) من ظ، وفي الأصل: في أول النهار.
 (٣) راجع آية ١٧ فما بعدها من الأحصاح ٢٠ (٤) راجع آية ٢٠ من الأحصاح
 ٢٠ (٥) من ظ، وفي الأصل: ابنيهما (٦) من ظ، وفي الأصل: ابني (٧) راجع
 آية ٤٢ من الأحصاح ١٠ (٨) زيد من ظ (٩) من ظ، وفي الأصل: يسون.
 (١٠-١١) من ظ، وفي الأصل: كبير منكم.

الإنسان لم يأت ليخدم بل ليعمل^١، و يبذل نفسه فداء عن كثير، فلما خرج من أريحا تبعه جمع كثير وإذا أعميان جالسان على الطريق. فسمعا أن يسوع يجتاز فصرخا^٢ قائلين: ارحمنا يارب يا ابن داود، فوقف يسوع ودعاهما وقال لهما: ما تريدان أن أفعل لكما، قالا له: يارب، أن تفتح أعيننا، فتحن يسوع ولمس أعينهما وللوقت أبصرت أعينهما وتبعاه؛ و عبارة مرقس عن ذلك^٣: وجاء إلى أريحا و خرج من هناك و تبعه تلاميذه و جمع كثير و إذا طيماس بن طيماس الأعشى جالس يسأل عن الطريق - وقال لوقا: يتوسل - فسمع الجمع المجتاز فسأل: ما هذا. فأخبروه أن يسوع الناصري جاء، [و-^٤] قال مرقس: فلما سمع بأن يسوع مقبل بدأ يصيح^٥. و يقول: يا يسوع الناصري ابن داود ارحمني، فانتهموه ليسكت، فازداد صياحا قائلا: يارب يا ابن داود، ارحمني، فوقف يسوع وقال: ادعوه، فدعى [الأعشى-^٦] وقالوا له: ثق وقم فانه يدعوك، و طرح ثوبه ونهض وجاء إلى يسوع فأجابته يسوع^٧ وقال له: ما تريد أن أصنع بك؟ فقال له الأعشى: يا معلم، وقال لوقا: يارب - أن أبصر، فقال له يسوع: اذهب، إيمانك خلصك، وللوقت أبصر، و تبعه في الطريق - قال لوقا: يمجده الله - وكان جميع الشعب الذين رأوه يسبحون الله. وقال أيضا: وكان بينهما^٨ هو منطلق إلى يروشليم اجتاز بين السامرة والجليل، وفيما هو داخل

(١) من ظ، وفي الأصل: ليستخدم (٢) من ظ، وفي الأصل: نصه خوا. (٣) راجع آية ٤٦ فما بعدها من الأصحاح ١٠ (٤) زيد من ظ (٥) تكرر في الأصل (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) من ظ، وفي الأصل: بينهما. إلى

إلى إحدى القرى استقبله عشرة رجال برص^١ فوقوا من بعيد ورفعوا
أصواتهم قائلين: يا يسوع المعلم ارحمنا فنظر إليهم وقال لهم: اذهبوا
^٢وأروا أنفسكم^٢ للكهنة، وفيما هم منطلقون طهروا، فلما رأى أحدهم أنه
قد طهر رجع^٣ بصوت عظيم يمجده^٤ الله وخر على وجهه عند رجله
شاكرا له، وكان^٥ سامريا، أجاب يسوع وقال: أليس العشرة قد طهروا
فأين التسعة، ألم يمجدوا^٦ ليرجعوا^٧ ويمجدوا الله^٨ ما خلا / هذا الغريب،
ثم قال له: قم فامض، إيمانك خلصك.

٢٢٣/

قال متى: ولما قربوا من يروشلیم و جاؤا إلى بيت فاجى عند جبل
الزيتون - وقال [مرقس -^١]: عند باب فاجى و بيت عنيا جانب طور
الزيتون - قال متى^٢: حينئذ أرسل يسوع اثنين من تلاميذه: وقال ١٠
لهما: اذبا إلى القرية التى أمامكما فتجدان أتانة مربوطة و جحشا معها^٣
فخلاهما و اتقيا بهما فان قال لكما أحد شيئا فقولاه: إن الرب
محتاج إليهما فهو يرسلهما للوقت، كان هذا ليتم^٤ ما قيل فى النبی القائل
قولوا "لابنة صهيون" هو ذاملك يا أتيك متواضعا راكبا على أتانة

(١) من ظ و الأصحاح السابع عشر - لوقا، وفي الأصل: مومن (٢-٢) في
الأصل: فارووا تفوسكم - والتصحيح من ظ و الأصحاح (٣-٣) في الأصل:
مجده (٤) من الأصحاح، وفي الأصل و ظ: قال (٥-٥) من ظ: وفي الأصل:
بصوت عظيم لرجعوا وبمحمد (٦) زيد من ظ و راجع آية ١ فما بعدها من
الأصحاح ١١ (٧) راجع آية ١ من الأصحاح ٢١ (٨) من ظ و الأصحاح، وفي الأصل:
أمامها (٩) من ظ و الأصحاح ٢١، وفي الأصل: معها (١٠) من ظ
والأصحاح، وفي الأصل: اليتم (١١-١١) وقع في الأصل: انه فعون - مصحفا.

و جحش ابن أناة . فذهب التليذان و صنعيا كما أمرهما يسوع ، فأتيا
بالأناة و الجحش^١ و تركوا ثيابهم عليهما ، و جلس معهما ، و جمع كثير فرشوا
ثيابهم في الطريق [و آخرون قطعوا أغصانا من الشجر و فرشوها في
الطريق -^٢] ، و عبارة مرقس^٣ عن ذلك : تعبدان جحشا مربوطا لم يركبه
أحد من الناس قط ، فخلاه و أتيا به ، فان قال لكما أحد : ما تفعلان
بهذا ؟ قولا : إن الرب محتاج إليه فن ساعة يرسله ، فذهبا و وجدا^٤
الجحش^٥ مربوطا عند الباب خارجا على^٦ الطريق لخلاه فقال لهما قوم
من القيام هناك : ما تصنعان ؟ فقالا لهم كما قال يسوع فركوهما ، و جاء
بالجحش^٧ إلى يسوع^٨ فألقوا عليه ثيابهم و جلس عليه^٩ و كثير بسطوا
ثيابهم في الطريق و آخرون [قطعوا -^{١٠}] أغصانا من الحقل و فرشوها
في الطريق . قال متى^{١١} : و الجمع الذي تقدمه و الذي تبعوا صرخوا
قائلين : أوصنا يا ابن داود^{١٢} مبارك الآتى باسم الرب ، قال مرقس : و مباركة
المملكة الآتية باسم الرب لأنينا داود اوصنا في العلام ، و قال لوقا :
و كان لما قرب من منحنى^{١٣} جبل الزيتون بدأ جمع الملا^{١٤} و التلاميذ

- (١) من الأصحاح ٢١ ، و في الأصل و ظ : الغفور ، مصحفا ، وهو اليعفور بمعنى
الجحش (٢) زيد من ظ . و مثله في الأصحاح ٢١ (٣) راجع آية ٢ من الأصحاح ١١ .
(٤) زيد في الأصل : شيئا ، ولم تكن الزيادة في ظ فخذناها (٥-٥) من ظ ، و في
الأصل : فوجدوا (٦) من الأصحاح الحادي عشر ، و في الأصل و ظ : بالغفور .
(٧) من ظ ، و في الأصل : عن (٨-٨) في الأصحاح : و القيا عليه ثيابهما (٩) زيد
من الأصحاح (١٠) راجع آية ٩ فما بعدها من الأصحاح ٢١ (١١-١١) سقط من ظ .
(١٢) من الأصحاح ١٩ ، و في الأصل : مسجدو ، و في ظ : صخور .

[يفرحون و -^١] يسبحون الله ويمجدونه^٢ بجميع الأصوات^٣ من أجل
جميع القوات / التي نظروا قائلين : تبارك الملك الآتى باسم الرب والسلامة
في السماء والمجد في^٤ العلا ، وقوم من الفريسيين من بين الجمع قالوا
له : يا معلم انتهر تلاميذك ، فقال لهم : إن سكت التلاميذ^٥ نطقت الحجارة ،
فلما قرب نظر المدينة وبكى عليها وقال : لو علمت في هذا اليوم ما لك
فيه من السلامة ، فأما الآن فانه قد خفي عن عينيك ، وسوف تأتى أيام
تلقى أعداؤك معليك^٦ ويحيطون بك^٧ ويضيقون عليك من كل موضع
ويقتلونك وبنيك فيك ولا يتركوك فيك حجرا ، وقال متى^٨ : فلما دخل
إلى يروشلیم ارتجت المدينة كلها قائلين : من هذا^٩ ؟ فقال^{١٠} الجمع : هذا
يسوع النبی الذي هو من ناصرة الجليل ، فدخل يسوع إلى الهيكل الله
وأخرج جميع الذين^{١١} يبيعون ويشترُونَ في الهيكل وقلب موائد الصيارف
وكراسى باعة الحمام وقال لهم : مكتوب أن يبنى بيت الصلاة يدعى ،
وأتمم جعلتموه مغارة للصوص . وقال يوحنا^{١٢} : فصعد يسوع إلى يروشلیم
فوجد في الهيكل باعة^{١٣} البقر والكباش والحمام وصيارف جلوسا ، فصنع^{١٤}

- (١) زيد من ظ ، ومثله في الأصحاح (٢-٢) في ظ والأصحاح : بصوت عظيم .
(٢) من ظ والأصحاح ، وفي الأصل : و (٤) في الأصحاح : هؤلاء (٥) كذا
من ظ ، وفي الأصل : معمالك (٦) من ظ ، وفي الأصل : به (٧) راجع
آية ١١ فما بعدها من الأصحاح ٢١ . (٨) من ظ ، وفي الأصل : هودا (٩) من
ظ ، وفي الأصل : قاين (١٠) من إنجيل متى ، وفي الأصل و ظ : الذي .
(١١) راجع آية ١٣ فما بعدها من الأصحاح ٢ (١٢) في الأصل و ظ : باعه .
(١٣) من ظ ، وفي الأصل : بفعل .

محضرة^١ من جبل و أخرج جميعهم من الهيكل فطرد^٢ البقر و الخراف
وإبدد دراهم الصيارف و قلب موائدهم، [و - ٢] قال متى^٣: و قدم [إليه - ٤]
عميان و عرج في الهيكل فشفاهم، فرأى رؤساء الكهنة العجائب التي
صنع^٥ و الصبيان يصيحون في الهيكل و يقولون: أوصنا يا ابن داود، مبارك
الآتي باسم الرب، فقمقموا و قالوا: ما تسمع ما يقول هؤلاء، فقال لهم
يسوع: نعم، أما قرأتم قط أن من فم الأطفال و المرضعين أعدت
سبحا، و تركهم و خرج خارج المدينة و بات هناك في بيت عنيا و في
غد عبر إلى المدينة فجاء^٦ و نظر إلى شجرة تين على الطريق فجاء إليها فلم
يجد فيها شيئا إلا الورق، فقال لها^٧: لا يخرج منك ثمرة إلى الأبد، فيست
١٠ تلك الشجرة للوقت^٨، فنظر التلاميذ و تعجبوا و قالوا: كيف يست
التيئة للوقت، أجب يسوع و قال لهم: الحق أقول لكم! إن كان لكم
إيمان^٩ و لا تشكون ليس مثل^{١٠} هذه الشجرة التين [قط - ٢] تصنعون
و لكن تقولون لهذا الجبل: تعال و اسقط في البحر، فيكون، و قال
مرقس^{١١}: إن كان لكم إيمان بالله، الحق أقول لكم: إن من قال لهذا

(١) في الإنجيل يوحنا: سوطا (٢) من ظ، و في الأصل: فطردوا (٣) زيد
من ظ (٤) راجع آية ١٤، فما بعدها من الأصحاح ٢١ (٥) من ظ، و في الأصل:
تصنع (٦) من ظ، و في الأصل: فجاء (٧) من إنجيل متى، و في الأصل و ظ:
لهم (٨) من ظ، و في الأصل: إلى الوقت (٩ - ١) من ظ، و في الأصل:
لا تسابون - عن كذا (١٠) راجع آية ٢٢، فما بعدها من الأصحاح ١١ .

الجليل : انتقل واسقط في هذا البحر ، ولا يشك في قلبه بل يصدق^١ فيكون له الذي قال ، من [أجل - ٢] هذا أقول لكم : إن كل ما تسألونه في الصلاة بإيمان إنكم تألونه فيكون لكم ، وقال متى^٢ : وكل ما تسألونه في الصلاة بإيمان تألونه ، وقال مرقس^٣ : فقال له يوحنا ، يا معلم ! رأينا واحدا يخرج الشياطين باسمك فمنعناه لأنه لم يتبعنا ، قال لهم يسوع : لا تمنعوه ٥ ليس يصنع أحد قوة باسمي ، و يقدر سريعا أن يقول^٤ على الشر ، كل من ليس [هو - ٢] عليكم فهو معكم^٥ ومن سقاكم كأس ماء باسم أيكم المسيح [الحق - ٢] أقول لكم : إن أجره لا يضيع . وفيه مما لا يجوز إطلاقه في شرعنا إطلاق الأب على الله و [إطلاق - ٢] الرب على غيره [بلا قيد - ٢] ، وقد تقدم التنبيه على مثل ذلك غير مرة - والله ١٠ الهادي للصواب .

/ ولما قرر سبحانه أن الرسل دعاة للحق إلى سيدهم طوعا أو كرها ٢٢٥ / بالكتاب والحديد ، وقرر أن السعادة كلها في اتباعهم ، وأن البدع لا تأتي بخير وإن زين الشيطان أمرها وخيل أنه خير ، وأن أصحاب الذي كان نسخ شريعة^٦ من قبله ابتدعوا بدعة حسنة فوكلوا إليها ففسق ١٥ أكثرهم ، فاقضى ذلك إرسال من ينسخ كل شريعة^٧ تقدمته نسخا لا زوال (١) من ظ ، وفي الأصل : يس - كذا (٢) زيد من ظ (٣) راجع آية ٢٢ من الأصحاح ٢١ (٤) راجع آية ٣٨ لما بعدها من الأصحاح ٩ (٥) من ظ ، وفي الأصل : يكون (٦ - ٧) في الإنجيل مرقس : علينا فهو معنا (٧) من ظ ، وفي الأصل : شريعته .

له لأنه لاني بعده ونهى عن البدع نهيا لم يتقدمه أحد إلى مثله، أتج ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أى أقروا بذلك إقرارا صحيحا بنبي مما تقدم أو بالنبي صلى الله عليه وسلم ﴿اتقوا الله﴾ أى خافوا عقابه فاجعلوا بينكم وبين سخطه - لأنه الملك الأعظم - وقاية بحفظ الآداب معه ولا تأمنوا مكره، فكونوا على حذر [من - '] أن يسلبكم ما وهبكم، فاتبعوا الرسول تسليوا، وحافظوا على اتباعه لئلا تهلكوا ﴿واؤمنوا برسوله﴾ أى الذى لا رسول له الآن غيره، إيماننا مضموما إلى إيمانكم بالله فانه^١ لا يصح الإيمان به إلا مع الإيمان برسوله، وبأن تثبتوا على الإيمان به، وتضموا الإيمان به إلى الإيمان بمن تقدمه يا أهل الكتاب. لأن رسالته عامة، لقد نسخ جميع ما تقدمه من الأديان^٢ فإياكم أن يميلكم عنه ميل من حسد أو غيره، فبادروا إلى إجابته والزمو^٣ جميعا حذره^٤ فلا تميلوا إلى بدعة أصلا ﴿يؤتكم﴾ ثوابا على اتباعه^٥ ﴿كفيلين﴾ أى نصيين ضخمين^٦ ﴿من رحمته﴾ تحصينا لكم من العذاب كما يحصن الكفل الراكب من الوقوع، وهو كساء يعقد على ظهر البعير فيلقى مقدمه على الكاهل ومؤخره على المعجز، وهذا التحصين^٧ لأجل إيمانكم به صلى الله عليه وسلم وإيمانكم بمن تقدمه مع خفة العمل ورفع الأصار^٨ وهو [أعلى - '] بالأجر من الذى عمل الخير فى الجاهلية، وقال النبي

(١) زيد من ظ (٢) زيد فى الأصل و ظ : الأبا (٣) من ظ ، وفى الأصل : الإيمان (٤-٥) من ظ ، وفى الأصل : جميع عدده - كذا (٥) زيد فى الأصل : وهو ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٦) من ظ ، وفى الأصل : صحيحين . (٧) من ظ ، وفى الأصل : التحصيل (٨) من ظ ، وفى الأصل : الأصل .

صلى الله عليه وسلم لمن سأله^١ عنه: أسلمت على ما أسلفت من خير .
ودل على أن الكفلين برفع الدرجات وإفاضة خواص من الخيرات
بقوله: ﴿ ويَجْعَلُ لَكُمْ ﴾ أى مَسَع ذلك ﴿ نورا ﴾ مجازيا فى الأولى
بالتوفيق للعمل من المعلوم والمعارف القلبية وحسيا فى الآخرة بسبب
العمل ﴿ تمشون به ﴾ أى مجازا فى الأولى بالتوفيق للعمل، و حقيقة فى هـ
الآخرة بسبب العمل .

و لما كان الإنسان لا يخلو من نقصان، فلا يبلغ جميع ما يحق للرحمن،
قال: ﴿ ويَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ أى [ما - ٢] فرط منكم من سهو و عمد و هزل
وجد . و لما قرر سبحانه و ذلك، أتبعه التعريف بأن الغفران و ما يتبعه
صفة له شاملة لمن^٢ يريد فقال: ﴿ والله ﴾ أى المحيط بجميع صفات ١٠
الكمال 'و العظمة والكبرياء' ﴿ غفور ﴾ أى بليغ المحو للذنوب عينا و أثرا
﴿ رحيم لا يَجْ ﴾ أى بليغ الإكرام لمن يغفر له و يوفقه / للعمل بما يرضيه . ٢٢٦ /
و لما كان أهل الكتاب قد تابعوا أهويتهم على بغض المؤمنين* ،
و أشربت قلوبهم أن النبوة محتصة بهم لأنهم أولاد إبراهيم عليه السلام
من ابنة عمه، و العرب - و إن كانوا أولاده - فأنهم من الأمة و ما دروا ١٥
[أن - ١] كونهم من أولاده مرشح لنبوة بعضهم و كونهم من الأمة،
مهئى لعموم الرسالة لأجل عموم النسب، قال دالا على أنهم صاروا
(١) من ظ ، وفى الأصل: سال (٢) زيد من ظ (٣) من ظ وفى الأصل:
من (٤-٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل:
الانتيان - كذا .

كالهائم لا يصرون إلا المحسوسات معلقا الجار بـ "و آمنوا، و "يوتكم"
 وما بعده: ﴿لئلا يعلم﴾ أى يعلم^١ علما عظيما [يثبت -^٢] مضمون خبره
 و ينتفى ضده - بما أفاده زيادة النافي ﴿أهل الكتب﴾ أى من الفريقين
 الذين اقتصروا على كتابهم و أنبيائهم و لم يؤمنوا بالنبي الخاتم و ما أنزل
 عليه ﴿إلا﴾ أى أنهم لا ﴿يقدر﴾ أى فى زمن من الأزمان
 ٥ ﴿على شيء﴾ [أى و إن قل -^٢] ﴿من فضل الله﴾ أى الملك الأعلى
 الذى خصكم [بما خصكم -^٢] به لا يمنع و لا باعطائكم [حيث -^٢] نزع
 النبوة منهم و وضعها فى بنى عمهم إسماعيل عليه السلام الذين كانوا
 لا يقيمون لهم وزنا فيقولون: إنهم بنو الأمة، و إنهم أميون، و إنهم
 ١٠ ليس عليهم منهم سيل، و جعل النبوة التى خصكم بها عامة - كما أشار
 إليه ما فى ابن الأمة من شمول بنسبته و انشعابه^٢ و حيث عملوا كثيرا
 و أعطوا قليلا: اليهود من أول النهار على قيراط قيراط، و النصرى من
 الظهر على قيراط قيراط، و هذه الأمة من صلاة العصر على قيراطين
 قيراطين، فقال الفريقان^٥: ما لنا أكثر عملا و أقل أجرا، قال: هل ظلمتكم
 ١٥ من حكم شيئا، قالوا: لا، قال: ذلك فضلى أوتيته من أشاء . و ذكر ابن
 برجان معنى هذا الحديث - كما تقدم عنه قريبا - من الإنجيل و طبقه
 عليه و ذكرته [أنا -^٢] فى الأعراف، روى الإمام [أحمد -^٢] فى
 (١) من ظ، و فى الأصل: يعلم (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، و فى
 الأصل: اتساعه (٤ - ٤) - قط ما بين الرقنين من ظ (ه) من ظ، و فى
 الأصل: الفريقين .

مواضع^١ من المسند و البخارى فى سبعة مواضع^٢ فى الصلاة و الإجارة
و ذكر بنى إسرائيل و فضائل القرآن و التوحيد، و الترمذى فى الامثال^٣
- و قال: حسن صحيح - من وجوه شتى جمعت بين ألفاظها عن ابن عمر
رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم [قال-^٤]: *مثلكم - وفى هذه
الرواية: مثل هذه الامة، وفى رواية: مثل أمتى، وفى رواية: إنما مثلكم ه
و مثل اليهود و النصارى كرجل^٥، وفى رواية: مثلكم و مثل أهل الكتابين
كمثل رجل استعمل عملاء، وفى رواية: استأجر أجراء^٦ فقال: من
يعمل لى من صلاة الصبح، [و-^٧] فى رواية [أخرى-^٨]: من غدوة
إلى نصف النهار على قيراط^٩، ألافعلت اليهود - وفى رواية: قالت
اليهود: نحن - فعملوا، ثم قال: من يعمل لى من نصف النهار إلى ١٠
صلاة العصر على قيراط، ألافعلته النصارى، وفى رواية: قالت النصارى:
نحن، فعملوا، ثم قال: من يعمل لى من صلاة العصر إلى غروب
الشمس - وفى رواية: إلى أن تغيب الشمس - على قيراطين قيراطين،
ألافاتم الذين^{١٠} عملتم، وفى رواية: *تعملون، وفى رواية: *و أتم المسلمون
تعملون من صلاة العصر إلى الليل، وفى رواية إلى مغارب، وفى رواية^{١١}: ١٥
مغرب الشمس على قيراطين قيراطين / ألا لكم الأجور مرتين، فغضبت ٢٢٧ /

(١) راجع مثلاً ٢ / ١١١ (٢) راجع مثلاً ١ / ٧٩ (٣) راجع ٢ / ١١٠ (٤) زيد
ولابد منه (هـ-هـ) -قط ما بين الرقيين من ظ (٦) من ظ، وفى الأصل: احيرا .
(٧) زيد من ظ (٨) زيد فى ظ: قيراط (٩) من ظ، وفى الأصل: الذى
(١٠) زيد فى الأصل: الى، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (١١) من ظ،
وفى الأصل: فغضبت .

اليهود والنصارى وقالوا: نحن - وفي رواية: ما لنا^١ - أكثر عملاً
 وأقل عطاءً، وفي رواية: أجراً، قال الله تعالى: هل - وفي رواية:
 وهل - نقصتم - وفي رواية: هل ظلمتم - من حقكم شيئاً - وفي
 رواية: أجركم شيئاً، قالوا: لا، قال: فانه - وفي رواية: فانما - هو
 ٥ فضل، وفي رواية: فذلك فضل أوتيته من أشاء، وفي رواية: أعطيه
 من شئت. وفي رواية: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم
 على المنبر يقول: ألا إن بقاءكم^٢، وفي رواية: إنما بقاءكم^٣، وفي رواية:
 إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم - وفي رواية: فيما سلف من
 قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر والمغرب - وفي رواية: إلى
 ١٠ غروب الشمس، وفي رواية: إلا إن مثل آجالكم في آجال الأمم
 قبلكم كما بين صلاة العصر إلى مغربان، وفي رواية: إلى مغرب،
 وفي رواية^٤: إلى مغارب الشمس، أعطى - وفي رواية: أوتي - أهل
 التوراة والتوراة، فعملوا بها* حتى انتصف النهار فعجزوا، فأعطوا قيراطاً
 [قيراطاً -^٥]، وأعطى - وفي رواية: ثم أوتي - أهل الإنجيل الإنجيل
 ١٥ فعملوا به حتى - وفي رواية: إلى - صلاة العصر، وفي رواية: حتى
 صليت العصر، ثم عجزوا فأعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أعطيتهم القرآن
 فعملتم به حتى غربت الشمس، وفي رواية: [حتى غروب الشمس -^٦]
 (١) من ظ، وفي الأصل: اه (٢) من ظ، وفي الأصل: اتقاكم (٣) من
 ظ، وفي الأصل: اتقياكم (٤) - (٤) سقط ما بين الرقنين من ظ (٥) زيد في
 الأصل و ظ: حتى انتصف النهار فعجزوا وفي رواية - كذا (٦) زيد
 من ظ.

فأعطينا قيراطين قيراطين، وفي رواية: ثم أوتينا القرآن فعملنا إلى
 غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين، فقال أهل الكتائب - وفي
 رواية: أهل التوراة والإجيل - ربنا هؤلاء أقل منا عملا وأكثر أجرا،
 وفي رواية: جزاء، وفي رواية: أي ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين
 وأعطيتنا قيراطا قيراطا، ونحن أكثر عملا منهم، قال الله تبارك وتعالى: هـ
 [هل-؟] وفي رواية: فهل ظلمتكم من أجركم - وفي رواية: من أجركم -
 من شيء؟ فقالوا: لا، قال: فهو فضلي، وفي رواية: فذلك فضلي، أوتيه
 من أشاء. وقد أخذ بعض العلماء من هذا الحديث ما قبل هذه الأمم
 وترك على ذلك أحوالها فقال: إنه دال على قوم نوح وإبراهيم عليهما
 السلام، كان لهم الليل، فكان قوم نوح في أوله في ظلام صرف طويل ١٠
 لم يلح لهم شيء من تبشير الضياء ولا أمارات الصبح، ونوح عليه
 السلام يخبرهم به ويأمرهم بالتهيش له، فلذلك طال بلاؤه عليه السلام بهم،
 وما آمن معه إلا قليل، وأما قوم إبراهيم عليه السلام فكانوا كأنهم
 في أواخر الليل، قد لاحت لهم تبشير الصباح وأومضت لهم بوارق
 الفلاح، فلذلك آمن لوط عليه السلام وكذا سارة زوجته وأولاده ١٥
 منها ومن غيرها كلهم، واستمر الإسلام في أولاده والنبوة حتى جاء
 موسى عليه السلام، فكان وقته كما بين الصبح والظهر، فكان قومه
 تارة وتارة، تارة يحسبون أنهم في ضياء كيما كانوا، فيروغون يمينا وشمالا
 (١) العبارة من هنا إلى «تبشير الضياء» ساقطة من ظ (٢) زيد لاستقامة العبارة
 وإلا فلا وجه لزيادة «وفي رواية» (٣) من ظ، وفي الأصل: الأولاد.

فيكونون^١ كمن دخل غيراها وكهوها وأسرابا ثم يخرجون منها فيرجعون إلى الضياء، فكانت غلطاتهم / تارة كباوا وتارة صفارا، وأما قوم عيسى عليه السلام فكانوا كمن هو في الظهيرة في شدة الضياء فالغلط منه لا يكون إلا عن عمن عظيم^٢، فلذلك كان غلطهم أظلم الغلط وأخشع^٣ .
 هـ - والله الموفق - (وان) أى وتعلموا أن (الفضل) [أى - ٢] الذى لا يحتاج إليه من هو عنده (بيد الله) أى الذى له الأمر كله (يؤتبه من يشاء) منهم أو من يخيرهم في نوبة كانت أو غيرها^٤ .

ولما كان ربما ظن ظان أنه لا يخص به إلا لأنه لا يسع جميع الناس دفع ذلك يقوله : (والله) أى الذى أحاط بجميع صفات الكمال (ذو الفضل العظيم) أى مالكة ملكا لا ينفك عنه ولا ملك لأحد [فيه - ٢] معه ولا تصرف بوجه أصلا ، فلذلك يخص من يشاء بما شاء ، فلا يقدر أحد على اعتراض بوجه ، فقد نزه له التنزيه الأعظم جميع ما في السماوات والأرض فهو العزيز الحكيم الذى لا عزيز غيره ولا حكيم سواه ، فقد انطبق كما ترى آخرها على أولها ، ورجع مفصلها على ١٥ موصلها - والله الهادى للصواب وإليه المرجع والمآب * .

(١) في الأصل و ظ : فيكون (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ
 وفي الأصل : بين (هـ-هـ) سقط ما بين الرقيين من ظ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المجادلة^١

مقصودها الإعلام بإيقاع البأس الشديد، الذي^٢ أشارت إليه الحديد، بمن
حاد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لمائة سبحة من تمام العلم، اللازم عنه
تمام القدرة، اللازم عنه الإحاطة بجميع صفات الكمال، وعلى ذلك^٣ دلت
تسميتها بالمجادلة بأول قضيته وأخرها، وعلى تكرير الاسم الأعظم الجامع^٤
في القصة وجميع السورة تكريرا لم يكن في سواها بحيث لم تخل منه آية،
وأما الآيات التي تكررت في كل منها^٥ المرتين فأكثر فكثرة كل ذلك
للدلالة على أن الأكثر منها المراد فيها بالخطاب^٦ من يصح أن ينظر
إليه تارة بالجلال، وتارة بالكمال، فيجمع له الوصفان، وهو من آمن
ووقع منه هفوة أو عصيان، ولهذا ضمتها أشياء شدد التكبير^٧ فيها حين^٨
وقع فيها بعض أهل الإيمان، ولم يبجها لهم عند وقوعهم فيها ردا للشرع
إلى ما دعا إليه الطبع كما فعل في غيرها كالأكل والجماع في ليل رمضان
من غير تفقيد بيقظة^٩ ولا منام، لمنابتها للحكمة، وبعدها عن موجبات الرحمة،

(١) الثامنة والخمسون من سور القرآن الكريم، مدنية، وعدد آياتها (٢٢)
عند غير المدني الأخير والمكي، وعندهما (٢١) آية، ومن هنا تستألف والحمد لله نسخة
م (٢) من ظ و م، وفي الأصل: الذين (٣) من م، وفي الأصل وظ: هذا (٤) من
م، وفي الأصل وظ: فصلها (٥ - ٥) من ظ و م، وفي الأصل: فيها كل
من (٦) من م، وفي الأصل وظ: الخطاب (٧) موضعه بياض في م، وفي
ظ: التكبر (٨) من ظ و م، وفي الأصل: يقظة.

وهذا مؤيد لما تقدم من سر إخلاء الواقعة و الرحمن و القمر من هذا الاسم الجامع - والله الموفق . (بسم الله) الذي أحاط عليه قمت قدرته فكلت جميع صفاته (الرحمن) الذي شمل الخلاق جودا بالإيجاد وإرسال هدايته (الرحيم) الذي خص أصفياه قمت عليهم نعمة .
مرضاته .

لما ختمت الحديد بعد إثبات عجز الخلق بعظيم الفضل له سبحانه، وكان سماع أصوات جميع الخلاق من غير أن يشغل صوت عن صوت وكلام عن كلام من الفضل العظيم ، وكان قد تقدم ابتداء بعض المتعبدين من الرهبانية بما لم يصرح لهم بالإذن فيه ، فكان سببا للتضييع ،
١٠ وكان الظهار على نوعين : موقت و مطلق ، وكان الموقت بما يدخل في الرهبانية لأنه من التبتل و تحريم ما أحل الله من الطيبات ، وكان بعض الصحابة رضي الله عنهم قد منع نفسه بالموقت منه من مرغوبها بما لم يأت عن الله ، فظاهر من امراته محافظة على كمال التعبد خوفا

(١) في الأصل وظ : هداية ، وفي م : هدايته (٢) من م ، وفي الأصل وظ : العجز (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : يشغله (٤) زيد بعده في الأصل : الا لكم الأجر مرتين فنضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن ، وفي رواية : ما لم أكثر عملا و اقل عطاء ، وفي رواية : اجرا قال الله تعالى : هل ، وفي رواية : وهل نقضتم . وفي رواية : هل ظلمتكم من حكم شيئا ، وفي رواية : اجركم شيئا قالوا : لا ، قال فانه وفي رواية فانما ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها ، وهي تكرار على ما سبق (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : لقنه - كذا .

من الجماع في نهار رمضان ، وكان ذلك مما لم يأذن به بل نهى عنه كما
 روى أبو داود^١ عن أنس رضى الله عنه والطبراني في الأوسط عن سهل
 ابن حنيف رضى الله عنه أن النبی صلی الله عليه وسلم قال : لا تشددوا
 على أنفسكم ، فانما هلك من كان قبلكم بتشديدهم على أنفسهم ، و يستجدون
 بقاياهم في الصوامع و الديارات . وكان بعض الصحابة - رضى الله عنهم ٥
 أجمعين - قد ظاهر مطلقا فشكت امرأته ما لحقها من الضرر إلى رسول الله
 صلی الله عليه وسلم و هتفت^٢ باسم الله ، و كان عليه سبحانه بخصوص
 شكايه هذه المرأة المسكينة^٣ و إزالة ضررها [بحكم -^٤] عام لها و اغيها
 من عياده حتى صارت واقعتها رخصة عامة للسليين إلى يوم القيامة معلما
 بأنه ذو الفضل العظيم ، وأنه الظاهر الباطن ، ذو الملك كله ، و كان قد أمر ١٠
 بالإيمان به و برسوله و وعد على ذلك بالنور ، [كان -^٥] السامع لذلك
 جديرا^٦ بتوقع البيان الذي هو النور في هذه الرهبانية التي ابتدعت [في -^٧]
 هذه الامة ، و تخفيف الشدید الذي وقع عن بعضهم ليعلم أهل الكتاب
 ما لهذه الامة من الكرامة^٨ على ربها^٩ و أنه يختص برحمته من يشاء
 فقال : ﴿ قد سمع الله ﴾ أي أجاب^{١٠} بعظيم فضله الذي أحاط بجميع صفات ١٥
 الكمال فوسع^{١١} سمعه الأصوات ﴿ قول ﴾ و عبر بالوصف دون الاسم

(١) راجع السنن ٢/ ٣٢٤ (٢) م س ظ و م : وفي الأصل : عتقت (٣) من ظ
 و م ، وفي الأصل : الشكوة (٤) ريد م م و مد (٥) من ظ و م ، وفي
 الأصل : حدير (٦-٦) م م ، وفي الأصل و ظ : لربها (٧) في ظ : اجاز .
 (٨) من ظ . وفي الأصل و م : سمع .

تعريفا برحمته الشاملة فقال : ﴿ التي تجادلك ﴾ أى تبالغ فى أن تقبلك
إلى مرادها ﴿ فى زوجها ﴾ أى فى الأمر المخلص له من ظهاره رحمة
لها^١ ﴿ وتشتكى ﴾ أى تعتمد بتلك المجادلة الشكوى، منتهية ﴿ الى الله ﴾
أى الملك العظيم الرحيم الذى أحاط بكل شئ علما، ولصدقها فى
شكواها و قطع رجائها فى كشف ما بها من غير الله كانت هى والى
صلى الله عليه وسلم متوقعين أن الله يكشف ضررها ﴿ والله ﴾ أى والحال
أن الذى وسعت رحمته كل شئ لأن له الأمر كله ﴿ يسمع تحاوركما ﴾
أى مراجعتكما التى يحور - أى يرجع - [فيها -^٢] إلى كل منكما جواب
كلامه من الآخر كأنها لثقل ما قدح فى أمرها ونزل من ضررها ناشئة
١٠ عن^٢ حيرة

ولما كان ذلك فى غاية ما يكون من خرق العادة بحيث أن الصديقة
عائشة رضى الله عنها قالت عند نزول الآية : « الحمد لله الذى وسع سمعه
الاصوات ، لقد كلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا فى جانب
البيت ما أسمع كثيرا عما تقول ، أكده تنبيها على شدة غرابته
١٥ [ولأنه -^٣] ربما استبعده من اشتد جهله لمراقته فى التقيد^{*} بالعادات
فقال : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى أحاط بجميع صفات الكمال فلا كفوه له
﴿ سميع بصير ﴾ أى بالغ السمع لكل مسموع ، والبصر لكل ما يبصر
والعلم لكل / ما يصح أن يعلم أزلا وأبدا ، وقد مضى نحو هذا التناسب

/ ٢٣٠

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : بها (٢) زيد من ظ (٣) من ظ و م ، وفى
الأصل : من (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : التقيد .

فى

في المائدة حين أتبع تعالى آية القيسين والربان قوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا - [لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم^١ " غير أن هذا خاص وذاك^٢ عام، فهذا فرد منه، فالمناسبة واحدة لأن الاخص في ضمن الأعم، والحاصل أنه سبحانه امتن عليهم بما جعل في قلوبهم من الرهبانية وغيرها، وأخبر أنهم لم يوفوها حقها، وأنه آتى مؤمنهم الأجر،^٥ وأمر المسلمين بالتقوى وإتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ليحصل لهم من فضله العظيم ضعف ما حصل لأهل الكتاب، ونهاهم عن التشديد على أنفسهم بالرهبانية، فصاروا مفضلين من وجهين: كثرة الأجر وخفة العمل، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء - والله أعلم، روى البزار^٦ من طريق خفيف عن عطاء ومن غيرها أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما^{١٠} أن رجلا قال: يا رسول الله! إني ظاهرت من امرأتى ورأيت ساقها في القمر فواقعتها قبل أن أكفر، قال: كفر ولا تعد - وروى أبو داود^{١١} عن عكرمة أن رجلا ظاهر من امرأته ثم واقعها قبل أن يكفر، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: رأيت ياض ساقها في القمر، قال: فاعتزلها حتى تكفر عنك. قال المنذرى: ١٥ وأخرجه أيضا عن عكرمة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عكرمة عن [ابن - ^٦] عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه،

(١) راجع آية ٨٧ (٢) من ظ و م، وفي الأصل: هذا (٣) ما وجدناها في مجمع الزوائد في مضانها (٤) من ظ و م، وفي الأصل: فوقتها (٥) راجع السنن ١ / ٣١٠ (٦) زيد من ظ و م .

و أخرجه النسائي^١ وابن ماجه^٢ و الترمذى^٣ - وقال : [حديث -^٤] حسن غريب صحيح - وقال النسائي : المرسل أولى بالضواب من المسند ، وقال أبو بكر المعافى^٥ : ليس فى الظهار حديث صحيح يعول^٦ عليه ، قال المنذرى : وفيما قاله نظر ، فقد صححه^٧ الترمذى كما ترى ، و رجال إسناده ثقات ،
 ٥ و سماع بعضهم من بعض مشهور ، و ترجمة عكرمة^٨ عن ابن عباس رضى الله عنهما احتج بها البخارى فى غير موضع - انتهى . و للترمذى^٩ -
 وقال : حسن غريب - عن سلة بن صخر رضى الله عنه فى المظاهر يواقع قبل أن يكفر قال : كفارة واحدة . و روى أحمد^{١٠} و الحاكم^{١١} و أصحاب السنن^{١٢} إلا النسائي و حسنه الترمذى ، قال ابن الملقن : و صححه ابن حبان و الحاكم - من طريق سليمان بن يسار عن سلة بن صخر الياضى رضى الله عنه قال : كنت امرأ أصيب من النساء ما لا يهيب غيرى ، فلما دخل شهر رمضان خفت أن أصيب من امرأتى شيئاً [يتابع بى -^{١٣}] حتى أصبح^{١٤} فظاهرت منها حتى ينسلخ شهر رمضان ، فيناهى تخدمنى ذات ليلة تكشف^{١٥} لى منها شيء فالبثت أن نزوت عليها^{١٦} ، فلما أصبحت

(١) راجع السنن ٨٨ / ٢ (٢) راجع السنن ص : ١٥٠ (٣) راجع الجامع ١٤٤ / ١ (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : العامرى ، و راجع ترجمته معجم المؤلفين ٦١ / ١١ (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : بقول (٧-٧) سقط ما بين الرقيقين من ظ (٨) راجع الجامع ١٤٣ / ١ (٩) راجع المسند ٣٧ / ٤ (١٠) راجع المستدرک ٢ / ٢٠٣ (١١) راجع سنن ابن ماجه ص ١٥٠ و سنن أبى داود ٣٠٨ / ١ و سنن الدارمى ص ٢١٥ و جامع الترمذى ١٤٤ / ١ (١٢) من ظ و م ، وفى الأصل : يصبح (١٣) من م ، وفى الأصل و ظ : تكشف (١٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : عنها .

خرجت إلى قومي فأخبرتهم الخبر وقلت: امشوا معي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالوا: لا والله: فانطلقت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فقال: أنت بذاك^١ يا سلمة؟ قلت: أنا بذاك^٢ يا رسول الله - مرتين، وأنا صابر لأمر الله، فاحكم في بما أراك الله، وفي رواية: فأما في حكم الله فاني صابر لذلك، قال: حرر رقبة، قلت: والذي بعثك به بالحق ما أملك غيرها - وضربت / صفحة رقبتي^٣، قال: فصم شهرين متتابعين، قلت: وهل أصبت الذي أصبت إلا من الصيام، قال: فأطعم وسقا من تمر بين ستين مسكينا، قال: والذي بعثك بالحق، لقد بتنا وحشين ما لنا طعام، قال: فانطلق إلى صاحب صدقة بني زريق فليدفعها إليك فأطعم ستين مسكينا وسقا من تمر وكل أنت وعيالك بقيتها، فرجعت ١٠ إلى قومي فقلت: وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي، ووجدت عند النبي صلى الله عليه وسلم السعة وحسن الرأي، وفي رواية: والبركة، وقد أمرني - أو أمر لي^٤ - بصدقكم، وفي رواية: فادفعوها إلي، فدفعوها إلي. وأعله عبد الحق بالانقطاع، وأن سليمان لم يدرك سلمة، حكى ذلك الترمذي عن البخاري، وقال الترمذي: إن سلمة بن صخر يقال له سليمان ١٥ أيضا، ورواه الإمام أحمد [أيضا - ٦] من طريق أخرى^٥ قال حدثنا عبد الله بن إدريس - هو الأودي - عن محمد بن إسحاق عن محمد بن

(١) من ظ، وفي الأصل وم: قال (٢) من ظ وم، وفي الأصل: ذاك.

(٣) من م، وفي الأصل وظ: بذلك (٤) من ظ وم، وفي الأصل: عنقي.

(٥ - ٥) من ظ وم، وفي الأصل: امرني (٦) زيد من ظ وم (٧) راجع

المستند ٤٣٦/٥.

عمرو بن عطاء عن [سليمان بن يسار عن -١] سلة بن صخر الياضى رضى الله عنه قال : كنت امرءاً أصيب من النساء ما لا يصيب غيرى ، فلما دخل شهر رمضان خفت فظاهرت من امرأتى فى الشهر فبينما^٢ هى تخدمنى ذات ليلة إذ تكشف لى منها شيء فلم البث^٣ أن وقعت عليها ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : حرر رقبة ، قتل : و الذى بعثك بالحق ، ما أملك غير رقبتي ، قال : صم شهرين متتابعين ، قلت : و هل أصابنى ما أصابنى إلا فى الصيام ؟ قال : فأطعم ستين مسكيناً . و هذا سند حسن متصل إن شاء الله إن سلم من تدليس ابن إسحاق ، و روى [الحاكم و -٢] البيهقى^٤ من طريق محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان و أبى سلة بن عبد الرحمن ١٠ أن سلة بن صخر الياضى رضى الله عنه جعل امرأته عليه كظهر أمه إن غشيها حتى يمضى رمضان ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أعتق^٥ رقبة . و قصة سلة هذه أصل الظهار الموقت ، و قد دلت على أنه لا عود فيه فلا كفارة عليه [إلا -٦] بوطنها فى مدة الظهار ، و روى أبو داود^٦ عن خويلة بنت مالك بن ثعلبة رضى الله عنها قالت : ١٥ ظاهر منى زوجى أوس بن الصامت رضى الله عنه فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم أشكو إليه و رسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلنى فيه

(١) زيد من السند (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : فينما (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : فلم ائلت - كذا (٤) زيد من ظ ، و راجع المستدرک ٢/ ٣٠٤ (٥) راجع السنن الكبرى ٧/ ٣٩٠ (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : اعتقت : (٧) زيد من ظ (٨) راجع السنن ١ / ٣٠٩ .

و يقول: 'اتق' الله فانه ابن عمك، فابرحت حتى نزل [القرآن - ٢]
 "قد سمع الله" إلى الفرض، فقال: يعتق رقبة، قالت: لا يجد، قال:
 بصوم شهرين متتابعين، قالت: يا رسول الله، إنه شيخ كبير ما به من
 صيام، قال: فليطعم ستين مسكينا، قالت: ما عنده من شيء يتصدق
 به، قالت: فأني ساعثذ بعرق "من" تمر، قلت: يا رسول الله، فاني أعينه ه
 بعرق آخر، قال: قد أحسنت اذهبي فأطعمي بها عنه / ستين مسكينا،
 وارجعي إلى ابن عمك، قال: والعرق ستون صاعا، وفي رواية: والعرق
 مكتل^١ يسع ثلاثين صاعا، وروى الدارقطني^٢ أن أنس بن مالك رضى الله
 عنه قال: إن أوس بن الصامت رضى الله عنه ظاهر من امرأته خويلة
 بنت ثعلبة رضى الله عنها فشكت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: ١٠
 ظاهر مني [حين - ٢] كبر سني ورق عظمي، فأنزل الله آية الظهار، فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لأوس: أعتق رقبة، قال: ما لي بذلك
 يدان، قال: فصم^٣ شهرين متتابعين، قال: أما أني إذا أخطأتني أن آكل في
 اليوم مرتين يكل بصري^٤، قال: فأطعم ستين مسكينا، قال: ما أجد إلا
 [أن - ١] تعيني "منك بعون" وصلة، فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٥

(١) زيد بعده في الأصل: لي، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٢) من
 ظ و م، وفي الأصل: اتق (٣) زيد من م ومد (٤) من ظ و م، وفي
 الأصل: قال (هـ-هـ) من م، وفي الأصل و ظ: فيه (٦) من م، وفي الأصل
 و ظ: مكيل (٧) راجع السنن ص: ٤٢٢ (٨) من ظ و م، وفي الأصل:
 صم (٩) من ظ و م، وفي الأصل: بصر (١٠) زيد من م (١١-١١) من ظ
 و م وفي الأصل: بعون منك.

بخمسة عشر صاعا حتى جمع الله له، والله رحيم، قال: وكانوا يرون أن عنده مثلها، وذلك لستين مسكينا، وللدارقطني [أيضا-] والبيهقي أن خولة بنت ثعلبة رضى الله عنها رآها زوجها وهو أوس بن الصامت أخو عبادة رضى الله عنهما وهي تصلى فراودها فأبت فغضب، وكان به لم ٥ وخفة فظاهر منها، فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إن أوسا تزوجني وأنا شابة مرغوب في، فلما خلا سني وثرت له بطني جعلني عليه كأمه. وللطبراني من طريق أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي قال^{١٢}: كانت خولة بنت ثعلبة تحت أوس بن الصامت وكان به لم، فقال في بعض هجراته: أنت علي كظهر أمي، قال: ما أظنك إلا قد ١٠ حرمت علي،^{١٣} فجاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن أوس بن الصامت أبو ولدي وأحب الناس إلي، والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقا، قال: ما أراك إلا قد حرمت عليه، فقالت: يا رسول الله لا تقل كذلك والله ما ذكر طلاقا، فرأدت النبي صلى الله

(١-١) من ظ و م، وفي الأصل: مجمع (٢) زيد في الأصل: غفور، ولم تكن الزيادة في ظ و م والسنن لحذفها (٣-٣) من م، وفي الأصل و ظ: لذلك ستين (٤) ما وجدنا في نطائنها (٥) زيد من م (٦) راجع السنن الكبرى ٣٩٢/٧ (٧) في ظ: خويلة (٨) من ظ و م، وفي الأصل: ابو عبيدة (٩) من ظ و م، وفي الأصل: بهم (١٠) لم يذكر في مجمع الزوائد من هذا الطريق (١١) زيد في الأصل: الى، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (١٢) من ظ، وفي الأصل و م: قالت (١٣) زيد في الأصل: قال، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها.

عليه وسلم مرارا، ثم قالت: اللهم إني أشكو إليك فاقى و وحدى وما يشق عليّ من فراقه - الحديث، و من طريق أبي العالیه قال: فجعل كلما قال لها " حرمت عليه " هتفت وقالت: أشكو إلى الله، فلم ترم مكانها حتى نزلت الآية، و روى أبو داود^١ عن هشام بن عروة أن جميلة كانت تحت أوس بن الصامت و كان رجلا^٢ به لم فكان إذا اشتد به هلمه ظاهر من امرأته فأنزل الله عز وجل فيه كفارة الظهار، و أخرجه من حديث عروة عن عائشة رضى الله عنها مثله . [و - ٢] قال القشيري: و في الخبر أنها قالت: يا رسول الله! إن أوسا تزوجني شابة غنية ذات أهل و مال كثير، فلما كبر عنده سنى، و ذهب مالى و تفرق أهلى، جعلنى عليه كظهر أمه، و قد ندم و ندمت، و إن لى صبية صغارا إن ضممتهم ١٠ إليه ضاعوا، و إن ضممتهم إلى جاعوا، يعنى ففرج الله عنها، و قد حصل من هذا مسألة، و هو أن كثيرا من الأشياء ظاهر / العلم يحكم فيه بشئ.

ثم الضرورة تغير ذلك الحكم لصاحبها، قال البغوى^٣: و كان هذا أول ظهار^٤ في الإسلام، و قال أبو حيان^٥: و كان عمر رضى الله عنه يكرم خولة رضى الله عنها إذا دخلت [عليه و يقول - ٩]: سمع الله لها، فالمظاهرة ١٥ في حديث سبله رضى الله عنه موقته، و في حديث خولة رضى الله عنها

٢٣٣ /

(١) راجع السنن ٢٠٩/١ (٢) من م، و فى الأصل و ظ: رجل (٣) زيد من م .
 (٤) سقط من ظ و م (٥) فى معالم التنزيل بهامش الباب ٧ / ٢٦ (٦-٦) من ظ و م و المعالم، و فى الأصل: هو (٧) من ظ و م و المعالم، و فى الأصل: الظهار (٨) فى البحر المحيط ٨ / ٢٣٢ (٩) زيد من ظ و البحر .

مطلقة، وهي في قصة سلمة رضى الله عنه ومن لحا نحوه رهبانية مبتدعة
لم ترغ حق رعايتها كرهانية النصارى، ولم يتبع النبي صلى الله عليه
وسلم في ابتداعها حق الاتباع^١، وأما في قصة نخوة رضى الله عنها
فهي مصيبة كان ينبغي فيها التسليم وعدم الحزن كما في آية "لكيلا تأسوا لله
الآية على أن امتناعها من زوجها حين رازدها فيه إلام بالرهبانية^٢،
وإزالة شكائهما مع أنها امرأة ضعيفة من عظيم الفضل، وزاده عظما
جعله [حكما -^٣] عاما لمن وقع فيه من جميع الأمة .

ولما أتم تعالى الخبر عن إحاطة العلم، استأنف الإخبار عن حكم
الأمر المجادل بسببه، فقال ذاما للظهار، وكاسيا له ثوب العار: ﴿الذين﴾
١٠ ولما كان الظهار منكرا لكونه كذبا، عبر بصيغة الفعل الدالة عليه
فقال: ﴿يظهرون﴾ أى يوجدون الظهار فى أى رمضان [كان -^٤]
وكانه أدغم تاء الفعل والمفاعلة لأن حقيقته أنه يذهب ما أحل الله له
من مجامعة زوجته . ولما كان الظهار خاصا بالعرب دون سائر الأمم،
نبه على ذلك تهجينا^٥ له عليهم وتقييحا لعادتهم فيه، تنبيها على أن اللائق
١٥ بهم أن يكونوا أبعد الناس من^٦ هذا الكلام لأن الكذب لم يزل
(١) من ظ و م، وفى الأصل: الانتداع (٢) من ظ و م، وفى الأصل:
من الرهبانية (٣) زيد من ظ و م (٤) من م، وفى الأصل و ظ: الحكم .
(٥) من م، وفى الأصل و ظ: تهيج (٦) زيد فى الأصل: ذلك، ولم تكن
الزيادة فى ظ و م لخذلتها .

مستهجنا عدم في الجاهلية ، ثم [ما - '] زاده الإسلام [إلا - ']
استهجانا فقال : (منكم) أى أيها العرب المسلمون الذين يستقبلون
الكذب ما لا يستقبلونه غيرهم وكذا من دان دينهم (من نسائهم) أى
يحرمون نسائهم على أنفسهم تحريم الله عليهم ظهور أمهاتهم بأن^١ يقول
أحدهم^٢ لزوجته شيئا من صرائحه مثل ' أنت على كظهر ' أى أو كنياته^٣ كانت ه
أى ، وكل زوج صبح طلاقه صبح ظهاره من حر أو عبد مسلم أو ذمى
دخل بالزوجة أو لا قاهرا كانت على الجماع أو عاجزا^٤ ، صغيرة كانت
الزوجة أو كبيرة ، عاقلة كانت^٥ أو مجنونة ، سليمة كانت أو رتقاء ، مسلمة
كانت أو ذمية ، ولو كانت رجعية .

ولما كان^٦ وجه الشبه التحريم ، وكان للتحريم رتبتان^٧ : عليا موصوفة^٨
بالتأييد والاخترام ، ودنيا خالية عن كل من الوصفين ، وكان التقدير
خبرا للبتدأ : مخطئون في ذلك لأنه كذب ، لأن التشبيه إن أسقطت أذاته^٩
لم يكن حمله على الحقيقة ليكون من الرتبة العليا ولو على أدنى أحوالها
من أنه طلاق لا رجعة فيه ، كما كانوا يعتقدونه ، وإن أثبتت ليكون^{١٠} من

- (١) زيد من م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : أن (٣) من م ، وفي الأصل
وظ : أحد (٤-٥) من م ، وفي الأصل : ظهر (٥) من ظ و م ، وفي الأصل :
كناية (٦) من م ، وفي الأصل وظ : لا (٧) زيد في الأصل : الزوجة ،
ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفنا (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : كانت .
(٩) من ظ و م ، وفي الأصل : رتبتين (١٠) من ظ و م ، وفي الأصل : أن
اشتباه (١١) من ظ و م ، وفي الأصل : أن يكون .

الدنيا لم يكن صحيحا لانه ممنوع منه لان التشريع إنما هو لله ، والله لم يكن
 يشرع ذلك ، وكان تعليل شق التشية يفيد معنى الخبر بزيادة^١ / التعليل ،
 حذف الخبر ، واكتفى بالتعليل فقال معللا له مهجنا للظهار الذى تعودته
 العرب من غير أن يشاركونهم فيه أحد من الامم : ﴿ ما من ﴾ أى
 ٥ نساؤم^٢ ﴿ امهتهم^٣ ﴾ على تقدير إرادة أحدهم [أعلى -^٢] رتبى التحريم ،
 والحاصل أنهم لما كانوا يعتقدون أنه طلاق لا رجعة فيه جعلوا معتقدين
 أن المرأة أم لأن الحرمة المؤبدة^٤ من خصائص الأم فخرطبوا بذلك تقريرا
 لهم لانه أردع ، وفي سورة الاحزاب ما بوضح هذا .

ولما كانوا قد مروا على هذا الحكم فى الجاهلية ، واستقر^٥ فى
 ١٠ أنفسهم استقرارا لا يزول إلا بغاية التأكيد ، ساق الكلام كذلك فى الشقين
 فقال : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ امهتهم^٦ ﴾ [أى -^٦] حقيقة ﴿ الا أئى ولدتهم^٧ ﴾
 ونساؤم لم تلدهم ، فلا يحرم عليهم حرمة مؤبدة للإكرام والاحترام ،
 ولاهر من ألق بالامهات بوجه يصح وكأزواج النى صلى الله عليه
 وسلم فانهن أمهات لما^٨ هن من حق الإكرام والاحترام والإعظام
 ١٥ ما لم يكن لغيرهن^٩ لأن النى صلى الله عليه وسلم أعظم فى أبوة الدين
 من أب النسب [و -^٩] كذلك المرضعات لما هن من الإرضاع

(١) فى م : زيادة (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : نساؤهن (٣) زيد من ظ
 وم (٤) من ظ وم ، وفى الأصل : مؤبدة (٥) من ظ وم ، وفى الأصل :
 استقروا (٦) زيد من م (٧) من ظ وم ، وفى الأصل : لأنهن (٨-٨) سقط
 ما بين الرقین من م .

الذى هو وظيفة الأم بالأصالة، وأما الزوجة فبإينة^١ لجميع ذلك .
ولما فرغ من تعليل الشق الأول على آتم وجه، أتبعه بتلليل
الآخر كذلك، فقال عاطفا عليه مؤكدا لأنهم كانوا قد ألفوا قوله
فأشربته قلوبهم: (وأنهم) أى المظهرون^٢ (ليقولون) أى فى هذا
التظهر على كل حالة (منكر من القول) ينكره^٣ الحقيقة^٤ والاحكام،^٥
قال ابن الملقن فى عمدة المحتاج: وهو حرام اتفاقا كما ذكره الرافعى فى
الشهادات. (وزورا^٦) أى قولاً مائلا عن السداد، منحرفا عن القصد،
لأن الزوجة معدة للاستمتاع الذى هو فى الغاية من الامتثال، والأم
فى غاية البعد عن ذلك لأنها أهل لكل احترام، فلا هى أم حقيقة
ولا شبيهة بها بأمر نصبه الشارع للاحترام كالإرضاع، وكونها فراشا^{١٠}
لعظيم كالتبى أو للأب أو للحرمة كالعمان، فقد علم^{*} أن ذلك الكلام
ليس بصدق ولا جاء به مسوغ، فهو زور محض، وأخصر من هذا أن
يقال: ولما كان ظهارهم هذا يشتمل على فعل وقول^٦، وكان الفعل
هو التحريم الذى هو موضع وجه الشبه، [وكانت العادة فى وجه الشبه -^٧] أن
يقنع منه بأدنى ما ينطلق عليه الاسم، وكانوا قد خالفوا ذلك فجعلوه فى أعلى^{١٥}

(١) من ظ وم، وفى الأصل: مباينة (٢) من م، وفى الأصل وظ:
المظاهرين (٣-٢) من م، وفى الأصل وظ: القول من (٤) زيد فى الأصل:
الاحكام، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٥-٥) من ظ وم، وفى
الأصل: فعلم (٦-٦) من ظ، وفى الأصل وم: قول وفعل (٧) زيد من
ظ وم.

طبقاته وهو الحزمة المؤبقة التي^١ يلزم منها أن تكون المشابهة من كل وجه
 في الحرمة منع أن ذلك بغير مستند من الله تعالى الذي لا حكم لغيره، ألزمهم
 أن يكون الشبه من كل وجه^٢ مطلقاً فيكونوا جاعلين الزوجة إما حقيقة
 لا دعوى كما جعلوا الحرمتين [كذلك من غير فرق بل أولى لأنه
 الشبه إنما وقع بين الحيتيتين لا بين الحرمتين -^٣] ثم وقفهم على جهلهم
 فيه فقال "ما من" إلى آخره، ولما وقفهم على جهلهم في الفعل وقفهم على
 جهلهم في القول: فقال: [و-^٤] أنهم إلى آخره، قال النووي في الروضة: قال
 الأصحاب: الظهار حرام، وله حكاية: أحدهما تحريم الوطئ إذا وجبت
 الكفارة / إلى أن يكفر، والثاني وجوب الكفارة بالعود - انتهى ،

/ ٢٣٥

١٠. وهذا القول وإن أفاد التحريم فإنه يفيد لكونه ممنوعاً منه على وجه
 ضيق^١ حرج المورد عسر المخرج ليكون عسره زاجراً عن الوقوع فيه، قال
 أبو عبد الله القزاز في ديوانه الجامع: وظاهر الرجل امرأته^٢ وظاهر من
 امرأته^٣ إذا قال: أنت عليّ كظهر أمي أو كذات محرم، وإنما استنصوا
 الظاهر في الظهار لأن الظاهر موضع الركوب، والمرأة^٤ مركب الرجل^٥
 ١٥ في النكاح فكفى به عن ذلك، فكأنه قال: ركوبك عليّ للنكاح كركوب
 أمي، وكان الظهار في الجاهلية طلاقاً، ولذلك أشكل معنى قوله تعالى
 "ثم يعودون لما قالوا" وقال ابن الأثير في النهاية^٦: ظاهر الرجل [من-^٧]

(١) من م، وفي الأصل و ظ: الذم (٢-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ
 (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد من م (٥) من م، وفي الأصل و ظ: كأنه -
 (٦) سقط من ظ (٧) راجع ٦٥/٣ (٨) زيد من ظ و م والنهاية .

امراته

امراته ظاهرا و تظهر و تظاهر [إذا قال لها: أبت على كظهر أمي،
وكان في الجاهلية طلاقا -^١]، وقيل: إنهم إرادوا أنت على كبطني أمي
أى كجماعها، فكنوا بالظهر عن البطن للجاورة، وقيل إن إتيان المرأة
و ظهرها^٢ إلى السماء^٣ كان حراما عندهم، وكان أهل المدينة يقولون:
إذا أبت المرأة و وجهها إلى الأرض جاء الولد أحول، فلقصد ه
الرجل المطلق منهم إلى التغليظ في تحريم امرأته عليه شبهها بالظهر
ثم لم يقع بذلك^٤ حتى جعلها كظهر أمه، وإنما عدى الظهار بـ "من" لأنهم
كانوا إذا ظاهروا المرأة تجنبوها كما يتجنبون المطلقة ويحترزون منها،
فكان قوله: ظاهر من امرأته، أئني بعد واحترز منها كما قيل: آلى من
امراته، لما ضمن معنى التباعد عدى بـ "من" - [انتهى -^٥]، قال: وقال ابن ١٥
الملقن في العمدة شرح المنهاج: وكان طلاقا في الجاهلية، ونقل عن
صاحب الحاوي أنه عندهم لا رجعة فيه، قال: فنقل الشارع حكمه
إلى التحريم بعد العود ووجوب الكفارة - انتهى. وقال أبو حيان: قال
أبو قلابة [وغيره -^٦]: كان الظهار في الجاهلية يوجب عندهم فرقة
مؤبدة.

١٥

ولما كان التقدير: فإن الله حرمه، عطف عليه مرغبا في التوبة وداعيا
إليها قوله مؤكدا لأجل ما يعتقدون من غلظه وأنه لا^٧ مشوية فيه

- (١) زيد من ظ و م و النهاية (٢ - ٢) من ظ و م و النهاية، وفي الأصل:
للسماء (٣) من ظ و م، و النهاية، وفي الأصل: ذلك (٤) زيد من م (٥) في
النهر اللاد من البحر المحيط ٢٣٠/٨ (٦) زيد من ظ و م و النهر (٧) من ظ و م،
وفي الأصل: به.

{ وان الله } أى الملك الأعظم [الذى - '] لا أمر لاحد معه فى شرع ولا غيره { لعفو } من صفاته أن يترك عقاب من شاء { غفور } من صفاته أن يمحو عين الذنب و أثره حتى أنه كما لا يعاقب عليه لا يعاتب^٢، فهل من تائب طلبا للعفو عن زلله، والإصلاح لما كان من خلله .

ولما هجن^٣ سبحانه الظهار، وأثبت تحريمه على أبلغ وجه وآ كده، وكان ما مضت عليه العوائد لا بد أن يبقى منه بقايا، أتبع ذلك بيان حكم هذه الواقعة وما لعله يقع من نظارها فقال^٤: { والذين يظهرون } ولما كان فى بيان الحكم، أسقط التقييد إعلاما بعمومه الكافر كعمومه^٥ ١٠ المسلم ليفيد تغليظ العقاب [عليه - '] لثلاث يوم أنه يخص العرب الذين قصد تهجينه^٦ عليهم بأنهم^٧ افردوا به عن سائر الناس فقال: { من نسأهم } بدون "منكم" .

ولما كان مقتضى اللفظ المباعدة من قيل ذلك فيها، فكان إمساكها بعده ينبغى أن يكون فى غاية البعد، / قال مشيرا إلى ذلك [بأداة - '] (١) زيد من ظ و م (٢) زيد بعده فى الأصل : انه، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٣) من م، وفى الأصل : لا يعاقب، و « عليه لا يعاتب » ساقطة من م (٤) من ظ و م، وفى الأصل : هجا (ه) من م، وفى الأصل و ظ : قال (٦) زيد فى الأصل : فى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٧-٧) من ظ و م، وفى الأصل : قصدت هجينة (٨) من م، وفى الأصل و ظ : انهم .

البعد (ثم يعودون) أى بعد هذا القول (لما قالوا) بالفعل بأن يعاد هذا القول مرة أخرى أو بالقوة بأن يمسكوا المقول ذلك لها^١ زمنا يمكن أن يعاد فيه هذا القول مرة ثانية من غير مفارقة بلفظ مما ناط الله^٢ الفرقه به^٣ من طلاق [أو -^٢] سراح^٤ أو نحوهما، فيكون المظاهر عائدا إلى هذا القول بالقوة لإمكان [هذا -^٢] القول في ذلك الزمن،^٥ وذلك لأن العادة قاضية بأن من قال قولاً [ولم يته -^٢] وينجزه ويمضه بأن يعود إلى قوله مرة أخرى ولم جراً، أو يكون التقدير لنقض ما قالوا: فيحلوا ما حرموا على أنفسهم بعدم البت بالطلاق، فإن كان الظهار معلقاً لم يلزم حكمه إلا بالحنث، فإن طلق في الحال^٦ وإلا لزمته [الكفارة -^٢]، وحق العبارة التعبير باللام لدالاتها^٧ على ١٠ الاتصال كما يقتضيه الحال بخلاف " إلى " فإنها تدل على مهلة وتراخ، هذا في الظهار المطلق، وأما الموقت يوم أو شهر أو نحو ذلك فلا يكون عائدا فيه إلا بالوطى^٨ في الوقت المظاهر فيه، وأما مجرد إمساكها فليس يعود لأنه إنما أمسكها لما [له -^٧] فيها من الحل بعد وقت الظهار .

١٥

ولما كان المبتدأ الموصول مضمناً معنى الشرط، أدخل الفاء في خبره ليفيد السببية فيتكرر الوجوب بتكرر سببه فقال: (فتحرير)

(١-١) من ظ وم ، وفي الأصل : لها ذلك (٢-٢) من ظ وم ، وفي الأصل :
به الفرقه (٣) زيد من ظ وم (٤) من ظ ، وفي الأصل وم : سراحا (٥) من
ظ وم ، وفي الأصل : الحلال (٦) من ظ وم ، وفي الأصل : للالة - كذا .
(٧) زيد من ظ .

أى فعلهم بسبب هذا الظهار و العود تحرير ﴿ رقة ﴾ اى سليمة عن عيب يخل بالعمل كاملة الرق مقيدة [أيضا - '] بمؤنة لأنها قيدت [بذلك - '] فى كفارة القتل ، فيحمل هذا على ذاك ، ولأن معاوية ابن الحكم رضى الله عنه كانت له جارية فقال للنبي صلى الله عليه وسلم : على رقة أفأعتقها ، فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله^٢ فأخبرته بما دل على توحيدها^٣ فقال : من أنا ؟ فقالت : أنت رسول الله ، قال : أعتقها فانها مؤمنة - رواه^٤ مالك^٥ و مسلم^٦ ، فعلل الإجزاء بالإيمان ولم يسأله عن سبب الوجوب ، فدل على أنه لا فرق بين واجب و واجب ، و الموجب للكفارة [الظهار - '] و العود جميعا كما أن الموجب فى اليمين [اليمين - '] ١٠ و الحنث معا .

ولما كان التحرير لا يستغرق زمن قبل بل يكون فى بعضه ، أدخل الجار فقال : ﴿ من قبل ﴾ و لما كان المراد المس بعد المظاهرة لا مطلقا قال : ﴿ ان يتماسا ﴾ أى يتجدد منهما مس وهو الجماع سواء كان ابتداء المباشرة منه أو منها بما أفادته صيغة التفاعل ، وهو حرام ١٥ قبل التكفير ولو كان على أدنى وجوه^٨ التماس و أخفاها بما أشار إليه الإدغام ولو كان بابلاج الحشفة فقط مع الإنزال أو بدونه ، وأما

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : توحيد (٤) فى ظ : رواها (٥) راجع الموطن - العتق (٦) راجع صحيح مسلم - المساجد (٧) زيد من م (٨) من م ، وفى الأصل وظ : الوجوه .

مقدمات الجماع فهي^١ فيها كالحائض لا تحرم على الأظهر ، فان جامع عصي ولم تجب كفارة أخرى ، لما روى الترمذى عن سلمة بن صخر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في المظاهر يواقع قبل أن يكفر ، قال : كفارة واحدة^٢ .

ولما كان الوعظ هو الزجر عن الفعل الموعوظ لأجله ، قال هـ
مستأنفا : ﴿ ذلكم ﴾ أى الزجر العظيم جد الذى هو عام لكم من غير شبهة
﴿ توعظون به^٣ ﴾ أى يكون / بمشقة زاجرا لكم عن العود إلى مقاربة
مثل ذلك فضلا عن مقارفته لأن من حرم من أحلها الله تحريرا
متأبدا^٤ على زعمه [كان -^٥] كأنه قد قتلها ، ولكون [ذلك -^٦] بلفظ
اخترعه و انتهك فيه حرمة^٧ أمه كان^٨ كأنه قد عصي معصية أو بقى بها نفسه ١٠
كلها إيقا أخرجه إلى [أن -^٩] يقتلها عضوا عضوا باعتاق [رقبة -^{١٠}]
تمائل رقبته ورقبة^{١١} من كان قتلها .

ولما كان التقدير : فانه بما يردعكم بصير ، عطف عليه قوله : ﴿ والله ﴾ أى
الذى له الإحاطة بالكمال ، وقدم الجار إشارة إلى إرادة المبالغة للتنبيه على
الاهتمام بالزام الانتهاء عن ذلك فقال : ﴿ بما تعلمون ﴾ أى تجددون فعله ١٥
﴿ خبيره ﴾ أى عالم بظاهره و باطنه ، فهو عالم بما يكفره ، فافعلوا ما أمر الله^{١٢} به
و قفوا عند حدوده ، قال القشيري : [والظهار -^{١٣}] وإن لم يكن له فى

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : فهو (٢) مضى الحديث قبل صفحات .

(٣) من ظ و م ، وفى الأصل : مويدا (٤) زيد من ظ و م (هـ) من ظ

وم ، وفى الأصل : انه (٦) من ظ ، وفى الأصل : رغبة (٧) سقط

من م .

الحقيقة أصل ولا بتصحيحه نطق ولا له شرع، بعد ما رفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره ولوح بشيء ما وقال : إنه حكمه لم يخل الله من بيان ساق إليه شرعه ففضى فيه بما انتظم فيه الجواب ارتفاع شكواها .

٥ ولما كانت الكفارة مرتبة، وكان المظاهر كأنه قد قتل نفسه بقتل

المظاهر عنها كما مضى، فكان مفتقرا إلى ما يحيى نفسه فشرع له العتق الذى هو كالإحياء، شرع له عند العجز عنه ما يميت نفسه التى إماتتها له

إحيائها، وكان الشهران نصف المدة التى ينفخ فيها الروح، فكان صومها كنصف قتل النفس التى قتلها إحياء الروح وإنعاش العقل، فكان كأنه

١٠ إماتتها^٢ فجعله سبحانه بدلا عن القتل الذى هو كالإحياء فقال : (فن لم يجد)

أى الرقبة المأمورها بأن كان فقيرا، فان كان غنيا وماله غائب فهو

واجد (فصيام) أى فعله صيام (شهرين) . ولما كان المراد كسر

النفس كما مضى، وكانت المتابعة أنكا ولذلك سمي رمضان شهر الصبر،

قيد بقوله : (متتابعين) أى على أكمل وجوه التابع على حسب

١٥ الإمكان بما أشار إليه الإظهار، فلو قطع التابع بشيء ما ولو كان بنسيان النية

وجب عليه الاستئناف والإغماء لا يقطع التابع لأنه ليس فى الوسع وكذا

الإفطار ببيض أو نفاس أو جنون بخلاف الإفطار بسفر أو مرض^٣ أو خوف^٤

(١) زيد فى الأصل : به، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لغذناها (٢) من ظ و م،

وفى الأصل : الذى (٣) من ظ و م، وفى الأصل : إماتتها (٤) من م، وفى

الأصل و ط : ان (٥) زيد فى الأصل : شهر رمضان (٦) من ظ و م، وفى

الأصل : كذلك (٧-٧) من ظ و م، وفى الأصل : خوف أو مرض أو خوف .

على حمل أو رضيع لأن الحيض معلوم فهو مستثنى شرعاً، وغيره مغيب
[للعقل - ١] مزيل للتكليف، وأما المرهن ونحوه ففيه تعمد الإنظار
مع وجود العقل.

• ولما كان الإمساك من المسيس قد يكون أوسع من الشهرين،

أدخل الجار فقال: (من قبل) وحل المصدر إفادة^٢ لمن يكون ه
بعد المظاهرة فقال: (ان يتأما) فان جامع ليلا عصى ولم يقطع
التابع. ولما كان إطعام نفس قوت نصف يوم كاماتة نفسه بالصيام

يوماً قال تعالى /: (فمن لم يستطع) أى يقدر على الصيام قدرة تامة -

٢٣٨ /

بما أشار إليه إظهار التألم لمرض أو شقي مفرط يهيج^٣ الصوم

(فإطعام) أى فعلية إطعام (ستين مسكيناً) لكل مسكين ما يقوته ١٠

نصف يوم، وهو مد يد النبي صلى الله عليه وسلم وذلك نحو نصف

قدح بالمصرى، وهو ملء حفتين بكفى معتدل الخلق من غالب قوت

البلد، وهو كما فى الفطرة سواء، وحذف قيد المهاسة لذكره فى الأولين،

ولعل الحكمة فى تخصيص هذا به أن ذكره فى أول الخصال لا بد منه،

وإعادته فى الثانى لطول مدته فالصبر عنه فيها مشقة، وهذا يمكن أن ١٥

يفعل فى لحظة لطيفة لا مشقة للصبر فيها عن المهاسة، هذا إذا عاد، فان

وصل الظهر بالطلاق أو مات أحدهما فى الحال قبل إمكان الطلاق فلا

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: إعادة (٣) من م. وفى

الأصل و ظ : وجهه (٤) من م، وفى الأصل و ظ : الحلقة (٥) من ظ و م،

وفى الأصل : اعتاقه (٦) فى ظ : فيه.

كفارة، قاله البغوي^١؛ لأن العود^٢ في القول^٣ هو المخالفة، وفسر ابن عباس رضي الله عنهما العود بالندم فقال: يندمون و يرجعون إلى الآلة، وهذا يدل على ما قال الشافعي رضي الله عنه: فان ظاهر [عن - ٢] الرحمة انعقد ظاهره^٤ فان راجعها لزمته الكفارة لأن الرحمة عود.

٥ ولما فذكر الحكم، بين علته ترغيبا فيه فقال: ﴿ذلك﴾ أي الترخيص العظيم لكم و الرقيو بكم و البيان الشافي^٥ من أمر^٦ الله الذي هو موافق للحيفية السمحة ملة إبراهيم عليه الصلاة و السلام كان ﴿لتؤمنوا﴾ [أي - ١] وهذا الفعل العظيم الشاق ليتجدد إيمانكم و يتحقق وجوده ﴿بالله﴾ أي الملك الذي لا أمر لاحد معه فطيعوه بالانسلاخ من فعل الجاهلية ﴿و رسوله﴾ الذي تعظيمه من تعظيمه و قد بعث بملة [أي - ١] إبراهيم عليهما الصلاة و السلام، فلو ترك هذا الحكم الشديد على ما كان عليه في الجاهلية لكان مشككا في البعث بتلك الملة السمحة. ولما رغب في هذا الحكم، رهب من التهاون به فقال: ﴿وتلك﴾ أي هذه الأفعال المذكية و كل ما سلف من أمثالها في هذا الكتاب ١٥ الأعظم ﴿حدود الله﴾ أي أوامر الملك الأعظم و نواهيه و أحكامه التي يجب امتثالها و التقيد بها لترعى حق رعايتها فالتزموها^٧ و قفوا

(١) راجع العالم بهامش الباب ٧ / ٣٨ (٢ - ٢) في العالم: للقول (٣) زيد من العالم (٤) من ظ و م، وفي الأصل: ظاهرة (٥ - ٥) من ظ و م، وفي الأصل: لأمر (٦) زيد من ظ و م (٧) زبيت الواو في الأصل ولم تكن في ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م، وفي الأصل: احكامها (٩) من ظ و م، وفي الأصل: فالتزموا.

عندها ولا تعدوها^١ فإنه لا يطاق انتقامه إذا تعدى نقضه لو^٢ إرادته .
ولا كانت التقدير^٣ ظلمومتين بها جنات للنعيم عطف عليه قوله
(وللكافرين) لمى للعريقين في الكفر [بها -] أو بشئ من شرائه
(عذاب لهم) بما آلموا المؤمنين به من الأعتداء .

ولم ذكر حدوده، و لوح بالمطف على غير معطوف عليه إلى ٥
بشارة حافظها، وصرح بتهديد متجاوزها أتبع ذلك تفصيل عقابهم
الذي منه بشارة المؤمنين بالنصر عليهم، فقال مؤكدا لأجل إنكارهم لأن
يغلبوا على كثرتهم وقوتهم وضعف حزبه، وقلتهم: (إن الذين يحاذون الله)
أى يغالبون الملك الأعلى على حدوده ليجعلوا حدودا غيرها، وذلك
صورته صورة العداوة، مجددين ذلك مستمرين عليه بأى محادة [كانت -] ١٠
ولو كانت / خفية^٤ - بما أشار إليه الإدغام كمحادة أهل الاتحاد الذين
يتبعون المتشابه فيجرونها^٥ على ظاهره فيخلون^٦ به المحكم لتخل الشريعة
بأسرها، فإن كثيرا من السورة^٧ نزل في المناقنين واليهود والمهادنين
كما يأتي في النجوى وغيرها (ورسوله) الذي عزه من عزه^٨ (كتبوا)
أى صرعوا وكبوا لوجوههم وكسروا وأذلوا^٩ وأخزوا فلم يظفروا ١٥

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : ولا تعدوها (٢) من ظ و م ، وفي الأصل
» و (٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : حزبهم به (٥) من ظ
و م ، وفي الأصل : حقيقة (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : بمحادة (٧) من
ظ و م ، وفي الأصل : فيجرون (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : فيجعلون .
(٩) من م ، وفي الأصل و ظ : السور (١٠) من ظ و م ، وفي الأصل :
عزده (١١) من ظ و م ، وفي الأصل : أزلوا - كذا .

ورموا بنظهم في [كل - ١] أمر يروونه من أي كلمت^١ كان بلأيسر
 أمر^٢ وأسهل^٣، و عبر بالماضي إشارة إلى تحقق وقوعه و الفراغ من قضائه
 كما فرغ مما مضى، فلذا قال لتكون الدعوى مقرونة بدليلها^٤
 (كما كتبت الذين) ولما كان المحادون لم يستغفروا جميع^٥ الأزمان
 الماضية^٦، والإماكن، أدخل الجارية فقال: (من قبلهم) أي المحادين
 كقوم نوح ومن بعدهم ممن أصر على العصيان، ولم ينقد لدليل
 ولا برهان، قال القشيري: ومن ضيع لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 سنة وأحدث في دينه بدعة انحرف في هذا السلك، ووقع في
 هذا الذل.

١٠ ولما استوفى المقام حظه بيانا وترغيا وترهيا، عطف على أول
 السورة أو^١ على ما يقدر من نحو: فقد كان لكم فيما مضى من أوله
 الإسلام إلى هذا الأوان بما يدل على كونه سبحانه بالنصر والمعونة مع
 نبيه صلى الله عليه وسلم وأتباعه رضى الله عنهم معتبر، قوله: (وقد أنزلنا)
 [أى - ١] بما لنا من العظمة عليكم وعلى من قبلكم (أنت بينت)
 ٥ أى دلالات عظيمة هي في غاية البيان لذلك ولكل ما يتوقف عليه
 الإيمان بترك المحادة ويحصل الإذعان. ولما كان التقدير: فلبؤمين بها
 نعيم مقيم في مقام أمين^٢، عطف عليه قوله: (وللكافرين) [أى - ١]
 (١) زيد من ظ وم (٢) من ظ وم، وفي الأصل: لمصر (٣ - ٣) من ظ
 وم، وفي الأصل: بامره بأسه (٤ - ٤) من م، وفي الأصل: الزمان الذي
 مضى، وفي ظ: الأزمان الذي مضى (٥) زيد في ظ وم: من (٦) من ظ
 وم، وفي الأصل: «و» (٧) من ظ وم، وفي الأصل: آمين.

الراشقين في الكفر بها وتغيرها من أمر الله ﴿عذاب مهين﴾ بما تكبروا
واغتروا على أولياء الله وشرائعه، يهينهم^١ ذلك العذاب و يذهب عزهم
وشماختهم و يتركون به محادثتهم .

و لما ذكر عذابهم ، [ذكر -^٢] وقته على وجه مقرر لما مضى من
شمول علمه و كمال قدرته فقال : ﴿ يوم يبعثهم الله ﴾ أى يكون ذلك في م
وقت إعادة الملك الأعظم للكافرين المصرح بهم و المؤمنين المشار إليهم
أحياء كما كانوا ﴿ جميعا ﴾^٣ في حال كونهم مجتمعين في البعث . و لما
كان لا أوجع من التبكيت بحضرة بعض^٤ الناس فكيف إذا كان بحضرتهم
كلهم فكيف إذا كان برأى من جميع الخلائق و مسمع . سبب عن
ذلك و عقب قوله : ﴿ فينبئهم ﴾ [أى -^٥] يخبرهم إخبارا عظيما مستقصى ١٠
﴿ بما عملوا^٦ ﴾ إخبارا لهم و إقامة للحجة عليهم .

و لما كان ضبط ذلك أمرا عظيما ، استأنف قوله بيانا لهوائه عليه :
﴿ احصاه الله ﴾ أى أحاط به عددا كما وكيفا وزمانا و مكاتا بما له من
صفات الجلال و الجمال . و لما ذكر إحصاءه له ، فكان ربما ظن أنه^٧
ما يمكن في العادة إحصاؤه ، نفى ذلك بقوله : ﴿ ونسوه ﴾^٨ أى كلهم مجتمعين ١٥
لخروجه عن الحد في الكثرة فكيف بكل واحد على انفراده و نسوا
ما فيه من المعاصي تهاونا بها . و ذلك عين التهاون بالله و الاجترار عليه ،

(١) من ظوم ، و فى الأصل : لهم - كذا (٢) زيد من م (٣) زيد فى الأصل
أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٤) سقط من م (٥) زيد من ظ
و م (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : يظن انما .

قال القشيري: إذا حوسب احد^١ في / القيامة على عمل عمله تصور^٢ له ما فعله ثم يذكر حتى كأنه في تلك الحالة قام من بساط الزلة فيقع عليه من الخجل و الندم ما ينسى في جنبه كل عقوبة ، فسيل المسلم أن لا يخالف أمر مولاه^٣ ولا يحوم حول مخالفة أمره^٤ ، فان جرى المقدور . وقع في هجنة التقصير فليكن من زلته على بال ، وليتضرع إلى الله بحسن الابتهاال .

ولما كان التقدير بما أرشد إليه العطف على غير مذكور : فالله بكل شيء من ذلك و غيره علیم ، عطف عليه قوله : (والله) أى بما له من القدرة الشاملة و العلم المحيط (على كل شيء) على الإطلاق ١٠ من غير شئوية اصلا (شهيد) أى حفيظ حاضر لا يغيب ، و رقيب لا يغفل ، حفظه له و رقبه و حضوره إياه مستعل عليه قاهر له باحاطة قهره بكل شيء ليتمكن حفظه له على آتم وجهه يريده .

و قال الإمام أبو جعفر [ابن - ١] الزبير : لما نزه سبحانه نفسه عن تقول الملحدين ، و اعلم ان العالم بأسره ينزهه عن ذلك بالسنة أحوالهم ١٥ لشهادة العوالم^٢ على أنفسها^٣ بافتقارها لحكيم أوجدها ، لا يمكن [أن - ١] يشبه شيئا منها بل ينزه^٤ من أوصافها و يتقدس^٥ عن سماتها ، فقال

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : اخذ (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : نور - كذا (٣-٣) -قط ما بين الرقین من م (٤) م : امر مولاه (٥) من م ، وفي الأصل و ظ : مستقل (٦) زيد من م (٧-٧) من ظ و م ، وفي الأصل : بانفسها (٨) زيد من ظ و م (٩) من ظ و م ، وفي الأصل : تنزل . (١٠) من ظ و م ، وفي الأصل : قدس .

”سبح لله ما في السموات والارض“ ومضت اى تعرف بعظيم سلطانه
وعلى ملكه، ثم انصرف الخطاب إلى عباده في قوله ”امنوا بالله ورسوله“
إلى ما بعد ذلك من الآى، وكان ذلك ضرب من الالتفات، والواقع
[هنا -'] منه أشبه بقوله سبحانه في سورة البقرة ”واذ قال ربك للشيكة“
فانه بعد تفصيل حال المتقين وحال من جعل^٢ في طرف منهم وحال ه
من يشبه بظاهره بالمتقين وهو معدود في شرار الكافرين، فلما تم هذا
النمط عدل بعده إلى دعاء الخلق إلى عادة الله وتوحيده ”يا أيها الناس
اعبدوا ربكم“ ثم عدل بالكلام جملة و صرف الخطاب إلى تعريف نبيه
عليه الصلاة والسلام بين أيدي الخلق ”واذ قال ربك للشيكة إني جاعل
في الارض خليفة“ فجاء ضربا من الالتفات فكذا^٣ الواقع هنا بين ١٠
سبحانه حال مشركى العرب وقبح عنادهم^٤ وقرعهم ووبخهم في عدة
سور غالب آيها جار على ذلك^٥ ومجدد له أولها^٦ سورة دص، كما نبه عليه
في سورة القمر، وإلى الغاية التى ذكرت فيها إلى أن وردت سورة
القمر منبئة بقطع دابرهم، وانجر فيها^٧ الإعداد المنبهة^٨ عليه وكذا في سورة
الرحمن بعدها، ثم أعقب ذلك بالتعريف بحال النزل الآخر اوى في سورة ١٥
الواقعة مع زيادة تقريص وتوبيخ على مرتكبات استدعت تسديحه
تعالى وتقدسه عن شنيع قرائتهم فأتبعت بسورة الحديد^٩، ثم صرف فيها

(١) زيد من م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: حصل (٣) من ظ و م، وفى
الأصل: فكذا (٤) من ظ و م، وفى الأصل: عناده (هـ - هـ) من ظ و م،
وفى الأصل: بحمد الله أوله - كذا (٦ - ٦) من م، وفى الأصل وظ:
الاعداد المنبهة (٧) من م، وفى الأصل وظ: سورة.

الخطاب إلى المؤمنين، واستمر ذلك إلى آخر السورة، جرت سورة المجادلة على هذا القصد مصروفاً خطابها إلى نازلة تشوفه المؤمنين إلى تعرف حكمها، وهو الظهار المبين أمره فيها، فلم يعد في الكلام بعد كما كان قد صرف إليه في قوله "امنوا بالله ورسوله" بأكثر من ٥. التعرض لبيان حكم يقع منهم، ثم أن السور الواردة بعد إلى آخر الكتاب استمر معظمها على هذا الغرض لانقضاء ما قصد من التعريف بأخبار القرون / السالفة و الأمم الماضية، وتقريع من عاند و تويخه، وذكر مثال الخلق واستقرارهم الآخراوى، وذكر تفاصيل التكاليف والجزاء عليها من الثواب والعقاب، وما به استقامة من استجاب ١٠. و آمن^٢ وما يجب أن يلتزمه على درجات التكاليف وتأكيدها، فلما كمل ذلك صرف الكلام إلى ما يخص المؤمنين في أحكامهم وتعريفهم بما فيه من خلاصهم، فمعظم آى سورة بعد هذا شأنها، وإن اتجر غيرها فلا استدعاء موجب وهو الأقل كما بينا - انتهى .

/ ٢٤١

ولما كان هذا الإخبار عن إحاطة علمه و شمول قدرته مع أنه ١٥ بديهي التصور - يحتاج عند من جره الهوى إلى الشرك المقتضى للنقص إلى دليل [معه -^٦] فقد كان العرب يشكرون أن يسع الناس كلهم إله

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : مصروف (٢) زيد في الأصل : معظم، ولم تكن الزيادة في ظ و م لخذفها (٣ - ٢) من ظ و م ، وفي الأصل : المحبات - كذا (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : ولما (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : تقرعهم (٦) زيد من ظ .

واحد، قال تعالى دالا على ذلك بدليل شهيدى ليقيد الإنسان بما يراه
 من المحسوسات، قاصرا الخطاب على أعلى الخلق إشارة إلى أنه لا يفهم
 ذلك حق فهمه^١ غيره: (الم تر) أى تعلم علما هو فى وضوحه
 كالرقية بالعين (إن الله) أى الذى له صفات الكمال كلها
 (يعلم ما فى السموات) كلها، ولما كان الخطاب لأعلى الخلق، وكان
 المقام لإحاطة العلم، وكان خطابه صلى الله عليه وسلم بذلك إشارة للسامعين
 إلى وعورة هذا المقام وأنه بحيث لا يكاد يتصوره ولا يفهمه حق فهمه
 إلا هو صلى الله عليه وسلم ومن ألحق به ممن صفا فهمه وسوى ذهنه
 وانخلع من الهوى والعوائق، جمع وأكد بإعادة الموصول، فأفراده
 صلى الله عليه وسلم بالخطاب بعد أن كان مع المظاهر ثم المجازين ١٠
 إشارة إلى التعظيم وتأكيده تنبيه على صعوبة المقام بالتعميم ليرعى حق
 الرعى توفية بحق التعليم^٢ كما رعته الصديقة أم المؤمنين عائشة رضى الله
 عنها فى قولها "سبحان من وسع^٣ سمعه الأصوات"^٤ "يعنى فى سمعه"^٥
 مجادلة المرأة وهو فى غاية الخفاء فقال تعالى: (وما فى الأرض) أى
 كليات ذلك وجزئياته، لا يغيب عنه شيء منه، بدليل أن تدبيره محيط ١٥
 بذلك على أتم ما يكون، وهو يخبر من يشاء من أنبيائه وأصفيائه
 بما يشاء من أخبار ذلك، القاصية والدانية، الحاضرة والغائبة، الماضية
 (١) من م، وفى الأصل وظ: علمه (٢) من م، وفى الأصل وظ: التعظيم،
 (٣) من م، وفى الأصل وظ: سمع (٤) مضى فى أوائل هذه السورة.
 (٥) من ظ وم، وفى الأصل وظ: سمعه.

و الآتية - فيكون كما أخبر .

و لما كان ذلك وإن كان معلوماً يتعذر إحاطة الإنسان بكل جزئ^١
 منه دل عليه بما هو أقرب^٢ [منه - ١] فقال : (ما تكون) بالفوقاية
 في قراءة أبي جعفر^٣ لتأنيث النجوى إشارة إلى العلم بها ولو ضمنت^٤
 إلى أعظم حد ، وقرأ الباقون بالتحتانية للحائل ، ولأن التأنيث غير
 حقيق ، وهي على كل حال من كان ، التامة ، وعمم التثنية بقوله :
 (من نجوى) أى تناجى متناجين ، جعلوا نجوى مبالغة ، و النجوى :
 السر والمسارون ، اسم و مصدر - قاله في القاموس ، وقال عبد الحق في
 الواعى : النجوى / الكلام بين الاثنين كالسر والتشاور - انتهى . [و - ٢]
 ١٠ أصله من النجوى - للارتفاع من الأرض ، و النجوى : الخلو والقطع
 وكشط الجلد والحدث والكشف ، لأن المسارير يرفع ما كان في ضميره
 إلى صاحبه ويخلصه بمساررتها له ويقطعه من ضميره ويكشفه منه
 ويحدثه ويكشفه .

و لما كانت النجوى لا تكمل إلا بثالث^٥ يحفظ الأنس بادامة الاجتماع
 ١٥ لأن الاثنين ينفردان عند عروض حاجة لأحدهما ويكونان [فى - ٢]
 التناجى والتشاور كالمتنازعين ، والثالث^٦ وسط بينهما^٧ مع أنه سبحانه

(١) من م ، وفى الأصل و ظ : جزء (٢) زيد من ظ و م (٣) راجع نثر
 المرجان ٢٤٤/٧ (٤) زيد فى الأصل و ظ : بها ، ولم تكن الزيادة فى م لحدفاها .
 (٥) من م ، وفى الأصل و ظ : الارتفاع (٦) فى ظ : بثلاث (٧ - ٧) من ظ و م ،
 وفى الأصل : بينهما و - ط .

وثر يجب الوفاء والثلاثة أول أوتار الغدلة، كما كان حافظاً لها في أول
الازل قال: ﴿ثلاثة﴾ أى في حلال من الأحوال ﴿الا هو رابعهم﴾
إلى مصيرهم أربعة، فهو اسم فاعل والمغنى يعلبه وقدرته كما يكون كل
مغنى المتناجين عالماً بنجوى البيض، فروح النجوى العلم بالسري.

ولما كان الثلاثة قد يريد أحدهم أن يفرد بآخر منهم، فيصير
الثالث وحده، فاذا كانوا أربعة دام الأنس بينهم ثم لا يكمل إلا بخامس
يحفظ الاجتماع إذا عرضت لاحد الاثنين حاجة قال: ﴿ولا خمسة﴾
أى من نجواهم ﴿الا هو سادسهم﴾ كذلك، فالحاصل أنه ما يكون
من وز إلا كان هو سبحانه شافع وترته، وأما وترته [هو - ١]
سبحانه فقد كانت ولا شيء معها أصلاً، وستكون ولا حى معها، فلا وتر ١٠
في الوجود على الحقيقة غيره.

ولما علم بالتكرير أن ما ذكر على سبيل المثال لا لمغنى يخصه من
جهة العلم، عم بقوله: ﴿ولا ادنى﴾ فبدأ بالقليل لأنه قبل الكثير
و[هو - ١] أخفى منه ﴿من ذلك﴾ أى الذى ذكر وهو الواحد
والاثنان والأربعة الذى بعيد عن رتبته وإن كان قد شرفه سبحانه ١٥
باطلاق معيته بعد أن لانسبة له منها.

ولما كان العلم بالكثير أعسر من أجل انتشاره [قال - ٦]:

(١) من ظ و م، وفي الأصل: جماعة (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م،
وفي الأصل: على (٤) زيد في الأصل: النفى، ولم تكن الزيادة في ظ و م
لخذنها (٥) من ظ و م، وفي الأصل: التكثير (٦) زيد ولا بد منه.

(وَلَا) أى يكون من نجوى (أكثر) أى من ذلك كالسنة فما فوقها لا إلى نهاية - هذا التقدير على قراءة الجماعة بالجور بفتحة الواو ورفع يعقوب على محل من «نجوى» (ألا هو معهم) أى يعلم ما يجرى منهم وبينهم، ويلزم من إحاطة علمه بإحاطة قدرته كما تقدم في طه ٥ لتكمل شهادته .

ولما كان الغموم في المكان يستلزم [العموم - ٢] في الزمان، وكان المكان أظهر في الخس قال: (أين ما) أى في مكان (كأنوا) فانه لا مسافة بينه وبين شيء من الأشياء لانه الذى خلق المسافة، وعلمه بالأشياء ليس لقرب مكان حتى يتفاوت باختلاف الامكنة ولا بسبب ١٠ من الأسباب غير وجوده على ما هو عليه من صفات الكمال، قال الرازى: ما فارق الاكوان الحق ولا قارنها، كيف يفارقها وهو موجودها وحافظها ومظهرها، وكيف يقارن؛ الحدث القدم وهو به قوام الكل، وهو القيوم على الكل - انتهى . والحاصل أنه سبحانه لا يخفى عليه شيء من العالم وإن بلغ في دقة إلى ما لا ينقسم . وهو شاهد ١٥ لذلك كله حفظا وعلمًا وإحاطة وحضورًا، وآية ذلك في خلقه أن

جمله الجسم^١ يحيى / بالروح، فلا يبقى جزء منه إلا وهو محفوظ بالروح / ٢٤٣

(١) من ظ و م، وفي الأصل: بفتح (٢) راجع نثر المرجان ٧ / ٢٤٥ (٣) زيد ولا بد منه (٤) م، وفي الأصل و ظ: يفارق (٥) من ظ و م. وفي الأصل: ليس (٦) في الأصل: الا - كذا (٧) من ظ و م، وفي الأصل: الاسم .

يخس بسببها^١ وهو سبحانه لا يحجب عنه ولا شيء من صفاته حجاب .
 قد صحت المعبية وهو بحيث لا يحويه المكان ولا يحصره^٢ العدد ، يقبض
 المخلوق ويسطه ، لا يصعد المخلوق ولا صفته ولا فعله ولا معنى من معانيه
 إلى صفة من صفاته ، إنما له من المكان المكافة ، ومن العلم العلا ، ومن
 الأسماء والصفات متقاضا - أشار إلى ذلك ابن برجان وقال : ومن ه
 تدبر ما قرأه وتفهم ما تعلمه أدرك من التحقيق ما يحسن بسبيل تبيانه
 ما قدر له ، ألا ترى إلى الجن أين مكانهم وإن كانوا موصوفين به ثم
 الملائكة^٣ أرفع قدرا ومكانة ، بل إن الروح من جميع الجملة التي تحملها ،
 به حيث وبه تديرها وبه قيامها بأذن الله خالقه ، قال عليه الصلاة
 والسلام في خطبته الكبرى وهي آخر خطبة خطبها أخرجها الحارث ١٠
 ابن أبي أسامة : رقي المنبر وقال : أيها الناس ادنوا وأوسعوا لمن خلفكم
 - ثلاث مرات ، فدنى الناس وانضم بعضهم إلى بعض ، والتفتوا فلم يروا
 أحدا ، فقال رجل منهم بعد الثالثة : لمن نوسع^٤ يا رسول الله الملائكة^٥ ؟
 فقال^٦ : لا إنهم إذ كانوا معكم لم يكونوا بين أيديكم [ولا من خلفكم -^٧]
 ولكن عن أيمنكم وعن شمائلكم ، [وعلى ذلك -^٨] فليسوا في مكان ١٥

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : نشيها (٢) من ظ و م ، وفي الأصل :
 لا يحصر (٣) من م ، وفي الأصل و ظ : ملائكة (٤) من ظ و م ، وفي
 الأصل : وفي (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : أوسع (٦) ومن هنا انقطعت
 نسخة م إلى ما سنبه عليه (٧) زيد في الأصل : الا ، ولم تكن الزيادة في ظ
 فخذفناها (٨) زيد من ظ .

الآيمان' هنا و الشئانل بل فى المكان' من ذلك ، فالله جل جلاله أعلى
و أجل و أنزه مكانة و أكرم استواء - انتهى .

و لما كان الإنسان نساء و لاسيما إنديمادى [به - ٢] الزمان ، قال
عاطفا على ما تقديره: فيضبط' عليهم حركاتهم و سكناتهم من أقوالهم
و أفعالهم و أحوالهم ، و يحفظها على طول الزمان كما كان حافظا' لها
قبل خلقها ثم أزل الأزل (ثم ينبتهم) أى يخبر أصحابها لإخبارا عظيما
(بما عملوا) دقيقة و جليلة (يوم القيمة) الذى هو المراد الأعظم
من الوجود لإظهار الصفات العلى فيه' آثم إظهار . و لما أخبر تعالى بهذا
الامر العظيم ، علله بما هو دليل على الشهادة فقال مؤكدا لما لهم [من
الإنكار - ٢] قولا أو فعلا بالاشتراك الذى [يلزم - ٢] منه النقص
(ان الله) أى الذى له الكمال كله . و لما كان المقام للابلاغ فى
إحاطة العلم ، قدم الجار كما مضت الإشارة إليه غير مرة قال: (بكل شئ)
بما ذكر و غيره (عليهم) أى بالغ العلم فهو على كل شئ قدير ، فهو
على كل شئ شهيد ، لأن نسبة ذاته الأقدس إلى الأشياء كلها على حد
١٥ سواء لا فرق أصلا بين شئ و آخر ، قال القشيري: معية الحق سبحانه
و إن كانت على العموم بالعلم و الرؤية' و على الخصوص بالفضل و النصرة ،
فلهذا الخطاب فى قلوب أهل المعرفة أثر عظيم إلى أن ينتهى الامر بهم

(١) تكرر فى الأصل فقط (٢) من ظ ، و فى الأصل: المكانة (٣) زيد من
ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل: فيفضه (٥) من ظ ، و فى الأصل: حافظ
(٦) من ظ ، و فى الأصل: فيها (٧) من ظ ، و فى الأصل: التروية .

إلى التأويل، فلوله والهيان في خمار سماع هذا عين رعد .

ولما كان هذا الدليل [أيضا-١] تتعذر الإحاطة^٢ به، قال دالا

عليه بامر^٣ جزئي واقع بلم المحدث عنه حقيقة، فان عاند بعده سقط عنه^٤

الكلام إلا بجد الحسام: (المتر) أي تعلم علما هو كالرؤية، ودل

على سفول رتبة المرتى بإبعاده عن أعلى الناس قدرا يحرف الغاية فقال: هـ

(إلى الذين) ولما كان العاقل من إذا زجر عن شيء انزجر حتى يتبين

له أنه لا ضرر عليه في فعل ما زجر عنه، [عبر-١] / بالبناء للفعل فقال: ٢٤٤/

(نهوا) أي من ناه ما^٥ لا ينبغي للنهي مخالفته حتى يعلم أنه مأمون الغائلة

(عن التجوى) أي^٦ الإسرار لإحلال أنفسهم بذلك في محل التهمة

بما لا يرضى [من-١] رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما قال ١٠

أبو العلاء المعري:

والخل كلامه يبدى لي ضمائره^٧ مع الصفاء ويخفيها من الكدر^٨

ولما كان الناهي هو الله، فكان هذا للنهي أهلا لأن يبعد منه غاية

البعد، عبر بأداة التراخي فقال: (ثم يعودون) أي على سبيل الاستمرار

لأنه إذا وقعت مرة بادروا إلى التوبة منها أو فلتة وقعت معفوا عنها ١٥

(لما نهوا عنه) أي من غير أن يعدوا لما يتوقع من جهة الناهي من

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفي الأصل: لاحاطة (٣) من ظ، وفي الأصل:

بامري (٤) في ظ: عند (٥) في الأصل و ظ: بما (٦) في الأصل و ظ: عن .

(٧) من ظ، وفي الأصل: ضمائر (٨) من ظ، وفي الأصل: الكدر .

(٩) سقط من ظ .

الضرر عدة ﴿ ويتنجون ﴾ أى يقبل جميعهم على المناجاة إقبالا واحداً،
 فيفعل كل منهم ما يفعله الآخر مرة بعد أخرى على سبيل الاستمرار،
 وقراءة حمزة^١ « ويتنجون » بصيغة الاقتعال يدل على التعمد والمعاينة
 ﴿ بالاثم ﴾ [أى - ٢] بالشيء الذى يكتب عليهم به الإثم بالذنب
 ٥ وبالكذب وبما لا يحل^٢ . ولما ذكر المطلق أتبعه المقيد بالشدة فقال :
 ﴿ والعدوان ﴾ أى العدو الذى هو نهاية فى قصد الشر بالإفراط فى
 مجاوزة الحدود . ولما كان ذلك شراً فى نفسه أتبعه الإشارة إلى أن
 الشيء يتغير وصفه بالنسبة إلى من يفعل معه فيكبر بكبر المعصى فقال :
 ﴿ ومعصيت الرسول ﴾ أى الذى جاء إليهم من الملك الأعلى ، وهو
 ١٠ كامل الرسالية ، لكونه مرسلًا إلى جميع الخلق وفى كل الأزمان ، فلا نبى
 بعده ، فهو لذلك يستحق غاية الإكرام .

ولما أنهى "تعظيم الذنب" إلى غايته آذن بالغضب بأن لفت الكلام
 إلى الخطاب فقال : ﴿ واذا جاؤك ﴾ أيها الرسول^١ الاعظم الذى يأتيه
 الوحي من أرسله ولم يغب أصلا عنه لأنه المحيط علما وقدره ﴿ حيوك ﴾
 ١٥ أى واجهوك بما يعدونه تحية من قولهم : السام^٢ عليك ونحوه ، وعم
 كل لفظ بقوله : ﴿ بما لم يحيك به الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا أمر

(١) راجع ثر المرجان ٧ / ٢٤٦ (٢) زيد من ظ (٣) زيد فى الأصل : انتهى ،
 ولم تكن الزيادة فى ظ لغذناها (٤) من ظ ، وفى الأصل : محاوز .
 (٥-هـ) من ظ ، وفى الأصل : التعظيم (٦) زيد فى الأصل : العظيم ، ولم تكن
 الزيادة فى ظ لغذناها (٧) من ظ ، وفى الأصل : السلام .

لأحد معه فمن تجاوز ما شرعه فقد عرض نفسه لسخطه ، وما دخل فيه قول بعض الناس لبعض « صباح الخير » ونحوه معرضا عن السلام . ولما كان المشهور عنهم أنهم ' يخفون ذلك جهدهم و يعلنون بأملاء الله لهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يطلع عليه ، وإن اطلع عليه ' لم يقدر على أن ينتقم منهم ، عبر عن ذلك بقوله : ﴿ و يقولون ﴾ أي عند الاستدراج بالإملاء مجددين قولهم مواظبين عليه ﴿ في انفسهم ﴾ من غير أن يطلعوا عليه أحدا : ﴿ لولا ﴾ أي هلا ولم لا ﴿ يعذبنا الله ﴾ أي التي له الإحاطة بكل شيء على زعم من باهانا ﴿ بما نقول ﴾ مجددين مع المواظبة إن كان يكرهه - كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم .

ولما تضمن هذا عليه سبحانه و تعالى بهذه الجزئية من هؤلاء القوم ١٠

٢٤٥ / ثبت بذلك عليه سبحانه بجميع ما في الكون ، / لأن نسبة الكل إليه على حد سواء ، فإذا ثبت عليه البعض ثبت عليه بالكل [فثبت قدرته على الكل - ٢] فكان على كل شيء شهيدا ، [قال - ٢] مهددا لهم مشيرا ' إلى أنه لا ينبغي لأحد أن يقول مثل ' هذا إلا إن كان قاطعا بأنه لا يحصل له عذاب ، أو يحصل له منه ما لا يبالي به ثم يردده بقوته : ﴿ حسبهم ﴾ ١٥ أي كفايتهم في الانتقام منهم وفي عذابهم ورشقتهم بسهام لحيها و منكبي شررها و تصويب صواعقها ﴿ جهنم ج ﴾ أي الطبقة التي تلقاهم بالتجهم والعبوسة والتكره والفضاظة . فان حصل لهم في الدنيا عذاب كان

(١ - ١) في ظ : كانوا (٢) من ظ ، وفي الأصل : لا يقدر (٣) زيد من ظ .

(٤) ومن هنا استأنف نسخة م (٥) - سقط من ظ .

زيادة على الكفاية ، فاستعجلهم بالعذاب محض رغبة (يصلونها) أى
يقامون عذابها دائما فاني قد أعددتها لهم . ولما كان التثديرة فانهم
[يهنيرون - ١] إليهم لا يذ ، حسب عنه قوله : (فبئس المصيرة) أى
مصيرهم ، وسبب ذلك أن اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم
و ينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون^١ يوهمونهم أنهم يتناجون فيما بينهم
فيظنون أنه بلغهم شيء من إخوانهم الذين خرجوا في السرايا غزاة في
سبيل الله من قتل أو هزيمة فيحزنهم ذلك ، فشكوا [ذلك - ٢] إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فهاهم عن التناجي في هذه الحالة فلم
ينتهوا . [و - ٣] روى أحمد^٢ والبخاري والطبراني بإسناد - قال الهيثمي في
المجمع^٣ إنه جيد لأن حمادا سمع من عطاء بن السائب في حالة الصحة -
عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله
صلى الله عليه وسلم : سام عليك . ثم يقولون في أنفسهم : لو لا يعذبنا الله
بما نقول ، فزلت . و روى أبو يعلى عن أنس رضى الله عنه أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال عند ذلك : إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب
١٥ فقولوا ” و عليك “ .

ولما نهى عن التجوى و ذم على فعلها و توعده عليه فكان ذلك

(١) زيد من م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : ثم انهم (٣) زيد في الأصل :
حتى ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٤) زيد من ظ و م (٥) في ظ :
على (٦) راجع المسند ١٧٠/٢ (٧) راجع ١٢٢/٧ (٨) - فقط من ظ و م (٩) من
ظ و م والمجمع ، وفي الأصل : حال .

موضع انديظن أن النهى عام لكل مجوى وإن كانت بالخير، استأثفت قوله^١ مناديا بالأداة التي لا يكون ما بعدها له وقع عظيم، معبرا بأول أسنان^٢ الإيمان باقتضاء الحال له؛ ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أى ادعوا أتهم أوجدوا هذه الحقيقة ﴿إذا تاجيتم﴾ أى قلع كل منكم الكلام من نفسه فرفعه^٣، وكشفه لصاحبه سرا ﴿فلا تناجوا﴾ أى توجدوا هذه الحقيقة ظاهرة كنتاجي المنافقين ﴿بالأسم﴾ أى الذنب وكل فعل يكتب بسببه عقوبة. ولما عم خص فقال: ﴿والعدوان﴾ أى الذى هو العدو الشديد بما يؤذى وإن كان العادى يظن أنه لا يكتب عليه به إثم. ولما كان السياق لإجلال^٤ النبي صلى الله عليه وسلم مع أنه لا تعرف حقيقة الإثم إلا منه قال تعالى: ﴿ومعصيت الرسول﴾ أى الكامل فى ١٠ الرسالة^٥ فإن ذلك يشوش فكره فلا يدعه يبلغ رسالات ربه / وهو منشرح^٦ / ٢٤٦ / الصدر طيب النفس.

ولما علم أن نهيهم إنما هو عن شر يفسد ذات البين وهو ما لا يريدون إطلاع النبي صلى الله عليه وسلم [عليه -^٧]، صرح بقوله حثا على إصلاح ذات البين لأن خير الأمور ما عاد [بإصلاحها، وشر الأمور ما عاد -^٨] ١٥ بافسادها: ﴿وتناجوا بالبر﴾ أى بالخير الواسع الذى فيه [حسن -^٩]

(١-١) سقط ما بين الرهين من ظ (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : فرفعوا .
 (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : لاجل (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : الرسالة .
 (٥) فى ظ : مفتوح (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : يفيد (٧) زيد من م .
 (٨) زيد من ظ و م .

الترية . ولما كان ذلك قد يعمل طبعاً، حث على القصد الصالح بقوله:
(والتقوى) وهي ما يكون في نفسه ظاهراً أنه يكون سترة تقى من
عذاب الله بأن يكون مرضياً لله ولرسوله .

ولما كانت التقوى أم المحاسن ، أكسدها ونبه عليها بقوله:
هـ (واتقوا الله) أى اقصدوا قصدا يتبعه العمل أن تجعلوا بينكم وبين
سخط الملك الأعظم وقاية . ولما كانت ذكرى الآخرة هي مجمع المخاوف
ولاسيما فضائح الأسرار على رؤس الأشهاد قال: (الذى إليه) أى
خاصة (تخشرونه) أى تجمعون بأيسر أمر وأسهل بقهر وكره، وهو
يوم القيامة، فيتجلى فيه سبحانه للحكم بين الخلق والإنصاف بينهم بالعدل
١٠ ومحاسبتهم على النقيير والقطمير^٢ لا يخفى عليه خافية ولا تقي منه واقية
تنكشف فيه سرادقات^٤ العظمة، و يظهر [ظهوراً - °] تاماً نفوذ
الكلمة، ويتجلى في مجالى العز سطوات القهر، وتنبث^٦ لوامع الكبر،
فاذا فعلتم ذلك مستحضرين لذلك لم تقدموا على شيء تريدون إخفاءه من
النبي صلى الله عليه وسلم، فيكون ذلك أقر لعينه وأظهر لكم .

١٥ ولما شدد سبحانه في^٧ أمر النجوى^٥ وكان لا يفعلها إلا أهل النفاق،
فكان ربما ظن ظان أنه يحدث عنها ضرر لأهل الدين، قال سارا للخلصين

(١) من ظ و م، وفي الأصل: هو (٢) من ظ و م، وفي الأصل: ذكر .
(٣) زيد في الأصل: القليل، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٤) من
ظ و م، وفي الأصل: مرادوات (٥) زيد من ظ و م (٦) من م، وفي
الأصل و ظ: تثبت (٧-٧) من ظ و م، وفي الأصل: امرا .

[و-١] غاما للناقين، ومينا أن ضررها إنما يعود عليهم: ﴿انما النجوى﴾
 لى المعهودة وهى المهى عنها، وهى ما كرهه^٢ صاحبه أن يطلع^٣ بقلبه
 رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل: ما خيله الشيطان من الأحكام
 المكرومة للانسان ﴿من الشيطان﴾ أى مبتدئة^٤ من المحترق بطرده عن
 رحمة الله تعالى فانه الحامل عليها بتزيينها ففاعلها تابع لأعدى أعدائه ه
 مخالف لأوليائه .

ولما بين أنها منه، بين الحامل له على تزيينها فقال: ﴿ليحزن﴾
 أى الشيطان^٥ ليقع الحزن فى قلوب^٦ ﴿الذين آمنوا﴾ أى يتوهمهم أنها
 بسبب شىء وقع مما يؤذيه، والحزن: هم غليظ وتوجع يرق له القلب،
 حزنه وأحزنه بمعنى، وقال فى القاموس: أ. أحزنه: جعله حزينا، وحزنه: ١٠
 جعل فيه حزنا، فعلى هذا قراءة نافع^٧ من أحزن أشد فى المعنى من
 قراءة الجماعة .

ولما كان ربما خيل هذا من فى قلبه مرض أن فى يد الشيطان
 شيئا [من الأشيلة - ١]، سلب^٨ ذلك بقوله: ﴿وليس﴾ أى الشيطان
 وما حمل^٩ عليه من التاجى، / وأكّد النفى بالجار فقال: ﴿بضآرهم﴾ أى ١٥ / ٢٤٧

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: ذكره (٣) من ظ
 و م، وفى الأصل: يتطلع (٤) فى ظ و م: ممتدة (٥) سقط ما بين
 الرفين منهم (٦) راجع نثر المرجان ٢٥١ / ٧ (٧) من ظ و م، وفى الأصل:
 سبب عن (٧) من ظ و م، وفى الأصل: هو .

الذين آمنوا ﴿ شيئا ﴾ من الضرر وإن قل وإن حنى - بما أفهمه الإدغام
 ﴿ إلا باذن الله ﴾ أى تمكين الملك المحيط 'بكل شيء' علما وقدره ، روى
 الشيخان^١ عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبی صلى الله عليه وسلم قال:
 إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا باذنه فإن ذلك يحزنه .
 ٥ . ولما كان التقدير: فقد علم أنه لا يخشى أحد غير الله لأنه لا ينفذ إلا ما
 أرادہ ، فإياه فليخش المرءون ، عطف عليه قوله: ﴿ وعلى الله ﴾ أى
 الملك الذى لا كفوء له ، لا على أحد غيره ﴿ فليتوكل المؤمنون ٥ ﴾ أى
 الراسخون فى الإيمان فى جميع أمورهم . فانه القادر وحده على إصلاحها
 وإفسادها ، ولا يحزنوا من أحد أن يكيدهم بسره ولا بجهره ، فانهم إذا
 ١٠ . توكلوا عليه وفوضوا أمورهم^٢ إليه . لم يآذن فى حزنهم ، وإن لم يفعلوا
 أحزنهم ، وخص الراسخين لإمكان ذلك منهم فى العادة ، وأما أصحاب
 البدايات فلا يكون ذلك منهم إلا خرق عادة .

ولما ذكر ما يحزن من السر لكونه اختصاصا عن الجليس^٣ بالمقال
 فينشأ عنه ظن الكدر وتباعد القلوب ، أتبعه الاختصاص بالمجلس^٤ الذى
 ١٥ هو مباعدة الأجسام اللازم لها من الظن ما لزم من الاختصاص بالسر
 فى الكلام فينشأ عنه الحزن ، معلما لهم بكال رحمته وتماام رأفته بمراعاة

(١ - ١) سقط ما بين الرقین من ظ و م (٢) راجع صحيح البخارى ٢ / ٩٣١
 وصحيح مسلم ٢ / ٢١٩ (٣) من م ، وفى الأصل وظ : اسرهم (٤) من ظ و م ،
 وفى الأصل : الحس بالكلام و (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : بالجن .

حسن الأدب^١ بينهم وإن كان من أمور العادة دون أحكام العبادة،
 فقل مخاطبا لأهل الدرجة الدنيا في الإيمان لأنهم المحتاجون مثل هذا
 الأدب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ حدام بهذا الوصف على الامتثال
 ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ﴾ أى من أى قائل كان فإن الخير يرغب فيه لذاته:
 ﴿تَفْسَحُوا﴾ أى توسعوا^٢ أى كفوا أنفسكم في إيساع المواضع^٣
 ﴿فِي الْمَجْلِسِ﴾ أى الجلوس أو مكانه لأجل من يأتي فلا يجد مجلسا
 يجلس فيه، والمراد بالمجلس جنس المكان الذي هم ما نشئون به بجلوس^٤
 أو قيام في صلاة أو غيرهما لأنه أهل لأن يجلس فيه، وذلك في كل
 عصر، ومجلس النبي صلى الله عليه وسلم أولى بذلك، وقراءة عاصم^٥
 بالجمع موضحة لإرادة الجنس ﴿فَافْسَحُوا﴾ أى وسعوا فيه عن سعة^٦
 صدر ﴿يَفْسَحِ اللَّهُ﴾ أى الذي له الأمر كله والعظمة الكاملة ﴿لَكُمْ﴾
 في كل ما تكرهون ضيقه من الدارين.

ولما كانت^٧ التوسعة يكتفى فيها التزحزح مع دوام الجلوس تارة
 وأخرى تدعو الحاجة فيها إلى القيام للتحويل^٨ من مكان إلى آخر قال:
 ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ أى من قائل كان - كما مضى - إذا كان يريد الإصلاح^٩

(١) في ظ: الآداب (٢) من ظ و م، وفي الأصل: اتسعوا (٣) من ظ و م،
 وفي الأصل: جلس (٤) من ظ و م، وفي الأصل: في جلوس (٥) راجع
 نثر المرجان ٧ / ٢٥٣ (٦) من م، وفي الأصل و ظ: ضفة (٧) من ظ، وفي
 الأصل و م: كان (٨) من ظ و م، وفي الأصل: التحول (٩) من م، وفي
 الأصل و ظ: ان.

والخير ﴿أَنْشُرُوا﴾ أى ارتفعوا : انهضوا / إلى الموضع الذى تؤمرون به أو يقتضيه الحال للتوسعة أو غيرها من الأوامر كالصلاة أو الجهاد وغيرهما ﴿فَانشُرُوا﴾ [أى - ٢] فارتفعوا و انهضوا ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ﴾ الذى له جميع صفات الكمال ، عز بالجلالة وأعاد^٢ إظهارها موضع الضمير هـ ترغيباً فى الامتثال لما للنفس من الشح بما يخالف المألوف ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وإن كانوا غير علماء ﴿مَنْكُمْ﴾ أيها المأمورون بالنفسح السامعون للأوامر ، المبادرون إليها^٣ فى الدنيا والآخرة بالنصر وحسن الذكر بالتسكن فى وصف الإيمان الموجب لعلو الشأن بطاعتهم لرسوله صلى الله عليه وسلم فى سعة صدورهم بتوسعتهم لإخوانهم .

١٠ ولما كان المؤمن قد لا يكون^١ من المشهورين^٢ بالعلم قال : ﴿وَالَّذِينَ﴾ ولما كان العلم فى نفسه كافياً فى الإعلاء من غير نظر إلى مؤت معين ، بنى للفعول قوله : ﴿اوتوا العلم﴾ أى وهم مؤمنون ﴿درجت^٣﴾ درجة بامثال الأمر وأخرى بالإيمان ، و درجة بفضل علمهم وسابقتهم^٤ - روى الطبرانى^٥ وأبو نعيم فى كتاب العلم عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من جاءه أجله^٦ وهو يطلب العلم ليحيى ١٥

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : او (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : اراد (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : بالتوسع (٥) زيد فى الأصل : بالامثال ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م (٦ - ٦) من ظ و م ، وفى الأصل و م : مشهورا (٧) زيد فى الأصل : انتهى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فخذناها (٨) راجع مجمع الزوائد ١ / ١٢٣ (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : اخوه - كذا .

به الإسلام لم يفضلته النيون إلا بدرجة واحدة، رواه التازي^١ و ابن السني
 في رياضة المتعلمين عن الحسن غير منسوب، قال شيخنا: فقيل: هو البصري
 فيكون مرسلًا، وعن الويتر: العلم ذكر فلا يخفى^٢ إلا ذكور^٣ الرجال.
 وكلما كان الإنسان أعظم كان أذكراً، ولعله ترك التقييد به من في هذا
 وإن كانت مرادة^٤ ليفهم أن العلم يعلى صاحبه مطلقاً، فإن كان مؤمناً
 عاملاً بعليه كان النهاية، وإن كان عاصياً كان أرفع من مؤمن غاص
 و عار عن العلم، وإن كان كافراً كانت رفعة ذنوبه بالنسبة إلى كافر
 لا يعلم، ودل على ذلك بحتم الآية بقوله مرغبا مرهبا: ﴿ والله ﴾ أى والحال
 أن المحيط بكل شيء قدرة و علما ﴿ بما تعملون ﴾ أى حال الامر وغيره
 ﴿ خيره ﴾ أى عالم بظاهره و باطنه، فإن كان العلم مزيئنا بالعمل بامثال ١٠
 الأوامر واجتناب النواهي و تصفية الباطن^٥ كانت الرفعة على حسبه،
 وإن كان^٦ على غير ذلك فكذلك،^٧ و قدم الجار و مدخوله وإن كان
 عليه سبحانه بالأشياء كلها على حد سواء تنبها على مزيد الاعتناء بالأعمال^٨،
 لاسيما الباطنة من الإيمان و العلم اللذين هما الروح الأعظم، لأن المقام
 لنزول الإنسان عن مكانه^٩ بالتفسح و الانخفاض و الارتفاع، ولا يخفى ١٥

- (١) راجع السنن ص: ٥٥ (٢) من ظ و م، وفي الأصل: فلا يبيحه (٣) من ظ،
 وفي الأصل و م: ذكورة (٤) في ظ: أشد الرجال في الذكورة و انضلم
 (٥) من ظ و م، وفي الأصل: موافقة (٦) من ظ و م، وفي الأصل: البواطن.
 (٧) من ظ و م، وفي الأصل: كانت (٨ - ٨) تنقظ ما بين الرقن من ظ
 (٩) زيد بعده في الأصل: و مقامه، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها.

ما في ذلك من حظ النفس الحامل على الجرى مع الدسائس ، فكان جديرا
بمزيد الترهيب ، و سبب الآيه أن أهل العلم لما كانوا أحق بصدر المجلس
لأنهم أرعى لما يقول صاحب المجلس . كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول:
ليبنى أولو الاحلام منكم و النهى^١ . وكان صلى الله عليه وسلم يكرم أهل
بدر^٢ / من المهاجرين والانصار فجاء أناس من أهل بدر منهم ثابت بن
قيس بن شماس وقد سبق غيرهم إلى المجلس فقاموا حيال النبي صلى الله
عليه وسلم فقالوا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، فرد
عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم فقاموا
على أرجلهم ينتظرون أن يوسع^٣ لهم فلم يفعلوا فقال لمن حوله من
١٠ [غير -^٤] أهل بدر: قم يا فلان و أنت يا فلان ، فأقام من المجلس
بقدر القادمين من أهل بدر ، فشق ذلك على من أقيم ، وعرف النبي
صلى الله عليه وسلم الكراهية في وجوههم ، فقال المنافقون: أستم تزعمون
أن صاحبكم يعدل ، فوالله ما عدل على هؤلاء ، إن قوما أخذوا مجالسهم
و أحبوا القرب من نبيهم فأقامهم و اجلس من أبطأ عنه مكانهم ، فأنزله الله
١٥ هذه الآيه ، و كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : لا يقيم الرجل
[الرجل -^٥] من مجلسه ثم يجلس فيه ، و لكن افسحوا يفسح الله لكم .
رواه مسلم^٦ عن ابن عمر رضى الله عنهما ، و قال الحسن^٧ : بلغنى أن

(١) والحديث من الشهرة بحيث يغنيانا عن التعليق عليه (٢) راجع معالم التنزيل
بهاشم الباب ٧ / ٤٢ (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : يوسعوا (٤) زيد من
ظ و م (٥) في الصحيح ٢ / ٢١٧ (٦) ذكره البغوى عن الحسن وغيره في المعالم
بهاشم الباب ٧ / ٤٣ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قاتل المشركين فصف أصحابه
 رضى الله عنهم للقتال تشاحوا^١ على الصف الأول فيقول الرجل لإخوته:
 توسعوا لنلقى العدو فنصيب الشهادة، فلا يوسعون له رغبة منهم في الجهاد
 والشهادة، فأزل الله هذه الآية، وهى دالة على^٢ أن الصالح^٣ إن كره
 مجاورة فاسق منع من مجاورته لأنه يؤذيه ويشغله عن كثير من مهماته، ه
 وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا ضرر ولا ضرار، وقال: أعوذ
 بك من جار السوء في دار المقامة فإن جار البادية يتحول. وقال: شر
 الناس من لا يأمن جاره بوائقه، فقال: تعالى معظما لرسوله صلى الله عليه
 وسلم وناهيا عن إبرامه صلى الله عليه وسلم بالسؤال والمناجاة، ونافعا
 للفقراء والتميز^٤ بين المخلص والمتناق وحب الآخرة وحب الدنيا، ١٠
 ولما نهى عما يحزن من^٥ المقال والمقام^٦، وكان المنهى عنه من التناجى
 إنما هو لحفظ قلب الرسول صلى الله عليه وسلم عما يكدره فهو منصرف
 إلى مناجاتهم غيره، وكان ذلك مفهوما أن مناجاتهم له صلى الله عليه وسلم
 لا حرج فيها، وكان كثير منهم يتاجبه ولا قصد له إلا الترفع بمناجاته
 فأكثرُوا في ذلك حتى شق عليه صلى الله عليه وسلم، وكان النافع للإنسان ١٥
 إنما هو كلام من يلامه في الصفات ويشاكله في الأخلاق، وكان

(١) من م، وفي الأصل وظ: يصف (٢) من م، وفي الأصل وظ: فساحوا
 - كذا (٣-٤) من ظ وم، وفي الأصل: الصلح (٤) من م، وفي الأصل
 وظ: وقال (٥) من ظ وم، وفي الأصل: تميزا (٦-٧) من م، وفي
 الأصل وظ: المقام والمقال.

رسول الله صلى الله عليه وسلم أبعاد الناس من الدنيا تقذرا لها لأجل
بعض الله لها، أمر من أراد أن ينجيه بالتصدق ليكون ذلك^١ أمانة
على^٢ الاجتهاد^٣ في التخلق^٤ بأخلاقه الطاهرة من الصروف عن^٥ الدنيا
والإقبال على الله، ومظهرها له عظم سلف من الإقبال [عليها -^٦] فان
الهدية برهان على الصديق في الإيمان، وليخفف عنه صلى الله عليه وسلم
/ ٢٥٠ / ما كانوا قد أكثروا عليه من المناجاة، فلا ينجيه إلا من قد خلص^٧

إيمانه فيصدق، فيكون ذلك مقدمة لانتفاعه بتلك المناجاة [كما أن الهدية
تكون مهينة للقبول كما ورد: نعم الهدية أمام الحاجة، -^٨] فقال
تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي ادعوا أنهم أوجدوا هذه الحقيقة
١٠ أغنياء كانوا أو فقراء ﴿إذا ناجيتهم﴾ أي أردتم أن تناجوا ﴿الرسول﴾
صلى الله عليه وسلم أي الذي لا أكمل منه في الرسلية فهو أكمل الخلق
ووظيفته تقتضي أن يكون منه الكلام بما أرسله به الملك وتكون هيئته
مأمنة من ابتدائه بالكلام، فلا يكون من المبلغين إلا الفعل بالامتثال
لا غير ﴿فقدموا﴾ أي بسبب هذه الإرادة العالية^٩ على سبيل الوجوب
١٥ ومثل النجوى كشخص^{١٠} له يدان يحتاج أن يطهر نفسه ليتأهل للقرب
من الرسول صلى الله عليه وسلم [فقال -^{١١}] : ﴿بين يدي نجوكم﴾ أي

(١ - ١) من ظ و م ، وفي الأصل : إشارة الى (٢ - ٢) من ظ و م ، وفي
الأصل : بالتخلق (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : الى (٤) زيد من ظ و م
(٥) سقط من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : الرسالة (٧) من ظ
و م ، وفي الأصل : الغالبة (٨) في ظ : شخص .

قبل سرکم الذی تريدون أن ترتفعوا به ﴿ صدقة ﴾ تكون لكم^١ رهانا
 قاطعا على إخلاصكم كما ورد أن الصدقة زهان، فهي مصدقة لكم في
 دعوى الإيمان التي هي التصديق بالله تعالى ورسوله^٢ صلى الله عليه وسلم
 وبكل ما جاء به عن الله تعالى، ومعظمه الإعراض عن الدنيا والإقبال
 على الآخرة، ولذلك^٣ استأنف^٤ قوله: ﴿ ذلك ﴾ أي الخلق العالی جدا من
 تقديم التصديق قبل المناجاة يا خير الخلق، ولعله أفرد به الخطاب لآله
 لا يعلم كل ما فيه من الأسرار غيره. وعاد إلى الأول فقال: ﴿ خير لكم ﴾
 أي في دينكم من الإمساك عن الصدقة ﴿ واطهر ﴾ لأن الصدقة طهرة
 ونماء وزيادة في كل خير، ولذلك^٥ سميت زكاة "خذ من أموالهم صدقة
 تطهرهم وتزكهم بها" والتعبير بأفعل لأنهم مطهرون [قبله -^٦] بالإيمان . ١٠
 ولما أمر بذلك، وكانت عادته أن لا يكلف بما فوق الوسع
 للتخفيف على عباده لاسيما هذه الأمة قال: ﴿ فان لم تجدوا ﴾ أي ما
 تقدمونه .

ولما كان المعنى الكافي في التخفيف: فليس عليكم شيء، دل عليه
 بأحسن منه فقال: ﴿ فان الله ﴾ أي الذي له جميع صفات الكمال، وأكدته ١٥
 لاستبعاد مثله فان اليهود من الملك إذا أُرِمَ رعيته^٧ بشيء أنه لا يسقطه^٨

(١) من م، وفي الأصل و ظ: له (٢) من ظ و م، وفي الأصل: برسول
 الله (٣) من ظ و م، وفي الأصل: شبه ذلك (٤) زيد في الأصل: ذلك،
 ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٥) من ظ و م، وفي الأصل: كذلك.
 (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، وفي الأصل: رغبته (٨) من ظ
 و م، وفي الأصل: لا يسقط .

أصلاً ورأساً، ولا سيما إن كان يسيراً، ودل على أنه سبحانه لن يكلف
 بما فوق الطاقة بقوله: ﴿غفور رحيم﴾ أي له صفتا^١ الاستر للساوي
 والإكرام باظهار المحاسن ثابتان^٢ على الدوام فهو يفر و يرحم تارة
 بعدم العقاب للعاصي^٣ وتارة للتوسعة للضيق بأن ينسخ ما يشق [إلى ما
 يخف -^٤]، وهذه الآية قيل: إنها نسخت قبل العمل بها، وقال على
 رضي الله عنه^٥: ما عمل بها أحد غيري، أردت المناجاة ولي دينار
 فصرفه بعشرة دراهم و ناجيته عشر مرات أتصدق في كل مرة بدرهم،
 ثم ظهرت مشقة ذلك على الناس، فنزلت الرخصة في ترك الصدقة،
 وروى النسائي في الكبرى والترمذي وقال: حسن غريب وابن حبان
 ١٠ و أبو يعلى والبخاري عن^٦ على رضي الله عنه أنه قال: لما نزلت قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم: مرهم أن يتصدقوا، قلت: بكم/ يا رسول الله؟
 قال: بدينار، قلت: لا يطيقون، قال: فنصف دينار، قلت: لا يطيقون، قال:
 فبكم؟ قلت^٧: بشعيرة: قال^٨ رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنك لزهيد،
 فأنزل الله تعالى "اشفقتم" الآية. وكان على رضي الله عنه يقول: بي
 ١٥ خفف الله عن هذه الأمة. وعدم عمل غيره لا يقدح فيه لاحتمال أن
 يكون لم يجد عند^٩ المناجاة شيئاً أو أن [لا -^{١٠}] يكون احتاج

/ ٢٥١

(١) من ظ و م . وفي الأصل: صفات (٢) من ظ و م ، وفي الأصل:
 ثابتان (٣) من ظ و م ، وفي الأصل: للعاصي (٤) زيد من ظ و م (٥) راجع
 معالم التنزيل بهامش الباب ٤٤/٧ (٦) راجع الجامع ١٦٣/٢ (٧) راجع مجمع
 الزوائد ١٢٢/٧ (٨) في ظ و م : قال (٩) زيد في ظ و م : له (١٠) من ظ و م ،
 وفي الأصل: عنه (١١) زيد من م .

إلى المناجاة .

ولما دل ختم الآية على التخييف ، وكان قد يدعى مدعون عدم
الوجدان كذبا^١ فيحصل لهم حرج ، وكان تعالى شديد العناية بتجاة هذه
الامة دل على لطفه بهم بنسخه بعد فرضه ، فقال موبخا لمن يشح على
المال نادبا إلى الخروج عنه من غير إيجاب : ﴿ اشفقتم ﴾ أى خفتم .
من العيلة لما يعدكم به الشيطان من الفقر خوفا كاد أن يفطر قلوبكم
﴿ ان تقدموا ﴾ [اى - ٢] باعطاء الفقراء و هم إخوانكم ﴿ بين يدي نبؤاكم ﴾
أى للرسول صلى الله عليه وسلم ، و جمع لأنه أكثر توبيخا^٢ من حيث
أنه يدل على أن النجوى تتكرر ، وذلك يدل على عدم خوفهم
من مشقة النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك و وجود خوفهم من فعل ١٠
التصدق فقال : ﴿ صدقت ﴾ و كان بعضهم ترك و هو واجد فين
سبحانه رحمة لهم بنسخها عنهم لذلك فى موضع العقاب لغيرهم عند الترك .
ولما كان من قبلنا [إذا - ٢] كلفوا الأمر الشاق وحلوا على
التزامه بمثل رفع الجبل فوقهم ، فاذا خالفوا عوقبوا ، بين فضل هذه الامة
بأنه خفف عنهم ، فقال معبرا بما قد يشعر بأن بعضهم ترك عن قدرة : ١٥
﴿ فاذ ﴾ أى فحين ﴿ لم تفعلوا ﴾ أى ما أمرتم به من الصدقة للنجوى
بسبب هذا الإشفاق ﴿ و تاب الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى كان من
شأن ما هو عليه من العظمة أن يعاقب من ترك أمره ﴿ عليكم ﴾ أى رجع
(١) من ظ و م ، وفى الأصل : كذب (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى
الأصل : اى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

بمن ترك الصدقة عن وجدان ، و بمن تصدق و بمن لم يجد إلى مثل حاله
قبل ذلك من سعة الإباحة و العفو و التجاوز و المعذرة و الرخصة و التخفيف
قبل الإيجاب و لم يعاقبكم على الترك و لا على ظهور اشتغال ذلك
منكم ، قال مقاتل بن حيان : كان ذلك عشر ليالٍ أتم نسح^٢ ، و قال الكلبي^٣ :
٥ ما كانت إلا ساعة من نهار . و على كل منهما^٤ فهي لم تتصل بما قبلها
نزولا و إن اتصلت بها تلاوة و حلولا (فاقبموا) بسبب العفو عنكم
شكرا على هذا الكرم و الحلم (الصلوة) التي هي طهارة لأرواحكم
و وصلة لكم بربكم (و اتوا الزكاة) التي هي نزاهة لأبدانكم و تطهير
و نماء لأموالكم و صلة باخوانكم ، و لا تفرطوا في شيء من ذلك فتهملوه ،
١٠ فالصلاة نور تهدي إلى المقاصد الدنيوية و الآخروية ، و تعين على نوائب
الداوين ، و الصدقة برهان على صحة القصد في الصلاة .

و لما خص أشرف^٥ العبادات البدنية و أعلى المناسك المالية ، عم
فقال حائثا على زيادة النور و البرهان اللذين بهما تقع المشاكلة في الأخلاق
فتكون المناجاة عن^٦ أعظم^٧ إقبال و إفاق^٨ فقال : (و اطيعوا الله)
٢٥٢ / ١٥ / أي الذي له الكمال كله فلم يشركه في إيداعه لكم على ما أتم عليه أحد

(١) من ظ و م ، و في الأصل : من (٢) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب
٧ / ٤٥ (٣-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) من ظ و م ، و في الأصل :
منها (٥) من ظ و م ، و في الأصل : ظهر (٦) من ظ و م ، و في الأصل :
تطهيرا (٧) من ظ و م ، و في الأصل : اشراف (٨) من م ، و في الأصل و ظ :
من (٩-١٠) من ظ و م ، و في الأصل : الاقبال

(ورسوله ^١) الذى عظمت من عظمته فى سائر ما يأمر^٢ به فانه ما أمركم لأجل إكرام رسولكم صلى الله عليه وسلم إلا بالحنيفية السمحة، وجعل المحافظة على ذلك قائمة مقام ما أمركم به، ثم نسخه عنكم من تقديم الصدقة على التجوى .

ولما كان قد عفا عن أمر أشعر السياق بأنه وقع فيه تفریط، فكان هـ ذلك ربما جرى على انتهاك الحرمات، رهب من جنبه باحاطة العلم، وعبر بالخبر لأن أول الآية ونخ على أمر باطن ولم يبالغ بتقديم الجار لما فيها من الأمور الظاهرة. فقال عاطفا على ما تقديره: فאלله يحب الذين يطيعون: (والله) أى الذى أحاط بكل شىء قدرة وعلما (خير بما تعملون ^٣) أى يحددون عمله، يعلم بواطنه كما يعلم ظواهره .

١٠ ولما أخبر باحاطة علمه ردعا^٤ لمن يفتتر^٥ بطول حلمه، دل على ذلك باطلاعه على نفاق المنافقين الذى هو أبطن الأشياء، فقال معجبا مرهبا معظما لل مقام بتخصيص الخطاب بأعلى الخلق صلى الله عليه وسلم تنبيها على أنه لا يفهم ذلك حق فهمه غيره: (الم ز) ودل على بعدهم عن الخير بحرف الغاية فقال: (الى الذين تولوا) أى تكلفوا بغاية جهدهم ١٥ أن جعلوا أولياءهم الذين يزولون بهم أمورهم (قوما) ابتغوا عندهم العزة اغترارا بما يظهر لهم منهم من القوة (غضب الله) أى الملك

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : يأمركم (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : امر بما - كذا (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : ودعا (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : هر - كذا (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : عنده .

الاعلى الذى لا ندا له ﴿ عليهم ﴾ أى على المتولين والمتولين^١ لأنهم قطعوا ما بينهم وبينه، و الأدلون هم المنافقون تولوا اليهود، وزاد فى الشناعة عليهم بقوله مستانفا: ﴿ ما هم ﴾ أى اليهود المغضوب عليهم ﴿ منكم ﴾ أيها المؤمنون لتوالوهم خوفا من السيف ورغبة فى السلم ﴿ ولا منهم ﴾ أى المنافقين، فتكون موالاتهم لهم^٢ لمحبة سابقة وقرابة شائكة، ليكون ذلك لهم عذرا، بل هم مذبذبون. فهم مع المؤمنين بأقوالهم، ومع الكفار بقلوبهم، فما تولوهم إلا عشقا فى التناق لمقاربة^٣ ما بينهم فيه، أو يكون المعنى: ما المنافقون المتولون من المسلمين ولا من اليهود المتولين، وزاد فى الشناعة عليهم بأقبح الاشياء الحامل على كل رذيلة، فقال ذاكرنا لخالهم ١٠ فى هذا الاتحاد: ﴿ ويخلفون ﴾ أى المنافقون يحددون الحلف على الاستمرار، ودل بأداة الاستعلاء على أنهم^٤ فى غاية الجرأة على استمرارهم^٥ على الايمان الكاذبة بأن التقدير: مجترئين ﴿ على الكذب ﴾ فى دعوى الإسلام وغير ذلك مما يقعون فيه من عظام الآثام، فاذا عوتبوا عليه بادروا إلى الإيمان .

١٥ ولما كان الكذب قد يطلق فى اللغة على ما يخالف الواقع وإن كان عن غير تعمد بأن يكون^٦ الخالف يجهل عدم مطابقته للواقع، قال

- (١) من ظ و م، وفى الأصل: مذل (٢) من ظ و م، وفى الأصل: المولين.
(٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: لتقارب (٥) من م، وفى الأصل و ظ: انه .
(٦) من ظ و م، وفى الأصل: الاستمرار (٧) من ظ و م، وفى الأصل: كان - كذا .

نافيا لذلك ميئنا انهم جراوا على اليمين الغموس : ﴿ وهم يعلمون ٥ ﴾
 أى أنهم كاذبون فهم متعمدون^١، وذلك^٢ أن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال لأصحابه : يدخل عليكم رجل قلبه قلب جبار و ينظر بعيني شيطان ،
 فدخل عبد الله بن نبتل وكان أزرق اسم^٣ قصيرا^٤ خفيف^٥ / اللحية ، فقال
 ٢٥٣ / النبي صلى الله عليه وسلم : علام تشتمنى أنت وأصحابك ، خلف بالله ما ه
 فعل ، فقال له : فعلت . فجاء بأصحابه خلفوا بالله ما سبوه ، فنزلت .
 ولما أخبر عن حالهم ، أتبعه الإخبار عن مآلهم ، فقال دالا - كما^٦
 قال القشيري - [على أن -^٧] من وافق مغضوبا عليه أشرك نفسه في
 استحقاق غضب من هو غضبان عليه ، فمن تولى مغضوبا عليه من قبل الله
 استوجب غضب الله^٨ وكفى بذلك هوانا [و -^٩] حزنا و حرمانا ، معبرا ١٠
 بما دل على أنه أمر قد فرغ منه : ﴿ اعد الله ﴾ أى الذى له العظمة
 الباهرة فلا كفوه له ، وعبر بما دل على التهم بهم فقال : ﴿ لهم عذابا ﴾
 أى اسرا قاطعا^{١١} لكل عذوبة ﴿ شديدا^{١٢} ﴾ يعلم من^{١٣} رآه و رآهم^{١٤} أن
 ذواتهم متداعية إليه ضعيفة عنه .

(١) من م ، وفي الأصل و ظ : يتعمدون (٢) الحديث ذكره البغوي في المعالم
 بهامش الباب ٧ / ٤٥ (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : قصير (٤) من ظ
 و م ، وفي الأصل : ولذلك (٥) زيد من ظ (٦) زيد في الأصل : عليه ،
 ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٧) زيد من م (٨) من ظ و م ، وفي
 الأصل : قال عاطفا (٩-٩) من ظ و م ، وفي الأصل : يراه ويراهم .

و لما اخبر بعذابهم ، علله^١ بما دل على^٢ انه واقع في أم مواقفه فقال
مؤكدًا تقييحا على من كان يستحسن افعالهم^٣ : (انهم ساء) أى بلغ الغاية
بما يسوء ، و دل على أن ذلك كان لهم كالجبله بقوله : (ما كانوا يعملون^٤)
أى يحددون عمله مستمرين عليه لا ينفكون عنه من غشهم المؤمنين
و نصحهم الكافرين و عيهم للاسلام و أهله ، و اجترانهم على الايمان
الكاذبة ، و أصروا على ذلك حتى زادهم التمرد عليه جرأة على^٥
جميع المعاصي .

و لما دلت هذه الجملة على سوء أعمالهم^٦ و مداومتهم عليها ، اكد
ذلك بقوله : (اتخذوا) أى كلفوا فظرم الاولى المستقيمة لما لهم من
العراقه في اعوجاج الطبع و المحبة للأذى^٧ (إيمانهم) الكاذبة التى لانهون
على من في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان (جنة) أى وقاية
و ستره من كل ما بفضحهم من النفاق كائنا ما كان ، أو يوجب قتلهم
بما يقع منهم من الكفران .

و لما كان عليهم بأنه برضى منهم بالظاهر و يصدق إيمانهم^٨ هو الذى^٩
١٥ جرائم على العظام ، فكانوا يرغبون الناس في النفاق بعاجل الشهوات

- (١) من ظ و م ، و فى الأصل : علل (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : عليه .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : حالهم (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : عليها .
(٥) من ظ و م ، و فى الأصل : فى الأذى (٦-٧) من ظ و م ، و فى الأصل :
الذى هو .

و يثبطونهم^١ عن الدين بما فيه من عاجل الكلف^٢ و آجل الثواب ، سبب
 عن^٣ قبول إيمانهم قوله مظهرا بزيادة التويخ [لهم -^٤] : (فصدوا)
 أى كانت قبول ذلك منهم و تأخير عقابهم سببا لإيقاعهم الصد
 (عن سبيل الله) أى شرع الملك^٥ الأعلى الذى هو الطريق إلى رضوانه
 الذى هو سبب الفوز الأعظم ، فأنهم كانوا يثبطون من لقوا عن الدخول ه
 فى الإسلام و يوهون أمره و يحقرونه ، و من رام قد خلصوا من^٦ المكارة
 بإيمانهم الحاشية [و -^٧] ردت عليهم الأرزاق استدراجا و حصلت لهم
 الرفعة عند الناس بما رضونهم من أقوالهم المؤكدة بالإيمان غره ذلك
 فاتبع سنتهم فى أقوالهم و أفعالهم . و نسج على منوالهم ، غرورا بظاهر
 أمرهم ، معرضا عما توعدهم الله سبحانه عليه من جزاء خداعهم و مكرم ، ١٠
 و أجرى الأمر على أسلوب التهمك باللام التى تكون فى المحبوب فقال :
 (فلهم) / أى قتسبب عن صدم أنهم كان لهم (عذاب مهين ه) جزاء ٢٥٤ /
 بما طلبوا بذلك^٨ الصد ' إعزاز أنفسهم ' و إهانة أهل ' الإسلام .
 و لما كان لهم أموال و أولاد يتعززون بها ، قال مستأنفا [دالا -^٩]
 على أن من استتر بحجة دون طاعته لتسلم دنياه و رماه تكشف لسبام ١٥
 (١) من ظ و م ، و فى الأصل : يثبطون (٢) فى ظ : الكلفة (٣) من م ، و فى
 الأصل و ظ : عنه (٤) زيد من ظ و م (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : ملك .
 (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : عن (٧) زيد من م (٨) من ظ و م ، و فى
 الأصل : ذلك (٩ - ٩) من ظ و م ، و فى الأصل : اعزازا لانفسهم (١٠) من
 ظ و م ، و فى الأصل : لاهل .

التقدير من حيث لا يشعر ، ثم لادينه يبقى ولا دنياه تسلم : ﴿لن تغنى﴾
 أى بوجه من الوجوه ﴿عنهم﴾ أى فى الدنيا ولا فى الآخرة بالافتداء
 ولا بغيره ﴿اموالهم﴾ وأكد النفي باعادة النافي للتصيص على كل
 منهما فقال : ﴿ولا اولادهم﴾ أى بالنصرة والمدافعة ﴿من الله﴾ أى
 ٥ إغناء مبتدئا من الملك الاعلى الذى لا كفوء له ﴿شيئاً﴾ أى من إغناء
 ولوقل جدا ، فهما أراد بهم سبحانه كان ونقد ومضى ، لا يدفعه شيء
 تكذيباً لمن قال منهم : لئن كان يوم القيامة لتكون أسعد فيه منكم كما
 نحن الآن و لننصرن بأنفسنا وأموالنا و اولادنا . ولما اتنى الإغناء
 المبتدئ من الله [فانتى - ٢] بانهائيه كل إغناء سواه ، أنتج ذلك قوله :
 ١٠ ﴿اولئك﴾ أى البعداء من كل خير [اصحاب النار - ٢] ولما
 أنهمت الصحة الملازمة ، أكدها بقوله : ﴿هم﴾ أى خاصة لاضمحلال
 عذاب غيرهم - لكونهم فى الهاوية - فى جنب عذابهم ﴿فيها﴾ أى
 خاصة دون شيء يقصر عنها ﴿خلدون﴾ أى مقيمون باقون دائمون
 لازمون إلى غير نهاية .

١٥ ولما كان إفسادهم لذات البين سرا ، وحلفهم على نفي ذلك جهرا
 مع الإلزام^٢ بقبول ما ظهر من ذلك منهم مع علمه سبحانه وتعالى
 بأنه كذب غائظا موجعا ، وكان ربما توهم متوهم أنه تعالى كما ألزم بقبولنا
 لما ظهر منهم فى دار العمل يأمر بقبولهم فى دار الجزاء ، قال نافيا لذلك
 (١) من ظ و م ، وفى الأصل : غناء (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ،
 وفى الأصل : اللازم .

معزياً للؤمنين بأنهم يفعلون ذلك معه سبحانه بعد كشف الغطاء وتحقيق
الأمور ، لأن الإنسان يبعث على ما مات عليه ، لأن ذلك جلته التي
لا ينفك عنها . ولا يفهم ذلك ، ذاكرًا ظرف الخلود وإظهار التعذيب :
(يوم يبعثهم الله) أى الملك الذى له جميع صفات الكمال بأحياتهم عما
كانوا فيه من الموت ، و ردهم إلى ما كانوا قبله (جميعاً) لا يترك أحداً ه
منهم و لا من غيرهم إلا أعاده إلى ما كان [عليه] قبل موته (فيحلفون)
أى فيتسبب عن ظهور القدرة التامة لهم و معاينة ما كانوا يكذبون به
من البعث و النار أنهم يحلفون (له) أى الله فى الآخرة أنهم مسلمون
فيقولون : و الله ربنا ما كنا مشركين . ونحوه من الأكذوبات التي
تزيدهم ضرراً . و لا تغنى عنهم شيئاً بوجه من الوجوه ، جرياً على ما طبعوا ١٠
عليه من إثارة الهوى و القصور على النظر فى المحسوسات التي ألفوها
(كما يحلفون) فى الدنيا (لكم) لكونكم لا تعلمون الغيب مع توقعهم
أن الله يفضحهم كما فعل لهم ذلك مراراً ، و حلفهم ناشئ عن اعتقاد بعدم
من القبول فانه لا يحلف لك^٦ إلا من يظن^٧ أنك تكذبه ؛ / قال القشيري : ٢٥٥ /
عقوبتهم الكبرى ظنهم الاجنية ، و غاية الجهد كبهم على مناخرهم فى ١٥
وهذه ندمهم^٨ .

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : مع (٢) فى ظ : التعريف (٣) ليس فى ظ و م .
(٤-٥) من ظ و م ، وفى الأصل : عليه (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : إياز
- كذا (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : ذلك (٨) فى م :
ظن (٩) من م ، وفى الأصل و ظ : ندمهم .

ولما كان^١ الذى يحملهم على الإقدام على ذلك ضعف عقولهم
وتوغلهم فى النفاق و مروءتهم عليه حتى بعثوا على مثل ذلك مع علمهم
بأن ذلك لا ينجيهم لإحاطة علمه سبحانه، عبر بالحسبان، فقال دالا على
أنهم فى الغاية من الجهل وقلة العقل : ﴿ ويحسبون ﴾ أى فى القيامة
هـ بأيمانهم الكاذبة ﴿ انهم على شيء^٢ ﴾ أى يحصل لهم به نفع لتخليهم أن
أيمانهم تروج على الله فتنجيهم كما كانت^٣ فى الدنيا تنجيهم^٤.

ولما أفهم ذلك أن أمورهم لاحقائق لها لا فى إخباراتهم ولا فى
أيمانهم ولا فى حسابهم، [قال مناديا عليهم مؤكدا لتكذيب حسابهم -^٣] :
﴿ الآ انهم ﴾ أى خاصة ﴿ هم الكاذبون هـ ﴾ أى المحكوم بكذبهم فى
١٠ حسابهم وفى أخبارهم فى الدارين لعراقتهم فى وصف الكذب حيث
لا يستحيون من الكذب عند الله .

• ولما كان هذا الانهالك فيما لا يغنى عما يحصل لسامعه غاية العجب
من وقوع عاقل فيه مرة من الدهر، فضلا عن ملازمته، أخبر عن
الحامل لهم عليه، فقال مستأنفا : ﴿ استحوذ ﴾ أى طلب ان يغلب
١٥ ويسوق ويسرع ويضرب الحوطة ويحث ويقهر ويستولى
﴿ عليهم الشيطان ﴾ مع [أنه] طريد ومحترق، ووجد منه جميع ذلك،
ووصل منهم إلى ما يريده، وملكهم ملكا لم يبق لهم معه اختيار فصاروا

(١) زيدى الأصل : وكان، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لخذلتها (٢-٢) من
ظ و م ، وفى الأصل : تنجيهم فى الدنيا (٣) زيد من ظ و م .

رعيته وأقطاعه، و صار هو محيطاً بهم من كل جهة، غالباً عليهم ظاهراً و باطناً، من قولهم: حذت الإبل أى استوليت عليها، و حاذق الحمار العانة^١ - إذا جمعها و ساقها غالباً لها، و الحوذ: السوق السريع^٢، و منه الاحوذى: الخفيف فى المشى لخدقه، و جاء على الأصل على حكم الصحيح لأنه لم يبن على حاذ كافقر^٣ فإنه لا مجرد له، لم يقولوا: قفر . (فانسهم) أى ه^٥ قسب عن استحوذ عليهم أنه أنسام (ذكر الله^٤) أى الذى له الأسماء الحسنى و الصفات العلى بعد أن كان ذكره مركزاً فى فطرهم الأولى، فصاروا لا يذكرونه أصلاً بقلب : لا لسان .

و لما كان ذلك، أتيج^٥ و لا بد^٦ قوله: (اولائك) أى الذين^٦ أحلوا أنفسهم^٧ أبعد منزل (حزب الشيطان^٨) أى اتباعه و جنده^{١٠} و جماعته و طائفته و أصحابه^٩ و المحدثون به^٩ و المتحيزون إليه لدفع [ما-^٩] حربه أى نابه و اشتد عليه، المبعدون المحترقون^{١١} لأنهم تبعوه و لم يخافوا [فى -^٩] مجازيته و إنفاذ ما يريد لومة لائم مع أنه كله نقائص و معائب، و هم مطبوعون على بغضه، و تركوا من [له -^٩] الكمال كله، و ذكره و حبه مركزاً فى فطرهم، فلذلك كانت ترجمة هذا و نتيجه قوله: ١٥

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: الجهار انفاية (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الربع (٣) من م، و فى الأصل و ظ: قفر - كذا (٤) زيد فى الأصل: لا، و لم تكن الزيادة و ظ و م لخدقها (ه-ه) من ظ، و فى الأصل و م: و لا بد أتيج (٦) من م، و فى الأصل و ظ: الذى (٧) فى م: نفو-هم . (٨-٨) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٩) زيد من ظ و م (١٠) من م، و فى الأصل و ظ: المتحرقون .

﴿الآ﴾ وأكد لظنهم الرج بما لهم في الدنيا من الكثرة وظهور
التعاضد والاستدراج بالبسط والسعة فقال: ﴿ان / حزب الفيطن﴾ / ٢٥٦
أى الطريد المحترق ﴿م﴾ أى خاصة ﴿الخشرون﴾ أى العريقون
في هذا الوصف لأنهم لم يظفروا بغير الطرد والاحترق.

٥ ولما بين ما أوصلهم إليه نسيان الذكر من الخسار، بين أنه أو قعهم
في العدارة، فقال معللا الخسار 'و النسيان والتحزب'، وأكد تكذيباً
لحالفهم على نفي ذلك مظهراً موضع الإضممار للتنبيه على الوصف الموقع
في الهلاك: ﴿ان الذين يحآدون﴾ ولعل الإدغام لسترهم ذلك بالآيمان،
و يفهم منه الحكم [على - °] من جاهر بطريق الأولى ﴿الله﴾ أى
١٠ يفعلون مع الملك الأعظم الذى لا كفوء له فعل من ينازع آخر في أرض
فيغلب على طائفة منها^١ فيجمر لها حدا لا يتعداه خصمه ﴿ورسولة﴾
الذى عظمت من عظمته.

ولما كانوا لا يفعلون ذلك إلا لكثرة اعوانهم^٢ وأتباعهم، فيظن
من رآهم أنهم الاعزاء الذين لا أحد^٣ أعز منهم، قال تعالى نفياً لهذا
١٥ الغرور الظاهر: ﴿اولئك﴾ أى الأبعد الأسافل ﴿فى الاذلين﴾ [أى - °]

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : اصلهم (٢ - ٣) من ظ و م ، وفى الأصل :
العداوة والتخويف (٣) من ظ ، وفى الأصل و م : تأكيداً (٤) من ظ و م ،
وفى الأصل : مظهر (٥) ريد من م (٦) من م ، وفى الأصل و ظ : منهم .
(٧) من ظ و م ، وفى الأصل : أنواعهم (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : احدا .
الذين ٣٩٤

الذين يعرفون أنهم اذل' الخلق بحيث يوصف كل منهم بأنه^٢ الاذل
مطلقا من غير مفضل عليه ليعم^٣ كل من^٤ يمكن منه ذل، وذلك في
الدنيا والآخرة سواء كانوا فارس والروم أو اعظم منهم سواء كانوا
ملوكا كفرة كانوا أو فسقة، كما قال الحسن: إن للعصية في قلوبهم لذلا،
وإن طقطقت بهم اللجم . ولما أنزلهم بالحضيض الأسفل، علل ذلك ه
[بما يدل على -^١] أنه^٥ سبحانه لا شريك له بآتمام كذباته بنصر أوليائه
على ضعفهم وخذلان أعدائه على قوتهم لأنه سبحانه [غيب -^٦] محض لا
دلالة^٧ عليه إلا بأفعاله فقال: ﴿ كتب ﴾ أى فعل فعل من أرم أمرا^٨
ففرغ منه وكتبه فأوجب وحم وقضى وبت ﴿ الله ﴾ [أى الملك -^٩]
الذى لا كفوء له ﴿ لاغلن ﴾^{١٠} أكد لما لهم^{١١} من ظن الغلب بالكثرة ١٠
والقوة ﴿ انا ورسلى ﴾ أى بقوة الجدال و شدة الجلال، فهو صادق بالنسبة
إلى من بعث بالحرب، وإلى من بعث بالحجة، و علل هذا القهر بقوله
مؤكدًا لأن أفعالهم "مع أوليائه" أفعال من يظن ضعفه: ﴿ ان الله ﴾
[أى -^{١٢}] الذى له الأمر كله ﴿ قوى ﴾ فهو يفيض من^{١٣} باطن قوته

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : اولى (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : انه .
(٣-٣) من ظ و م ، وفى الأصل : لمن (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، وفى
الأصل و م : بانه (٦) زيد من ظ و م (٧) من ط و م ، وفى الأصل : دلة .
(٨) من م ، وفى الأصل : امر (٩ - ٩) من ظ و م ، وفى الأصل : و أكد
ضلالهم (١٠ - ١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : بأوليائه (١١) من ظ و م ،
وفى الأصل : على .

ما يظهر به ظاهر قدرة أوليائه ، فان القوى من له استقلال- باطن بما
يحمله القائم في الأمر و لو ضعف عليه ما عسى أن يضاعف و حمايته
ما يتطرق إلى الإجلال بشدة و بطش منبعث عن ذلك الاستقلال
الباطن ، و ما ظهر من أثر ذلك فهو قدرة ، فلا اقتدار يظهر من الخلق
٥ إلا بالاستناد إلى القوة بالله ، و لا قيام بالحقيقة لباطن إلا بالله الذي بيده
ملكوت كل شيء ، فلذلك كان بالحقيقة لا قوى إلا هو .

و لما كان القوى 'من المخلوقات' قد يكون غيره^٢ [أقوى من غيره -^٢]
و لو في وقت ، [نفى -^٢] ذلك ؛ بقوله : ﴿ عزيزه ﴾ أى غالب غلبة لا يحد
معهما المغلوب نوع / مدافعة و انفلات^٢ ، ثابت له هذا الوصف دائما .

/ ٢٥٧

١٠ و لما ظهر بهذا كالشمس أن من والاه^١ سبحانه كان فائزا ، و من
عاداه كان خاسرا ، كانت نتيجة قطعا التحذير من موالاته أعداء الله في
سياق التنبيء المفيد للبالغة في النهي عنه و الزجر عن قربانه فقال^٢ : ﴿ لا تجد ﴾
أى بعد هذا البيان ﴿ قوما ﴾ أى ناسا لهم قوة على^٤ ما يريدون محاولته^٥
﴿ يؤمنون ﴾ أى يحددون الإيمان و يديمونه ﴿ بالله ﴾ أى الذى له الاسماء
١٥ الحسنى و الصفات العلى^٦ ﴿ و اليوم الآخر ﴾ الذى هو موضع الجزاء
لكل عامل [بكل ما -^٢] عمل ، الذى هو محط الحكمة ﴿ يوادون ﴾

(١-١) -قط ما بين الرتمين من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : عبر .
(٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الأصل : بينه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م
لحذفناها (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : انقلاب (٦) من ظ و م ، و فى
الأصل : لاذ به (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : قال (٨-٨) من ظ و م ، و فى
الأصل : محاولة ما يريدونه

أى يحصل منهم ود [لا - ١] ظاهراً و^٢ لا باطناً - بما أشار إليه الإدغام وأقله الموافقة في المظاهرة^٣ ﴿ من حاد الله ﴾ أى عادى^٤ بالمناسبة في الحدود الملك^٥ الأعلى لذلك فالمحادة^٦ لا تخفى وإن كانت باطنة يستتر بها صاحبها، لأن الظاهر عنوان الباطن، والأفعال دليل [على - ١] الأقوال، وهذا حامل على زيادة^٧ النفرة منهم ﴿ ورسوله ﴾ فإن من حاده فقد حاد^٨ الذى أرسله، بل لا تجدم إلا يحادونهم، لا أنهم يوادونهم، وزاد ذلك تأكيداً بقوله: ﴿ ولو كانوا آبائهم ﴾ الذين أوجب الله على الأبناء طاعتهم بالمعروف، وذلك كما فعل أبو عبيدة عامر^٩ بن الجراح رضى الله عنه، قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد ﴿ أو آبائهم ﴾ الذين جملوا على محبتهم ورحمتهم كما فعل أبو بكر رضى الله عنه فانه دعا ابنه يوم بدر ١٠ إلى المبارزة، وقال: دعنى يا رسول الله اكن في الرعدة الأولى. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: متعنا بنفسك يا أبا بكر، أما تعلم أنك بمنزلة سمى وبصرى^{١١}. ﴿ أو اخوانهم ﴾ [الذين - ١] هم أعضادهم^{١٢}

- (١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : أو (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : الظاهر (٤) من ظ و م ، ، في الأصل : عاداه (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : للـك (٦) في ظ و م : المحادة (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : ارادة (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : انبائهم (٩) الكلمة ساقطة من ظ و م . (١٠) وكل هذا ، مم ما يأتى ، ذكره البغوى من طريق ديد الله بن مسعود - راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٤٦/٧ (١١) زيد من ظ (١٢) من ظ ، وفي الأصل و م : أعضاده .

كما فعل مصعب بن عمير رضى الله عنه ، قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد
 و خرق سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه الصفوف يومئذ على أخيه عتبة
 ابن أبى وقاص غير مرة ليقته فراع عنه روعان الثعلب ، فنهاه رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وقال : أتريد أن تقتل نفسك ، وقتل [محمد - ٢]
 ابن مسلمة الأنصارى رضى الله عنه أخاه من الرضاع كعب بن الأشرف
 اليهودى رأس بنى النضير ﴿ او عشيرتهم ﴾ الذين هم أنصارهم وأمدادهم
 كما فعل عمر رضى الله عنه ، قتل خاله العاصى بن هشام بن المغيرة يوم
 بدر و على و حمزة و عبيدة بن الحارث رضى الله عنهم قتلوا يوم بدر
 بنى عنهم عتبة و شيبة ابنى ربيعة و الوليد بن عتبة ، و عن الثورى ^٥ أن
 ١٠ السلف كانوا روى أن الآية نزلت فيمن يصحب السلطان - انتهى .
 و مدار ذلك على أن الإنسان يقطع رجاءه من غير الله ، و إن لم يكن
 كذلك لم يكن مخلصا فى إيمانه .

و لما كان لا يحمل على البراءة من ^{١٠} هذا شأنه إلا صريح الإيمان ،
 أنتج قوله : ﴿ اولئك ﴾ أى الأعظمون شأننا الأعلون هما ﴿ كتب ﴾

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : سعيد (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : رواع .
 (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : اندادهم (هـ - هـ) من
 ظ و م ، و فى الأصل : و على ديره - كذا (٦) من ظ و م ، و فى الأصل :
 ابنا (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : النووى (٨-٨) من ظ و م ، و فى الأصل :
 عن - مع يسير من البياض (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : دون (١٠) من
 ظ و م ، و فى الأصل : فمن .

٢٥٨ /

أى / وصل و اثبت وصلا هو فى لحته كالخرز فى الاديهم ، وكالطراز^١
 فى الثوب الرقيم ، فلا انفكاك له (فى قلوبهم الإيمان) فجعلها^٢ أوعية
 له فأثمر ذلك نور الباطن و استقامة الاعمال فى الظاهر (و ايدهم)
 أى و اهم و شددهم و اعانهم و شجعهم و عظمهم و شرفهم (بروح)
 أى نور شريف جدا يفهمون به ما أودع فى كتابه و سنة رسوله صلى الله
 عليه وسلم من كنوز العلم والعمل^٣ فهو لقلوبهم كالروح للأبدان ، فلا
 يفعلون شيئا من أحوال [اهل -^٤] الجاملية كالظاهرة ، و زاد هذا
 التأيد شرفا بقوله : (منه^٥) أى أحيام به فلا انفكاك لذلك عنهم فى
 وقت من الأوقات فأثمر لهم استقامة المناهج ظاهرا^٦ و باطنا ، فقهروا
 بالدلائل و الحجج ، و ظهروا بالسيف المبنى للهج ، و عملوا الأعمال الصالحة^{١٠}
 فكانوا للدنيا كالسرج ، فلا تجد شيئا أدخل^٧ فى الإخلاص^٨ من موالاة
 أولياء الله و معاداة أعدائه ، بل هو عين الإخلاص ، و من جنح إلى
 منحرف عن دينه أو داهى مبتدعا فى نقده نزع الله نور التوحيد
 من قلبه .

ولما أخبر بما اتاهم فى الدنيا و هو غير معارق لهم فى الآخرة ، ١٥
 أخبر بما يؤتيهم^٩ فى الآخرة فقال : (و يدخلهم جنت) أى بساتين
 (١) من م ، و فى الأصل و ظ : الطراز (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : جعلها .
 (٣) العبارة من هنا الى « فلا انفكاك » ساقطة من ظ (٤) زيد من م (٥) من
 ظ و م ، و فى الأصل : ظاهر (٦-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : للإخلاص .
 (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : يتوهم .

يستر داخلها من كثرة أشجارها، وأخبر عن ريبها بقوله: ﴿تجرى﴾ ولما كانت المياه لوعمت الأرض لم يكن بها مستقر، أثبت الجار فقال - ١ :
 ﴿من تحتها الأنهر﴾ أى فهى لذلك كثيرة الرياض والأشجار والساحات والديار . ولما كان ذلك لايلد إلا بالدوام قال: ﴿خلدين فيها﴾ .
 ٥ ولما كان ذلك لا يتم إلا برضا مالكها قال: ﴿رضى الله﴾ أى الملك الأعظم الذى له الأمر كله فلا التفات إلى غيره ﴿عنهم﴾ ولما كان ذلك لا يكمل سروره إلا برضاهم ليطمئن المجاورة قال: ﴿ورضوا عنه﴾ أى لأنه أعطاهم فوق ما يؤملون . ولما أخبر عنهم بما يسر كل سامع فيشتاق إلى مصاحبتهم ومعاشرتهم ومرافقتهم ومقاربتهم،
 ١٠ ومدحهم وعرفهم بقوله: ﴿اولئك﴾ أى الذين هم فى الدرجة العليا من العظمة لكونهم قصرُوا ودم على الله علما بهم بأنه ليس النفع [والضرر - ٢] إلا بيده ﴿حزب الله﴾ أى جند الملك الأعلى الذى [أحاط - ٣] بجميع صفات الكمال وأوليائه، فانهم هم يفضون له ولا يخافون فيه لومة لائم . ولما تبين مما أعد لهم وأعد لأضدادهم أنهم المختصون بكل
 ١٥ خير، قال على طريق الإنتاج بما مضى مؤكدا لما لأضدادهم من الإنكاد: ﴿إلا أن حزب الله﴾ أى جند الملك الأعلى وهم هؤلاء الموصوفون ومن

- (١) زيد ما بين الحاجرين من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : ملك .
 (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : مشتاق (٤) من م ، وفى الأصل ظ : مراقبتهم .
 (٥) زيد من م (٦) سقط من م (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : الذين هم .
 (٨) من ظ ، وفى الأصل و م : ما (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : بما .

والام (م) أى خاصة 'لا غيرم' (المفلحون ع) أى الذين حازوا
الظفر بكل ما يؤملون فى الدارين ، وقد علم من الرضى من الجانبين
والحزبية والإفلاح عدم الانفكاك عن السعادة فأغنى ذلك عن تقييد
الخلود بالتأييد ، خصهم بذلك لأن له / العزة والقوة والعلم والحكمة ،
فلذلك علم أمر المجادلة ورحم شكواها لأنها من حزبه وسمع لها ، ومن هـ
سمع له فهو مرضى عنه ، وحرّم الظهار بسبب شكواها إكراما لها بحكمته
لأنه منابذ للحكمة 'لأنه تشبيه' خارج عن قاعدة التشبيهات^٢ ، وفيه امتهان
للآم التى لها فى دينه غاية الإكرام بالتسوية بالزوجة التى هى محل الاقتراح ،
وختم آيها^٣ بأن من تعدى حدوده فعادوا^٤ أحوال الجاهلية فهو مجادله
سبحانه فهو من حزب الشيطان ، فقد عاد^٥ آخرها إلى أولها^٦ بأدل دليل ١٠
على أحسن سبيل ، لأن هذا القرآن العظيم أشرف حديث ، أقوم قبل
وهذا مقصود الذى بعدها ، ولاشك أنه موجب للتنزيه مبعد عن التشريك
والتشبيه ، فسبحان من أنزله آية دائمة البيان ، موجبة للإيمان ، قامة للطغيان ،
على مدى الدهور وتطاول الأزمان^٧ .

- (١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٢-٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
سبيه - كذا (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : الشبهات (٤) ف م : أيتها .
(٥) من م ، وفى الأصل و ظ : فعادوا (٦-٦) من ظ و م ، وفى الأصل :
أولها إلى آخرها (٧) ف م : الزمان .

سورة الحشر^١ وتسمى سورة النضير^٢

مقصودها بيان ما دل عليه آخر المجادلة من التنزه عن شوائب النقص
بإثبات القدرة الشاملة بدليل^٣ شهودي على أنه يغلب هو ورسله،
ومن حاده في الأذلين. لأنه قوى عزيز، المستلزمة للعلم التام المستلزم
ه [للحكمة البالغة المستلزمة - ٤] للحشر المظهر لفلاح المفلح وخسار الخاسر
على وجه الثبات الكاشف آتم كشف لجميع صفات الكمال، وأدل^٥ ما فيها
على ذلك تأمل قصة [بنى - ٦] النضير المعلم بأول الحشر المؤذن بالحشر
الحقيق بالقدرة عليه بعد إطباق الولي والعدو على ظن أنه لا يكون، فلذا^٦
سميت بالحشر وبنى النضير لأنه سبحانه وتعالى حشرهم بقدرته من المدينة
١٠ الشريفة إلى خيبر والشام والحيرة ثم حشرهم [وغيرهم - ٦] من اليهود
الحشر الثاني من خيبر إلى الشام الذي هو آية الحشر الأعظم إلى أرض
الحشر لقهر هذا النبي الكريم أهل الكتاب المدعين لأنهم أفضل الناس

- (١) التاسعة والخمسون من سور القرآن الكريم، مدنية وعدد آياتها (٢٤)
بالاتفاق - راجع نثر المرجان ٧ / ٢٦٦ (٢) من ظ و م ومعالم التنزيل بهامش
الباب ٧ / ٤٦، وفي الأصل: النصر (٣) من ظ و م، وفي الأصل: بدل -
(٤) زيد من م (٥) من ظ و م، وفي الأصل: الى (٦) زيد من ظ و م -
(٧) من ظ و م، وفي الأصل: فكذا (٨) من م، وفي الأصل: الحشر -
(٩) من م، وفي الأصل و ظ: انهم .

وأنهم مؤيدون بما^١ لهم من الدين الذي أصله قويم^٢ بما لوحث إليه الحديد
كما قهر أهل الأوثان الذين هم عالمون بأنهم بدلوا الدين الصحيح قُتبت
- بظهور دينه على كل دين على حد سواء كما وعد به سبحانه صدقه في
كل ماجاء به بعد التوحيد^٣ - الإيمان بالبعث الآخر لأنه محط الحكمة
و موضع إظهار النعمة والرحمة^٤ ﴿ بسم الله ﴾ الملك الأعظم الذي لا راد^٥
لأمره^٦ فلا خلف لعباده ﴿ الرحمن ﴾ الذي عمت نعمة إيجاده فلا يحصى
عن معاده ﴿ الرحيم ﴾ الذي خص أهل وداده بالتوفيق لما يرضيه عنهم
فيوجب لهم الفوز باسعاده^٧ .

/ لما^٨ ختمت المجادلة بأنه معز أهل طاعته، ومذل أهل معصيته ٢٦٠ /
و محادثته، علله بتنزيهه^٩ عن النقائص تأييدا للوعد بنصرهم فقال: ﴿ سبح ﴾ ١٠
أى أوقع التنزيه^{١٠} الأعظم عن كل شائبة نقص ﴿ الله ﴾ الذى أحاط بجميع
[صفات - ١٠] الكمال .

و لما كان الكفار من جميع بنى آدم قد عبد بعضهم الشمس

- (١) من م ، وفى الأصل وظ : لا (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : قوم .
(٣) زیدت الواو بعده فى الأصل ولم تكن فى ظ و م فحذفناها (٤) زید فى
الأصل : انتهى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، وفى
الأصل : لحكمه (٦) من ظ ، وفى الأصل و م : بالسعادة ، وزید بعده فى
الأصل : فى الدنيا والآخرة ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من
م ، وفى الأصل وظ : ولا (٨) من م ، وفى الأصل وظ : بتنزيهه (٩) من
م ، وفى الأصل وظ : للشبه (١٠) زید من ظ .

و بعضهم القمر و بعضهم [غيرهما من -] الكواكب ، و كانت الكواكب
 مبشورة في السماوات كلها لا تخص سماء بعينها و كذا الملائكة ، جمع دلالة
 على أن الكل عبيد فقال : ﴿ ما في السموات ﴾ أى كلها . و لما كان
 الكلام في النهى عن موادة الذين يجادون الله ، و كان ذلك لمن دون
 ه الخالص ، أكد باعادة النافي لاحتياجهم للتأكيد فقال : ﴿ و ما ﴾ و لما
 كان جميع ما عبده بما أشركوا به من الارضيات من شجر و صنم و بقرة
 و غيرها لا يبعد و الارض التى هم عليها ، أفرد فقال : ﴿ فى الارض ﴾ .
 و لما شمل هذا جميع العالم ، أشار إلى أن عظمته لا تنتهى فقال :
 ﴿ و هو ﴾ أى و الحال أنه وحده ﴿ العزيز ﴾ الذى يغلب كل شىء .
 ١٠ و لا يمتنع عليه شىء . ﴿ الحكيم ﴾ الذى نفذ عليه^٢ فى الظواهر و البواطن
 و أحاط بكل شىء فأتقن^٣ ما أراد ، فكل ما خلقه جعله على وحدانيته
 دليلا ، و إلى بيان ما له من العزة و الحكمة سيلا .

و قال الإمام أبو جعفر* بن الزبير: لا خفاء باتصال آيها بما تأخر
 من أى سورة المجادلة ، ألا ترى أن قوله تعالى ” يا ايها الذين امنوا لا تتولوا
 ١٥ قوما غضب الله عليهم “ إنما يراد به يهود فذكر سبحانه سوء سريرتهم
 و عظيم جراتهم ثم قال فى آخر السورة ” لا تجدد قوما يؤمنون بالله
 و اليوم الآخر يوادون من حاد الله و رسوله “ فحصل من هذا كله

(١) زيد من ظ و م (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : حكمة .
 (٤) زيد فى الأصل : كل ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (هـ) تكرور
 ما بين الرقيين فى الأصل فقط (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : ما .

تنفير

(١٠١)

٤٠٤

تفجير المؤمنين عنهم و إعلامهم بأن بغضهم من الإيمان و ودهم من النفاق
لقبيح ما انطووا عليه و شنيع ما ارتكبوه، فلما أشارت هذه الآتى إلى
ما ذكر أتبع بالإعلام فى أول سورة الحشر بما عجل لهم من هوائهم^٢
و إخراجهم من ديارهم و أموالهم و تمكين المسلمين منهم، جريا على ما
تقدم الإيمان إليه من سوء مرتكبهم، و التخت الآى باتحاد المعنى^٥
و تناسبه، و تناسب الكلام، و افتتحت السورة بالتنزيه لبنائها على ما أشار
إليه غضبه تعالى عليهم إذ لا يكون إلا على أعظم جريمة و أسوأ مرتكب
وهو اعتدوهم و عصيانهم الفصل فى مواضع من الكتاب و قد قال
تعالى فيهم بعد ذكر غضبه عليهم "أو لك شر مكانا و أضل عن سواء السبيل"
و قال تعالى "لئن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود و عيسى
ابن مريم ذلك بما عصوا و كانوا يمتدون" فبين تعالى أن لعنة إياهم
إنما زبنت على عصيانهم و اعتدائهم، و قد فصل اعتدائهم أيضا فى مواضع،
فلما كان الغضب مشيرا إلى ما ذكر من عظيم الشرك، أتبعه سبحانه
و تعالى / تنزيه نفسه جل و تعالى فقال "سبح لله ما فى السموات و ما
فى الارض" و إنما يرد مثله من التنزيه أثر جريمة تقع من العباد و عظيمة^{١٥}
يرتكبونها و تأمل ذلك حيث وقع، ثم عاد الكلام إلى الإخبار بما فعل
تعالى بأهل الكتاب مما يتصل بما تقدم، ثم تناهجت الآى - انتهى .

(١) من ظ و م، وفى الأصل : تشيع (٢) من ظ و م، وفى الأصل :

هوائهم (٣) زيد فى الأصل : أيضا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها :

(٤) من ظ و م، وفى الأصل : يسره (٥) من م، وفى الأصل و ظ : يتوصل .

ولما نزه نفسه الأقدس دل على ذلك التنزه [و - ١] على العزة
والحكمة بدليل شهودى من أنه أنقذ ما كتب من أنه يغلب [هو - ٢]
ورسله و من^٢ أنه كتب الذين حادوه و خيب ظن الذين نافقوا، فتولوا
اليهود من^٣ أهل الكتاب ليعتزوا^٤ بهم، فأذل اليهود و طردهم من مهبط
الوحى و أخزى المنافقين الذين جعلوهم محط^٥ اعتمادهم و موضع ولايتهم
و واداهم، فقال : (هو) أى وحده من غير إيجاف^٦ خيل و لاركاب
(الذى أخرج) على وجه القهر (الذين كفروا) أى ستروا ما فى
كتبهم من الشواهد^٧ التى تشهد^٨ لمحمد صلى الله عليه و سلم بأنه النبى الخاتم
و ما فى فطرم الأولى من أن اتباع الحق أحق، و قبح عليهم كفرهم
١٠ بقوله موضع " من بنى النصير " أو " اليهود " مثلاً : (من أهل الكتب)
أى الذى أنزله الله على رسوله موسى صلى الله على نبينا و عليه و سلم،
وفى التعبير بـ " كفروا " إشعار بأنهم الذين أزالوا بالتبديل أو الإخفاء ما
قدروا عليه مما بقى من التوراة دالاعلى نبوة محمد صلى الله عليه و سلم .
و لما كان الوطن عدل الروح لأنه للبدن كالبदन للروح، فكان
١٥ الخروج منه فى غاية العسر، دل على مزيد قهرهم به بأن قال :
(من ديارهم) و لما كان منهم من جلى من المدينة الشريفة إلى خيبر،
و هم آل أبى الحقيق و آل حبي بن أخطب و لحق سائرهم بأريحا من

(١) زيد من م (٢) زيد من م (٣) م (٤) م (٥) م (٦) م (٧) م (٨) م
(٩) م (١٠) م (١١) م (١٢) م (١٣) م (١٤) م (١٥) م (١٦) م (١٧) م (١٨) م (١٩) م (٢٠) م
(٢١) م (٢٢) م (٢٣) م (٢٤) م (٢٥) م (٢٦) م (٢٧) م (٢٨) م (٢٩) م (٣٠) م
(٣١) م (٣٢) م (٣٣) م (٣٤) م (٣٥) م (٣٦) م (٣٧) م (٣٨) م (٣٩) م (٤٠) م
(٤١) م (٤٢) م (٤٣) م (٤٤) م (٤٥) م (٤٦) م (٤٧) م (٤٨) م (٤٩) م (٥٠) م
(٥١) م (٥٢) م (٥٣) م (٥٤) م (٥٥) م (٥٦) م (٥٧) م (٥٨) م (٥٩) م (٦٠) م
(٦١) م (٦٢) م (٦٣) م (٦٤) م (٦٥) م (٦٦) م (٦٧) م (٦٨) م (٦٩) م (٧٠) م
(٧١) م (٧٢) م (٧٣) م (٧٤) م (٧٥) م (٧٦) م (٧٧) م (٧٨) م (٧٩) م (٨٠) م
(٨١) م (٨٢) م (٨٣) م (٨٤) م (٨٥) م (٨٦) م (٨٧) م (٨٨) م (٨٩) م (٩٠) م
(٩١) م (٩٢) م (٩٣) م (٩٤) م (٩٥) م (٩٦) م (٩٧) م (٩٨) م (٩٩) م (١٠٠) م
أرض

أرض الشام أرض المحشر، و لحق بعضهم بالحيرة، لوح إلى فتح خير
 وحشرهم منها حشرا ثانيا بقوله معللا أو 'موقنا: (لاول) أى لاجل
 أول أو عند أول (الحشر) وفي ذلك إشارة إلى أن كل بلد حشروا
 إليه سيفتح، و يزلزلون [منه - ٢] زلزلة أخرى، لا تزال مصائبهم بأهل
 الإسلام قائمة حتى يكون الحشر الأعظم بالقيامة، و الحشر: الجمع من ٥
 مكان و السوق إلى غيره بكره، و سمي أولا لأنهم أول من أجلى من
 اليهود من جزيرة العرب، و الحشر الثاني لهم من خير على زمن عمر
 رضى الله عنه، و عند ابن إسحاق* أن إجلالهم في مرجع النبي صلى الله
 عليه و سلم من أحد و فتح قريظة في مرجعه من الأحزاب و بينهما
 سنتان، قال لهم النبي صلى الله عليه و سلم: اخرجوا، قالوا: إلى أين، ١٠
 قال: إلى أرض المحشر، و قال ابن عباس* رضى الله عنهما: من شك أن
 المحشر بأرض الشام فليقرأ هذه الآية . انتهى، ٧ و هذا الحشر يدل على
 المحشر الأعظم و بينه [على قوله - ٨] صلى الله عليه و سلم: بعثت
 أنا و الساعة كهاتين .

(١) من ظ و م، و في الأصل: و (٢) زيد من ظ (٣) زيد في الأصل: من،
 و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٤) هذا قول الكلبي - كما في العالم
 بهامش الباب ٧ / ٤٨ (٥) و قول ابن إسحاق ذكره البغوي في العالم بهامش
 الباب ٧ / ٤٧ (٦) و قول ابن عباس ذكره البغوي في العالم بهامش الباب
 ٧ / ٤٨ (٧ - ٧) من ظ و م، و في الأصل: هذه الآية (٨) زيد من ظ و م .
 (٩) زيد بعده في الأصل: بقوله، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها .

و لما كان قد أخبر أن حشرهم لم يكن بسبب غير محض قدرته ،
 / استأنفت شرح ذلك بقوله : ﴿ مَا ظَنَنْتُمْ ﴾ أى أيها المؤمنون ﴿ ان يخرجوا ﴾
 أى يوقعوا الخروج من أثنى أدرثموه منهم لما كان لكم من الضعف
 ولهم من القوة لكثرتهم وشدة بأسهم وشكيمتهم وقرب بنى قريظة
 ٥ [منهم - ٢] فكانوا يصد مظاهرتهم ، وأهل خير أيضا غير بعيد عنهم
 وكلهم أهل ملتهم ، والمناقون من أصارهم وأسرتهم ، غابت ظنونهم
 فى جميع ذلك وقالت آراؤهم وسلط عليهم المؤمنون على قلتهم وضعفهم ،
 وإذا أراد الله نصره عبد استأسد أرتبه وإذا أراد قهر عدو
 استنوق أسده .

١٠ و لما كانت الحصون تمنع إلى إتيان الأمداد قال : ﴿ وظنوا أنهم ﴾
 ودل على قوة ظنهم وثباته بالجملة الاسمية فقال : ﴿ مانعهم حصونهم ﴾
 أى ثابت لها المنع ولهم الامتناع ، قالوا : وفى تقديم الخبر على المبتدأ
 دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومعها إياهم ، وفى جعل ضميرهم اسم
 "ان" [و - ١] إساد الجملة إليه دليل على اعتقادهم فى أنفسهم أنهم فى عز

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : فى (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : اريثموه .
 (٣) زيد من م (٤) زيد فى الأصل : الله ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م
 لحذفها (٥) من م ، وفى الأصل وظ : استنوق (٦) من ظ و م ، وفى
 الأصل : من (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : صهر اسم (٨) زيد من ظ و م .
 (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : غير .

و منة لا مطمع معها في معازتهم^١، و دل على ضعف عقولهم بأن 'عبر عن' جند باسمه و باسمه الأعظم فقال: ﴿ من الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا عز إلا له و أقم جنده، لا تقا تلون إلا فيه و به، بأسكم من بأسه، قد اجتمع الظن على شيء واحد . و لما كان إسناد ما للمضاف إلى المضاف إليه شائعا فى لسان العرب و كثيرا 'جدا' لأنه لا يلتبس على من^٢ له إمام ه بكلامهم، و بليغا جدا لما له من العظمة، قال: ﴿ فاتهم الله ﴾ أى جاءهم الملك الأعظم الذى لا يهتمون بمجته بما صور لهم من حقارة أنفسهم التى اضطرتهم إلى الجلاء ﴿ من حيث لم يحتسبوا ﴾ أى من الجهة التى لم يحملوا أنفسهم على حبسها^٣ وهى خذلان المنافقين لهم رعبا كرعهم و استضعافا كاستضعاف أنفسهم^٤ عن مقاومة جند الله بعد أن كان الشيطان ١٠ زين لهم غير ذلك، و ملأ قلوبهم من الأطماع الفارغة حتى قطعوا بما^٥ مناهم و قربهم لهم و أغواهم .

و لما كان التقدير: فأوهمهم الله^٦ بذلك، عطف عليه قوله: ﴿ وقذف ﴾ أى أنزل إنزالا كأنه قذفه بحجارة، فثبت و ارتكز ﴿ فى قلوبهم الرعب ﴾

- (١) من ظ و م، و فى الأصل: معادهم (٢-٣) من ظ و م، و فى الأصل: عين (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: الأعز (٤) من ظ و م، و فى الأصل: كثير (٥) زيد فى الأصل: ما ألفوه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها . (٦) زيد فى الأصل: كان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بليغ (٨) من ظ و م، و فى الأصل: حقيقة (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: بها (١١) سقط من ظ

أى الخوف الذى سكنها فَرَضَها ومَلَأَها وعبر منها إلى جميع قواهم
فاجتثها من 'أصلها' ثم 'بين حالهم عند ذلك' أو 'فسر قذف الرعب
بقوله: (يخربون بيوتهم) أى يبالغون - على قراءة أبى عمرو - بالتشديد -
فى إخراجها، أى إفسادها'، فإن الخربة الفساد، وقراءة غيره يفهم
الفعل المطلق الذى لا ينافى المقيد (بأيديهم) ضعفاً منهم - بما أشار
إليه جمع القلة، ويأساً من قوتهم ليأخذوا ما استحسنا من آلاتها، فكان
الرجل منهم [لأ:-°] يحملوا للرحيل يهدم بيته عن نجاف بابه وما
استحسن من خشبه فيضعه على ظهر بعيره فيأخذه / وينقب الجدار
ويهدم السقف حسداً للسلبين أن يسكنوها بعدهم لأن النبى صلى الله عليه
و سلم أمرهم أن يخلوا له عن البلد ولهم ما حملت إبلهم .

/٢٦٣

ولما كان السبب فى تخريب الصحابة رضى الله عنهم لبيوتهم ما
أحرقهم به من المكر والغدر كانوا كأنهم أمروهم بذلك، فتأبوا عنهم فيه،
فقال "أيضاً بجمع القلة للدلالة على أن الفعل له سبحانه وحده:
(وايدى المؤمنين) أى الراغبين فى الإيمان استيلاء وغلبة عليهم وقد
كان المؤمنون يخربون ما ضيق عليهم المجال منها" لأجل القتال، وقدم

- (١-١) من ظ و م ، وفى الأصل : أصلاها و (٢) من ظ و م ، وفى الأصل
و د و (٣) راجع نثر المرجان ٢٦٨/٧ (٤) فى ظ و م : فسادها (٥) زيد من م .
(٦) من ظ و م ، وفى الأصل : يحمل (٧) من م ، وفى الأصل : بما (٨) من
م ، وفى الأصل وظ : لهم (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : بيوتهم (١٠) من
ظ و م ، وفى الأصل : الغز (١١) من ظ و م ، وفى الأصل : فقالوا .
(١٢) من م ، وفى الأصل وظ : منهم .

تخريبهم

نخريهم لانه اعجب .

ولما كان في غاية الغرابة أن يفعل^١ الإنسان في نفسه كما يفعل فيه^٢ عبده ، سبب عن ذلك قوله : ﴿ فاعتبروا ﴾ أي احملوا أنفسكم بالإيمان في التأمل في عظيم قدرة الله تعالى على أن تعبروا^٣ من ظواهر العلم في هذه القضية بما دبر الله في إخراجهم إلى بواطن الحكمة بأن ه لا تعدوا لكم ناصرا من الخلق ولا تعتمدوا على غير الله ، فان الاعتبار - كما قال القشيري - أحد قوانين الشرع ، ومن لم يعتبر بغيره اعتبر به غيره - انتهى . وقد احتج بالآية مثبتو القياس فانه مجاوزة من الأصل إلى الفرع ، والمجاوزة اعتبار ، وهو مأمور به في هذه الآية فهو واجب .

ولما كان الاعتبار عظيم النفع ، لا يحصل إلا للكمل ، زاده تعظيما ١٠ بقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ بالنظر بأبصاركم وبصائركم في غريب هذا الصنع لتحقيقوا به ما وعدكم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من إظهار دينه و إعزاز نبيه^٤ ولا تعتمدوا على غير الله كما اعتمد هؤلاء على المناققين ، فان من^٥ اعتمد على مخلوق أسله ذلك إلى صفاره ومذله ، ولا تلوا بغدر كما أرادوا أن يغدروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ١٥ فيطرحوا عليه وهو قاعد بفناء دار من دورهم رحي من السطح ليقتلوه [بها -^٦] - زعموا ، ولا تفعلوا شيئا من قبيح أفعالهم لئلا يحصل لكم مثل

(١) في م : يعمل (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : في (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : يصيروا (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : هو (هـ-هـ) من ظ و م ، وفي الأصل : اعتزاز دينه (٦-٦) من م ، وفي الأصل وظ : وان (٧) زيد من ظ و م .

دكاهم كما أحكمه قوله صلى الله عليه وسلم "لتتبعن سنن من كان قبلكم"
 الحديث، وذلك الغدر منهم بعد أن حرضوا فريشا على غزوة أحد
 ودلوهم على بعض العورات، وقال البغوى^١: إن كعب بن الأشرف
 أتى فريشا بعد أحد في أربعين راكبا فخالفهم على النى صلى الله عليه
 وسلم فزل جبريل عليه السلام عليه يخره بذلك، وقال^٢: إنه لما فصد^٣
 عليه السلام أرسلوا إليه أن يخرج في ثلاثين ويخرج منهم ثلاثون^٤
 ليسمعوا منه، فان آمنوا به آمن الكل. فأجابهم فأرسلوا أن الجمع كثير
 فأخرج في ثلاثة ليخرج ثلاثه منا^٥، فأرسلت امرأة منهم إلى أخيها
 وكان مسلما أنهم اشتملوا على الخناجر يريدون الفك برسول الله صلى الله عليه
 وسلم فكف صلى الله عليه وسلم عن ذلك، وكل ما ذكر من أسباب
 قصتهم / [كما ترى -^٦] دأى على المكر بل هو عين المكر -

/ ٢٦٤

ولما دل هذا على غاية لوهم منهم^٧ فكان موضع التعجب من
 الكف^٨ عن قتلهم^٩، بين أن السبب في ذلك أمره الباهر وعزه القاهر
 حثا على ما ختم به الآية السابقة^{١٠} من الاعتبار والتدبر والاستبصار
 ١٥ فقال: ﴿ولو لا أن كتب الله﴾ أى فرض فرضا حتما الملك الذى له

(١) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٧ / ٤٦ (٢) راجع المعالم بهامش الباب
 ٧ / ٤٧ (٣) من ظ و م، وفى الأصل: قدسه (٤) من ظ و م والعالم، وفى
 الأصل: ثلاثين (٥) من م، وفى الأصل و ظ: منها، وفى المعالم: من علمائنا.
 (٦) زيد من ظ و م (٧) فى ظ: فيهم (٨-٨) من ظ و م، وفى الأصل: من
 قبلهم (٩) من ظ و م. وفى الأصل: السامة.

الامر كله ، ودل على أنه كتب إذلالاً وإخزاء بقوله : ﴿ عليهم ﴾
 أى بخصوصهم فيما كتب على بنى إسرائيل فى الأزل كما كتب على بنى
 قينقاع ﴿ الجلاء ﴾ أى الخروج من ديارهم والجولان فى الأرض ،
 فاما معظمهم فأجلاهم بخت نصر من بلاد الشام إلى العراق ، و أما هؤلاء فحرام
 الله بمهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك الجلاء وجعله على هـ
 يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأجلاهم فذهب بعضهم إلى خير
 وبعضهم إلى الشام مرة بعد مرة ﴿ لعذبهم فى الدنيا ﴾ أى بالسيف كما
 سيفعل^٢ بأخوانهم من بنى قريظة الذين كتب عليهم العذاب دون الجلاء
 من قتل المقاتلة وسبى الذرية ، فانه تعالى قد قضى قضاء حتماً أنه يظهر
 المدينة بلد الوحي منهم .

١٠

ولما كان التقدير : ولكنه كتب عليهم ذلك فهو عذابهم الآن فى
 الدنيا لا محالة وإن اجتمع أهل الأرض على نصرهم ، عطف عليه قوله
 على طريق التهمك بالتمعير بأداة النفع : ﴿ ولهم ﴾ أى^٣ على كل حال أجلوا
 أو تركوا ﴿ فى الآخرة ﴾ التى هى دار البقاء ﴿ عذاب النار ﴾ وهو
 العذاب الأكبر .

١٥

ولما أخبر بما نالهم فى الدنيا وبنالهم فى الآخرة ، علله^٤ بقوله :
 ﴿ ذلك ﴾ أى الامر [العظيم -^٥] الذى فعله بهم من الجلاء ومقدماته

- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : يد (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : فعل .
 (٣) سقط من م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : عليه (٥) زيد من م .

[في الدنيا -^١] و يفعله بهم في الآخرة ﴿ بانهم ﴾ ولما كانوا قد ضموا في هذه القضية^٢ إلى ما كانوا عليه من الكفر الظاهر ككفر^٣ باطنا بما أرادوا من إلقاء الرحي وغيره من الأذى مكرا منهم، أدغم^٤ في قوله: ﴿ شاقوا الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له الإحاطة التامة، فكانوا في شق غير شقه بأن صاروا في شق الأعداء المحاربين بعد ما كانوا في شق الموادعين .

ولما جازى^٥ رسول الله صلى الله عليه وسلم إخفاءهم لما أرادوا [أن -^٦] يفعلوا به بالإخفاء^٧ لخلاصه منهم بأن رجع إلى المدينة الشريفة وترك أصحابه رضى الله عنهم^٨ عندهم^٩ قال: ﴿ ورسوله ج ﴾ الذى لإجلاله ١٠ من إجلاله . ولما أخبر بفعله وبسيده، عطف عليه تأكيداً لمضمونه وإفادة لأنه يفعل في غيرهم ممن كان على أمرهم أعظم من فعلهم فقال: ﴿ من يشاق الله ﴾ أى يوقع في الباطن مشاققة الملك الأعلى الذى لا كفوء له في الحال أو الماضى أو الاستقبال سواء أبطن معها مشاققة أخرى أو لا ، وترك الإدغام على حاله لأنهم ما اظهروا معاداة^{١١} وإنما كان ما ١٥ فعلوا مكرا ومساترة، وذلك أخف من المجاهرة، و اظهر^{١٢} في الانتقال

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، وفي الأصل و ظ : القصة (٣) زيدت الواو في الأصل ولم تكن في ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : اعم (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : حادى (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : بالاعطاء (٧) من ظ و م . وفي الأصل : عنهم (٨) ليس في الأصل (٩) في ظ : المعاداة (١٠) من ظ و م ، وفي الأصل : ظهر .

لقوة [أمر - ١] المجاهرين^١ كما مضى ، ولم يعد ذكر الرسول تفخيماً له
 "بافهام أن^٢ مشاققته مشاققة / لله من غير مثوية أصلاً ، وإشارة إلى أنهم
 بالغوا في إخفاء مشاققتهم ، فلم يظهر عليها غير الله ، فلم يحصل منهم في
 ذلك مفاعلة بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم فانه لم يمكر بهم ،
 وإنما جاهرهم^٣ حين أعلمه الله بمكرهم بخلاف ما تقدم في الانتقال ، فإن ه
 المقام اقتضى هناك الذكر لأنهم مكروا به كما قال تعالى " واذ يمكر بك
 الذين كفروا " الآية وهو صلى الله عليه وسلم أخفى أمر هجرته وأعمل
 الحيلة في الخلاص من مكرم على حسب ما أمره الله به فحصلت^٤ المفاعلة
 في تحيز كل من الفريقين إلى شق غير شق الآخر خفية (فإن الله)
 أى المحيط بجميع العظمة يشدد عقابه له لانه (شديد العقاب ه) وذلك ١٠
 كما فعل بنى قريظة بعد هذا حيث نقضوا عهدهم^٥ وأظهروا المشاققة في
 غزوة الأحزاب و كما فعل أهل خيبر ، وكانوا يماكرون ويساترون في
 الأولى^٦ عند فتحها وفي الثانية^٧ عند إجلائهم منها ، فقد سوى بين المساترين
 والمجاهرين^٨ في العذاب وهو للمجاهرين^٩ أشد عذاباً كما هو واضح .

ولما دل سبحانه على عزته وحكمته بما فعل بنى النضير الذين يقولون ١٥

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : المجاهدين (٣-٤) من ظ
 و م ، وفي الأصل : بان (٤) في ظ : جاهدتهم (٥) من ظ و م ، وفي الأصل :
 لفصل (٦) من م ، وفي الأصل و ظ : عهده (٧) من ظ و م ، وفي الأصل :
 الأول (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : اثنى (٩) من م ، وفي الأصل و ظ :
 المهاجرين (١٠) من م ، وفي الأصل و ظ : للمجاهرين .

إنهم أشجع الناس و أشد هم شكيمة بما لهم من الأصالة و الاصطفاء على
العالمين ، مع التأيد بالكتاب و الحكمة ، و ختم بأن من شاق رسوله
فقد شاقه . و من شاقه فقد شدد عقابه ، أتبعه يان ما عاقبهم به من
قطع الصحابة رضى الله عنهم بأمر النبي صلى الله عليه وسلم لنخلهم الذى
هو اعز عليهم من أبقارهم و هم ينظرون إليه لا يغنون شيئا و لامنعة^٥
لديهم فقال : ﴿ ما ﴾ و هى شرطية و أتبعها بشرطها الناصب لها فقال :
﴿ قطعتم ﴾ أى كل ما قطعتموه ، و بين ما [فى ما - ٢] من الإيهام
بقوله معبرا عن النخل بما يفيد نوعه وأنه هان عليهم الفطخ و لان :
﴿ من أيت ﴾ و هى ضرب من النخل ، قال ابن إسحاق : هو ما خالف
العجوة من النخل ، [و - ٤] قال ابن هشام : اللينة من الألوان ، و هى
ما لم يكن برنية و لالعجوة من النخل فيما حدثنى أبو عبيدة - انتهى .
و قال صاحب القاموس : اللون : الدقل من النخل ، و هى جماعة واحدها
لونه و لينة ، قال المهدوى :^٦ و روى عن ابن عباس رضى الله عنهما و مجاهد
[و غيرهما - ٢] أنها النخل كله . و عن ابن عباس رضى الله عنهما
١٥ أيضا أنها لون من النخل ، و قال البغوى^٧ : و رواية زاذان^٨ عن
(١) من م ، و فى الأصل و ظ : صفة - كذا (٢) زيد من م (٣) من م ، و فى
الأصل و ظ . لأنه (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م و القاموس ، و فى
الأصل : واحد منها (٦) العبارة من هنا إلى « عنها أيضا » سائطة من ظ .
(٧) من م ، و فى الأصل و ظ : انه (٨) راجع المعالم بهامش الباب ٧ / ٤٩ .
(٩) من المعالم ، و فى الأصول : باذان .

ابن عباس رضى الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم [يقطع - ١]
 نخلهم إلا العجوة - وأهل المدينة يسمون ما خلا العجوة من التمر الألوان
 واخذها لون ولينة ، وقال عطية والحسن ومجاهد وابن زيد وعمرو
 ابن ميمون : اللينة : النخلة ، اسمان بمعنى واحد ، وجمعها لين وليان ، وقال
 سفيان الثوري : اللينة ما تمرها لون وهو نوع من التمر شديد الصفرة ه
 يشف / عن نواة فيرى من خارج ، قال البغوي : يغيب فيها الضرس ،
 وكان من أجود تمرم وأعجبها إليهم ، وكانت [النخلة - ١] الواحدة
 ثمنها ثمن وصيف أحب إليهم من وصيف ، فلما رأوهم يقطعونها شق
 عليهم وقالوا للؤمنين : إنكم تكرهون الفساد وأتم تفسدون ، دعوا
 هذه النخلة ، فانما هي لمن غلب عليها ، وقال الرازي في اللوامع : ١٠
 واختلاف الألوان فيها ظاهر^٥ لأنها أول حالها [بيضاء - ٨] كصدف
 ملئ درا منضدا ، ثم غبراء ثم خضراء كأنها قطع زبرجد خلق فيها
 الماء [ثم - ٩] حمراء كأنها ياقوت رص بعضه ببعض ثم صفراء^٦ كأنها
 شذر عقيان ، ولذلك إذا بلغ الإرتطاب نصفها [سميت - ٩] مجزعة
 لاختلاف ألوانها كأنها الجزع الظفاري . ١٤

ولما كان ما فسر بمؤنث هو اللينة ، أعاد الضمير مؤنثا فقال :

- (١) زيد من ظ و م والمعال (٢) من ظ و م والمعال ، وفي الأصل : ماعدا .
 (٣) سقط من م (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : من (٥) راجع المعال بهامش
 الباب ٧ / ٤٩ (٦) من ظ والمعال ، وفي الأصل و م : الفرس (٧) من ظ
 و م ، وفي الأصل : ظاهرة (٨) زيد من م (٩) زيد من ظ و م (١٠) من ظ
 و م ، وفي الأصل : صنى .

﴿ او تركتموها ﴾ ولما كان الترك يصدق ببقائها مفروسة أو مقطوعة قال :
 ﴿ قائمة ﴾ ولما كان المراد نخيلا كثيرة لإرادة الجنس قال : ﴿ على اصولها ﴾
 بجمع الكثرة ﴿ فإذن الله ﴾ أى فقطعها بتمكين الملك الأعظم ورضاه ،
 قال القشيري : وفى هذا دليل على [أن - '] الشريعة غير معلة و إذا ^٢
 ٥ جاء الأمر الشرعى بطل طلب ^٢ التعليل و سكنت الآلة عن التفاضل
 بدليم ، و حضور الاعتراض والاستقباح بالبال خروج عن حد العرفان .
 ولما فطم عن طلب العلل خطابا للكمل ، طيب قلوب من دونهم
 بعلّة معطوفة على ما تقديره : فليس ذلك بفساد ولكنه صلاح أذن
 لكم فيه ليشفى به صدور المؤمنين و يذهب غيظ قلوبهم ، فقال واضعا
 ١٠ موضع ضميرهم ظاهرا يدل على ما أوجب خزيمهم : ﴿ وليخزي الفاسقين ٥ ﴾
 الذين هم أصلاء فى المروق من دائرة الحق بأن يذلم و يفضحهم بيان
 كذبهم فى دعواهم العز و الشجاعة و التأيد من الله لأنهم على الدين الحق
 و أنه لا يتطرق إليه نسخ ، و روى أبو يعلى ^٦ عن جابر رضى الله عنه أنه
 قال : رخص لهم فى قطع النخل ثم شدد [عليهم - '] فأتوا النبي صلى الله
 ١٥ عليهم و سلم فقالوا : يا رسول الله ! علينا إثم فيما قطعنا أو علينا فيما
 تركنا ، فأزل الله الآية - انتهى . وكان ناس من المؤمنين مالوا إلى

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : انما (٣) من م ، وفى
 الأصل و ظ : بطلب (٤) من م . وفى الأصل و ظ : الرقة (٥) زيد فى الأصل :
 انتهى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٦) راجع الدر المنثور ٦ / ١٨٨ .

الكف عن القطع لما سموه اليهود فسادا و طائفة أشاروا بالاستمرار على القطع لأنه يغنيهم ، فصوب سبحانه في الآية من أمر بالكف و حل [من أشاروا بالاستمرار بالقطع -١] من الإثم ، فدلّت الآية على جواز لإفساد [أموال -٢] أهل الحرب على أى حال كان مثمرا^١ كان أولا بالتحريق و التفريق و الهدم و غيره لإخزائهم بذلك .

٥

و لما كانت الغنائم التي تقسم بين الجيش^٦ إنما هي ما قاتلوا عليه ، و أما ما أتى منها بغير قتال فهو في^٧ يأخذه الإمام فيقسمه^٨ خمسة أخماس ، ثم يقسم خمسا منها^٩ خمسة أقسام^{١٠} ، أحدها و هو كان للنبي صلى الله عليه وسلم يكون بعده لمصالح المسلمين ، و الأقسام الأربعة [الأخرى -٢]

من هذا الخمس لمن ذكر في الآية بعدها ، / و الأربعة الأقسام الكائنة ١٠ / ٢٦٧ من أصل القسمة^{١١} و هي التي كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنها حصلت بكفايته و إرعايه للعدو ، تفرق بين المرتزقة من جميع النواحي ، فكانت الأموال كلها لله^{١٢} . إنعاما على من يعبد به شرعه على السنة رسله عليهم الصلاة و السلام ، كانت أموال الكفار في أيديهم غصبا غصبوه

- (١) زيد من م (٢) من ظ و م ، و في الأصل : فساد (٣) زيد من ظ و م .
(٤) من ظ و م ، و في الأصل : العرب (٥) من ظ و م ، و في الأصل : مستمر^{١٣} (٦) زيد في الأصل : و غيره ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها .
(٧) من ظ و م ، و في الأصل : ويقسمه (٨) من ظ ، و في الأصل و م : منه .
(٩) من ظ و م ، و في الأصل : أخماس (١٠) من م ، و في الأصل و ظ : القنينة (١١) زيد في الأصل : أنواعا ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها .

من أوليائه، فخص سبحانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأموال بي
التنصير يصنعها حيث يشاء لأنها في* فقال: ﴿ وما آتاه الله ﴾ أى رد
الملك الذى له الامر كله ردا سهلا بعد أن كان فيما يظهر فى غاية
الكسر والصعوبة ﴿ على رتبته ﴾ فصيره فى يده بعد أن كان خروجها
عنها بوضع أيدي الكفار عليه ظلما وعدوانا كما دل عليه التعبير بالتي*
الذى هو عود الظل إلى الناحية التى كان ابتداء منها ﴿ منهم ﴾ أى ردا
مبتدئا من الفاسقين، فيبين أن هذا فى* لا غنية، ويدخل فى الفى أموال
من مات منهم عن غير وارث وكذا الجزية، وأما الغنيمة فهى ما
كان* بقتال وإيجاف خيل وركاب .

١٠ ولما كان الحرب إنما هو كروفر فى إسراع وخفة ورشاقة بمخاتلة*
الفرسان ومراوغة الشجعان ومغاورة أهل الضرب والطعان*، قال معللا
لكونه فيثا: ﴿ فما أوجفتم ﴾ أى أسرعتم، وقال ابن إسحاق: حرثتم واتبعتم
فى السير - انتهى . وذلك الإيجاف للغلبة ﴿ عليه ﴾ وأعرق فى النفى
بالجار فقال: ﴿ من خيل ﴾ وأكّد باعادة النافى لظن من ظن انه غنيمة
١٥ لإحاطتهم بهم فقال: ﴿ ولا ركاب ﴾ أى إبل، غلب ذلك عليها من بين
الركوبات، ولا قطعتم من أجله مسافة، فلم تحصل لكم كبير مشقة فى
حوز أموالهم لأن* فريتهم كانت فى حكم المدينة الشريفة ليس بينها

(١) من ظ و م . وفى الأصل: فى النى (٢) من م، وفى الأصل وظ: كانت.
(٣) من ظ و م، وفى الأصل: لمخاللة (٤) من م، وفى الأصل وظ:
الطغيان (هـ) من ظ و م، وفى الأصل: لا .

وبين ما يلي منها مسافة بل هي ملاصقة لإحدى قرى الأنصار التي المدينة
اسم لها كلها، وهي قرية بنى عمرو بن عوف في قباء بينها وبين القرية
[التي - ٢] كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نازلا بها نحو ميلين،
فشي الكل مشيا ولم يركب إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقاتلوا
بها قتالا بعد، فلذلك جعلها الله فينا ولم يجعلها غنيمة، فهي تقسم خمسة
الفى لاقسمة الغنيمة، فخمسة لاهل خمس الغنيمة وهم الأصناف الخمسة
المذكورون في الآية التي بعدها، وما فضل فهو الأربعة الأخماس له
صلى الله عليه وسلم مضمومة إلى ما حازه من خمس الخمس.

ولما كان معنى هذا: فما كان التسليط بكم، استدرك بقوله:

(ولكن الله) أى الذى له العز كله فلا كفوء له (يسلط رسله) أى ١٠
له هذه السنة فى كل زمن (على من يشاء) يجعل ما آتاهم سبحانه من
الهيبة رعبا فى قلوب أعدائه، فهو الذى سلط رسوله صلى الله عليه وسلم
على هؤلاء / بأن ألقى فى روعه الشريف أن يذهب إليهم فيسألهم الإعانة
فى دية العامرين اللذين قتلها عمرو بن أمية الضمرى رضى الله عنه خطأ،

فلما جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جانب بيت من بيوتهم، ١٥
وكانوا مواعدين له صلى الله عليه وسلم نقضوا عهدهم خفية مكرا منهم
بعد أن رحبوا به ووعده الإعانة وأمروا أحدهم أن يرمى عليه من

(١) من ظ و م، وفى الأصل: بين (٢) من ظ و م، وفى الأصل: بينهما.
(٣) زيد من ظ و م (٣) زيد بعده فى الأصل وظ: فيها، ولم تكن الزيادة
فى م فخذناها (٤) من ظ و م، وفى الأصل: هي (٥) من م، وفى الأصل
و ظ: قبله.

فوق السطح صخرة لتقتله ، فأعله [الله - ١] بهذا فذهب وترك أصحابه^٢
 هناك حتى لحقوا به ، وهذا بعد ما كان حي فعل من قدمه مكة وندمه
 لفريش إلى حرب النبي صلى الله عليه وسلم^٣ و معاقبته لهم^٤ على أن يكون
 معهم^٥ عليه الصلاة والسلام ، وإعلام الله بذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 ٥ فأرسل إليهم بعد^٦ ما أصبح أنكم [قد - ١] ختم الله ورسوله ، فأردتم أن
 تفعلوا كذا ، وأن الأرض لله ورسوله ، فأخرجوا منها وقد أجلتكم
 عشرا ، فمكثوا على ذلك أياما يتجهزون و دس إليهم ابن أبي ومن معه^٧
 من المنافقين أنهم معهم في الشدة والرخاء لا يسلمونهم ، وقال ابن أبي :
 معي ألفان من قومي وغيرهم من العرب يدخلون حصنكم فيموتون من عند
 ١٠ آخرهم ، وتمدكم قريظة و - لفاؤكم^٨ من غطفان فطمع حي بن أخطب في
 ذلك فأرسل أبا لانخرج من ديارنا فاصنع^٩ ما بدا لك ، فقصدهم رسول
 الله صلى الله عليه وسلم في المؤمنين يحمل رأيت على بن أبي طالب رضى
 الله عنه فصلى العصر بفنائهم بعد أن استعمل على المدينة ابن [أم - ١]
 مكتوم رضى الله عنه وأقام عليهم ست ليال وهم متحصنون ، فقطع من
 ١٥ نخلمهم [و حرق - ١] فنادوه أن قد كنت تنهى عن الفساد وتعييه على
 من صنعه فما بالك تقطع النخل ، و تربصوا نصر ابن أبي ومن معه على

(١) زيد من م (٢) زيد في م من (٣-٢) في ظ : معاقبتهم له (٤-٤) من ظ
 وم ، وفي الأصل : يكونوا معه (٥) في م : عند (٦) زيد من ظ وم (٧) من
 ظ وم ، وفي الأصل : معهم (٨) من ظ وم ، وفي الأصل : خلفاؤهم .
 (٩) من ظ وم ، وفي الأصل : فافعل .

ما قالوا فلم يفوا لهم، فالتقى الله الرعب في قلوبهم فأرسلوا بالإجابة، فقال:
 لا إلا أن يكون [لى - ١] سلاحكم وما لم تقدروا على حمله على إبلكم
 من أموالكم، فتوقفوا ثم أجابوا فحملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل
 إلا الحلقة، وذهبوا على ستائة بعير، وأظهروا الحلى والحلل وأبدى نساءهم
 زينتهن فلحق بعضهم بخبير وبعضهم الشام وخلوا الأموال والحلقة ٥
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسلم منهم إلا رجلان يامين^٢ بن عمرو
 وأبو سعد بن وهب، أسلما على أموالهما فأحرزاهما فجعل الله أموال من
 لم يسلم منهم فينا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة به يضمها حيث
 يشاء كما روى ذلك في الصحيح عن عمر رضى الله عنه في قصة مخاصمة
 على والعباس رضى الله عنهما، وفيه أنه من خصائصه صلى الله عليه وسلم ١٠
 فانه قال: إن الله قد خص رسوله صلى الله عليه وسلم في هذا الفى
 بشئ لم يعطه أحدا غيره، ثم قرأ " ما أفاء الله على رسوله منهم " إلى
 قوله تعالى: قدره فكانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله
 / ما احتازها دونكم ولا استأثر بها عليكم قد أعطاكموها وبها^٣ فيكم حتى
 بقى^٤ منها هذا المال - يعنى الذى وقع خصامهما فيه ، فكان ينفق رسول الله ١٥

(١) زيد من م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : من (٣) من م ، وفي الأصل
 و ظ : باس - كذا (٤) من م ، وفي الأصل و ظ : ابوسعيد (٥) من ظ
 و م ، وفي الأصل : فاخترها (٦) زيد في الأصل : فقال ، ولم تكن الزيادة
 في ظ و م لحدفتها (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : منها (٨) من ظ و م ،
 وفي الأصل : يبقى .

صلى الله عليه وسلم على أهله نفقة سنتهم من هذا المال ثم يأخذ ما بقي فيجمله يجعل ما لله، وفي الصحيح^١ أيضا عن مالك بن أوس بن الحدثان عن عمر رضى الله عنه قال: كانت أموال بنى النضير بما آفاه الله على رسوله صلى الله عليه وسلم مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، ه فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ينفق [على أهله - ٢] منها نفقة سنة^٣ ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عدة^٤ في سبيل الله - انتهى، وقد قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أموالهم بعد ما تركه لنفسه^٥ بين المهاجرين، لم يعط الأنصار منه شيئا إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة شديدة: أبو دجاجة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة رضى الله عنهم، [وكان لسيف ابن أبي الحقيق عندهم ذكر ففله سعد بن معاذ رضى الله عنه - ٢] وقال الأصهباني: إن النبی، كان يقسم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة وعشرين سهما أربعة أخماسها وهي عشرون سهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل بها^٦ ما يشاء ويحكم فيها ما أراد، والخمس الباقي على ما يقسم^٧ عليه ١٥ خمس^٨ الغنيمة - يعنى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذوى القربى ومن بعدهم، هكذا كان عمله صلى الله عليه وسلم [في صفایاه،

- (١) راجع ٧٢٥/٢ (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، وفي الأصل: ساعة .
 (٤) من ظ و م، وفي الأصل: هذه (٥) من ظ و م، وفي الأصل: لنصبه .
 (٦) من ظ و م، وفي الأصل: فيها (٧) من ظ و م، وفي الأصل: يحكم .
 (٨) من ظ و م، وفي الأصل: خمسة .

فلما توفي كانت إلى إمام المسلمين وكذا جميع ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم -^١ [لأنه قال : لا توارثوا، ما تركناه صدقة، فولى ذلك أبو بكر رضى الله عنه ثم عمر رضى الله عنه، فكانا يفعلان [فيها -^١] ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم : و قال الأصهباني رضى الله عنه أيضا عن مالك بن أوس بن الحذنان رضى الله عنه : قرأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه "أما الصدقات للفقراء" حتى بلغ "عليهم حكيم" ثم قال : هذه لهؤلاء ثم قرأ ["واعلموا إنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة" الآية] ثم قال هذه لهؤلاء، ثم قرأ -^١ ["ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى" الآية حتى بلغ "الفقراء المهاجرين و الذين تبؤوا الدار و الإيمان و الذين جاؤا من بعدهم"] ثم قال : استوعبت هذه المسلمين عامة فليس أحد إلا له فيها ١٠ حق، ثم قال : لئن عشت لياتين الراعى نصيبه منها لم يعرق جبينه فيه - انتهى . و قال ابن عطية : ما أخذ النبي صلى الله عليه وسلم لبي النصير و من فذك فهو خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم ، و ليس على حكم الغنيمة التي يوجف عليها و يقاتل فيها . و مذهب الشافعي رضى الله عنه أن هذه الأموال التي هي في كيفية الفداء يقسم على [خمسة -^١] أسهم : خمس^{١٥} منها للأصناف المذكورة أولها النبي صلى الله عليه وسلم و أربعة أخماسها له صلى الله عليه وسلم وحده ، و أجاب الشافعي عن قول عمر رضى الله عنه ،

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : يورث (٣) زيد من ظ .
(٤-٤) من ظ و م ، وفي الأصل : حكيم علم (٥) ليس في ظ و م (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : خمسة .

”فكانت هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة“ بانه عام
 أريد به الخاص، ومعناه: فكان ما بقي منها في يد رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بعد إعطاء الخمس لأربابه خاصا به صلى الله عليه وسلم، لا يشك
 أحد في خصوصيته به، ثم أنه مع ذلك ما احتازه^١ دونهم بل كان
 ٥ يفعل ما ذكر في الحديث من الإيثار، قال الشافعي رضي الله عنه: لانا
 لا^٢ شك أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى الأصناف المذكورين في
 الآية منها حقهم وقد عهدنا أن حق هؤلاء الأصناف من مال المشركين
 الخمس كما هو صريح في سورة الأنفال،^٣ واستفيد^٤ من قول عمر رضي الله
 عنه ”إنها كانت للنبي صلى الله عليه وسلم“ أنه كان له ما كان يشترك^٥
 ١٠ فيه المسلمون [من الخمس من الغنيمة التي حصلت بما حصل للكفار من
 الرعب منهم، والذي كان يشترك فيه المسلمون -^٦] بعد الخمس هو
 أربعة الأخماس^٧ والتي صلى الله عليه وسلم قام مقام المسلمين فيه إدم^٨
 لم يوجفوا عليه بخيل ولا ركاب، وإنما حصل ذلك بالرعب الذي
 القاه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في قلوب المشركين. فكانت الأربعة
 ١٥ الأخماس تخص من كان السبب في حصول الجميع [كما في الغنيمة، فعلى
 هذا النية الغنيمة لا يختلفان في أن الأربعة الأخماس تختص لمن كان السبب

(١) من ظ و م، وفي الأصل: اختاره (٢) في الأصل بياض ملأناه من ظ
 و م (٣-٢) من م، وفي الأصل و ظ: فاستفيد (٤) من ظ: وفي الأصل
 و م: شرك (٥) زيد من ظ و م (٦-٦) من ظ و م، وفي الأصل: الأربعة
 انماس (٧) من ظ و م، وفي الأصل: هو (٨) زيد من ظ.

في حصول الجميع-^١] و أن خمس المالين يكون للأصناف المذكورة^٢، والذي كان له صلى الله عليه وسلم من الفى من الأربعة الأخماس يكون بعد موته صلى الله عليه وسلم للمقاتلة لأنه حصل بالرعب الحاصل للكفار^٣ منهم كأربعة أخماس الغنيمة التي حصلت بقتالهم.

ولما كانت قدرته سبحانه عامة بالتسليط وغيره، أظهر ولم يضره فقال: (والله) أى الملك الذى له الكمال كله (على كل شيء) أى [أى شيء-^٤] يصح أن تتعلق المشيئة به وهو كل ممكن من التسليط وغيره (قديره) أى بالغ القدرة إلى أقصى الغايات، والآية تدل على أن إجماف الخيل والركاب وقصد العدو إلى الأماكن الشاسعة له وقع كبير في النفوس ورعب عظيم.

١٠

ولما نزع سبحانه أموالهم من أيدي الجيش، بين مصرف غيرها بما كان مثلها بأن فتح له صلى الله عليه وسلم بغير قتال فقال مستأنفا جوابا لمن دأبه قال: هل يعم هذا الحكم^٥ كل^٦ فى يكون بعد بنى النصير^٧: (ما آفاه الله) أى الذى اختص بالعزة^٨ والحكمة والقدرة (على رسوله)

ولما كان سبحانه محيط العلم بأنه يسلط على أهل وادى القرى وغيرهم ١٥

(١) زيد من ظ (٢) من م، وفي الأصل وظ: المذكورين (٣) من ظ وم، وفي الأصل: بالرعب (٤) زيد من ظ وم (٥) من ظ وم، وفي الأصل: وقع. (٦) زيدت الواو بعده في الأصل ولم تكن في ظ وم فحذفناها (٧) من ظ وم، وفي الأصل: ذلك (٨-٨) من ظ وم، وفي الأصل: في كل تكون معيد النصير - كذا (٩) من ظ وم، وفي الأصل: بالعز.

أعظم من هذا التسليط، قال ليكون علما من أعلام النبوة: ﴿من أهل القرى﴾
 أى قرية بنى النضير وغيرها من وادى القرى والصغراء وينبع وما
 هنالك من قرى العرب التى تسمى قرى 'عربية' ﴿فته﴾ أى الملك
 الأعلى الذى الأمر كله بيده ﴿والرسول﴾ لأنه أعظم خلقه، فرتبه
 ٥ تلى رتبته، وهذان يترا آى أنهما 'قسمان' وليس كذلك، هما قسم واحد،
 ولكنه ذكر سبحانه نفسه المقدس تبركا، فان كل أمر لا يبدأ به فهو
 أجزم، وتعظيما لرسوله صلى الله عليه وسلم إعلاما بأنه لا هوى له أصلا
 فى شيء من الدنيا، وإما رضاه^٢ رضا مولاه، خلقه القرآن الذى هو
 صفة الله [فهو -^١] مظهره ومجلاه، وسهمه^٣ صلى الله عليه وسلم يصرف
 ١٠ بعده لمصالح المسلمين كالسلاح والثغور والعلماء والقضاة / والأئمة .

ولما أبان هذا الكلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الفضل
 والعظمة ما لا يدخل تحت الوصف، أتبعه تعظيما آخر بتعظيم أقاربه
 لأجله، ولذلك أعاد العامل فقال: ﴿ولذى القربى﴾ أى منه^٤ لأن
 رتبته من بعد رتبته وهم بنو هاشم وبنو المطلب رهط إمامنا الشافعى
 ١٥ رضى الله عنه سواء فيه غنيهم وفقيرهم، لأن أخذهم لذلك بالقرابة لا بالحاجة
 كما هو مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه . ولما ذكر أهل الشرف،
 أتبعه أهل الضعف جبرا لو منهم فقال مقدما أضعفهم: ﴿واليتيم﴾

(١) من ظ و م، وفى الأصل: قرية (٢) من ظ و م، وفى الأصل: أنهم .
 (٣) من م، وفى الأصل و ظ: أرضاها (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م،
 وفى الأصل: قسمه (٦) من ظ و م، وفى الأصل: منهم .

[أى - '] الذين هم^٢ أحق الناس بالعطف لأن مبي الدين على التخلق بأخلاق الله التي من أجلها تقوية الضعيف وجبر الكسير^٣ (والمسكين) فانهم^٤ [فى الضمف] على أكرم - '] ودخل فيهم الفقراء فانه^٥ إذا انقرد لفظ الفقير أو المساكين دخل كل منهما فى الآخر^٦ ، وإنما يفرق إذا جمع بينهما ، وكذا النىء والغنيمة إذا أفردا^٧ جاز أن يدخل كل فى الآخر ، وإذا جمعا فالنوىء ما حصل بغير قتال وإيجاف خيل وركاب ، والغنيمة ما حصل بذلك (وابن السيل لا) وهم الغرباء لانقطاعهم عن أوطانهم وعشائرهم ، وقسمة النوىء على هذه الأصناف كما مضى أن يقسم خمسة أقسام : خمس منها^٨ لرسول الله صلى الله عليه وسلم [و - '] من ذكر معه من المخلوقين وذكر الله فيهم للتبرك ، لأن الأصناف ١٠ المذكورة هى التى يعبر عنها باسمه سبحانه ، والأربعة الأخماس خاصة له صلى الله عليه وسلم ينفق منها نفقة سنة وما فضل عنه أنفقته فى مصالح المسكين السلاح و [الكراع و - '] نحوه ، وما كان له صلى الله عليه وسلم فى حياته فهو للأصالح بعد وفاته ، كما كان يفعل بعد ما يفضل عن حاجته ، قال الشافعى رضى الله عنه [فى الأم - '] : وما أخذ من مشرك ١٥

- (١) زيد من ظ و م (٢) من م ، وفى الأصل وظ : هو (٣) زيد فى الأصل : ثم قال ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لخذلناها (٤) زيد من م (٥) من م ، وفى الأصل وظ : فانهم (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : الآخرة (٧) من م ، وفى الأصل : أفرد ، وفى ظ : أفردا (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : منه . (٩) زيد من ظ ، و راجع كتاب الأم ٤ / ٦٤ .

بوجه من الوجوه غير ضيافة من 'مر بهم' من المسلمين فهو على وجهين
لا يخرج منهما، كلاهما مبين في كتاب الله تعالى و [على - ٢] سنة رسوله
صلى الله عليه وسلم وفي فعله فأحدهما الغنيمة، قال الله تعالى في سورة
الأنفال "واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول" الآية،
ه والوجه الثاني الفاء، وهو مقسوم في كتاب الله في سورة الحشر، قال
الله تبارك وتعالى "وما أفاء الله على رسوله منهم - إلى قوله: رؤف
رحيم" فهذان المالان اللذان خولهما الله من جعلهما له من أهل دينه،
وهذه أموال يقوم بها الولاية لا يسمهم تركها. فالغنيمة والنيء يجتمعان
في أن فيهما معا الخمس من جميعهما لمن سماه الله تعالى، ومن سماه الله
١٠ تعالى في الآيتين [معا - ٧] سواء مجتمعين غير مفترقين، ثم يفترق الحكم
في الأربعة الأخماس بما بين الله عز وجل على لسان نبيه صلى الله عليه
وسلم وفي فعله فانه قسم أربعة أخماس الغنيمة، والغنيمة هي الموجف
عليها بالخيال والركاب لمن حضر / من غنى وفقير، والنيء وهو ما
لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، فكانت سنة النبي صلى الله عليه وسلم
١٥ في "قرى عربية" التي أفاءها الله عليه أن أربعة أخماسها لرسول الله صلى الله

/ ٢٧٢

(١-١) من ظ و م و الأم، وفي الأصل: قريهم (٢) من ظ و م و الأم،
وفي الأصل: عنها (م) زيد من ظ و م و الأم (٤) زيد في الأصل وظ: انتهى،
ولم تكن الزيادة في م والأم لحدفناها (هـ-ه) من ظ و م، وفي الأصل: بما.
(٦) من ظ و م و الأم، وفي الأصل: هذا (٧) زيد من م و الأم (٨) من
ظ و م و الأم، وفي الأصل: أخماس (٩) من م و الأم، وفي الأصل وظ: انه.
(١٠-١٠) من ظ و م و الأم، وفي الأصل: القرى العربية.

عليه وسلم خاصة دون المسلمين يضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أراه^١ الله عز وجل ، ثم ذكر حديث عمر رضى الله عنه من رواية [مالك بن] أوس بن الحدثان رضى الله عنه فى خصام على والعباس رضى الله عنهما ، قال الشافعى^٢ : فأموال بنى النضير التى آفاه الله على رسوله صلى الله عليه وسلم التى ذكر عمر رضى الله عنه فيها ما بقى منها فى يد النبى صلى الله عليه وسلم^٣ بعد الخمس وبعد أشياء فرقها النبى صلى الله عليه وسلم منها بين رجال من المهاجرين لم يعط منها أنصاريا [إلا رجلين-^٤] فذكرافقرا وهذا مبين فى موضعه ، وفى هذا الحديث دلالة على^٥ أن عمر رضى الله عنه إنما حكى أن أبا بكر رضى الله عنه وهو أمضيا ما بقى من هذه الأموال التى كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه ما رايا رسول الله^٦ صلى الله عليه وسلم يعمل به فيها ، وانهما^٧ لم يكن لهما بما [لم-^٨] يوجب عليه المسلمون من النية ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانهما^٩ إنما كانا فيه أسوة للمسلمين ، وذلك سيرتهما وسيرة من بعدهما ، والامر الذى لم يختلف فيه أحد من أهل العلم عندنا عليه^{١٠} ولم يزل يحفظ^{١١} من

(١) من ظ و م والآم ، وفى الأصل : اراد (٢) راجع الأم ٦٤ / ٤ (٣) زيد فى الأصل وظ : ما بقى ، ولم تكن الزيادة فى م والآم لخذفناها (٤) زيد من ظ و م والآم (٥) من ظ و م والآم ، وفى الأصل : عن (٦) من ظ و م والآم ، وفى الأصل : وإنما (٧) زيد من م والآم (٨) من ظ و م والآم ، وفى الأصل : انها . (٩) من ظ و م والآم ، وفى الأصل : عليه (١٠) من ظ و م والآم ، وفى الأصل : يحفظه .

قولهم أنه ليس لأحد ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من صفى
الغنيمة و لا من أربعة أخماس ما لم يوجف عليه منها، وقد مضى من
كان [ينفق -^١] عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أزواجه
وغيرهن إن كان معهن، فلم أعلم أحدا من أهل [العلم -^١] قال لورثتهم
ه تلك [النفقة التي كانت لهم، ولا خلاف أن تجعل تلك النفقات حيث
كان النبي صلى الله عليه وسلم يجعل فضول غلات تلك -^١] الأموال
فيما فيه صلاح الإسلام وأهله، قال الشافعي^٢: والجزية من الفى وسيلها
سبل جميع ما أخذ مما أوجف من مال مشرك أن بخمس فيكون لمن^٣
سمى الله عز وجل الخمس وأربعة أخماسه على ما سألته إن شاء الله تعالى،
١٠ وكذلك كل ما أخذ من مشرك من [مال] غير إيجاب، وذلك ما أخذ
منه إذا اختلف في بلاد المسلمين ومثل ما أخذ منه إذا مات ولا وارث
له، وغير ذلك مما أخذ من ماله، وقد كان في زمن النبي صلى الله
عليه وسلم في من غير قرى عريضة، وذلك مثل جزية أهل البحرين
ومجر وغير ذلك فكان له أربعة أخماسها يمشيها حيث أراد الله عز وجل
١٥ وأوفى^٤ خمسة من جعله الله له - انتهى .

ولما حكم^٥ سبحانه هذا الحكم في الفى المخالف لما كانوا عليه في

(١) زيد من ظ وم والام (٢) راجع الأم ٦٥/٤ (٣) من ظ وم والأم، وفي
الأصل: من مال من (٤) زيد في الأصل: من، ولم تكن الزيادة في ظ وم
والأم لحدفاها (٥) من ظ وم والأم، وفي الأصل: أراد (٦) من ظ وم
والأم، وفي الأصل: زاد في (٧) من ظ وم، وفي الأصل: احكم .

الجاهلية من [اختصاص -^١] الأغنياء به^٢. بين علته المظهرة لعظمته سبحانه وحسن تديره ورحمته فقال معلقا بما علق به الجار: ﴿كى لا يكون﴾ أى النى الذى سيره الله سبحانه بقوته وما خص به نبيه صلى الله عليه وسلم من قذف الرعب فى قلوب أعدائه / ومن حقه أن يعطاه الفقراء ﴿دولة﴾ ٣٧٣ /

أى شيئا يتناوله أهل الغنى والشرف على وجه القهر والغلبة إثره^٣ جاهلية - ه

هذا على قراءة الجماعة، وقرأ أبو جعفر و هشام عن ابن عامر بالتأنيث من^٤ "كان" التامة و "دولة" بالرفع على أنها فاعل ﴿بين الاغنياء منكم﴾ يتداولونه بينهم فانهم كانوا يقولون: من عزيز، ومنه قال الحسن: اتخذوا عباد الله خولاً و مال الله دولاً - يريد من غلب منهم اخذه^٥ واستأثر به، و قيل: الضم اسم للتداول كالفرقة اسم لما يغترف، والفتح التداول . ١٠

و لما كان التقدير: فافعلوا^٦ ما أمرتكم من قسمته لمن أمرت بهم، عطف عليه قوله: ﴿وما﴾ أى وكل شيء ﴿اتكم﴾ أى أحضر إليكم و أمكنكم منه ﴿الرسول﴾ أى الكامل فى الرسلية من هذا وغيره ﴿تغذوه﴾ أى وقبلوه تقبل من حازه ﴿وما نهكم عنه﴾ من جميع الأشياء ﴿فاتهوا ج﴾ لأنه لا ينطق عن الهوى ولا يقول ولا يفعل إلا ما أمره به الله ربه، فمن قبل ذلك هانت عليه الأمور كما ورد "القرآن صعب مستصعب على من تركه ميسر على من طلبه و تبعه" روى أن الآية

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ، و فى الأصل و م: ثم (٣) من م، و فى الأصل و ظ: اشده (٤) راجع نثر المرجان ٢٧٤/٧ (٥) من ظ و م، و فى الأصل: ما (٦) من ظ و م، و فى الأصل: احد (٧) من ظ، و فى الأصل و م: ما. (٨) من ظ و م، و فى الأصل: افعلوا (٩-٩) من ظ و م، و فى الأصل: هذه الأمور عليه وغيرها.

نزلت في ناس من الأنصار قالوا: لنا من هذه القرى سهمنا^١ .

ولما كان الكف عما ألقته النفوس صعبا، ولا سيما ما كان مع كونه تمتعا^٢ بمال على وجه الرئاسة، رهب من المخالفة فيه بقوله: ﴿ واتقوا الله^٣ ﴾ أى اجعلوا لكم بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاية من عذاب الملك الأعظم المحيط علما وقدره، وعلل ذلك بقوله، معظما له بإعادة الجلالة مؤكدا لأن فعل المخالف فعل المنكر: ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له وحده الجلال والإكرام على الإطلاق ﴿ شديد العقاب ﴾ أى العذاب الواقع بعد الذنب، ومن زعم ان شيئا مما في هذه السورة نسخ بشيء مما في سورة الأنفال فقد اخطأ، لأن الأنفال نزلت في بدر ١٠ و [هى -^٤] قبل هذه بمدة .

ولما نزع سبحانه أموال النىء وما كانت عليه في الجاهلية، وبين مصرف النىء من القرى، وتهدد في المخالفة في ذلك لصعوبته على النفوس، فكان ذلك جديرا بالتقبل بعد أن أفهم أن أموال بنى النضير لمن سلطه عليهم وهو رسوله صلى الله عليه وسلم، و كان من المعلوم من حاله صلى الله عليه وسلم الإيثار على نفسه والقناعة بما دون الكفاف، بين المصرف فيها ١٥ بعد كفايته صلى الله عليه وسلم لأن بيان ذلك هو المقصود الأعظم لكونه حاصلا حاضرا، الموطأ له بأموال أهل القرى، فقال مبدلا [من -^٥] "لله

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : هذا (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : منها .

(٣) من ظ و م ، وفى الأصل : متمتعا (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : الفعل .

(٥) ريد من ظ و م .

٢٧٤ /

والرسول“ و ما عطف عليهما لأن من أعطى المهاجرين لهجرتهم وتجردهم من أموالهم و ديارهم فانما أعطاهم لوجه الله و وجه رسوله صلى الله عليه وسلم ، و لا يكون بدلا من ”ذى القربى“ لئلا يختص بفقيرهم ، أو يكون جوابا لمن كأنه قال : قد سمعنا و أطعنا فلن^٢ / يكون ما سطر الله و رسوله صلى الله عليه وسلم من أموالهم ؟ فقيل له : ﴿ للفقراء ﴾ أى الذين كان الإنسان منهم يعصب الحجر على بطنه من الجوع و يتخذ الحفرة فى الشتاء لتقيه الرد ، ما له دثار^٣ غيرها بعد أن كان له من الأموال ما يسهه و يفضل منه ما يصل به غيره ، و إنما وصفهم بالفقر لأنهم كانوا عند زوالها^٤ كذلك ، ثم خصص بالوصف فقال : ﴿ المهاجرين ﴾ و لما كانت الهجرة قد تطلق على من هجر أهل الكفر^٥ من غير مفارقة^٦ ١٠ الوطن فقال : ﴿ الذين اخرجوا ﴾ و بناء للفعول لأن المنكئ الإخراج ، لا كونه من مخرج معين ﴿ من ديارهم ﴾ و لما كان الإخراج هنا مضمنا معنى المنع ، و اختبر التعبير به [إشارة - ٩] إلى أن المال السترة للإنسان لأنه ظرف له ، قال : ﴿ و أموالهم ﴾ .

- (١) من ظ ، و فى الأصل و م : لا (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : كان .
 (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فلن (٤) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لعدمها (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : زناد (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : نزول القرآن (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : يسره .
 (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : مصادفة (٩) زيد من ظ و م .

و لما كان علم الدنيا من النقص . بين أنه إذا كان 'من الله'
لم يكن كذلك ، وأنه لا يكون قادحا في الإخلاص ، وأن أمر بني النضير
إنما يسر 'تحقيقا لرجائهم فقال : (يتغون) أى [أخرجوا - ٢] حال
كونهم يطلبون 'على وجه الاجتهاد . و بين أنه لا يجب عليه شئ لأحد
٥ بقوله تعالى : (فضلا من الله) أى الملك الأعظم الذى لا كفوء له لأنه
المختص بجميع صفات الكمال من الدنيا والدين والآخرة فيغنيهم بفضله
عن سواه (ورضوانا) يوفقهم لما 'يرضيه عنهم ولا يجعل' رغبتهم
في العوض منه قادحا في الإخلاص فيوصلهم إلى دار كرامته .

ولما وصفهم بتعلق بواطنهم به سبحانه وقطعها بالرضا بالإخراج
١٠ عن [و عما - ٢] سواه ، [وصفهم - ٧] يذل ظواهرهم له فقال : (وينصرون)
[أى - ٢] على سبيل التجديد في كل وقت والاستمرار (الله) أى
الملك الأعظم المجيد (ورسوله) الذى عظمت عن عظمتهم بأنفسهم وأموالهم
ليضمحل حزب الشيطان . ولما بان ما له بهم سبحانه من العناية 'رقب
السامع من مدحهم ما يلبق بهذا الإخبار . فقال مستأنفا ما هو كالعلة
١٥ لتخصيصهم : (أولئك) أى العالو الرتبة في الأخلاق الفاضلة (هم)

(١-١) من م ، وفى الأصل وظ : لله (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : يستر .
(٣) زيد من ظ و م (٤) زيدى الأصل : من النقص ، بين أنه إذا كان
من - وهو تكرار لحذفها (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : بما (٦) من
ظ و م ، وفى الأصل : لا يحمل (٧) زيد من م (٨) سقط من ظ و م (٩) من
م ، وفى الأصل وظ : الغاية .

أى خاصة 'لا غيرهم' (الصدقون ج) العريقون فى هذا الوصف لأن مهاجرتهم لما^٢ ذكر وتركهم لما وصف دل على كمال^٢ صدقهم فيما ادعوه من الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم حيث نابذوا من عاداهما وهو القريب الصافى نسبا ودارا وأرلوا أولياءهما من كانوا وإن بعدت دارهم وشط مزارهم، وهذا يدل على أن مبنى الدين على إقامة البيئات^٥ بالثبات عند الابتلاءات^٦ على أن العون قد^٤ يأتى على قدر البلاء لأن الله تعالى قد^٤ خص المهاجرين بما أذن فيه من أموال بنى النضير . ولما مدح المهاجرين وأعطاهم قطابت قفوس الانصار بذلك وكانوا

فى كل حال معه صلى الله عليه وسلم / كالميت بين يدى الغاسل، مهما / ٢٧٥
شاء فعل، ومهما أراد منهم صار إليه ووصل، أتبعه مدحهم جبراهم ١٠
وشكرا لصنيعهم فقال عاطفا على مجموع القصة: (والذين تبوءوا) أى جعلوا بغاية جهدهم (الدار) الكاملة فى الدور وهى التى أعدها الله فى الأزل للهجرة وهى لها للنصرة وجعلها دائرة على جميع البلدان محيطة بها غالبية عليها محل إقامتهم وملابستهم وصحبتهم وملازمتهم لكونها أهلا لأن يعود إليها من خرج منها فلا يهجرها^{١١} أصلا، فهى محل مناه وليست ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من م، وفى الأصل و ظ : لم (٣) من ظ و م، وفى الأصل : كما (٤) من ظ و م، وفى الأصل : عادا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم (٥) من ظ و م، وفى الأصل : أوليائها (٦) من م، وفى الأصل و ظ : البيان (٧) من ظ و م، وفى الأصل : الابتلاء (٨) سقط من م (٩) سقط من ظ (١٠) من ظ و م، وفى الأصل : فلا يهجر .

موضعا^١ بهاجر منه^٢ لبركتها أو خيرها .

ولما كان المراد الإبلاغ في مدحهم ، قال مضمنا "تبوءا" معنى لازم :
 ﴿والإيمان﴾ أى [و - ٣] لابسوه وصحبوه وخصوه بالصحة ولزموه
 لزوما هو كلزوم المنزل الذى لاغنى لنازله عنه ، ويجوز أن يكون [الإيمان - ٤]
 ٥ وصفا للدار باعادة العاطف للإشارة إلى ' التمكن فى كل من الوصفين
 فيكون كآله قيل : تبوءا المدينة التى هى الدار وهى الإيمان لأنها محل تمكن
 الإيمان وانتشاره وظهوره فى سائر البلدان ، فلشدة ملابستها * [له - ٥]
 سميت به ، ويجوز أن يكون المعنى : و محل الإيمان إشارة إلى أنهم ما
 أقاموا بها لأجل أن أموالهم بها بل محبة فى الإيمان علما منهم بأنه لا يتم
 ١٠ بدره ، ويكمل شرفه وقدره ، وتشر أعلامه ويقوى ذكره إلا بها ، ولولا
 ذلك لهجروها^٦ وهاجروا إلى النى صلى الله عليه وسلم فى أى مكان حله ،
 فهو مدح لهم بأنهم متصفون بالهجرة بالقوة مع اتصافهم بالنصرة
 بالفعل^٧ .

ولما كانت افرادهم باقامة الإيمان فى الدار المذكورة قبل قدوم
 ١٥ المهاجرين عليهم مدحا تاما ، قال مادحا لهم بذلك دالا بآيات الجار
 على أنهم لم يستغرقوا زمان القبل من حين إرسال الرسول صلى الله
 (١) من ظ و م ، وفى الأصل : مواضعا (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : منها .
 (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد من م (٥) زيد فى الأصل : ان ، ولم تكن
 الزيادة فى ظ و م لخذفناها (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : لهجروا (٧) من
 ظ و م ، وفى الأصل : والفعل .

عليه وسلم بالأميرين: ﴿من قبلهم﴾ أى قبل هجرة المهاجرين لأن وصفهم بالهجرة لم يكن إلا بعد إيجادها فالأنصار جمعوا التمكن فى الإيمان إلى التمكن فى الدار من قبل أن يجمع المهاجرون بينهما بالهجرة .

ولما ابتداء ذكرهم هذا الابتداء الجليل ، أخبر عنهم بقوله : ﴿يحبون﴾ أى على سبيل التجديد والاستمرار ، وقيل : العطف على المهاجرين ، هـ وهذه ' حال فيكون هذا حكما بالمشاركة ﴿من هاجر﴾ وزادهم محبة فيهم وعطفا عليهم بقوله : ﴿إيهم﴾ لأن القصد إلى الإنسان يوجب حقه عليه لأنه لولا كمال محبته له ما خصه بالقصد إليه ، والدليل الشهودى على ما أخبر الله عنهم به من المحبة أنهم شاطروا المهاجرين فى أموالهم وعرضوا عليهم أن يشاطروهم نساءهم على شدة غيرتهم ، فأبى المهاجرون ١٠ المشاطرة فى النساء وقبلوا منهم الأموال .

ولما أخبرهم بالمحبة ورغبهم فى إدامتها ، عطف على هذا الخبر ما هو من ثمراته فقال : ﴿ولا يجدون﴾ [أى- : أصلًا] (فى صدورهم) التى هى مساكن / قلوبهم فتصدر منها أوامر القلوب فضلا عن [أن- : ٢٧٦ / تنطق ألسنتهم . ولما كان المراد نفي الطلب منهم لما خص به المهاجرين ، ١٥ وكان الحامل على طلب ذلك الحاجة ، وكان كل أحدًا يكره أن ينسب

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : بالامرهم (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : هذا (٣-٤) من ظ و م ، وفى الأصل : به عنهم (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : أو من (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : واحد .

إلى الحاجة وإن أخبر بها عن نفسه في وقت ما لغرض قال : ﴿حاجة﴾
 موقعا اسم السبب على المسبب ﴿مما اونوا﴾ أى المهاجرون من النبی
 و غيره من أموال بنی النضير و غیرهم من ای مؤت كان فكيف إذا
 كان المؤتى هو الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، و إذا لم يجدوا حاجة
 ٥ تدعوم إلى الطلب فلان لا يجدوا حسدا ولا غيظا من باب الأولى ، فهذه
 الآية من أعظم حاث على حسن الإخاء محذر من الحسد والاستياء .
 و لما أخبر عن تخليهم عن الرذائل أتبعه الأخبار بتخليهم بالفضائل فقال :
 ﴿و يؤثرون﴾ عظم ذلك بقصر الفعل فصار المعنى : يوقعون الإثرة
 وهى اختيار الأشياء الحسنة لغيرهم تخصيصا لهم بها لاعلى أجبائهم مثلا
 ١٠ بل ﴿على أنفسهم﴾ فيذلون لغيرهم [كانوا - ٢] من كان ما فى أيديهم ،
 و ذكر النفس دليل على [انهم فى - ٢] غاية النزاهة من الرذائل لأن
 النفس إذا ظهرت كان القلب أطهر ، وأكد ذلك بقوله : ﴿ولو كان﴾
 أى كونا هو فى غاية المكنة ﴿بهم﴾ أى خاصة لا بالمؤثر ، ﴿خاصة بهم﴾
 أى فقر و خلل فى الأحوال و حاجة شديدة تعبط بهم من كل جانب ،
 ١٥ من خصائص البناء و [هى - ٢] فرجه .

و لما كان التقدير : فمن كان كذلك فهو من الصادقين ، عطف
 [عليه - ٢] قوله : ﴿و من﴾ و لما كان المقصود النزاهة عن الرذيلة من
 أى جهة كانت . و كان علاج الرذائل صعبا جدا ، لا يطيقه الإنسان

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : على الفضائل (٢) من ظ و م ، و فى الأصل :
 الاختيار (٣) زيد من ظ و م (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ .

إلا بمعونة من الله شديدة، بنى للمفعول^١ قوله: (يوق شح نفسه) أى يحصل بينه وبين أخلاقه الذميمة المشار إليها بالنفس وقاية تحول بينه وبينها، فلا يكون مانعا لما عنده، حريصا على ما 'عند غيره' حسدا، قال ابن عمر رضى الله عنه: الشح أن تطمح عين الرجل فيما^٢ ليس له، قال صلى الله عليه وسلم: ' اتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم، حملهم^٣ على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم .

ولما كان النظر [إلى -^٤] التطهير من سفاسف الأخلاق عظيما، سبب عنه إلهاما لأنه^٥ لا يحصل ما سببه عنه بدونه قوله (فاولئك) : أى العالو المنزل (م) أى خاصة لا غيرهم (المفلحون) [أى -^٦] الكاملون في الفوز بكل مراد، [قال القشيري: وتجرد القلب من الاعراض ١٠ والأملأك صفة السادة -^٧] والآكار، ومن أسرته^٨ الأخطار وبقي في شح نفسه فهو في مصارفة معاملته ومطالبة الناس في استيفاء حظه، فليس له من مذاقات هذه الطريقة شئ . وشرح الآية [أن -^٩] الانتصار كانوا لما قدم عليهم المهاجرون قسموا دورهم وأموالهم بينهم وبينهم، فلما أفاه الله على رسوله صلى الله عليه وسلم أموال بنى التضيير خطب ١٥ النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ما صنعوا / بالمهاجرين من إنزالهم إياهم

٢٧٤ /

- (١) من ظ، وفي الأصل وم: المفعول (٢-٢) من ظ وم، وفي الأصل: عنده.
(٣) من ظ وم، وفي الأصل: بلا (٤) أخرجه مسلم في الصحيح: أبواب البر.
(٥) من ظ وم، وفي الأصل: حملوا (٦) زيد من ظ وم (٧) من ظ وم، وفي الأصل: بانه (٨) زيد من ظ (٩) من ظ وم، وفي الأصل: سرتة .

وإزتهم على أنفسهم، ثم قال : ان أحببتهم^١ قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاه الله على^٢ من بنى النصير، وكان المهاجرون^٣ على ما هم عليه من السكنى في منازلكم وأموالكم، وإن أحببتهم أعطيتهم وخرجوا من دياركم، فقال السعدان رضي الله عنهما : بل يقسم بين المهاجرين خاصة ويكونون هـ في دورنا^٤ كما كانوا، وقالت الأنصار : رضينا ولسنا، وفي رواية [أنهم -^٥] قالوا : اقسم فيهم^٦ هذه خاصة واقسم لهم^٧ من أموالنا ما شئت، فزلت^٨، ويؤثرون على أنفسهم - الآية، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار، وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : جزاكم الله خيرا يا مشر الأنصار، فوالله ما مثلنا ومثلكم ١٠ إلا كما قال العنزي :

جزى الله عنا جعفرا حين أزلت بنا نعلنا في الواطين فزلت
أبوا أن يملونا ولو أن أمتا تلاقى الذي يلقون منا ملكت^٩
فهم لعمرى الحقيقون باسم إخوان الصفا، وخلان المروءة والوفاء،
والكرامة والاصطفاء،^{١٠} ورضى الله عنهم وعن تابعيهم من الكرام الخلفاء
١٥ والسادة الحنفاء.

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : جيتم (٢) من ظ و م ، وفي الأصل :
المهاجرين (٣) من ظ ، وفي الأصل و م : دونها (٤) زيد من ظ و م .
(٥) من ظ و م ، وفي الأصل : منهم (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : بهم .
(٧) من ظ و م ، وفي الأصل : فزل (٨) زيد في ظ : انتهى (٩-١٠) سقط ما
بين الرقيين من ظ و م .

ولما أننى الله سبحانه وتعالى على المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم بما هم أهل، عقب^١ التابعين لهم بإحسان ما يوجب لهم الثناء فقال عاطفا على المهاجرين فيقتضى التشريك^٢ معهم، أو على أصل القصة من عطف الجمل: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا﴾ أى من أى طائفة كانوا، [ولما كان المراد^٣] المجيء ولو فى زمن يسير، أثبت الجار فقال: ﴿من بعدهم﴾^٥ أى بعد المهاجرين والأنصار وهم من آمن بعد انقطاع الهجرة بالفتح وبعد إيمان الأنصار الذين أسلموا بعد^٤ النبى صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة، ثم ذكر الخبر أو الحال على [نحو^٦] ما مضى فى الذى قبله فقال تعالى: ﴿يَقُولُونَ﴾ أى على سبيل التجديد والاستمرار تصديقا لإيمانهم بدعائهم لمن سبهم لهم: ﴿رَبَّنَا﴾ أى [أيها^٧] المحسن إلينا^{١٠} بإيجاد من مهد الدين قبلنا. ولما كان الإنسان وإن اجتهد موضعا للنقصان قال ملقنا لنا: ﴿اغفر﴾ أى أوقع الستر [على^٨] النقائص أعيانها وآثارها ﴿لَنَا﴾ ولما بدأوا بأنفسهم، ثنوا بمن كان السبب فى إيمانهم فقالوا: ﴿وَلَاخَوَاتَنَا﴾ أى فى الدين فإنه أعظم أخوة،^٩ وبينوا^{١١} العلة بقولهم: ﴿الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ ولما لقنهم^{١٢} سبحانه حسن الخلافة^{١٥} لمن مهد لهم ما هم فيه، أتبعه تلقين ما يعاشرون به أعضادهم الذين هم

(١) من ظ، وفى الأصل: من، والكلمة ساقطة من م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: التشديد (م) من ظ و م، وفى الأصل: كان (٤) زيد من ظ. (٥) فظ: مع (٦) زيد من ظ و م (٧-٧) من ظ و م، وفى الأصل: ثم بنوا. (٨) من ظ و م، وفى الأصل: لقبهم.

معهم على وجه يعم من قبلهم ، فقال معلما بأن الأمر كله بيده حثا على
الالتجاء إليه من أخطار النفس التي هي أعدى الأعداء: ﴿ ولا تجعل ﴾
وأفهم قوله: ﴿ في قلوبنا ﴾ أن^٢ رذائل النفس قل^٢ أن تنفك و أنها
إن كانت مع صحة القلب أوشك أن [لا -^٤] تؤثر ﴿ غلا ﴾ أى
ضغنا^٥ / وحسدا وحقدا^٦ وهو [حرارة و -^٤] غليان يوجب الانتقام^٧
﴿ للذين آمنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان وإن كانوا فى أدنى درجاته .

ولما كان هذا دعاء جامعا للخير ، لقنهم ما يحجبهم فى لزومه والتخلق
به مع ما فيه من التلقى للاله والتعريض له بقوة الرجاء فقال: ﴿ ربنا ﴾
أى أيها المحسن إلينا بتعليم ما لم نكن نعلم ، وأكدوا إعلاما بأنهم يعتقدون
١٠ ما يقولونه وإن ظهر من أفعالهم ما يقدر فى اعتقادهم ولو فى بعض الآراء
فقالوا: ﴿ انك رؤوف ﴾ أى راحم أشد الرحمة لمن كانت له بك وصلة
بفعل من أفعال الخير ﴿ رحيم ﴾ مكرم غاية الإكرام لمن أردته ولو
لم يكن له وصلة ، فأنت جدير بأن نجيبنا لأننا بين أن يكون لنا وصلة
فنكون من أهل الرأفة ، أولا فنكون من أهل الرحمة ، فقد أفادت
١٥ هذه الآية أن من كان فى قلبه غل على أحد من الصحابة رضى الله عنهم

(١) زيد فى الأصل و ظ : فقال ، ولم تكن الزيادة فى م لحذفها (٢) من ظ
وم ، وفى الأصل : اى (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : قبل (٤) زيد من
ظ و م (٥) فى ظ : بغضا (٦-٦) من ظ و م ، وفى الأصل : حقدا وحدا .
(٧) زيد فى الأصل : تقدير ولا تجعل شيئا من هذا الغل فى قلوبنا ، ولم تكن
الزيادة فى ظ و م لحذفها .

فليس من عنى الله بهذه الآية .

ولما دل على [ا١ -] هذا الثناء^٢ للصادقين في الإيمان باقامة^٣ السنة بالهجرة والإيثار والاجتهاد في الدوام^٤ ثبتين الإيمان فسهل به طريق الأمان ، فأخرج ذلك المناققين وأفهم أنهم لا يفعلون ذلك لأنهم لارسوخ لهم في الإيمان الحامل على ذلك ، دل على ثقافتهم الموجب^٥ لكذبهم بقوله متمما للقصة مخاطبا لأعلى الخلق إشارة إلى أنه لا يطلع على ثقافتهم لما لهم فيه من دقة المكر حق الأطماع غيره صلى الله عليه وسلم معجبا من حالهم^٦ في عدم رسوخهم مع ما يرون من المعجزات والآيات البينات ويرون من حال المؤمنين من إسباغ الرحمة عليهم بتسهيل الأمور والنصرة على الجبارة والإعراض^٧ عن الدنيا مع الإقبال^٨ على الآخرة والاجتهاد في الدين [الذي - ٩] هو وحده داع إلى الإيمان وحررق للقلوب ومبين للحقائق^{١٠} غاية البيان : (الم تر) أى تعلم علما هو في قوة^{١١} الجزم [به - ١٢] كالشاهد^{١٣} يا أعلى الخلق ، وبين بعدم عن جنانة العالی ومنصبه الشريف الغالی بأداة الانتهاء^{١٤} فقال تعالى :

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : النداء (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : في اقامة (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : لمن (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : حللهم (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : الأ - كذا (٧) زيد من ظ (٨) من م ، وفي الأصل و ظ : لتحقيق (٩) من ظ و م ، وفي الأصل : غلبة (١٠) زيد من م (١١) من ظ و م ، وفي الأصل : كالشاهدة (١٢) من ظ و م ، وفي الأصل : الاستفهام .

﴿الى الذين نافقوا﴾ أى أظهروا غير ما أضمروا، أظهروا^١ الخير وبالغوا في إخفاء عقائدهم بالشّر مبالغة من ساجل^٢ غيره، وهم عبد الله بن أبى وأصحابه، قالوا: والنفاق لفظ إسلامى لم تكن العرب تعرفه قبله، وهو استمارة من^٣ فعل الضب^٢ فى نافقائه وقاصعائه، وصور حالهم بقوله:
 ٥ ﴿يقولون لاخوانهم﴾ أى فى الموالاة بالضلالة.

ولما جمعهم فى الكفر وإن افترقوا فى المسارة والمجاهرة، وصف المجاهرين بنوع مسارة توجب النفرة منهم وتقضى بهلاك من صادقهم فقال: ﴿الذين كفروا﴾ أى غطوا أنوار المعارف التى دلتهم^٤ على الحق، وعينهم بما أبلغ فى ذمهم^٥ من حيث^٦ أنهم ضلوا على علم فقال:
 ١٠ ﴿من اهل الكتيب﴾ وهم بنو^٧ النضير هؤلاء، وبكتهم بكذبهم فيما أكدوا الموعد به / لأنه فى حيز ما ينكر من جهة أنهم لا يقدرّون على المجاهرة بكفرهم فكيف بالمبارزة بالخلاف لقومهم الإنصار والنبي صلى الله عليه وسلم فيهم فى قولهم: ﴿لئن اخرجتم﴾ [أى -^٨] من مخرج ما من بلدكم الذى فى المدينة الشريفة لمخرجتم من غير أن تقاتلوا
 ١٥ ﴿لنخرجن معكم﴾ فكان ما قضى به على إخوانهم من الإخراج فالأ وكل بمنطقهم.

/ ٢٧٩

(١) زيدت الواو فى الأصل و ظ ولم تكن فى م لخذفناها (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : مجمل (٣-٢) من ظ و م ، وفى الأصل : لفظ (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : الضلال (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : دلت (٦-٦) من ظ و م ، وفى الأصل : بحيث (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : بنى (٨) زيد من ظ و م .

ولما كان من المعلوم [أن للنافقين أقارب من أكابر المؤمنين ،
 وكان من المعلوم - ١] أنهم يقومون عليهم في منعهم من القيام معهم نصيحة لهم
 وإحسانا إليهم ، وكان تجويز بنى النضير موهنا لذلك^٢ ، قالوا مؤكدين للكون
 معهم : ﴿ ولا نطيع فيكم ﴾ أى فى خذلانكم ، والمعنى أنه لو فرض أنه
 صار أحد فى القرب منكم مثل قرب المظروف من الظرف ما أظناه فى ه
 التقصير فيما يسركم ﴿ احدا ﴾ أى يسألنا خذلانكم من الرسول والمؤمنين ،
 وأكدوا بقولهم : ﴿ ابدالا ﴾ أى ما دمنا نعيش ، وبمثل هذا العزم
 استحق الكافر الخلود الأبدى فى العذاب .

ولما قدموا فى معوتهم ما كان فالأ قاضيا عليهم ، أتبعوه قولهم :
 ﴿ وان قوتلتم ﴾ أى من أى مقاتل^٣ كان ققاتلتم ولم تخرجوا ﴿ لتنصرنكم^٤ ﴾ ١٠
 فالآية من الاحتك : ذكر الإخراج أولا دليلا على ضده ثانيا ، والقتال
 ثانيا دليلا على حذف ضده أولا ، ومعنى الآية أن النبي صلى الله عليه
 وسلم أرسل إلى بنى النضير : اخرجوا من بلدى ولا تساكنتوا ، قد هممت
 بالغدر بى وقد أجلتكم عشرا ، فمن رئى بعد ذلك منكم ضربت عنقه ،
 فأرسل إليهم ابن أبى بنما تقدم . ١٥

ولما كان قولهم هذا كلاما يقضى عليه سامعه بالصدق من حيث

- (١) زيد من ظ و م (ز) من ظ و م ، وفى الأصل : فضيحة (م) فى ظ : لهم .
 (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : مثل (ه) من ظ و م ، وفى الأصل : قاتل .
 (٦) زيد فى الأصل : لهم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لخذفها .

كونه مؤكدا مع كونه متبداً من غير سؤال فيه ، بين حاله^١ سبحانه بقوله:
 ﴿ والله ﴾ أى يقولون ذلك^٢ والحال^٣ أن المحيط بكل شيء قدرة وعلماً
 ﴿ يشهد ﴾ بما يعلم من بواطنهم في عالم الغيب . ولما كان بعض من
 يسمع قولهم هذا ينكر أن لا يطابقه الواقع ، وكان إخلافتهم^٤ فيه متحققاً
 ه في علم الله ، أطلق عليه ما لا يطلق إلا على ما كشف الواقع عن أنه
 غير مطابق ، فقال تشجيعاً للمؤمنين على قتالهم مؤكداً : ﴿ انهم ﴾ أى
 المناقون ﴿ لكذبون ه ﴾ وهذا من أعظم دلائل النبوة لأنه إخبار بغميب
 بعيد عن العادة بشهادة ما ظننتم أن يخرجوا لحققة الله على قريب^٥ ،
 ولما كان الكذب في قولهم هذا كونه إخباراً بما [لا] يكون ،

١٠ شرحه بقوله مؤكداً بأعظم من تأكيدهم : ﴿ اثنى اخرجوا ﴾ أى بنو
 النضير من أى مخرج كان ﴿ لا يخرجون ﴾ أى المناقون ﴿ معهم ج ﴾
 أى حية [لهم - ٦] لأسباب يعلمها الله ﴿ واثنى قوتلوا ﴾ أى اليهود
 من أى مقاتل كان فكيف بأشجع الخلق وأعلمهم صلى الله عليه وسلم
 ﴿ لا ينصرونهم ج ﴾ أى المناقون ولقد صدق الله وكذبوا في الأمرين
 ١٥ / ٢٨٠ معا : القتال و الإخراج ، لا نصروهم ولا اخرجوا / معهم ، فكان ذلك

من أعلام النبوة ، وعلم به من كان شاكاً فضلاً عن الموقنين ، صدق

(١) من م ، وفي الأصل وظ : حالهم (٢ - ٢) من ظ و م ، وفي الأصل :
 فالحال (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : من اخلافتهم (٤) من ظ ، وفي الأصل
 و م : قرب (٥) نويد من م (٦) زيد من ظ و م .

الكلام على ما لم يكن ولا ليكون لو كان كيف ' كان يكون' بصدق
الكلام على ما لم يكن ويكون كيف يكون إذا كان في ' قوله تعالى:
(ولئن نصروهم) أى المنافقون فى وقت من الأوقات (ليولن) أى
المناققون ومن ينصرونه^٢، وحرقم بقوله: (لادبارهم)، ولما كان
من عادة العرب الكر بعد الفر، بين أنهم لا كرة لهم بعد هذه الفرة^٣ وإن ه
طال المدى فقال: (ثم لا ينصرون ه) أى لا يتجدد لفريقهم^٤ أو لا لواحد
منها نصرة فى وقت من الأوقات، وقد صدق سبحانه لم يزل المنافقون
واليهود فى الذل ولا يزالون .

ولما كان ربما قيل: إن تركهم لنصرهم إنما هو لخوف الله أو غير
ذلك مما يحسن وقعه^٥، علل بما ينق ذلك ويظهر أن محط نظرم المحسوسات ١٠
كالبهايم فقال مؤكدا له لأجل أن أهل النفاق ينكرون ذلك وكذا من
قرب حاله منهم: (لآ أنتم) أيها المؤمنون (أشد رهبة) أى من جهة
الرهبة وهو تمييز محول عن المبتدأ أى لرهبتكم الكائنة فيهم^٦ أشد وأعظم^٧
(فى صدورهم) أى اليهود ومن ينصرهم^٨ بما أفاض^٩ إليها من قلوبهم

(١-١) من ظ و م ، وفى الأصل: يكون كان (٢) من ظ و م ، وفى الأصل:
قلنا (٣) من م ، وفى الأصل وظ: ينصرونهم (٤) من ظ و م ، وفى
الأصل: كثرة (٥) من ظ و م ، وفى الأصل: الفرقة (٦) من ظ و م ،
وفى الأصل: لفرقتهم (٧) من ظ و م ، وفى الأصل: وقفة (٨) من ظ و م ،
وفى الأصل: فيكم (٩) فى ظ و م: اعظمها (١٠) فى ظ: ينصرونهم (١١) من
م ، وفى الأصل وظ: اقص .

(من الله^١) أى من رهبتهم التى يظهرونها لكم منه وإن ذكروه بكل صفة من صفاته فرهبتهم منكم سبب لإظهارهم أنهم يرهون الله رياء لكم .
ولما كان هذا مما يتعجب منه المؤمن علله بقوله: (ذلك) أى الأمر الغريب وهو خوفهم الثابت اللازم من مخلوق مثلهم ضعيف يزينهم له وعدم خوفهم من الخالق على ما له من العظمة فى ذاته .
ولكونه غنيا عنهم (بانهم قوم) [أى -^٢] على ما لهم من القوة (لا يفقهون^٣) أى لا يتجدد لهم بسبب كفرهم واعتمادهم على مكرهم فى وقت من الأوقات فهم يشرح صدورهم ليدركوا به أن الله هو الذى ينبغى أن يخشى لا غيره، بل هم كالحیوانات لا نظر لهم إلى الغيب إنما هم مع المحسوسات، والفقه هو العلم بمفهوم الكلام ظاهره الجلى وغامضه الخفى بسرعة فطنة وجودة قريحة .

ولما أخبر برهبتهم دل عليها بقوله: (لا يقاتلونكم) أى كل من الفريقين اليهود والمنافقين أو أحدهما . ولما كان الشيء قد يطلق ويراد بعضه، حقق الأمر بقوله: (جميعا) أى قتالا يقصدونه مجاهرة
١٥ و [م -^٤] مجتمعون كلهم فى وقت من الأوقات ومكان من الأماكن (إلا فى قرى محصنة) أى بمنعة^٥ بحفظ الدروب وهى السكك الواسعة بالآبواب والخنادق ونحوها (أو من وراء جدر^٦) أى محيط بهم سواء كان بقرية أو غيرها لشدة خوفهم، وقد أخرج بهذا ما حصل من بعضهم^٧

(١) زيد من م (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل ولم تكن فى ظ وم فخذناها .

(٣) من ظ ، وفى الأصل وم : ممتعه (٤) من ظ وم ، وفى الأصل : لبعضهم .

عن ضرورة كالسير، ومن كان ينزل^١ من أهل خير من الحصن يبارز
ونحو ذلك؛ فانه لم يكن عن اجتماع، أو يكون هذا خاصاً بيني النصير
في هذه الكرة^٢.

ولما كان ربما ظن أن هذا عن عجز منهم لازم لهم دفعه^٣ بقوله
إعلاماً بأنه إنما هو من معجزات هذا الدين؛ (باسهم) أي قوتهم^٤ .
ما فيهم من الصفات التي يتأثر عنها العذاب (بينهم شديد^٥) أي إذا
أداروا^٦ رأيا أو حارب بعضهم بعضاً فجرأ المؤمنين عليهم^٧ بأن ما ينظرونه من^٨
شدتهم وشجاعتهم إذا حاربوا المشركين لا يكر^٩ عند محاربة^{١٠} المؤمنين
كرامة^{١١} أكرم الله بها المؤمنين تتضمن علماً من أعلام النبوة^{١٢} تقوية
لإيمانهم^{١٣} وإعلاء لشأنهم .

١٠

ولما كانت علة الشدة الاجتماع، شرح حالتي الشدة والرهبة بقوله
مخاطباً للنبي صلى الله عليه وسلم إشارة إلى شدة ما يظهرون^{١٤} من ألف

- (١) من ظ و م، وفي الأصل: يترك (٢) من م، وفي الأصل وظ: الكرة.
- (٣) من ظ و م، وفي الأصل: فقيد (٤) من ظ و م، وفي الأصل: النبي .
- (٥-٥) من ظ و م، وفي الأصل: شدتهم (٦) من ظ و م، وفي الأصل:
- فيها (٧) من ظ و م، وفي الأصل: ارادوا (٨-٨) من ظ و م، وفي الأصل:
- دل ما يشيروه على (٩-٩) سقط ما بين الرقين من ظ (١٠) من ظ و م،
- وفي الأصل: المحاربة (١١) من ظ و م، وفي الأصل: كم النعمة (١٢-١٢) من
- ظ و م، وفي الأصل: لتقوية دأيمائهم (١٣) من ظ و م، وفي الأصل:
- يفرمون .

بعضهم لبعض : (تحسبهم) أى اليهود و المنافقين يا أعلى الخلق و يا أيها
 الناظر من كان لذلك التعاطف^١ الظاهر (جميعا) لما هم فيه من اجتماع
 [الدفاع - ٢] وعن ذلك نشأت الشدة (و قلوبهم شتى) أى مفترقة
 أشد افتراق ، و عن ذلك نشأت الرهبة ، و موجب هذا الشتات^٢ اختلاف
 ٥ الامواء^٣ التي لاجتماع لها من نظام العقل كالبهائم و إن اجتمعوا فى عداوة
 أهل الحق كاجتماع^٤ البهائم فى الحرب من الذئب ، قال القشيري :
 اجتماع النفوس مع تنافر^٥ القلوب و اختلافها أصل كل فساد [و - ٢]
 موجب كل تخاذل ، و مقتض لتجاسر^٦ العدو ، و اتفاق القلوب^٧ و الاشتراك^٨
 فى المهمة و التساوى فى القصد^٩ يوجب كل ظفر^{١٠} و كل سعادة .

١٠ و لما كان السبب الأعظم فى الافتراق ضعف العقل ، قال معللا :

(ذلك) أى الامر الغريب من الافتراق بعد^{١١} الاتفاق الذى يخيل^{١٢}
 الاجتماع (بانهم قوم) أى مع شدتهم^{١٣} (لا يعقلون) فلا دين لهم

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : متطف (٢) زيد من ظ و م (٣-٢) من ظ
 و م ، وفى الأصل : يختلف الأصل (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : النظام .
 (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : فاجتماع (٦) من ظ و م ، وفى الأصل :
 تنافرت (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : لتجاسر (٨-٨) من ظ و م ، وفى
 الأصل : بل اشتراك (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : العصمة (١٠) من ظ
 و م ، وفى الأصل : الظفر (١١) من ظ و م ، وفى الأصل : السعادة .
 (١٢) من ظ و م ، وفى الأصل : بعده (١٣) من ظ و م ، وفى الأصل : يخيل .
 (١٤) زيد فى الأصل : و فونهم بمعنى وإن كل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م
 لحذفها .

يحميهم^١ لعلهم أنهم على الباطل فهم^٢ أسرى الآهوية، والآهوية في غاية الاختلاف، فالعقل مدار الاجتماع كما^٣ كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم^٤ كما أنت^٥ الهوى مدار الاختلاف.

ولما كان الإخبار بعدم عقلهم دعوى دل عليها^٦ بأمر مشاهد^٧ ه قال: (كثل) أي قصتهم في عدم فقههم بل عقلهم الذي نشأ عنه إخراجهم هذا وما^٨ سبه من مكربهم وغدرهم^٩ واعتمادهم على ابن أبي ومن معه من المناققين كثل قصة (الذين من قبلهم) ولما كان إدخال الجار مع دلالة على عدم استغراق زمان القبل يدل على قرب الزمن^{١٠}، صرح به فقال: (قريباً) وهم كما قال ابن عباس رضى الله عنهما بنو قينقاع من أهل دينهم اليهود أظهروا بأساً شديداً عند ما قصدهم النبي صلى الله عليه وسلم غزوة بدر فرعظم وحذرهم بأس^{١١} الله فقالوا: لا يغرنك^{١٢} يا محمد أنك لقيت قوماً^{١٣} أغماراً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم، وأما والله لو قاتلنا^{١٤} لعلبت أنا نحن الناس، ثم مكروا بامرأة من المسلمين فأرادوها

- (١) من ظ و م ، وفي الأصل : بجميعهم (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : فهو .
(٣) من ظ و م ، وفي الأصل : « و » (٤-٤) من ظ و م ، وفي الأصل : كمال .
(٥ - ٥) من ظ و م ، وفي الأصل : باشد شده (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : كما (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : عدادهم (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : الذين (٩) من ظ و م ، وفي الأصل : بأمر (١٠) من ظ و م ، وفي الأصل : لا تغرنك (١١) من ظ و م ، وفي الأصل : اقواماً (١٢) من ظ و م وفي الأصل : قتله .

على كشف وجهها / فأبت ففقدوا طرف ثوبها من تحت خمارها،
فلما قامت انكشفت سوانها^١ فصاحت فغار لها شخص من الصحابة وطمى الله
عنهم، فقتل اليهودي الذي عقد ثوبها فقتلوه، فأتقض عهدهم، فأول
النبي صلى الله عليه وسلم بساحتهم جنود الله فأذلهم^٢ الله ونزلوا من حصنهم
٥ على حكمه صلى الله عليه وسلم وقد كانوا حلفاء^٣ ابن أبي، ولم يغن عنهم
شيئا غير أن الله سأل للنبي صلى الله عليه وسلم [فيه-^٤] أن لا يقتلهم وألج
عليه حتى كف عن قتلهم فذهبوا عن المدينة الشريفة بأنفسهم من غير
حشر لهم بالإلزام بالجلاء..

ولما كان كأنه قيل: ما [كان-^٤] خبرهم؟ قال: (ذائقوا وبال)
١٠ أى وخامة وسوء عاقبة (أمرهم ج) [في الدنيا-^٥] وهو كفرهم
وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحزبه الذين [هم حزب-^٥] الله،
وسماه أمرا لأنه مما اتفقوا فيه (ولهم) أى في الآخرة (عذاب اليم ج)
أى شديد الإيلام.

ولما شبه سبحانه أمرهم في طاعتهم لابن^٦ أبي ومن معه وهم
١٥ البعداء المحترقون بسبب إبعاد المؤمنين لهم بإبعاد الله واحتراق أكبادهم
لذلك^٦ مع ما أعد^٨ لهم في الآخرة بأمر بنى قينقاع، شبه قصة الكل بقصة

(١) من ظ و م، وفي الأصل: سواقيها (٢) من ظ و م، وفي الأصل:
فأذلهم (٣) من ظ و م، وفي الأصل: خلف (٤) زيد من ظ و م (٥) زيد
من م (٦-٦) من ظ و م، وفي الأصل: ضمهم في ابن (٧) من ظ و م، وفي
الأصل: بذلك (٨) زيد في الأصل: الله، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها.

الشیطان [و-١] من أطاعه من الإنسان والجن^١، فقال مینا لمخى ما
 حظ^٢ عليه آخر الكلام: ﴿ کمثل ﴾ أى مثل الكل^٣ الواعدين بالنصر
 والمغترين بوعدهم مع علمهم بأن الله كتب فى الذکر " لا غلبن أنا رسلی"
 فى إخلافهم الوعد وإسلامهم إیاهم عند ما حق الأمر يشبه مثل^٤
 ﴿ الشیطن ﴾ أى البعید من کل خیر بعده من الله المحترق بعذابه، ه
 والشیطان هنا مثل المناقین ﴿ اذ قال للانسان ﴾ أى کل من فى نوس
 واضطراب وهو هنا مثل اليهود: ﴿ ا کفر ﴾ أى بالله بما [زین -]
 له ووسوس إلیه من اتباع الشهوات القائم مقام الأثر .

ولما كان الإنسان بما یساعد تزین الشیطان علیه من شهواته وحظوظه
 وأخلاقه یطیع أمره غالباً قال: ﴿ فلما کفر ﴾ أى^٥ أوجد الکفر على
 أى وجه كان، ودلت الفاء على إصراره فى متابعة تزینته ﴿ قال ﴾ أى
 الشیطان الذى هو هنا عبارة عن المناقین مؤكداً لما لمن تعلق بمن أكد
 له الوعد بشیء من صادق الاعتماد علیه والتکذیب بأنه^٦ یخذله:
 ﴿ ا فی برى - منک ﴾ أى لیس بینى و بینک علاقة فى شیء^٧ أصلاً ظناً منه
 أن هذه البراءة تنفعه شیئاً^٨ مما استوجه^٩ المأمور بقبوله لأمره، وذلك ١٥

(١) زید من ظ و م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: الجان (٣) من ظ و م،
 وفى الأصل: حد (٤) زید فى الأصل ای، ولم تكن الزیادة فى ظ و م
 لحذفها (٥) من ظ و م، وفى الأصل: من (٦) زید فى الأصل وم: الانسان،
 ولم تكن الزیادة فى ظ لحذفها (٧) من ظ و م، وفى الأصل: بان (٨) زید
 فى الأصل: منه، ولم تكن الزیادة فى ظ و م لحذفها (٩ - ٩) من ظ و م،
 وفى الأصل: لا یستوجه .

كناية [عن - ١] أنه فعل معه من الإعراض عنه والتماهى في كل ما يدل على إهماله فعل من أكد البراءة منه، وذلك كما فعل المنافقون باليهود^٢ جرأوم على أمر يتهى وهو الإقامة في بلدهم، فلما نصبوا الحرب طمعا في نصرهم فعل المنافقون بقباطوهم عنهم فعل المتبرئ منهم^٣ فكان ذلك أشد عليهم بما لم يطمعون في نصرهم لأن هذا بمنزلة انهزامهم^٤ عنهم

من الصف الموجب لانهزامهم / لاحالة، ثم علل البراءة بقوله: / ٢٨٣

(انى اخاف الله) أى الملك^٥ الذى لا أمر لاحد معه فلا تطلق صولته، ثم شرح ذلك بقوله: (رب العالمين) أى الذى أوجدكم من العدم ورباهم بما يدل [على - ٦] جميع الاسماء الحسنى والصفات العلى، فلا يبقى أحد من خلقه عن أحد شيئا إلا باذنه و [هو - ٦] لا يغير أصلا لمن يقدح^٦ في ربوبيته ولا سيما إن نسبها إلى غيره، وكان هذا كمثل ما يحدث الإنسان بعد الوقوع في المعصية من الندم والحيرة، فإذا وجد ذلك وهم بالتوبة زين له المعصية وصعب عليه أمر التوبة وعسره وجراه على المعصية بعينها أو على ما هو أكبر منها، ولا يزال كذلك حتى يتعذر عليه الرجوع فيتحقق هلاكه وهلاك من أوقعه، فلذلك سبب عنه قوله: ١٥

(فكان) ولما كان تقديم الشيء على محله موجبا لروعة تنبه الإنسان للتفتيش^٧ عن السبب والتشويق إلى المؤخر قال: (عاقبتهما) مقدا

(١) زيد من ظ و م (٢) زيدت الواو في الأصل ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م، وفي الأصل: عنهم (٤) من ظ و م، وفي الأصل: اعترأهم (٥) من ظ و م، وفي الأصل: الأمر (٦) زيد من م (٧) من ظ و م، وفي الأصل: قدح (٨) من ظ و م، وفي الأصل: لتتغير.

لخبر دكان، (انهما) أى الغار' والمغورور (فى النار) حال كونهما
(مخلدين فيها^١) لانهما ظلما [ظلما-^٢] لا فلاح معه . ولما كان ذلك
قد يعمل على أنه [فى-^٣] الإنسان بعينه ، قال معلقا بالوصف^٤، تعميما
و زجرا عنه : (وذلك) أى العذاب الاكبر (جزاؤا^٥ الظلمين) أى
كل [من-^٦] وضع العبادة فى غير محلها .

- و لما أبلغ سبحانه فى المواعظ فى هذه السورة قولا وفلا ، وكانت
الإيقاعات المذكورة فيها مسية عن الخيانات عن كان له عهد فنقضه ،
أو من كان أظهر الإيمان فأبان فعله كذبه ، قال سبحانه و تعالى استنجا
عن ذلك وعظا للمؤمنين لأن الوعظ بعد المصائب أوقع فى النفس واعظم
فى رقيق القلب وتحذيره عما يوجب العقوبة : (يأياها الذين آمنوا)^{١٠}
مناديا لهم نداء^٧ البعد معبرا بأذى أسنان الإيمان لأنه عقب ذكر من
أقر بلسانه فقط (اتقوا الله) أى اجعلوا لكم وقاية تقيم سنخ الملك
الاعظم الذى لا أمر لاحد معه ولا بد^٨ أن يستعرض عيده ، فاحذروا
عقوبته بسبب التقصير فيما حده لكم من أمر أو نهى (ولتتظر نفس)
أى كل نفس تنظر إلى نفاستها وتريد العلو على أقرانها ، ولعله وحدها^{١٥}
للاشارة مع إفادة التعميم إلى^٩ قلة الممثل لهذا الأمر جدا (ما قدمت)

(١) زيد فى الأصل : هو ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من
ظ و م (٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : بالمعطف (٥) ليس فى
الأصل فقط (٦) زيدت الواو فى الأصل ، ولم تكن فى ظ و م فحذفناها .
(٧) من ظ و م ، وفى الأصل : حدا (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : بعد .
(٩) من ظ و م ، وفى الأصل : او .

أى من الزاد الذى يكون به صلاح المنزل الذى من لم يسع فى إصلاحه
لم يكن له راحة ، هل يرضى الملك ما قدمته فينجيها أو يغضبه فيزديها .
ولما كان الاجل مبهم الوقت ، فكان لقاء الله فى كل يوم بل كل

لحظة للعاقل متربحاً لكونه ممكناً [مع كونه - ٢] على الإطلاق [محققاً - ٢]
٥ لا يجهله أحد ، قال مشيراً بتكثيره وإبهامه إلى تهويله وإعظامه : (لندج)

أى لأجل العرض بعد الموت أو فى يوم القيامة الذى هو فى غاية القرب
لأن هذه الدنيا كلها / يوم واحد يحى فيه ناس ويذهب آخرون ،

/ ٢٨٤

والموت أو الآخرة غده ، لابد [من - ٣] كل منهما ، وكل ما لابد منه
فهو فى غاية القرب لاسيما إن كان باقياً غير منقضى ، وكل من نظر

١٠ لغده أحسن مراعاة يومه ، و تنوينه ، للتعظيم من جهات [لانتصى - ٣] .

ولما أمر بتقواه سبحانه خوفاً من سطوته أمر بتقواه لأجل مراقبته حياء من

جلائه وهيبته تأكيداً لأن مدار النجاة على التقوى لأن مكاييد الشيطان
دقيقة ، فمن لم يبالغ فى محاسبة نفسه وتفقد ما يمكن أن يكون من الخلل فى

أعماله أو شك أن يحبط [الشيطان - ٢] أعماله فقال تعالى : (واتقوا الله)

١٥ أى الجامع لجميع صفات الكمال أى اتقوه حياء منه ، فالتقوى الأولى لإيجاد

صور الاعمال ، وهذه لتصفيتها وتركبة أرواحها ، ولذلك علل بقوله

(١-١) من ظ و م ، وفى الأصل : يعقبه فيزدر بها (٢) زيد من م (٣) زيد من

ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : بنويه (٥) من ظ و م ، وفى الأصل :

يفقد (٦-٦) - سقط ما بين الرقيين من ظ و م .

مرغباً مرهباً: ﴿ان الله﴾ أى الذى له الاسماء الحسنى و الصفات العلى
 ﴿خير﴾ أى عظيم الاطلاع على ظواهركم وبواطنكم و الإحاطة
 ﴿بما تعملون﴾ فلا تعملون عملاً إلا كان بمراى منه و مسمع فاستحيوا
 منه ، وكرر الاسم الأعظم كراهية أن 'يظن تفقيد' التقوى بحيشة من
 الحشيات تعظيماً لهذا المقام إعلالاً بأن شؤنه لا تنحصر^٢ و أن إحاطته
 لا تخص مقاماً دون مقام ولا شأن سواه^٣ شأن

و لما هز إلى تقواه تارة بالخوف و أخرى^٤ بالحياء تأكيدها ، و علل
 ذلك بما له شعبة [من التحذير - ١] ، و كان الإنسان لما له من النسيان
 أحوج إلى التحذير ، قال مؤكداً لشعبته و إيضاحاً لأن التقوى الثانية^٥ لمحاسبة
 النفس فى تصفيه العمل: ﴿ولا تكونوا﴾ أيها^٦ المحتاجون إلى التحذير ١٠
 و هم الذين آمنوا^٧ ﴿كالذين نسوا الله﴾ [أى - ١] أعرضوا عن أوامره
 و نواهيه و تركوها ترك الناسين لمن برزت عنه مع ماله من صفات
 الجلال و الإكرام لما استغفوا^٨ به من أمره الشيطان حتى أبعدهم جداً
 عن العمران ﴿فانسئهم﴾ أى قسب عن ذلك أنه أنساهم بما له من

(١) زيد فى الأصل: سبغته ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٢) من
 ظ و م ، و فى الأصل: يفيد (٣) زيد فى الأصل: و لا تدخل تحت حصر ،
 و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل: دون .
 (٥) من ظ و م ، و فى الأصل: قارة (٦) زيد من ظ و م (٧) زيد فى الأصل:
 حى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٨) من م ، و فى الأصل: وظ : أى .
 (٩) من ظ و م ، و فى الأصل: جبلتهم نسيان التقوى .

الإحاطة بالظواهر و البواطن ﴿انفسهم﴾ فلم يقدموا لها ما يقعها وإن قدموا شيئاً كان مشوباً بالمفسدات 'من الرياء' والعجب، فكانوا من قال فيه سبحانه و تعالى " وجوه يومئذ خاشعة عاملة^٢ ناصبة^٣ تصلى ناراً حامية تسقى من عين^٤ انية^٥ " لأنهم لم يدعوا باباً من أبواب الفسق فإن رأس الفسق الجهل بالله، ورأس العلم ومفتاح الحكمة معرفة النفس، فأعرف^٦ الناس بنفسه^٧ أعرفهم بربه^٨ " "من عرف نفسه فقد عرف ربه^٩ " .

ولما كانت ثمرة ذلك أنهم أضاعوها - أى التقوى^١ - فهلكوا قال :
﴿اولئك﴾ أى البعيدون من كل خير ﴿هم﴾ أى خاصة^٢ دون غيرهم^٣
﴿الفسقون﴾ أى العريقون^٤ فى المروق^٥ من دائرة الدين .

١٠ ولما تم الدليل على أن حزب الله هم المفلحون لما أبدى بهم به^١ فى هذه الحياة الدنيا من النصر و الشدة على الأعداء و اللين و المعاضدة للأولياء و سائر الأفعال الموصلة إلى / جنة المأوى، و صرح فى آخر الدليل بحضرة حزب الشيطان فعلم أن لهم^٢ مع^٣ هذا الهوان عذاب النيران، وكان المغرور بعد هذا بالدنيا الغافل عن الآخرة لأجل شهوات فانية
١٥ و حظوظ زائلة عاملاً عمل من يعتقد أنه لافرق [بين -^١] الشقى بالنار

(١-١) من ظ و م ، وفى الأصل : بالرياء (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ ، وفى م : الآية (٣) فى ظ : فإن اعرف (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : بربه (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : بنفسه (٦-٦) سقط ما بين الرقين من ظ و م (٧-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : من المروقة (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : من (٩) زيد من ظ و م .

والسعيد بالجنة لتجشمه التجرع لمرارات الاعمال المشتملة عليها، أشجع
ذلك قوله منزلا لهم منزلة الجازم بذلك أو الغافل عنه تنبيهها لهم على غفلتهم
وإيقاظهم غفلتهم؛ (لا يستوى) أى بوجه من الوجوه (أصحاب النار)
التي هي محل الشقاء الأعظم (وأصحاب الجنة) التي هي دار النعيم الأكبر
لا في الدنيا ولا في الآخرة وهي من أدلة أنه لا يقتل مسلم بكافر . ٥
ولما كان نفي الاستواء غير معلم في حد ذاته بالأعلى من الأمرين،
وكان هذا السياق معلما بما حقه من القرائن بعلوم أهل الجنة، صرح به في
قوله: (أصحاب الجنة هم) أى خاصة (القاتلون) المدركون لكل
محبوب الناجون من كل مكروه، وأصحاب النار هم المالكون في الدارين
كما وقع في هذه الغزوة لفريق المؤمنين وبني النضير ومن والاهم من ١٠
الناقضين، فستان ما بينهما .

ولما كان قد مر في هذه السورة فضلا عما تقدمها من حكمة هذا
القرآن وإعجازه تارة بمطابقته لما نزل بسببه مطابقة تجلو عنه كل إشكال،
وتارة بما يشاهد من صدقه فيما أخبر بآياته من الأفعال، وأخرى بما
يحدثى به من الأقوال، ومرة بنظم كل جملة مع ما تقدمها على ما لم يمكن ١٥
لبشر مثله في الأحوال إلى غير ذلك من أمور لا يحصرها المقال، ترتب
على ذلك قوله مبينا أن سبب اقتراق الفريقين في المعنى اقتراقهم في

(١) ولم في الأصل قبل «هم» والتوبيخ من ظ و م (٢) من م ، وفي الأصل
و ظ : المذكورون (٣) زيد في الأصل : به ، ولم تكن الزيادة في ظ و م
لخذفها (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : بما (٥) من م ، وفي الأصل و ظ :
السر (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : اقتران .

هذا القرآن [في الأولى - ١] تمثيلاً للقلوب في قسوتها أو ليها عند
سماع القرآن و تخيلاً و توييحاً للقاسي و مديحاً للعاطف اليبين ، لا فاقا
القول إلى أسلوب العظمة لا قضاء الحال لها : ﴿ لو أنزلنا ﴾ بمطعنا التي
أبانتها هذا الإنزال ﴿ لهذا القرآن ﴾ على الجاهل لجميع العلوم ، للفارق
ه بين كل ملتفتين المبين لجميع الحكم ﴿ على جبل ﴾ أي أي جبل كان
﴿ رأيت ﴾ مع صلاته و قوته يد أشرف الخلق [إن لم يتأهل عبرك
لمثل تلك الرؤية - ١] ﴿ خاشعاً ﴾ أي مطعناً محبباً على صلاة متذلاً
باكياً ﴿ متصدعاً ﴾ أي متشققا غايه التشقق كما تصدع^١ الطور لتجلينا
له بما دون ذلك من العظمة التي جلونا كلامنا الشريف لموسى عليه
السلام في ملابسها ﴿ من خشية الله ﴾ أي من الخوف العظيم ممن له الكمال
كله حذرا من أن لا يكون مؤديا ما افترض عليه من تعظيم القرآن
عند سماعه فالابن آدم و قد آناه الله^٢ من العقل ما لم يؤت الجبل يستخف
بحقه ، و يعرض عما فيه من العبر ، و في الآ : مدح / للنبي صلى الله عليه
و سلم في ثباته^٣ لما لا تثبت^٤ له الجبال ، و ذم للعرضين بسونهم أفسى
١٥ من الجبال .

/ ٢٨٦

و لما كان التقدير تبكيها و تويحها لمن لم يرق للقرآن ” اظم يان

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و في الأصل : بمنك (٣) من ظ و م ،
و في الأصل : الاحكام (٤) سقط من م (هـ-هـ) سقط ما بين الوقيين من ظ و م .
(٦) من ظ و م ، و في الأصل : تدع - كذا (٧) سقط من م (٨-٨) من م ،
و في الأصل و ظ : عالم ثبت .

للدِّين آمنوا أنه تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق" فانا قد فصلنا لهم الحلال والحرام والامر والنهي وأوضحنا الحكم ودللنا على المشابهة وقصصنا الإقاصيص بعد جعلهم عقلاء ناطقين، فذلك أقاصيص الماضين لعلمهم يعتبرون، غطى عليه قوله: (و تلك الامثال) أى التى لا يضاد فيها شيء (نضربها للناس) أى الذين يحتاجونها وهم من فيهم تذبذب واضطراب (لعلمهم يتفكرون) أى لتكون حالهم عند من ينظرهم حال من يرجى تفكره فى تلك الامثال فينفعه ذلك، إذا أداه التفكير إلى التذكر فرأى تنبيه الرسول الله صلى الله عليه وسلم [له - ٢] أن كل ما فى القرآن من شيء ففيه [مشاهد - ٣] منه قطائق له كتاب الخلق به كتاب الامر فتخلي عن الشهوات البهيمية فجاء من الحظوظ النفسية ١٠ فتخلي بالملابس الروحانية فصار باجتهادات والمنازلات إلى الصفات الملكية فكان أهلا للقامات القدسية فى الجنان العلية .

ولما أعلی سبحانه أوليائه بأن فتح السورة [بالإيمان - ٢] بالغيب وهو العزيز الحكيم بعد التنزيه عن نقائص التعطيل وكل شائبة نقصي ويزل لعباده فى أسباب الصفات والأفعال إلى أن أوصلهم إلى محسوس ١٥ الامثال فتأهلوا للفناء فى ذاته وما على من صفاته الموجه لحشيشه، رقام إلى التفكير فى تفصيل ما اقتضه، فقال عادلا عن أسلوب العظمة إلى

(١) من ظ وم، وفى الأصل: الماضى (٢) من ظ وم، وفى الأصل: اداوم.

(٣) زيد من ظ وم (٤) من ظ وم، وفى الأصل: او (هـ) من م، وفى

الاصل: المنازات م

أعظم منها بإسباب حجب العزة^١ على منهاج الحكمة : (هو) أى الذى
وجوده من ذاته فلا عدم له أصلاً^٢ بوجه من الوجوه ، فلا يستحق
الوصف بـ هو ، غيره لأنه الموجود دائماً أزلاً وأبداً ، فهو حاضر
فى كل خمير غائب بعظمته عن كل حى ، فذلك يتصدع الجبل
من خشيته .

ولما عبر بأخص أسمائه ، أخبر عنه لطفاً بنا و تنزلاً^٣ لنا بأعهرها
الذى هو مسعى الأسماء كلها فقال : (الله) أى المعبود الذى لا ينبغي
العبادة إلا له ، الذى بطن بما لم تحيط^٤ ولا تحيط [به - °] العقول من
نفوت التكبرياء والعظمة والإكرام ، فظهر بأفعاله^٥ التى لاتضامى بوجه
١٠ غاية الظهور ، فتميز غاية التميز ، فلم يلحقه شرك أصلاً فى أمه^٦ من الأمم
ولانسمة من النسم ، قال الحرالى فى شرح الأسماء : وهو لوه^٧ القلوب
والعقول أى محارها^٨ الذى لا تتحرك ، فلزم الخلق من توحيد اسم الإله
ما حصل لهم من توحيد اسم الله [من الأحذية الإحاطية - انتهى - °]
فذلك [كان وصفه " الذى لا اله الا هو " فانه لا يجانس له ولا يليق
١٥ ولا يصح ولا يتصور أن يكافئه أو يدانيه شيء . والإله أول اسم لله فذلك - °]

(١) من م ، وفى الأصل وظ : العز (٢) سقط من ظ و م (٣) من م ، وفى
الأصل وظ : تنزيلاً (٤) زيد فى الأصل : به الأفكار ، ولم تكن الزيادة فى
ظ و م فحذفنا (٥) زيد من ظ و م (٦) من م ، وفى الأصل وظ : من
العال (٧) من م ، وفى الأصل : امته (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : او -
(٩) زيد فى الأصل وظ : اى ، ولم تكن الزيادة فى م فحذفنا .

٢٨٧ /

لا يكون احد مسلما إلا بتوحيده فتوحيده فرض و هو أساس كل فريضة^١،
و توحيد سائر الاسماء نقل و هو أساس كل نافلة، فمن وحد [في - ٢]
الكل فقد كمل دينه / و تمت النعمة عليه و إلا كان من الذين آمنوا، فإن
كان ذلك منه قولا عصم من نار الأحكام على الأبدان في الدنيا، وإن
كان علما تخلص من نار الهلع^٢ على النفوس في الدنيا، و هو الجزع^٣
عند مس الشر،^٤ و المنع و البخل^٥ عند مس الخير، ولن يشهد التوحيد
في هذه الكلمة التي مضمونها توحيد اسم الإله إحسانا إلا بعد إحصاء جميع
الاسماء [علما - ٥]، قال الحرالي: والاله: التعبد و هو التذلل، فمن
توهم حاجته بشيء و توهم أن عنده قوام حاجته تذلل [له - ٦] فكان
تذله له تألها^٧،^٨ و كل من عبد ما أحاط به عينه^٩ فقد خذل عقله عن ١٠
تصحيح معنى الإله الذي يجب أن يكون غيبا^{١١}، فكان تصحيح معنى الإله^{١٢}
أنه غيب قائم مستحق للعبادة و التذلل لأجل قيامه و الاستغناء به .
و لما أخبر بتفرده، دل عليه بآية استحقاقه لذلك، فقال مقدما لما
هو متقدم في الوجود: ﴿ علم الغيب ﴾ أي الذي غاب عن علم جميع
(١) من ظ و م، وفي الأصل: فرض (٢) زيد من ظ و م (٣) من م، وفي
الأصل وظ: الهامع (٤) من ظ و م، وفي الأصل: اضع - كذا (٥) زيد
من م (٦) من ظ و م، وفي الأصل: الادلة (٧) من ظ و م، وفي
الأصل: لقلوها (٨) زيد في الأصل وظ: هو و، ولم تكن الزيادة في م
لحذفها (٩) من ظ و م، وفي الأصل: يمينه (١٠) من ظ و م، وفي الأصل:
سبيا (١١) في ظ و م: اله .

خلقه . ولما كان ربما ظن أن وصفه بالغيب أمر نسي^١ سمي غيباً بالنسبة
لناس دون ناس ، دل بذكر الضد على أن المراد كل ما غاب وكل ما
شهد فقال تعالى : ﴿ والشهادة ٣ ﴾ أى الذى وجد فكان بحيث يحسه^٢
و يطلع عليه بعض خلقه .

٥ ولما تعالى فى صفات العظمة ونعوت الجلال و الكبر فبطن غاية
البطون ، أخذ فى رحمة العباد^٣ بالتنزل لهم بالتعرف إليهم بعواطف الرحمة
فقال بانبا الكلام على الضمير إعلاما بأن المحدث عنه أولا هو بعينه
المحدث عنه ثانيا : ﴿ هو الرحمن ﴾ أى العام الرحمة ، قال الحرالى رحمه الله
تعالى : و الرحمة إجراء الخلق على ما يوافق حسبهم^٤ و يلائم خلقهم
١٠ و خلقهم و مقصد أفدتهم ، فاذا اختص ذلك^٥ بالبعض كان رحيمية^٦ ،
و إذا استغرق كان رحمانية ، و لاستغراق^٧ معنى اسم الرحمن [لم يكن لاتمام
معناه وجود فى الخلق ، فلم يحرق بحق على أحد منهم فلذلك لحق اسمه الرحمن-^٨
فى معنى استغراقه^٩ - يعنى باسم الله .

و لما كانت الرحيمية خاصة بما رضىه الإلهية قال تعالى : ﴿ الرحيم ١٠ ﴾
١٥ أى ذو الرحمة العامة المسعدة^{١١} فى الظاهر و الرحمة الخاصة المسعدة^{١٢} فى

-
- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : سبى (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : يحته .
(٣) من ظ و م ، وفى الأصل : للعناد (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : مسهم .
(٥) من م ، وفى الأصل و ظ : بذلك (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : رحمه .
(٧) من ظ و م ، وفى الأصل : لاستغراق (٨) زيد من ظ و م (٩) من ظ
و م ، وفى الأصل : لاستغراقه (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : المستعدة .
(١١) من ظ و م ، وفى الأصل : المسعد .

الباطن ، قال [الحرفي - ١] : الرحمة من الرحيم اختصاص من شملته الرحمانية بمزية ما أوتى به من الرحمة^٢ في مقابلة من آل أمره إلى نعمه ليجمع مقتضى الاسمين بين عموم الرحانية و اختصاص الرحيمية^٣ . ولما أظهر على الخلق خصوص الإيتار ، أجرى عليهم اسم الرحيم كرحمة الخلق إنباءهم . ولما كان حق^٤ اسم الرحيم إثبات رحمة^٥ غير مجذوزة^٦ ، ولم يكن ذلك هـ للخلق لم يكن بالحقيقة الرحيم إلا الله الذي إذا اختص بالرحمة لم يحدها "فن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها" و الله سميع عليم^٧ . "إن الله لا ينزع العلم انتزاعا بعد أن أعطاكوه . واما الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوز" فلذلك لا رحيم بالحقيقة إلا الله تحقيق^٨ ١٠ علم كما أنه لا رحمان إلا الله بادی معنى^٩ .

ولما كان الملك كال استيلاء على الخلق يقصرهم^{١٠} به ملكهم على بعض مستطاعهم و يدينهم - اى يحزيهم - على حسب دينهم أى ما وضع لهم من عادة قصره لهم و حكمه عليهم و بحسب إحصائه عليهم دقيق أعمالهم وإحاطته بخفى أحوالهم^{١١} و الاطلاع على سرائرهم بتحقيق استيفاء الجزاء فيتحقق بذلك كال الملك ، فكان لذلك لا تتحقق حقيقة الملك فيمن هو دون العلم ١٥

(١) زيد من م (٢ - ٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : احق (٤ - ٤) من ظ و م ، و فى الأصل : محدودة (٥ - ٥) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : يتحقق (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : منى (٨) فى ظ و م : لللك (٩) من م ، و فى الأصل و ظ : يقصر (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : اعمالهم .

بالسر و أخفى ، و المحصى الحسب ثاقيل الذر ، الخير نجبا الكون ، فكان
لاملك في الحقيقة إلا الله ، ولكنه تعالى لما كان قد أول الخلق من
رفعة بعضهم فوق بعض ما أجرى عليهم اسم الملك فتنه لهم فضل بسبب
ذلك قوم ' ادعوا الملك الحقيقي ، فغلط من أراد الله من الخلق فيهم
فضلوا بهم ، أعاد التهليل مع اسمه الملك كما ابتداء مع اسمه الإله أول
أسماء الله ، و لذلك أيضا قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة
رضي الله عنه الذي رواه الشيخان و أبو داود و الترمذي في حديث الذي
يسمى ملك الملوك في رواية مسلم : لأملاك إلا الله ، فقال مصرحا بما في
باطن اسمي الرحمة من القهر و الجبر على النسق الأول في البناء على
١٠ الضمير تأكيذا لتعين المحدث عنه [و توحيدة - '] : (هو الله) أي
الذي لا يقدر على تعميم الرحمة لمن أراد و تخصيصها بمن شاء (الذي لا اله)
أي ' معبود بحق (إلا هو) الملك (فلا ملك في الحقيقة إلا هو لأنه
لا يحتاج إلى شيء ، فانه مهما أراد كان .

و لما كان الملك أصل ما لحق الخلق * من الآفات لأنه رأس
١٥ الشرف الذي هو باب الترف الملائم لمخالفة كتاب الله أما في الأعمال
فيكون فتنه ، و أما في الرأي فيكون علوا و كبرا و كفرا ، فان أمر
الله في آدم على ما هو نبوة ثم ينزل فيصير خلافة ثم ينتهي نزوله فيكون

(١-١) من ظ و م ، وفي الأصل : قوم سبب ذلك (٢) زيد من ظ (٣) زيد
في ظ و م : إلا هو (٤) زيد في الأصل : لا ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد
لحذفها (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : الحق (٦) من ظ و م ، وفي
الأصل : اشرف .

ملكاً ثم تداعى الأحداث ، فليكن تداعى الملك لموجبات الذم قال
عقب صفات الملك : (القدوس) مصرحاً بما لزم عن تمام ملكه من
أنه يبلغ في الزاخرة عن كل وصم يدركه حس أو يتصوره خيال أو يسبق
إليه وهم أو يختلج به ضمير ، فإن القدوس طهر لا يقبل التغير ولا يلحقه رجس
فلا يزال على وصف الحمد بثبات القدوس ، ولما كان ما حوّل سبحانه هـ
الخالق من حال طهر لا يظهر فيه تغير [بما - '] دونه أجرى عليهم اسم
القدس كروح القدس المؤيد للشارع ينفت في روعة المؤيد لشاعره
في مكافئته عنه ، ولاجل / قصر تخلي الخالق بالملك في قليل متاع الدنيا
رغب النبي العبد صلى الله عليه وسلم عنه ، واختار العبودية الدائمة بدوام
العزة لسيده ، فوضح بذلك علم أن لا قدوس^١ إلا الله حقيقة معنى ١٠
و تصحيح إحاطة .

ولما كان سبحانه لتمام ملكه و علو ملكه و كمال قدسه لا يتصور
أن يلحقه نقص في ذات^٢ ولا صفة ولا فعل ، فلا يقبح منه إهلاك^٣ على
حال من الأحوال ولا مس بضر في الدنيا والآخرة في وقت من الأوقات
لأنه سبحانه ، لعله^٤ بالظواهر والبواطن على حد سواء ، يهضع الأمور في ١٥

- (١) من ظ و م ، وفي الأصل : فيه (٢) زيد من ظ و م (٣) من م ، وفي
الأصل : لشارعه ، و العبارة من « ينفت » الى هنا سافطة من ظ (٤) من م ،
وفي الأصل و ظ : مكافئة (٥) من م ، وفي الأصل و ظ : امتاح (٦) زيد
في الأصل : حقيقة ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٧) من ظ و م ،
وفي الأصل : ذلك ب - كذا (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : فلا تصح .
(٩) من م ، وفي الأصل و ظ : هلاك (١٠) من ظ و م ، وفي الأصل : يعلم .

احكم مواضعها بما لا يدركه غيره أصلاً أولاً يدركه حق إدراكه فاحتجج
إلى ما يؤمن من ذلك، وكان السلام حيداً ما بين الآلة والفرقة وحد
ما بين الرحمة والسطوة وهو أدنى مثال الجاهل من عباد الرحمن،
ومثال المعتدى من المقتدر، وكان سلام المسلم للجاهل مداراة لثلاث
٥ يزيد في جهله عليه، أو ارتقاباً لاستقبال مكنة، وكان الله لا يعبأ بالخلق
ولا يحتاج لارتقاب مكنة لأنه لا يعجزه شيء فلم يتحقق السلام بكل
معنى من وجود السلامة له وإفاضتها^٦ على غيره^٧ تماماً إلا منه [إعفاء
من معاملة استحقاق السطوة وحفيظة حرمة اختصاص الرحمة، أتبع
ذلك مؤناً^٨] للعاصي من المعاجلة وللطائع من سوء المعاملة قوله:
١٠ ﴿السلام﴾ لأنه حد ما بينهما ظاهراً، ولذلك أردفه بما يتعلق بالباطن
لتحصل إحاطة السلامة ظاهراً وباطناً فقال: ﴿المؤمن﴾ لأن الأمن^٩
حد ما بين المحبة والمكره فيمن لا وسيلة له للحب [وهو أدنى ما يقبله
ذو الحق ممن يستحق منه الحب، ولذلك لم يقبل بذل الحق ممن كان
ظاهر الوسيلة للحب^{١٠}] إلا بالحب فلم يثبت إيمان المؤمن بمجرد الإيمان
(١-١) من ظ و م، وفي الأصل: موضعها ما (٢) من ظ و م، وفي
الأصل: مثال (٣) من ظ و م، وفي الأصل: عن (٤) من ظ و م، وفي
الأصل: للمعتدى (٥) زيدت الواو في الأصل ولم تكن في ظ و م فحذفناها.
(٦) من ظ و م، وفي الأصل: وجوه (٧) من ظ و م، وفي الأصل:
إضافتها (٨) من ظ و م، وفي الأصل: غرة (٩) زيد من ظ و م (١٠) من
ظ و م. وفي الأصل: المؤمن.

حباله بل إثارة محبته على كل حب و مساواة لآخيه المؤمن فيما يجب
 لنفسه ، وأدناه الأمانة [في - ١] الغيب من الغيبة والعيب إلى غاية
 الأمان من بوائق الغشم^٢ و الظلم من الجار المستحق حفظ جاره في
 غيبه ، فالإخلال بالإيمان لكونه الأمانة في الغيب نفاق ، و الإخلال بالإسلام
 لكونه السلم في المواجهة إجرام ، فبأدنى إخلال في جانب الحق أو الخلق هـ
 ينظم الإسلام و الإيمان ، و ذلك [كله - ١] إنما هو في الحقيقة من
 الله تعالى فهو الذي يعزى إليه الأمن و الأمان بأفادته أسبابه و منع أسباب
 المخاوف فلا أمن في الوجود و لا امان إلا و هو مستفاد من جهته .
 و لما كان الاطلاع على بَيِّن ما ذكر ليتحقق معنى السلم و الأمن ،

و على كل من تلك الحدود خفيا جدا يقتدر إلى مزيد علم ، قال : ١٠
 (المهيمن) فان الهيمنة شهادة خبرة و إحاطة و إحصاء لكلية ظاهر الأمر
 و باطنه بحيث لا يخفى منه خافية هوية و لا بادية ظاهر^٣ ، و لإحاطة معناه
 لا يكاد يقع له في الخلق مسوغ إطلاق إلا مساحة لأن الخلق لا يشهدون
 إلا الظواهر و لا يشهدون من الباطن ، و لذلك انعجم معناه على كثير
 من فصحاء العرب ، ففهوم^٤ معناه موجب توحيد فواضح إذ لا مهيمن ١٥

/ بمعنى أنه شهيد على الوجه المشرح^٥ مع الأمانة المأمونة و الحفظ و الرعاية
 فيكون قائما على [كل - ١] شيء بكل ماله من رزق و عمل و أجل

- (١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : المغيب (٣) من ظ و م ،
 وفي الأصل : انقسم (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : ظاهرة (٥) من ظ و م ،
 وفي الأصل : فهو (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : المروح .

إلا هو ، ولذلك كان القرآن الذي هو صفته سبحانه و تعالى مهيمنا على جميع الكتب التي قبله مصدقا لما يستحق التصديق منها مكذبا لما يستحق التكذيب ، فمن كانه به أمهر^١ كان بذلك أعلم .

و لما كان تمام الخبرة^٢ ملووما لتمام القدرة ، صرح بهذا اللازم
 ه فقال : (العزيز) و العزة غلبة لا يحد معها المغلوب وجه مدافعة و لانفلات
 و لا إجماز ، فالعزيز الذي صعب على طالبه إدراكه مع افتقار كل شيء
 إليه في [كل - ٢] لحظة ، الشديد في انتقامه الذي لا معجز له في إنقاذ
 حكمه ، و لذلك ينظم كثيرا بآيات إمضاء الأحكام متصلا بالحكمة
 و العلم انباء عن العدل ، قال الغزالي : و هو الذي يقل وجود مثله و تشتد
 ١٠ الحاجة إليه و يصعب الوصول [إليه - ١] . و لما كان المغلوب على
 الشيء فيؤخذ من يده قد لا ينقاد باطنا فلا يباشر^٣ ما غلب عليه للغالب
 و قد [لا - ٢] يكون العز^٤ ظاهرا لكل أحد ، أردفه بقوله : (الجبار)
 و هو العظيم الذي يفوت المقاوم مناله ، فهو على هذا من أسماء الذات و يصلح
 أمور من يريد من الخلق و يقهرهم على ما يريد . فهم أحقر من أن يعصوه طرفة
 ١٥ عين بغير إرادته ، و الجبر : طول يلجئ الأدنى لما^٥ يريد منه الأعلى و يغيب من

(١) من ظ و م ، و في الأصل : امر (٢) زيد في الأصل : بذلك ، و لم تكن
 الزيادة في ظ و م فخذناها (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد في الأصل : بل هو ،
 و لم تكن الزيادة في ظ و م فخذناها (٥) من م ، و في الأصل و ظ : يصعب .
 (٦) زيد من م (٧) من ظ و م ، و في الأصل : عن (٨) من ظ و م ، و في
 الأصل : فيباشر (٩) من ظ و م ، و في الأصل : العزيز (١٠) من ظ و م ،
 و في الأصل : إلى ما .

الأعلى ما يحاول مثاله [منه - '] الأدنى مع الظهور التام الذى تدور مادته عليه ، فالجبار لا يخرج شئاً من قبضته ، و تقصر الأيدي عن حى عز حضرته ، ولا ينال منه إلا ما نول ، وهو أبعد شئ عن أوصاف الخلق لمثال الذباب منهم ما شاء وعجزهم عنه ، [و - '] لما فيه من الإلجاء كان هو الاسم الذى يلجى النار لقصرها على براده منها من الحسب الذى جبلها ه على ضده من الاستزادة فلا تزال تقول ما جليات عليه ؛ هل من مزيد ، حتى يضع الجبار فيها قدمه أى يهينها فان القدم موضع الإهانة ، [وهذه الإهانة - '] هى من مبدأ ظهور غلبة الرحمة للغضب ، فله الملك ظهوراً بالأيدي الظاهرة من الإنسان وما دونه ، وله الملكوت بطونا بالأيدي الباطنة من الملك وما دونه ، وله الجبروت اختصاصاً من وراء كل ١٠ ملك وملكوت .

و لما كان الإلجاء قد يكون بنوع ملاطفة ، أتبعه قوله : (المتكبر) ليعم الإلجاء الظاهر والباطن فالكبرياء جملة تأدى امر الله و ظاهر خلقه الذى يحد الخلق صغرهم من دونه وكبره عليهم و امتناعه عما لا يريد من مرادهم ، لأن الكل حقيرون بالإضافة إلى جلالة وعز جبروته وعظمته ١٥

- (١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : من (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : غير (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : الحاء (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : قدميه (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : اهانة (٧ - ٧) من ظ و م ، وفى الأصل : يخلق (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : امتناعهم (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : غيره .

و كاله ، و لسواء الخلق في عام حضرة القدرة شملهم الصغر فلم يصح منهم
كبر ، و لا شرع لهم تكبر ، فلم يكن للخلق منهم حقيقة حظ و لا لبس
حق ، فاختص بهذا الاسم لاستيلائه على الظواهر باظهار / ما له من
الكبر لعدم الحاجة إلى شيء و بالجاه غيره إلى الاحتياج إليه و الإيقاع
بجبارتهم و إذلالهم و غير ذلك من الأمور المزعجة المرهبة من غير
مبالاة بشيء كما اختص بالجبار لاستيلائه على البواطن .

و لما تقرر بما ذكر من مظاهر عظمته استيلاؤه على الظواهر
و البواطن باللطف و العنف ، أنتج ذلك تعالىه عن شوب نقص لاسباب
بالشرك فقال سبحانه : ﴿ سبحن الله ﴾ أى تنزه الملك الأعلى الذى
١٠ اختص بجميع صفات الكمال تنزهها لاندرك العقول منه أكثر من أنه
علا عن أوصاف الخلق فلا يدانيه شيء من نقص ﴿ عما يشركون ﴾
أى من هذه المخلوقات [من -] الأصنام و غيرها مما فى الأرض أو فى
السماء من كبير و صغير و جليل و حقير .

و لما تم دليل الوجدانية بما حصل من التفهيم بالتدنى إلى الملك
١٥ ثم بالتعالى إلى التكبر . فأنج هذه الخاتمة ، ابتداء سبحانه دليلا آخر هو
فى غاية التنزل و الوضوح ، فقال مفتحا بما افتتح به الاول من الترتيب
فى المراتب الثلاث ، غيب الغيب ثم الغيب ثم الظهور على مراتبه ،
(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الانتفاع (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ
و م ، و فى الأصل : او (٤) سقط من ظ و م (٥) من ظ و م ، و
الأص : فهو .

إعلاماً بأنه لا يـاح عن الإيمان بالغيب ، و من رح عنه ملك ﴿ هو ﴾
 أى الذى لاشئ يستحق أن يطلق عليه [هذا الضمير - '] غيره لأن
 وجوده من ذاته و لا شئ غيره إلا و هو ممكن فهو أهل لأن لا يكون
 فلا يكون له ظهور ليكون له بطون .

ولما ابتدأ بهذا الغيب المحض الذى هو أظهر الأشياء ، أخبر عنه ه
 بأشهر الأسماء الذى لم يقع فيه شركة بوجه فقال : ﴿ الله ﴾ أى الذى
 ليس له سى^٢ فلا كفوء له فهو المعهود بالحق فلا شريك له بوجه . ولما
 بدأ سبحانه بهذا الدليل الجامع بين الغيب والظهور ، تى بتزل متضمن
 للعلم والقدرة فهو فى غاية الظهور فقال : ﴿ الخالق ﴾ أى الذى لاخالق
 على الحقيقة^٣ إلا هو لأن الخلق فرض حد و قدر فى مطلق منه لم يكن^٤ ١٠
 فيه بعد حد و لا قدر كالحاذى يخلق أى يقدر فى الجلد حداً^٥ وقدر
 لنعل و نحوه و هو سابق للفرى و البرى و نحوه "سبق العلم العمل" فالخالق^٦
 فى الحقيقة^٧ هو الذى كل شئ عنده بمقدار ، الذى يقول "يخلقكم فى
 بطون امهتكم خلقاً من بعد خلق" "و ان من شئ إلا عندنا خزائنه وما
 ننزله الا بقدر معلوم" و من ناشئة القدر الفرق و الترتيب ، و من ناشئة ١٥

(١) زيدت العبارة من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : عنهم (٣) من
 ظ و م ، وفى الأصل : مسمى (٤) تكرر فى الأصل نقط (٥) زيد فى الأصل :
 غيره ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٦) من ظ و م ، وفى الأصل :
 ظم يكن (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : حد (٨-٨) فى ظ و م : حقيقة .

الفرق و الترتيب الإحياء و الإمامة، و من معاد الفرق 'و الإحياء والإماتة'
 على أول أمره الجمع و الرب، فلا يملك الخلق و الفرق إلا من يملك
 الجمع و الرب، و قد أوتي الخلق ملكاً ما في الفرق و الشئآت، و لم يملكوا
 جمعاً ما فرقوا و لا ألف ما شتوا كالقاطع^٢ عضوا لا يقدر على لأمه،
 ٢٩٢ / ٥ و الهامد بناء لا يقدر على رمة على حده، و الكامر شيئاً لا يقدر على وصله،
 فلان الخلق لا يحيطون بتقدير ما يسرعون في قدره و لا يقدررون بغد
 الفرق و الفرقى على رمة و وصله. كان المحيط التقدير في الشيء من جميع
 جهاته و جملة حدوده، القادر على جمع^٣ ما فرق الذي كما بدء أول خلق
 يعيده هو أحسن الخالقين. و تلايح تحت هذا اللبس في إطلاق اسم
 ١٠ الخالق [على الخالق - °] الحق ذى الحول و القوة و القدرة و الإحاطة
 و الإبداء و الإعادة، و على الخالق من الخلق المقدر بغير إحاطة علم
 و لا تأصيل حول و لا قدرة، و لا إتمام إبداء لاحظ من إعادة أنه لا خالق
 إلا الله كما أنه لا معيد لما أبدأ إلا الله، و أن ليس إطلاق هذا الاسم
 على الخلق مبدأ فتنة التي يضل بها من يشاء و يهدى من يشاء، و تحقيق
 ١٥ أفراد الخلق لله^٤ فيما ظهر^٥ على أيدي أهل الملك و المملوك و إحاطة
 جبروته بما ظهر و ما بطن من أعمالهم و صنائعهم، هو أول مجمع من

(١ - ١) سقط ما بين الرقنين من ظ (٢) من ظ و م، و في الأصل : جميع .

(٣) من ظ، و في الأصل و م : طالقا (٤) من م، و في الأصل و ظ : جميع .

(٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و في الأصل : الى الله (٧) من ظ

و م، و في الأصل : يظهر .

بجامع التوحيد ، وهو أساس لإيمان أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث فرض عليهم في الفاتحة "إياك نعبد وإياك نستعين" فهم خير أمة أخرجت للناس حيث أخلصوا الدين لله ، 'و لموقع الشرك' فيه كانت القدريّة مجوس هذه الأمة .

ولما كان الخالق الحق هو من أتقن التقدير والبرئ وإن كان هـ
أغلب الخلق لقصورهم لا يفهمون منه إلا مطلق التقدير كما قال شاعرهم :
ولأنّ تفرى ما خلقت و بعض القوم يخلق ثم لا يفري
أردفه تنديها على ذلك و تصرّحاً و تأكيداً قوله : (البارئ) [أى -]
الذى يدقّق بما وقع به التقدير و يقطعه و يصلحه لقبول الصورة على
أتم حال ، فإن كان من المحيط العلم كان تمام التهيؤ للصورة على كمال ١٠
المشيئة فيها ، و إن كان ممن لا يحيط علماً طرأ له في البرئ من النقص
عن التمام ما لا يمكن معه حصول المقصود في الصورة ، و لا يكاد يقع
الإحسان للخلق في مصوراتهم إلا وفاقاً لا يعلمون كنهه و لا يشقون
بحصوله

ولما كان من بهي الأمور للتصوير قد لا يتقنه قال : (المصور) ١٥

(١ - ١) من ظ و م ، وفي الأصل : المومع للشرك (٢) من ظ و م و في
الأصل : القادر (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : الشاعر (٤) زيد من ظ و م .
(٥) من م ، وفي الأصل و ظ : لا يدقّق (٦) زيد في الأصل و ظ : من ؛
و لم تكن الزيادة في م لحذفناها (٧) من ظ ، وفي الأصل و م : بما (٨) من
ظ و م ، وفي الأصل : البر .

فان التصوير لإتمام تفصيل الخلق الظاهر وإكمال تخطيطه وإحكام أعضائه
 وهو حد ما انتهى إليه الخلق في الظهور، وليس وراء ظهور الصور
 كون إلا لطائف تطويرها في إستان كمالها بعد بعثها بأحيائها بما لها
 من الروح المقوم لها سواء كان حيوانيا أو غيره إلى غاية كمالها الذي
 يعطيه المصور لها إفضالا ومزيذا ويظهره إبداعا، ويتضح الفرق
 جدا بين الأسماء الثلاثة بالبناء فانه يحتاج أولا إلى مقدر^١ بقدر ما لا بد
 منه من الحجر^٢ واللبن والخشب والحديد ومساحة الأرض وعدد
 الأبنية وطولها وعرضها، وهذا يتولاه المهندس في رسمه وهو الخلق ثم
 يحتاج إلى حجار ينحت الحجارة ويهيئها لتصلح لمواضعها^٣ التي تكون
 فيها / ١٠ / ٢٩٣ من الأبواب وأوساط الجدر وأطرافها وزواياها، غير ذلك،
 وكذا الحشاب والحداد في الخشب والحديد وهو البرئ^٤ ثم يأخذ
 الكل البناء فيضعها مواضعها إلى أن تقوم صورتها التي رسمها المهندس
 أولا وقدرها، ولا تقوم الصورة^٥ بالحق إلا إذا كانت محكمة بحسب الطاقة
 كما أن البناء يضع الحجارة أولا ثم يجعل^٦ الخشب فوقها لا بالاتفاق بل
 بالحكمة، ولو قلب ذلك لم تثبت الصورة ولم يكن لها الاسم إلا على أقل
 وجوه الضعف^٧ فكل من كان أحكم كان تصويره أعظم، ولذلك^٨

- (١) من ظ و م ، وفي الأصل : يصح (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : مقدار .
 (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : الصخر (٤) من ظ و م ، وفي الأصل :
 تواضعها (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : اليه (٦) زيد في الأصل : الا ،
 ولم تكن الزيادة في ظ و م لخذفها (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : جعل .
 (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : الصنف (٩) من ظ ، وفي الأصل : ذلك .

لامصور في الحقيقه إلا الله الخالق 'البارئ المصور سبحانه'، قال الرازي في اللوامع: و التصوير موجود في كل أجزاء العالم وإن صغر حتى في الذرة والنملة بل في كل عضو من أعضاء النملة، بل الكلام يطول في طبقات العين وعددها و هيئاتها و شكلها و مقاديرها و ألوانها، و وجه الحكمة فيها، فمن لم يعرف صورتها لم يعرف مصورها إلا بالاسم المجمل، وهكذا ه القول في كل صورة لكل حيوان و نبات بل لكل جزء من نبات و حيوان . ولما علم من هذا أنه لا بد أن يكون المصور بالغ الحكمة، أردفه بقوله تعالى: ﴿ له ﴾ أي خاصة 'لا لغيره' ﴿ الاسماء الحسنی ﴾ أي من الحكيم وغيره عن لا يتم التصوير إلا به ولا تدركونه [أنم - ٢] حق إدراكه . ولما أخبر سبحانه أول السورة أن الكائنات أوجدت تسبيحه ١٠ خضوعاً لعزته و حكمته، و دل على ذلك بما تقدم إلى أن أسمعه الآذان الواعية بالاسماء الحسنی، دل على دوام انصافه [بذلك - ٢] من يحتاج لما [له - ٢] من النقص من الخلق إلى التذكير فعبّر بالمضارع فقال: ﴿ يسبح ﴾ أي يكرر 'التزيه الأعظم من كل شائبة نقص على سبيل التجدد و الاستمرار' ﴿ له ﴾ أي على وجه التخصيص بما أفهمه قصر ١٥ المتعدي و تعديته باللام ﴿ ما في السموات ﴾ و لما كان هذا المنزه الذي استجلى التزيه من الاسماء الحسنی قد أشرقت انقاسه و لطفت أقطاره

(١ - ١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و في الأصل : خصوصاً (٤) في ظ : ينزه (٥) من ظ و م ، و في الأصل : التنزه .

و أغراسه حتى صار علويا ' فرأى الأرض عالية كالسما ' لما ' شاركها به
 في الدلالة على تمام كماله فجعلها معها لأنه لا يحتاج إلى تأكيد كالشيء
 الواحد بامقاط " ما " وألصقها بها ' لإلحاحه إلى ذلك فقال : (والأرض ع)
 فمن تأمل الوجود مجعلا ومفصلا ، علم تسبيح ذلك كله بنعوت الكمال
 ه وأوصاف الجلال والجلال (وهو) أى والحال أنه وحده (العزيز)
 [أى -] الذى يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء ولا يوجد له مثل ، ويمز
 الوصول إليه ويشند الحاجة إليه .

ولما كان من يكون هذه الصفة لا يتم أمره ويثبت كل ما
 يريده إلا إن كان على قانون الحكمة قال : (الحكيم ع) من الحكمة
 ١٠ وهى ' إتقان الحكم وإنهاؤها إلى حد لا يمكن نقضه ، والحكم قال الحرالى :
 المنع عما / يترامى إليه المحكوم إيالة عليه وحمله على ما يتمتع منه نظرا
 له ، ففي ظاهره الجهد وفى باطنه الرفق ، وفى عاجله الكره . وفى آجله
 الرضى والروح ، فوقعه فى الأبدان المداواة " تدادوا عباد الله فان الذى
 أنزل الداء أنزل الدواء " و موقعه فى الأديان التزام الأحكام والصبر
 ١٥ والمصابرة على مجاهدة الأعمال وجهاد الأعداء ظاهرا من عدو الدين
 والبغى وباطنا من عدو النفس أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك ،

/ ٢٩٤

- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : علوية (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : ما .
 (٣) من م ، وفى الأصل و ظ : به (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : استنتج .
 (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : هو (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : حمله .
 (٧) من م ، وفى الأصل و ظ : مجاهدات (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : عدم .

و من بعض^١ الأهل و الولد عدو، و الشيطان عدو يجرى من ابن آدم
نجس الدم " اذ الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا " فالحمل على جميع أنواع
الصبر و المصابة ظاهرا بالإيالة العالية هو الحكم و العلم بالأمر الذى لأجله
وجب الحكم من قوام أمر عاجلته و حسن العقى فى أجلته من الحكمة،
فالحكم مباح التعليم للناس عامة بل واجب أن يتعلم كل امرئ من الأحكام^٥
ما يخصه، و أن يتدب طائفة العلم ما يعم جميع الناس " فلو لا نفر من
كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين " و الحكمة التى هى العلم بما لأجله
وجب الحكم من^٢ مشروطه التعليم بالتزكية " هو الذى بعث فى الاميين
رسولا منهم يتلو عليهم آياته و يزيههم و يعلمهم الكتاب و الحكمة " و ان
كانوا من قبل لى ضلال مبين^٣ " [فما يعلمهم الحكمة -^٤] [إلا بقدر التزكية^{١٠}
فمن تركها فهو من أهلها و من لم يترك فليس من أهلها، فالحكمة تحمل
شرارة جهد العمل بالأحكام فيفسر بها ما يعسر دونها، و الحكم ضيق الأمر
للنفس كما أن السجن ضيق الخلق للبدن، و الحكمة ثوطة تحمل ضيق الحكم
لأنها تخرج و تؤل إلى سعة الواسع، و لا يتم الحكم و تستوى الحكمة
إلا بحسب سعة العلم . و لما لم يكن للخلق من العلم إلا بقدر ما يهيم^{١٥}
الله لم يكن لهم من الحكمة إلا مقدار ما يورثهم " و لقد آتينا لقمان
(١) من ظ و م ، وفى الأصل : ابغض (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : العلم .
(٣) سقط من ظ و م (٤-٥) سقط ما بين أرقين من ظ (٥) زيد من ظ و م .
(٦) من م ، وفى الأصل و ظ : لخلق .

الحكمة“ و لما كان إنما العلم عند الله كان إنما الحكمة حكمة الله و إنما الحكم حكم الله ، فهو الحكيم الذي لا حكيم إلا هو - انتهى . و قد علم سر اتباع الاسماء الشريفة من غير عطف ، و ذاك أنه لما ابتدأ بـ «هو» و أخبر عنه بالاسم العلم الأعظم المفرد المصون الجامع لجميع معاني الاسماء الحسنی ، أتبعه تلك الأوصاف العلى من غير عطف إعلاما بأنه لا شئ منها يودى جميع معناه بالمفهوم المتعارف عند أهل اللغة ، و لذلك جمع' بعدها الاسماء إشارة إلى أنه لا يجمع معناه إلا جميع الأوصاف المنزلة فى كتبه و المأخوذة عن أوليائه التى استأثر بها فى غيبه و ليس شئ مما ذكر ههنا مضادا' فى [المعنى - '] الظاهرى للآخر كالأول و الآخر ١٠ حتى يظن لأجله نقص فى المعنى بسبب ترك العطف ، و أما ترتيبها هكذا فلأن كل اسم منها كما مضى شارح لما خفى من الذى قبله و مبين للآزمه ، و موضح لما ألح أنه من مضمونه ، / و قد انعطف على افتتاحها ختامها و عاتق ابتداؤها تمامها ، و وفى مطلعها مقطعها ، و زاد و بلغ الغاية' من الإرشاد إلى سبيل الرشاد ، فسبحان' من أنزله برحمته' رحمة للعباد ، ١٥ و هاديا إلى الصواب و السداد' .

/ ٢٩٥

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : جمعها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : مضادة (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الآية (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : سبحان (٦) سقط من م (٧) زيد فى الأصل : وإلى طريق الرشاد ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

سورة الممتحنة

مقصودها براءة من أقر بالإيمان^٢ بمن اتسم^٢ بالعدوان دلالة على صحة مدعاه
 كما أن الكفار تبرأوا^٢ من المؤمنين و كذبوا بما جاءهم من الحق لثلاث
 يـكونوا^٢ على باطلهم أحرص من المؤمنين على حقهم ، و تسميتها
 بالمتحنة أوضح شيء فيها و أدله على ذلك لأن الصهر أعظم الوصل ،
 و أشرفها بعد الدين ، فإذا نفى^٢ و منع دل على أعظم المقاطعة لدلالته
 على الاتمهان بسبب الكفران الذي هو أقبح العصيان ﴿ بسم الله ﴾
 الكافي من لجأ إليه فمن تولاه أغناه^٢ عن^٢ سواه ﴿ الرحمن ﴾ الذي عم
 بنعمة الإيجاد من فلق عن وجوده العدم و براه و شمل ، برحمته اليان
 من حاطه بالعقل^٢ و رعاه ﴿ الرحيم ﴾ الذي خص بالتوفيق من^{١٠}
 أحبه و ارتضاه .

لما كان التأديب عقب الإنعام جديرا بالقبول ، و كان قد أجرى
 سبحانه سنته الإلهية بذلك ، فأدب عباده المؤمنين عقب سورة الفتح السبي
 بسورة الحجرات ، و كانت سورة الحشر مذكورة بالنعمة في فتح بنى النضير

- (١) الستون من سور القرآن الكريم ، مدنية ، و عدد آياتها (١٣) بالاتفاق -
 راجع ثر المرجان ٢٩٦/٧ (٢-٢) من ظ و م ، و في الأصل : من اقسم (٣) من
 ظ و م ، و في الأصل : يتبرون (٤) من ظ و م ، و في الأصل : ثلاثا يكون .
 (٥) من ظ و م ، و في الأصل : بقي (٦) من ظ و م ، و في الأصل : عما .
 (٧) من ظ و م ، و في الأصل : العقل .

[و-^١] معلمة بأنه لا ولى إلا الله ، و لذلك ختمها بصفى العزة و الحكمة
 بعد ^٢ أن افتتحها^٢ بهما ، و ثبت أن من الحكمة حشر الخلق ، و أن أولياء الله
 هم المفلحون ، و أن أعداءه هم الخاسرون ، و كان الحب في الله و البغض
 في الله أفضل الأعمال و أوثق غرى الإيمان ، و لذلك ^٣ ذم سبحانه لمن
 ه و الى أعداءه و ناصرهم^٤ ، و سماهم مع التكلم بكلمة الإسلام منافقين ، أنتج
 [ذلك -^٥] قطعاً و جوب البراءة من أعدائه و الإقبال على خدمته و ولأته^٦ ،
 فقال معيدا للتأديب^٧ عقب سورة الفتح على أهل الكتاب بسورة جامعة
 تتعلق بالفتح الأعظم و الفتح السبى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا^٨) مناديا
 بأداة العبد و إن كان من نزلات بسببه من أهل القرب ، و معبرا بالماضى
 ١٠ إقامة^٩ لمن و الى الكفار نوع موالاة في ذلك المحل إلهابا له و تهيجا
 إلى الرفع عنه^{١٠} لثلا يقدح في خصوصيته و يحط من^{١١} على رتبته مع
 اللطف [به -^{١٢}] بالتسمية له بالإيمان حيث شهد سبحانه على من فعل
 نحو فعله مع^{١٣} بنى النصير بالنفاق^{١٤} ، و أحله محل أهل الشقاق ، فحكم على

البعث
 فتح

(١) زيد من ظ (٢-٢) من ظ و م ، و في الأصل : فتحها (٣) من ظ و م ،
 و في الأصل : ذلك (٤) من ظ و م ، و في الأصل : يضرهم (٥) زيد من م .
 (٦) من ظ و م ، و في الأصل : ولايته (٧) من ظ و م ، و في الأصل :
 للتاب (٨) ليس في الأصل (٩) من ظ و م ، و في الأصل : أقامته (١٠) من
 ظ و م ، و في الأصل : له (١١) من ظ و م ، و في الأصل : في (١٢) زيد من
 ظ و م (١٣) من ظ و م ، و في الأصل : من (١٤) من م ، و في الأصل
 و ظ : بالشقاق .

القلوب في الموضعين فقال هناك "الذين ناقضوا" كما قال هنا "الذين آمنوا".

ولما كان قد تقدم في المجادلة النهي الشديد عن إظهار مطلق المادة للكفار، وفي الحشر الزجر العظيم عن إبطان ذلك فكلفت السورتان بالمنع من مصاحبة ودم ظاهراً أو باطناً، بكت هنا من اتصف بالإيمان وقرعه ووجعه على السعى في موادتهم والتكلف لتحصيلها، فإن ذلك قادح في اعتقاد نفوره سبحانه بالعزة والحكمة، فعبر لذلك بضيفة الافتعال فقال بعد التبيكيت بالنداء بأداة البعد والتعير بأدنى أسنان الإيمان: ﴿لا تتخذوا﴾ وزاد في ذلك المعنى من وجهين: التعير بما منه العداوة تجرمة عليهم وتغفيرا منهم والتوحيد لما يطلق على الجمع لثلا ١٠ يظن أن المنهى عنه المجموع بقيد الاجتماع والإشارة إلى أنهم في العداوة على قلب واحد، فأهل الحق أولى بأن يكونوا كذلك في الولاية قال: ﴿عدوى﴾ أى و أتم تدعون موالاى [و من المشهور أن مصادق العدو أدنى مصادقة لا يكون وليا فكيف بما هو فوق الأدنى -^٨] وهو فحول من عدى، وأبلغ في الإيقاظ بقوله: ﴿وعدوكم﴾ أى ١٥

(١) من ظ و م، وفي الأصل: الظهار (٢) زيد في الأصل: العنيف، ولم تكن الزيادة في ظ و م لخذفها (٣) من ظ و م، وفي الأصل: فتكاملت. (٤) من ظ و م، وفي الأصل: هـ و هـ (هـ - هـ) من ظ و م، وفي الأصل: أوكيا بكبا (٦) من م، وفي الأصل و ظ: ذلك (٧) من م، وفي الأصل و ظ: ان (٨) زيد من ظ و م.

العريق في عداوتكم ما دتم على مخالفته في الدين.

- ولما وحد لأجل ما تقدم من الإشارة إلى اتحاد الكلمة، بيننا أن المراد الجمع فقال: ﴿أولياء﴾ ثم استأنف يأن هذا الاتحاد بقوله مشيراً إلى غاية الإسراع والمبادرة إلى ذلك بالتعبير بقوله: ﴿تلقون﴾
- م أي جميع ما هو في حوزتكم مما لا تطمعون فيه إلقاء الشيء الثقيل من علو ﴿إيهم﴾ على بعدهم منكم حساً ومعنى ﴿بالمودة﴾، [أي: ٢] يسبهاون لما ترفع السامع التصريح بمضادتهم في الوصف الذي نادى به بعد التلويح إليه، قال ملها ومهجا إلى عداوتهم بالتدوير بمخالفتهم إياه في الاعتقاد المستلزم لاستصغارهم لأنه أشد المخالفة: ﴿قدكم أي ١٠ هو الحال أنهم قد كفروا﴾ أي غطوا جميع ما لكم من الأدلة ﴿عما﴾ أي بسبب ما ﴿جاءكم من الحق﴾ أي الأمر للثبوت الكامل في الثبات الذي لا شيء أعظم ثباتاً منه، ثم استأنف يأن كفرهم بما يبعد من مطلق موادتهم فضلاً عن السعي فيها بقوله مذكراً لهم بالحال الماضية زيادة في التنفير منهم ومصوراً لها بما يدل على الإصرار بأنهم ﴿يخرجون الرسول﴾
- ١٥ أي الكامل في الرسالة الذي يجب على كل أحد عداوة من عاداه أدنى عداوة ولو كان أقرب الناس فكيف إذا كان عدواً، وبين أن المخاطب من - [٥] أول السورة من المهاجرين وأن إرادته على وجه الجمع للسر (١) تويد في الأصل و ظ : نوس ، ولم تكن الزيادة في م : لحذفها (٢) زيد من ظ : م (٣) من ظ : م ، وفي الأصل : امة (٤) زيد في الأصل و ظ : كانت ولم تكن الزيادة في م : لحذفها (٥) زيد من م : م

والتعميم في النهي بقوله: ﴿وإياكم﴾ أي من دياركم من مكة المشرفة.

ولما بين كفرهم، معبراً بالمضارع، إشارة إلى دوام أفام لمن آمن،

المقتضى لخروجه عن وطنه، على الإخراج بما يحقق معنى الكفر

والعداوة فقال: ﴿إن﴾ أي أخرجوكم من أوطانكم لاجل أن: ﴿تؤمنوا﴾

أي توقفوا حقيقة الإيمان مع التجديد والاستمرار.

ولما كان الإيمان به سبحانه مستحقاً من روجهي الذات والوصف

لغت الخطاب من التكلم إلى الغيبة للتنبيه عليها فقال: ﴿بالله﴾ أي

الذي اختص بجميع صفات الكمال، ولما عبر بما أبان أنه مستحق

للإيمان لذاته أردفه بما يقتضى / وجوب ذلك لإحسانه فقال: ﴿ربكم﴾

ولما ألهمهم على ما بينهم لهم بما فعلوا معهم وانقضى ما أريد من ١٠

التنبيه بسباق الغيبة عاد إلى التكلم لأنه أشد تحيياً وأعظم استعطافاً وأكل

على الرضا فألهمهم بما كان من جانبهم من ذلك [الفعل - °] أن لا يضيّعوه،

فقال معلماً أن ولايته سبحانه لا تصح إلا بالإيمان، ولا يثبت الإيمان

إلا بدلائله من الأعمال، ولا تصح الأعمال إلا بالاخلاص، ولا يكون

الإخلاص إلا بمباينة الأعداء: ﴿إن كنتم﴾ أي كوناً واستحساناً أخرجوكم ١٥

من أوطانكم لاجل إيمانكم بـ ﴿خرجتم﴾ أي منها وهي أحب البلاد

إليكم ﴿جهاداً﴾ أي لاجل الجهاد ﴿في سبيلي﴾ أي بسبب إرادتكم

(١) من ظ و م ، وفي الأصل: دياركم (٢) من ظ و م ، وفي الأصل: انكم

(٣) في ظ و م : مؤمنين (٤) في ظ و م : مؤمنين (٥) في الأصل: ما بينهم

(٥) زيد من ظ و م .

تسهيل طريقى التى شرعتها لعبادى أن^١ يسلكوها (وابتغاء مرضاى^٢ طمى)
أى ولاجلى تطلبكم بأعظم الرغبة لرضاى ولكل فعل يكون موضعاً له،
وجواب هذا الشرط محذوف لدلالة «لا تتخذوا» عليه.

ولما فرغ من بيان [حال - ٢] العدو وشرط لإخلاص الولى،
٥- وكان التقدير: فلا تتخذوهم أولياء، بنى عليه قوله مبيناً "تلقون" إعلاماً
بأن الإسرار إلى أحد بما فيه نفعه لا يكون إلا تودداً: (تسرون) أى
توجدون إسرار جميع ما يدل على مناصحتهم والتودد إليهم، وأشار
إلى بعدهم عنهم بقوله: (اليهم) إبلاغاً فى التوبيخ بالإشارة إلى أنهم
يتجشمون فى ذلك مستفتين^٣ إبلاغ الأخبار التى يريد النبى صلى الله عليه
١٠ وسلم وهو المؤيد بالوحى كتبها عنهم على وجه الإسرار خوف
الافتضاح والإبلاغ إلى المكان البعيد (بالمودة طمى) أى بسببها أو بسبب
الإعلام بأخبار يراد بها أو يلزم منها المودة. ولما كان المراد بالإسرار
الستر على من يكره ذلك، قال مبكناً لمن يفعله: (وانا) أى والحال
أنى (اعلم) أى من كل أحد من نفس الفاعل (بما أخفيتم) أى
١٥ من ذلك (وما أعلنتم^٤) فأى فائدة لإسراركم إن كنتم تعلمون أنى
عالم به، وإن كنتم توهمون^٥ أنى لا أعلمه فهى القاصمة.

ولما كان التقدير بما هدى^٦ إليه العاطف: فن فعل منكم فقد ظن

(١) من م، وفى الأصل و ظ: الى (٢) زيد من ظ و م (م) من ظ و م،
وفى الأصل مستقيين (٤) من ظ و م، وفى الأصل و و (ه) من م، وفى
الأصل و ظ: تهمون (٦) من ظ و م، وفى الأصل: اهدى.

أنى لا أعلم الغيب أو فعل ما يقتضى ظن ذلك ، عطف عليه [قوله - ١] :
 (ومن يفعله) أى يوجد الانتخاب سرا أو علنا أو يوجد الإصرار بالمودة
 فالإعلان أولى في وقت من الأوقات ماض أو حال أو استقبال .، ولما
 كان المحب قد يفعل بسبب الإدلال ما يستحق به التبكيت ، فإذا بكت
 ظن أن ذلك ليس على حقيقة لأن محبة لا يضرها شيء ، وكان قد ستره
 المعاييب بأن أخرج الكلام مخرج العموم ، صرح بأن هذا العتاب مراد
 به الإيجاب فقال : (منكم) وحقق الأمر وقربه بقوله : (قد ضل)
 أى عمى و مال وأخطأ (سواء السبيل) أى قويم الطريق الواسع الموسع
 إلى القصد قويمه وعدله ، وسبب نزول هذه الآية روى من وجوه / كثيرة
 ٢٩٨ /

فبعضه في الصحيح عن علي ومنه في الطبراني عن أنس ومنه في التفسير ١٠
 أن سارة مولاة أبي عمرو بن صفي بن هاشم بن عبد مناف أتت المدينة
 ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة فسألها ما أقدمها ،
 فقالت : ذهبت موالى وقد احتجت حاجة شديدة ، وكنتم الأهل والعشيرة
 والموالى ، فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب وبنى
 المطلب فأعطوها وكسوها وحملوها ، فكتب معها حاطب بن أبى بلتعة ١٥
 حليف بنى أسد بن عبد العزى من حاطب بن أبى بلتعة إلى أهل مكة
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم ، فأعطاه عشرة

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : أخرج (٣) راجع مثلا
 معالم التنزيل هامش الباب ٦٢/٧ (٤) من ظ و م والعالم ، وفي الأصل : سيده .
 (٥) من ظ و م والعالم ، وفي الأصل : يريد .

دنانير ، فنزل جبريل عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر و عليا و عمارا و الزبير و طلحة و المقداد و أبا مرثد و كانوا كلهم فرسانا فقال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظمينة معها كتاب من حاطب إلى المشركين ، فخذوها منها و خلوا سبيلها ، و إن لم تدفعه إليكم فاضربوا عنقه . فاطلقوا و نادى بهم خيلهم ، فآذرونها حتى ذلك المكان فأتكرت و حلفت بالله : ففتشوها فلم يجدوه فجهتوا بالرجوع ، فقال علي رضي الله عنه : ما كذبتا و لا كذبتا ، و سل سيفه فقال : أخرجني الكتاب أو لالقين الثياب و لا تضربن عنقك ، فقالت : على أن لا تردوني . ثم أخرجته من عقاصها قد لقت عليه شعرها ، فخلوا سبيلها ، ١٠ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاطب : هل تعرف الكتاب ، قال : نعم ، قال : فما حملك على هذا ؟ قال : لا تمجل يا رسول الله ، و الله ما كفرت منذ أسلمت و لا غششت منذ نصحتك و لا أحببتهم منذ فارقتهم ، و لكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يدفع الله به عن عشيرته . و كنت غريبا خليفا فيهم ، و كان أهلي بين ظهرانيهم فأردت أن أجذبه عندهم ١٥ يدا يدفع الله بها عن أهلي . و قد علمت أن الله تعالى ينزل بهم بأسه ،

(١) من ظ و م و المعالم ، و في الأصل : فخذوا (٢ - ٣) من م و المعالم . و في الأصل و ظ : بذلك (٣) من م ، و في الأصل و ظ : فلم يجدوا (٤) من ظ و م و المعالم ، و في الأصل : و (٥) زيد في الأصل : عنقها أو . و لم تكن الزيادة في ظ و م فخذناها (٦) من ظ و م ، و في الأصل : عشيت ، و في المعالم : غششتك . (٧) من ظ و م ، و في الأصل : بينهم (٨) من م و المعالم ، و في الأصل و ظ : يتخذ (٩) في الأصل بياض ملائكة من ظ و م و المعالم .

وَأَنَّ كِتَابَ لَا يَغْنَى عَنْهُمْ شَيْئًا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
صَدَقُوا وَلَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا، فَقَالَ [عمر-^١] بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَمَا يَدْرِيكَ يَا عَمْرُؤُا لَعَلَّ اللَّهَ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ
فَقَالَ: أَعْمَلُوا مَا شَقِمَ قَلْبُهُ غَفَرْتُ لَكُمْ، فِقَاضَتْ عَيْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ه
وَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ بِمَا نَزَلَ اللَّهُ^٢ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا
عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ^٣ الْآيَاتِ .

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: افتتحت - يعني هذه السورة - بوضعية

المؤمنين على ترك^٢ موالاة أعدائهم ونهيهم عن ذلك [وَأمرم-^١]

بالتبرء منهم، وهو المعنى الولد في قوله خاتمة المجادلة "لا تجد قوما ١٠

يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا

٢٩٩ /

آبائهم أو أبناءهم" إلى آخر السورة، وقد حصل [منها-^١] ان / أسنى

أحوال أهل الإيمان وأعلى مناصبهم "ارثك كتب في قلوبهم الإيمان

وايدهم بروح منه" فوصى عباده في افتتاح الممتحنة بالتزهد عن موالاة

الأعداء^٥ وعظهم بقصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام والذين معه في ١٥

تبرئهم من قومهم ومعاداتهم، والاتصال في هذا بين، وكان سورة

الحشر وردت مورد الاعتراض المقصود بها تهديد الكلام وتنبية السامع

(١) زيد من م (٢) من ظ و م، وفي الأصل: ان (٣) سقط من ظ (٤) زيد

من ظ و م (٥ - ٥) من ظ و م، وفي الأصل: عدوهم - كذا (٦) من م،

وفي الأصل و ظ: بينة .

على ما به تمام الفائدة لما ذكر أن شأن المؤمنين أنهم لا يوادون من
 حاد الله ورسوله ولو كانوا أقرب الناس إليهم، اعترض بتزبيبه عن
 مرتكباتهم، ثم أتبع ذلك ما عجله لهم من النعمة والنكال، ثم عاد
 الأمر إلى التهي عن موالاته الأعداء جملة له، ثم لما كان أول سورة
 ٥ الممتحنة إنما نزل في حاطب بن أبي بلتعة رضى الله عنه وكتابه لكفار
 قريش بمكة، والقصة مشهورة وكفار مكة أسسوا من يهود، وطلبوا
 المعادة للجميع واحد، فلهذا فضل بما هو من تمام الإخبار بحال يهود،
 وحبثت عاد الكلام إلى الوصية عن نظائرهم من الكفار المعادين،
 والتحت السور الثلاث وكثرت في سورة الممتحنة ترداد الوصايا والعهود،
 ١٠ وطلب بذلك كله ولهذا المناسبة ذكر فيها الحكم في بيعه النساء وما
 يشترط عليهن في ذلك، فبنى السورة على طلب الوفاء اقتضاها واختتامها
 حسب ما بين في التفسير لينزه المؤمن عن حال من قدم ذكره في
 سورة الحشر [و-^٨] في خاتمة سورة المجادلة - انتهى .

ولما كان ما بينه تعالى من إخراجهم لهم موطئا بعداوتهم وكان^٩
 ١٥ طول كفهم عن قصدهم بالأذى من سنة الأحزاب سنة خمس إلى سنة

- (١) من ظ و م ، وفي الأصل : لا (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : بما .
 (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : نزلت (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : كتابته .
 (٥-٥) من ظ و م ، وفي الأصل : الجميع واحدا (٦) من ظ و م ، وفي
 الأصل : مبنى (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : حس (٨) زيد من ظ و م .
 (٩) من ظ و م ، وفي الأصل : خلقه (١٠) من ظ و م ، وفي الأصل : كانوا .

ثمان ربما شكك في أمرها ، وكان سبحانه قد أعز المؤمنين بعد ذلهم وقواهم بعد وهنهم وضعفهم ، و ثقفهم^١ بعد جهلهم ، بين ظلال معتقد ذلك بأن كف الكفار إنما هو لعجزهم وأنهم^٢ لو حصل لهم ما هو للسليين الآن من القوة لبادروا إلى إظهار العداوة مع أن ذلك في نصر الشيطان ، فأولياء الرحمان أولى باتباع ما آتاهم من الإيمان ، فقال مينا لبقاء عداوتهم : هـ

(ان يثقفوك) أى يحدوكم في وقت من الاوقات و^٣ مكان من الاماكن وهم يطمعون في أخذكم بكونهم أقوى منكم أو أعرف بشيء مما يتوصل به إلى الغلبة ، وأشار بأداة الشك إلى أن وجدانهم وهم على صفة الثقافة مما لا يتحقق له ، وإنما هو على سبيل الفرض والتقدير ، وأنه إنما علم سبحانه أنه لو كان كيف كان يكون ، مع أنه عما لا يكون ، ١٠

ونبه على عراقتهم في العداوة بالتعبير بالكون فقال : (يكونوا لكم) أى خاصة (اعداء) أى يعدون إلى^٤ أذاكم كل عدو يمكنهم وإن واددتموهم . و [لما -^٥] كانت العداوة قد تكون^٦ باغراء الغير ، عرف أنهم لشدة غيظهم لا ينتصرون^٧ على ذلك فقال : (ويبسطوا اليكم) أى خاصة / وإن كان هناك في ذلك الوقت من غيركم من^٨ قتل أعز ١٥ / ٣٠٠

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : فقههم - كذا (٢) في م : انه (٣) من م ، وفي الأصل و ظ : أو (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : ما (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : على (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : لا تكون (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : لا ينتصرون (٩) زيد في الأصل : السعة ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها .

الناس إليهم ﴿ ايديهم ﴾ أى بالضرب إن استطاعوا ﴿ و الستمهم ﴾ أى بالشتيم مضمومة إلى فعل أيديهم فعل من ضاق صدره بما نجرج من آخر من غيركم من القصص حتى أوجب له غاية السعة ﴿ بالسوء ﴾ أى بكل ما من شأنه أن يسوء .

٥ ولما كان أعدى الأعداء لك - ١ [من تمنى أن يفوتك أعز الأشياء لديك ، وكان أعز الأشياء عند كل أحد دينع ، قال متما لليان : ﴿ وودوا ﴾ أى وقعت منهم هذه الودادة قبل هذا^٢ لأن مصيبة الدين أعظم [فهم إليها أسرع لأن دأب العدو القصد إلى أعظم - ١] ضرر يراه لعدوه ، و عبر بما يفهم البنى^٢ الذى يكون فى المحالات ليكون المعنى ١٠ أنهم أحبوا ذلك غاية الحب و تمنوه ، وفيه بشرى بأنه من قبيل المحال ﴿ لو تكفروا^٣ ﴾ أى يقع منكم الكفر الموجب للهلاك الدائم ، [و - ١] قدم الأول لأنه أبين فى العداوة و إن كان الثانى انكساراً .

ولما كانت عداوتهم معروفة و إنما غطاها محبة القربات لأن الحب للشئ يعنى ويصم ، فخطأ رأيهم فى موالاتهم بما أعلمهم به من حالانهم^٤ ، ١١ زهد فيها بما يرجع إلى حال من والوهم لأجلهم بما تورثه من الشقاء الدائم يوم البعث ، فقال مستأنفا إعلاما بأنها خطأ على كل حال : ﴿ لن تنفعكم ﴾ أى بوجه [من الوجوه - ١] ﴿ ارحامكم ﴾ أى فربانكم الحاملة لكم على (١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : الآن ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : النهى (٤) فى ظ و م : حالهم .

رحمتهم والعطف عليهم ﴿ ولا أولادكم ٢ ﴾ الذين هم أخص أرحامكم إن
واليتيم أعداء الله لأجلهم فينبغي أن لا تعدوا قريهم منكم بوجه أصلا،
ثم علل ذلك وبينه بقوله: ﴿ يوم القيمة ٣ ﴾ أى القيام الأعظم .
ولما كان النافي للنفع وقوع الفصل لا كونه^١ من فاصل معين قال
بانيا للفعول على قراءة أنى عمرو ونافع وابن كثير وأبى جعفر وابن ه
عامر^٢ من أكثر طرقه إلا أنه شدد الصاد للبالغة فى الفصل: ﴿ يفصل ﴾
أى يوقع الفصل وهو الفرقة العظيمة بانقطاع جميع الأسباب ﴿ بينكم^٣ ﴾
أى أيها الناس فيدخل^٤ من شاء من أهل طاعته الجنة، ومن شاء من أهل
معصيته النار، فلا ينفع أحد أحدًا منكم بشيء من الأشياء إلا إن كان
[قد -^٥] أنى الله بقلب سليم فيأذن الله فى إكرامه بذلك . ١٠

ولما كان التقدير إعلاما بأن الله هو الفاصل وهو الضار النافع
بما دلت [عليه -^٦] قراءة الباقيين إلا أن حمزة والكسائي بضم الياء وفتح
الفاء وكسر الصاد مشددة إشارة إلى عظمة هذا الفصل بخروجه عن
المألوف عودا إلى الاسم الأعظم إشارة إلى عظم الأمر بانتشار الخلائق
وأعمالهم: فأنه على ذلك قدير، عطف عليه^٧ قوله: ﴿ والله ﴾ أى الذى ١٥
له الإحاطة^٨ التامة ﴿ بما تعملون ﴾ أى من كل عمل فى كل وقت
﴿ بصيره ﴾ فيجازيكم عليه فى الدنيا والآخرة، وقد مضى غير مرة أن

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : لكونه (٢) راجع ثر المرجح ٣٠١/٧ (٣) من ظ
وم ، وفى الأصل : فيه (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل :
على ذلك (٦) زيد فى الأصل : الكامل ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفنا -

تقديم الجار في مثل هذا للتنه على مزيد الاعتناء بعلم ذلك لا على الاختصاص ولا لأجل الفواصل .

ولما أبلغ سبحانه في وعظهم في ذلك، وكانت عادته التربية بالمأذنين، كان موضع توقع ذلك فقال معبرا بأداة التوقع : ﴿ قد كانت ﴾ ٢٠١ / ٥ أى وجدت وجودا تاما، وكان تأنيث الفعل إشارة إلى الرضا بها ولو كانت على أدنى الوجوه ﴿ لكم ﴾ أى [ايها - '] المؤمنون ﴿ اسوة ﴾ أى موضع اقتداء وتأسيه وتسنى وتشرع وطريقة مرضية ﴿ حسنة ﴾ يرغب فيها ﴿ في إبراهيم ﴾ أى في قول أبي الأنبياء ﴿ والذين معه ﴾ أى [بمن - '] كانوا قبله من الأنبياء، قال القشيري : ومن آمن به في زمانه كان أخيه لوط عليها الصلاة والسلام وهم قدوة أهل الجهاد والهجرة ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ قالوا ﴾ وقد كان من آمن به أقل منكم وأضعف ﴿ لقومهم ﴾ الكفرة، وقد كانوا^٢ أكثر من عدوكم وأقوى وكان لهم^٣ فيهم أرحام وقرابات ولهم فيهم رجاء بالقيام والمحاولات .

١٥ ولما كان ما ذكر من ضعفهم وقوة قومهم مبعدا لأن يارزومهم، أكدوا قولهم فقالوا : ﴿ انا ﴾ أى من غير وقفة ولا شك ﴿ براءؤا ﴾ أى متبرؤون تبرئة عظيمة ﴿ منكم ﴾ وإن كنتم أقرب الناس إلينا ولا ناصر لنا منهم غيركم . ولما تبرؤا منهم أتبعوه ما هو أعظم عندهم منهم وهو سبب العداوة فقالوا : ﴿ وما تعبدون ﴾ أى توجدون عبادته في وقت

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : كان (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : لكم (٤) ورد في الأصل بعد « لاشك » والترتيب من ظ و م .

من الآوقات الماضية المفيدة التعبير [عنها - ٢] بالمضارع تصوير الحال
أو^٣ الحاضرة أو الآتية كأنا من كان لا يخف شيئا من ذلك لأن إلهنا
الذى قاطعنا كل شيء في الانقطاع إليه لا يقاويه شيء ، ولا تقدر أنتم
مع إشراككم به على البراءة منه .

- و لما كانوا مشركين قالوا مستثنين و ميتين لسفول كل شيء عن ٥
متعالى مرتبة معبودهم : ﴿ من دون الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى هو
كاف لكل مسلم . و لما كانت البراءة على أنحاء كثيرة ، بينوا أنها براءة
الدين الجامعة لكل براءة فقالوا : ﴿ كفرا بكم ﴾ أى أوجدنا الستر لكل
ما ينغى ستره حال كوننا مكذبين بكل ما يكون من جهتم من دين
و غيره الذى يلزم منه الإيمان ، و هو إيقاع الأمان من التكذيب لمن ١٠
يخترنا بسبب كل ما يضاده مصدقين بذلك . و لما كان المؤمن على جبهة
مضادة لجبهة الكافر ، عبر بما يفهم [أن - ٢] العداوة [كانت موجودة - ٢]
ولكنها كانت مستورة ، فقال دالا على قوتها بتذكير الفعل : ﴿ وبنا ﴾
أى ظهر ظهورا عظيما ، و على عظمتها بالدلالة بزعم الخافض على أنها
شاحنة لجميع اليقين فقال : ﴿ بيننا و بينكم ﴾ أى فى جمع الحد^٤ الفاصل ١٥
بين كل واحد منا و كل واحد منكم ﴿ العداوة ﴾ و هى المباينة فى
الأفعال بأن يعدو كل [على - ٢] الآخر ولا يكون [ذلك - ٢]

- (١) من ظ و م ، و فى الأصل : المفيدة (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ،
و فى الأصل : و (٤) زيد فى الأصل و ظ : أى ، ولم تكن الزيادة فى م لحذفها .
(٥) من ظ و م ، و فى الأصل : منكم (٦) فى م : بتلك المضاد (٧) من ظ ، و فى
الأصل و م : جد .

إلا عند ما - [يستخف - '] الغبط^١ الإنسان لإرادة أن يشفى صدره
 من شدة ما حصل له من حرارة الخفق . فالعداوة^٢ تمتد فيكون مائة
 لظرفها ، قال الشيخ سعد الدين التفتازاني في تلويحه^٣ على توضيح صدر
 الشريعة في أوائله في علاقات المجاز : الفعل المنسوب إلى ظرف الزمان
 ه بواسطة تقدير^٤ وفي ، دون ذكره يقتضى كون الظرف معيارا له^٥ غير زائد
 عليه مثل صمت الشهر ، يدل على صوم جميع أيامه بخلاف صمت في
 الشهر ، فإذا امتد الفعل امتد الظرف ليكون معيارا^٦ [له - '] فيصح
 حمل اليوم^٧ - في نحو صرت يوم كذا^٨ - على حقيقته ، وهو / ما يمتد من
 الطلوع إلى الغروب ، وإذا لم يمتد الفعل - يعنى مثل وقوع الطلاق - لم يمتد
 ١٠ الظرف ، لأن الممتد لا يكون معيارا لغير الممتد لحينئذ^٩ لا يصح حمل
 اليوم على النهار الممتد بل يجب أن يكون [مجازا - '] عن جزء من الزمان
 الذى لا يعتبر في الحرف ممتدا ، وهو الآن سواء كان من النهار أو من
 الليل بدليل قوله تعالى " ومن يؤلمهم يومئذ دبره " فان التولى عن الزحف
 حرام ليلا كان أو نهارا ولأن مطلق الآن جزء من الآن اليومي وهو
 ١٥ جزء من اليوم ، فيكون مطلق الآن جزءا من اليوم ، فتحقق العلاقة .

(١) زيد من ظ وم (٢) من ظ وم ، وفي الأصل : انضبط (٣) من ظ وم ،
 وفي الأصل : بما (٤) ص : ٢١٩ (٥) من ظ وم ، وفي الأصل : تقديره .
 (٦ - ٧) سقط ما بين الرقعين من ظ (٧) من ظ وم ، وفي الأصل : يوم .
 (٨) زيد في الأصل : أو ، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها (٩) من ظ
 وم ، وفي الأصل : وحينئذ .

ولما كان ذلك قد يكون لغير البغض بل لتأديب و نحوه قالوا:
 ﴿ والبغضاء ﴾ اى وهى المباينة بالقلوب بالبغض العظيم . ولما
 كان ذلك قد يكون سريع الزوال قالوا: ﴿ ابدا ﴾ ولما كان
 ذلك مرتبا من صلاح الحال ، وكان قد يكون لحظ نفس : بينوا غايته
 على وجه عرفت به علته : بقولهم : ﴿ حتى تؤمنوا ﴾ اى توقعوا الأمان .
 من التكذيب لمن أمركم بالإيمان وأخبركم عن الرحمان ، حال كونكم
 مصدقين ومعترفين ﴿ بالله ﴾ اى الملك الذى له الكمال كله . ولما
 كانوا يؤمنون به مع الإشراف قالوا: ﴿ وحده ﴾ اى تكونوا مكذبين
 بكل ما يعبد من دونه .

ولما حث سبحانه المخاطبين على التامس بقول إبراهيم ومن معه فى ١٠
 ذلك الوقت عليهم السلام استثنى منه فقال تأييسا لمن نزلت القصة^٢
 بسببه واستعطافا [له - ١] وهو حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه :
 ﴿ الا قول إبراهيم ﴾ اى فلا تأمى لكم به ﴿ لايه ﴾ واعدا له قبل
 أن يبين له أنه ثابت العداوة لله تعالى لكونه مطبوعا على قلبه ، فلا صلاح
 له . يقال : إن أباه وعده أنه يؤمن فاستغفر له ، فلما تبين له ، أنه لا يؤمن ١٥
 تبرأ منه : ﴿ لاستغفرون ﴾ اى لا وجدن طلب الغفران من الله ﴿ لك ﴾
 فان هذا الاستغفار لكافر ، فلا ينبغي لهم أن يتأسوا به فيه مطلقا غير
 ناظرين إلى علم أنه مطبوع على قلبه أو فى حين الرجوع .

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : لا يكون (٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
 عليه (٣) فى م : اقضية (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى
 الأصل : أعصر .

ولما وعده بالاستغفار رغباً له ، رغبه لئلا يترك السعى في النجاة
بما معناه أنه ليس في يدي غير الاستغفار ، فقال : ﴿ وما أملك لك ﴾ أى
لكونك كافراً ﴿ من الله ﴾ أى لأنه الملك ' الأعلى المحيط بنعوت ' الجلال ،
وأعرق في التقي بقوله : ﴿ من شيء ^١ ﴾ والاستثناء وقع [على - ^٢] هذا
٥ القول بقيد الاجتماع ، ولا يلزم منه التعرض للأجزاء ، فلا تكون هذه
الجملة على حياها مستثناة لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما نادى : وإصباحاه
حين ' أنزل الله سبحانه وتعالى " وأنذر عشيرتك الأقربين " كان يقول
لكل من سماه : لا أملك لك ' من الله شيئاً ، حتى قال في آخر ذلك :
يا فاطمة بنت محمد ا سليني من مالى ' ما شئت لا أغن عنك من الله شيئاً .
١٠ ولما حثهم على التأسى بقول الخالص . و قدم [منه - ^٣] المحافاة
لأنها المقصودة ، واستثنى ما لا ينبغي التأسى فيه اعتراضاً به بين أجزاء
مقالهم بياناً للاهتمام به للتفسير منه ' من قوله ، آمم ما يؤسى ' فيه فقال
مبيناً أنهم ما أقدموا على مجافاتهم ' بما قال إلا وقد قرروا جميع ما يقولونه
ورضوا به دون موادتهم وانقطعوا إلى الله وحده انقطاعاً تاماً يفعل
١٥ بهم ما يشاء من تسليطهم عليهم / أو حمايتهم منهم ، لكنهم سألوا الحماية
٢٠٣ /

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : المالك (٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
ثبوت (٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : لا (٥) - فقط من ظ .
(٦) من ظ و م ، وفى الأصل : مالك (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م ،
وفى الأصل : به (٩) زيد فى الأصل : به ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م
فحذفناها (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : محانهم .

لألذاتها ولا لأنفسهم بل لئلا يزيد [ذلك - ١] أعداءهم ضلالا^٢ :
 ﴿ ربنا ﴾ أتى أيها المحسن إلينا بتخليصك لنا من الهلاك باتباعهم
 ﴿ عليك ﴾ أى لاعلى غيرك ﴿ توكلنا ﴾ أى فعلنا فى جميع أمورنا معك^٣
 فعل من يحملها على قوى ليكفيه أمرها لانا نعلم أنك تكفى إذا شئت
 كل ملم^٤، وأنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت وقد عاديتك^٥ بك ه
 قوما عتاة أقوياء و نحن ضعفاء ورضينا بكل ما يحصل لنا منهم غير ان
 عافيتك هى أوسع لنا .

ولما كان الذى ينفى لكل أحد و إن كان محسنا أن يعد نفسه
 مقصرا شاردا عن ربه لأنه اعظم جلاله لا يقدر أحد أن يقدره حق
 قدره . وأن يعزم على الاجتهاد فى العبادة قالوا مخبرين بذلك عادين ١٠
 ذلك العزم رجوعا : ﴿ واليك ﴾ أى وحدك 'لا إلى غيرك' ﴿ انبنا ﴾
 أى رجعنا بجميع ظواهرنا وبواطننا . ولما كان المعنى تعليلا : فانه منك
 المبدأ ، عطف عليه قوله : ﴿ واليك ﴾ أى وحدك ﴿ المصيره ﴾ ولما
 أخبروا باسلامهم له سبحانه و علوه بما اقتضى الإحاطة فاقضى مجموع^٦ ذلك
 الثناء الاتم ، فلزم منه الطلب ، صرحوا به فقالوا داعين باسقاط الأداة ١٥
 للدلالة على غاية قربه سبحانه بما له من الإحاطة : ﴿ ربنا ﴾ أى أيها
 المربى لنا والمحسن إلينا ﴿ لاجعلنا ﴾ باضعافنا والتسليط علينا ﴿ فتنة ﴾

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : هلاكا (٣ - ٣) من ظ
 و م ، وفى الأصل : الامور مع (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : مسلم (٥) من
 ظ و م ، وفى الأصل : عاديتك (٦ - ٦) سقط ما بين الرقيين من ظ و م .
 (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : جميع .

أى موضع اختبار ﴿لَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بأن يعذبونا بعذاب يملئنا عما نحن عليه^١
و يملئهم عما وصلوا^٢ إليه بسبب إسلامنا من الزلزل بما يوجب ذلك لهم
من اعتقاد لو أنك كنت راضيا بديننا لكنا على الحق وكانوا هم على
الباطل ما أمكنت منا، فيزيدهم ذلك طغيانا ظنا منهم أنهم على الحق وأما
هـ على الباطل .

ولما كان رأس مال المسلم * الأعظم الاعتراف بالتقصير وإن
بلغ النهاية في المجاهدة فإن الإله في غاية العظمة والعبد في نهاية الضعف ،
فلوغة [ما يحق له - ٧] سبحانه لا يمكن بوجه قالوا : ﴿ واغفر لنا ﴾
أى استر ما عجزنا فيه وامح عينه وأثره . ولما طلبوا منه الحيطة من
١٠ جميع الجوانب ، علوه زيادة في التضرع والخضوع واستعجاز المطلوب
مكررين صفة الإحسان زيادة في الترقق والاستعطاف بقولهم : ﴿ ربنا ع ﴾
أى المحسن إلينا ، وأكدوا إعلاما بشدة رغبتهم بحسن الثناء عليه سبحانه
و اعترافا بأنهم قد يفعلون ما فيه شيء من تقصير فيكون من مثل
أفعال من [لا - ١٠] يعرفه سبحانه فقالوا : ﴿ انك انت ﴾ أى وحدك
١٥ لاغبرك ﴿ العزيز ﴾ الذى يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء ﴿ الحكيم ه ﴾

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : فيه (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : وصوا .
(٣) من م ، وفى الأصل : انزال (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : وكنا .
(٥) من م ، وفى الأصل : وظ : السلم (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : فى .
(٧) زيد من ظ (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : إليه (٩ - ١٠) من ظ و م ،
وفى الأصل : به قد يفعلوا (١٠) زيد من ظ و م .

الذى يضع الأشياء في أرفق محالها فلا يستطاع 'نقضها'، ومن كان كذلك فهو حقيق بأن يعطى من أمله فوق ما طلب .

و لا آثم ما حنهم على التأسي فيه بذكر أعظم آباتهم لأن دواعى الإنسان إلى المداراة عما يخاف عليه من أقاربه وآله وجميع أحواله

عظيمة جدا إن كان المدارأ عظيما لا سيما إن كان / قد تقدم له صداقة ٥ / ٣٠٤
و به ألفه ، فكان جدرا بعد الوعظ و التأسيه أن^٢ يبقى عنده بقايا و لإسيا
و الناس متفاوتون ، منهم من يرده أيسر وعظ و منهم من يحتاج إلى أكثر
من ذلك ، اعاد التأسيه تأكيدا لها على وجهه بلغ الذروة من جمال
الترغيب و جلال الترهيب ، و ليكون فيها آثم دلالة على أن ما بينهما
من قول إبراهيم عليه السلام المأمور بالتأسي به من الدعاء و غيره إلا ما ١٠
استثنى لتشتد الرغبة فيه ، فقال مصدرا بما دل على القسم إشارة إلى أن
من فعل غير هذا كان فعله فعل منكرو^٣ لحسن هذا التأسي ، و لذلك ذكر
الفعل الذى أنه فى الأول : (لقد كان لكم) أى ايها الذين ادعوا الإيمان ،
و قدم الظرف 'يانا للاهتمام به' فقال : (فيهم) أى إبراهيم عليه السلام
و من معه (اسوة حسنة) و أبدل من " لكم " ما هو الفصيل فى ١٥
الدلالة على الباطل ، فقال مشيرا إلى ان من لم يتأس بهم فى هذا لم يكن
راجيا لما ذكر : (لمن كان) أى جبل على أنه (رجوا الله) أى الملك

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : فلا يساع (٢) فى ظ : اخوانه (٣) من م ،
و فى الأصل و ظ : بأن (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : كمال (د) من ظ
و م ، وفى الأصل : المنكر (٦-٦) من ظ و م ، وفى الأصل : اهتماما به و بياقا .

المحيط بجميع صفات الكمال ، فهو ذو الجلال الذي يحير ولا يحار
 عليه ، والإكرام الذي هو حدير بأن يعطي جميع ما يسأله
 ﴿واليوم الآخر﴾ الذي يحاسب على التقير ، القطمير ، ولا تخفى عليه
 خافية ، فمن لم يتأس بهم كان تركه للناسي دليلاً على سوء عقيدته ، فلا
 يلومن إلا نفسه ، فقد أذن لإمام المسلمين إن عثر عليه في عقوبته ، فإن
 علم الغيب الذي أعلنه نينا صلى الله عليه وسلم بأن حاطباً رضى الله عنه
 صحيح العقيدة غير متأهل للعقوبة منقطع بموته صلى الله عليه وسلم
 ولا يبق إلا ما نصبناه من الشعار ، وأقناه من الدلائل

ولما كان التقدير: فمن أقبل على هذا الناسي لكونه يرجو الله واليوم
 الآخر فلم يخلد إلى الدنيا ، يتوله الله ، فإن الله رحيم ودود ، عطف عليه
 قوله: ﴿ومن يتول﴾ أى يوقع الإعراض عن أوامر الله تعالى في وقت
 من الأوقات مطلقاً لكونه أخلد إلى الدنيا ولم ير اليوم الآخر أعرض
 الله عنه ، وأشار بصيغة الفعل إلى أن ذلك لا يقع إلا بمعالجة الفطرة
 الأولى ، وأكد لأن فاعل ذلك كالشكر لمضمون الكلام فقال:
 ١٥ ﴿فان الله﴾ أى الذى له الإحاطة [الكاملة - ٩] ﴿هو﴾ أى خاصة

(١) في ظ و م : لم يانس (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : به (٣) من ظ و م ،
 وفي الأصل : فلا يكون من (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : علمناه (٥) من
 ظ و م ، وفي الأصل : العقوبة (٦) زيد في الأصل : غفور ، ولم تكن الزيادة
 في ظ و م لحذفها (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : الارض (٨) من ظ و م
 وفي الأصل : لفهوم (٩) زيد من م .

(الغنى) أى عن كل شيء (الحديد) [أى - ١] الذى له الحمد المحيط، لإحاطته بأوصاف الكمال فى حال الطاعة له والمعصية فإن العاصى عبد لإرادته، كما أن المطيع عبد لأمره وإرادته واطفه، فلا يخرج شيء عن مراده، وكل شيء خاضع لحكمه، وقد بينت الآية أدب العشرة لما ألهمت وهيجت على المفارقة للعصاة والتبرء منهم حسا ومعنى، وإظهار ه ذلك لهم قولا وفلا، إلى [أن - ٢] تحصل التوبة، ومن لم يفعل ذلك كان شريكا فى الفعل فيكون شريكا فى الجزاء كما ورد، ثم [لا - ٢] يمنعه ذلك أن يكون أكيله وجليسه، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم على السنة الانبياء، ومن فعل ما أمره الله به كان فعله جديرا بأن يكون سبب / الوصله والقرب والمودة، فالآية من الاحتباك: ١٠ / ٣٠٥ ذكر الرجاء أولا دليلا على ضده ثانيا. والتولى ثانيا دليلا على ضده أولا، وسره أنه ذكر سبب السعادة ترغيا وسبب الشقاوة ترهيبا.

ولما أتم وعظهم بما هو الأنفع والأقرب إلى صلاحهم ففعلوا، وكان ذلك شاقا لما جبل عليه البشر من حب ذوى الأرحام* والعطف عليهم، فتشوقت النفوس إلى تخفيف بنوع من الأنواع، أتبعه الترجئة فيما ١٥ قصده حاطب رضى الله عنه بغير الطريق الذى يتوصل به^١ فقال على عادة الملوك فى الرمز إلى ما^٢ يريدونه فيقنع^٣ الموعد به بل يكون ذلك الرمز

(١) زيد من م (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، وفى الأصل: امر. (٤) من ظ و م، وفى الأصل: والآية (٥) من م، وفى الأصل: و ظ: الارواح (٦) من ظ و م، وفى الأصل: اليه (٧-٧) من ظ و م، وفى الأصل: يرونه فيقع.

عنده١ أعظم من البت من غيرهم [لما لهم - ٢] من العظمة التي تقتضي٢
 الزاومة عما لم بشائبة نقص ، وذلك أعظم في الإيمان بالغيب لأن الوعد
 لا تزال بين خوف ورجاء جوابا لمن كأنه٣ كان يقول : كيف يكون
 الخلاص من مثل هذه الواقعة وقد بنيت يارب هذه الدار على
 ٥ حكمة الأسباب : ﴿ عسى الله ﴾ أى أنتم جديرون بأن تطعموا في الملك
 المحيط بكل شيء قدرة وعلما ﴿ ان يجعل ﴾ بأسباب لا تعلمونها
 ﴿ ينكم وبين ﴾ أى في جميع الحد الفاصل بين المجموعين أو بين كل
 شخصين من الجمعين ﴿ الذين عاديتهم ﴾ أى بالمخالفة في الدين ﴿ منهم ﴾
 أى من هؤلاء الذين عادوكم بما تقدم باعياهم٤ من أهل مكة ﴿ مودة٥ ﴾
 ١٠ وقد جعل ذلك عام الفتح تحقيقا لما رجاه سبحانه ، وأجرى سنته٦ الالهية
 بأن من عاديته فيه جعل عاقبة ذلك إلى ولاية عظيمة ، ومن تهاونت٧
 في مقاطعته [فيه - ٢] سبحانه أقامه لك ضدا .

ولما كان التقدير : فالله بكم رفيق ، عطف عليه تذكيرا لهم
 بما له سبحانه من العظمة [قوله - ٢] ﴿ والله ﴾ أى الذى له٨ الإحاطة
 ١٥ بالكمال٩ : ﴿ قدير١٠ ﴾ أى بالغ القدرة على كل ما يريد فهو بقدر
 على قلب القلوب و تيسير العسير ، فلما تم الرجاء لم يبق إلا كدر الذنب

(١) زيد في الأصل : من ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لخذفها (٢) زيد من
 ظ و م (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : تفيض (٤) من ظ و م ، وفي الأصل :
 كان (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : من اعيانهم (٦) من ظ و م ، وفي
 الأصل : سنة (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : تهاون (٨ - ٨) في م : كال
 الإحاطة .

فأتبعه تطيباً للقلوب مما زلت هذه الآيات بسببه قوله : ﴿ والله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ غفور ﴾ أى عما لأعيان الذنوب وآثارها^١ ﴿ رحيم ﴾ يكرم الخاطئين^٢ إذا أراد بالتوبة [م - ٢] بالجزاء غاية الإكرام ، قال الرازى فى اللوامع : كان النبى صلى الله عليه وسلم^٣ استعمل أبا سفيان رضى الله عنه على بعض البس ، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم^٤ عليه وسلم^٥ أقبل فلقى ذا الحجار مرتداً فقاتله ، فكان أول من قاتل على الردة ، فتلک المودة بعد المعادة .

ولما تم الوعظ والتأسيه وتطيب النفوس بالترجئة ، وكان [وصف - ٢] الكفار بالإخراج لهم من ديارهم يحتمل أن يكون بالقوة فيعمم^٦ ، ويحتمل أن يكون / بالفعل فيخص أهل مكة أو من باشر الأذى ١٠ / ٣٠٦ الذى تسبب عنه الخروج منهم ، بين ذلك بقوله مؤذناً بالإشارة إلى الاقتصاد فى الولاية والعداوة كما قال صلى الله عليه وسلم^٧ : احبب حبيك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما ، [و أبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيك يوماً ما - ٣] . ﴿ لا ينهكم الله ﴾ أى الذى اختص بالجلال والإكرام ﴿ عن الذين لم يقاتلوكم ﴾ أى بالفعل ﴿ فى الدين ﴾ ١٥ أى بحيث تكونون مطروفين له^٨ ليس شيئاً من أحوالكم خارجاً عنه ،

(١) من ظ وم ، وفى الأصل : لآثارها (٢) من ظ وم ، وفى الأصل : بالخطئين .
(٣) زيد من ظ وم (٤-٤) سقط ما بين الرقین من ظ (٥) من ظ وم ، وفى الأصل : فيقص (٦) راجع جامع الترمذى - البر (٧) من ظ وم ، وفى الأصل : فيه .

فأخرج ذلك القتال^١ بسبب حق دينوى لاتعلق له بالدين، وأخرج من لم يقاتل أصلاً كحراقة والنساء، ومن ذلك أهل الذمة بل الإحسان إليهم من محاسن الأخلاق ومعالي الشيم لأنهم جيران .

و لما كان الذين لم يقاتلوا لذلك^٢ ربما كانوا قد ساعدوا على الإخراج قال : ﴿ ولم يخرجوكم ﴾ وقيد بقوله : ﴿ من دياركم ﴾ ولما كان قد وسع لهم سبحانه بالتعميم في إزالة النهى خص بقوله مبدلاً من " الدين " : ﴿ ان ﴾ أى لا ينهاكم عن أن ﴿ تبروهم ﴾ بنوع من أنواع البر الظاهرة فان ذلك غير صريح في قصد المودة ﴿ و تقسطوا ﴾ أى تعدلوا العدل^٣ الذى هو فى غاية الاتزان بأن تزيلوا القسط الذى هو الجور، و بين [أن - ^٤] المعنى : موعلين لذلك الإقساط ﴿ إليهم ^٥ ﴾ إشارة إلى أن فعل الإقساط ضمن الاتصال، و إلى أن ذلك لا يضرهم و إن تكلفوا الإرسال إليهم من البعد بما أذن لهم^٦ فيه فان ذلك من الرفق و الله يحب الرفق فى جميع الأمور و يعطى عليه ما لا يعطى على الخرق، ثم علل ذلك بقوله مؤكداً دفعا لظن من يرى أذى الكفار بكل طريق، ١٥ ﴿ ان الله ﴾ [أى - ^٧] الذى له الكمال كله ﴿ يحب ﴾ أى يفعل فعل المحب مع ﴿ المقسطين ^٨ ﴾ أى الذين يزيلون الجور و يوقعون العدل . و لما علم الحال من هذا و بما فى أول السورة، أتبعه التصريح بما

(١) من ظ و م، وفى الأصل : اتصال (٢) من ظ و م، وفى الأصل : كذلك (٣) زيد فى الأصل : هو، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها . (٤) زيد من ظ و م (٥) سقط من ظ و م .

أفاده مجموعاً أحسن جمع مصوراً أحسن تصوير فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ ﴾
 [أى - ١] الذى له الإحاطة الكاملة علماً و قدرة ﴿ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ ﴾
 متعمدين لقتالكم [كائنين - ١] ﴿ فِي الدِّينِ ﴾ ليس [شئ من ذلك - ١]
 خارجاً عنه ، لتكون العداوة ٢ فى الله ٢ ﴿ وَ أَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ﴾ أى
 بأنفسهم لبغضكم ﴿ وَ ظَهَرُوا ﴾ أى عاونوا غيرهم ﴿ عَلَى اخراجكم ﴾ ٥
 ولما تناول هذا المقصودين صريحاً ، و كان النهى الذى موضعه الأفعال
 قد علق بأعيانهم تأكيداً له ، عرف بالمقصود بقوله: ﴿ إِنْ ﴾ أى إنما
 ينهاكم عن ٢ المذكورين فى أن ﴿ تُولَوْهُمْ ٣ ﴾ أى تكلفوا فطركم الأولى أن
 تفعلوا معهم جميع ما يفعله القريب الحميم الشفيق فصرحوا بأنهم أولياؤكم
 و تناصروهم ولو كان ذلك على أدنى الوجوه - بما أشار إليه إسقاط التاء ١٠ .
 و لما كان التقدير: فمن أطاع فأولئك هم / المفلحون ، عطف عليه
 قوله: ﴿ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ ﴾ أى يكلف نفسه الحمل على غير ما يدعو
 إليه الفطرة الأولى من المناذرة ، و أطلق و لم يقيد بـ « منكم » ليعلم المهاجرين
 و غيرهم و المؤمنين و غيرهم: ﴿ فَأُولَئِكَ ﴾ أى الذين أبعدوا عن العدل
 ﴿ هُمْ ﴾ أى خاصة لا غيرهم العريقون فى أنهم ﴿ الظَّالِمُونَ ﴾ أى العريقون ١٥
 فى إيقاع الأشياء فى غير مواضعها كمن ١ يمشى فى مأخذ الاشتقاق
 بسبب هذا التولى .

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) من ظ و م ، و فى الأصل: هـ (٣) زيد فى
 الأصل: المقصودين ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ،
 و فى الأصل: الى (٥ - ٥) سقط ما بين الرقنين من ظ و م (٦) من م ، و فى
 الأصل و ظ : لن .

و لما كان نزول هذه الآيات الماضية في الفتح الاعظم حين قصد
 النبي صلى الله عليه وسلم سنة ثمان المسير بمنحود الله إلى مكمل الشرفه
 - اشرفها الله تعالى^١ - لدخولها عليهم بالسيف حين تقضوا بقتالهم لخزاعة
 الذين كانوا قد تحيزوا^٢ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا في عقده
 ٥ وعهده في صلح الحديبية الذي كان سنة ست على وضع الحرب بينهم
 وبين النبي صلى الله عليه وسلم [و -^٣] من دخل في عقده ، و كان
 من ذلك الصلح أن من جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قريش
 ومن دخل في صلحهم رده إليهم وإن كان مسلماً ، ومن جاءهم ممن
 كان مع النبي صلى الله عليه وسلم لم يردوه إليه بحيث قام من ذلك وقعد
 ١٠ كثير من الصحابة رضى الله عنهم من أعظمهم عمر بن الخطاب رضى الله
 عنه حتى سكنه الصديق رضى الله تعالى عنه بما قر في صدره من الحكم ،
 ورد إليهم^٤ صلى الله عليه وسلم أبا بصير رضى الله عنه ، و كان رده إليهم
 للوفاء بالعهد بسبب التصديق لقوله صلى الله عليه وسلم : أما من جاءنا منهم
 فرددناه إليهم فسيجعل الله له فرجا ومخرجاً ، وقصته [في ذلك كله -^٥]
 ١٥ مشهورة ، و كانت « من » [من -^٦] صيغ العموم ، و كانت دلالة
 العام قطعية في الحكم على الأفراد ظنية - كما قال الشافعي رضى الله تعالى
 عنه - في الدلالة على الجزئي^٦ من تلك الأفراد خصوصه حيث لا قرينة

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : تحذروا .

(٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : عليهم (٥) زيد من ظ و م .

(٦) من ظ و م ، وفي الأصل : الجزء .

لأن تلك الصيغ ترد تارة^١ على عمومها و تارة يراد بها بعض الأفراد
فتكون من العام الذي أريد به الخصوص، و تارة يقع فيها التخصيص،
فتكون من العام^٢ الذي أريد به الخصوص^٣ فطرقها الاحتمال فاحتاج
ما دلت عليه من الظاهر^٤ إلى قرينة، و كان دخول النساء تحت لفظ
«من» في صلح الحديبية أما عربا عن القرينة أو أن [القرينة -^٥] القتال
الذي وقع الصلح [عليه -^٦] بسببه صارفة عنه، وكذا قرينة التعبير عنهن
بـ «ما، دون «من» في كثير من الكتاب العزيز «فانكحوا ما طاب لكم
من النساء أو^٧ ما ملكت أيماكنكم، [و لا تنكحوا ما نكح آبؤكم من النساء،
و المحصنات من النساء إلا ما ملكت أيماكنكم -^٨]، «و أحل لكم ما وراء ذلكم،
فما استمتعتم به منهن، «فما ملكت أيماكنكم من فتيانكم المؤمنات، «إلا على ١٠
أزواجهن أو ما ملكت أيماكنهم»، و كان قد ختم سبحانه هذه الآيات التي
٣٠٨ / / أدب بها في غزوة الفتح بما أبان به ما لا يخرج عن الصلح في عمرة الحديبية
بما هو أقرب إلى الخير من البر و العدل، و نهى عن تولي الكفار، فكانت
المصاهرة و المناكحة من أعظم التولي، و صل بذلك ما لا يخرج^٩ عنه
و لا يحل^{١٠} بالمهد في أن^{١١} من جاء من^{١٢} الكفار إلى النبي صلى الله عليه و سلم ١٥
رده إليهم و إن كان مسلما، فقال مخاطبا لأدنى أسنان أهل الإيمان الذين

(١) و قد في الأصل بعد «على عمومها» و الترتيب من ظ و م (٢-٣) سقط ما
بين الرقين من ظ، و في م: المخصوص (٣) من ظ و م، و في الأصل: المظاهر.
(٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و في الأصل: إلا (٦) من ظ و م، و في
الأصل: لم يخرج (٧-٨) من ظ و م، و في الأصل: بالعدل ممن (٨) من ظ
و م، و في الأصل: إلى.

يحتاجون إلى التفهيم^١، وأما من هو أعلى منهم فهو عالم بذلك مؤتمر به بما آتاه الله من الفهم وأنار به قلبه^٢ الشريف من فنون العلم ليكشفوا النبي صلى الله عليه وسلم مقدمات البيعة منه لمن، (بأيها الذين آمنوا) أى أفروا بالإيمان - وهو إيقاع الأمان من التكذيب - لمن يخبرهم ما ينبغي التصديق به بسبب تصديقهم بالله سبحانه وتعالى .

ولما كان في علمه سبحانه وتعالى [أنه] يأتيهم^٣ نساء يهربن بدينهن إلى الله، بشرهم بذلك بالتعبير بأداة التحقيق فقال: (إذا) أى صدقوا ما ادعيتموه من الإيمان بأنه في أى زمان (جاءكم) ولما كان لا يهجر داره^٤ وعشيرته لاسيما إن كانوا أقارب بسبب كفرهم إلا من رسخ في الإيمان ١٠ ذكرا كان أو أنثى قال: (المؤمنت) أى النساء اللاتي صار وصف^٥ الإيمان لهن^٦ صفة راسخة بدلالة الهجرة عليه: (مهجرات) للكفار ولأرضهم (فامتنحوهن^٧) أى اختبروهن تأكيذا لما دلت عليه الهجرة من الإيمان بالتحليف بأنهن^٨ ما خرجن لحدث أحدثته ولا بغضا في زوج ولا رغبة في عشير ولا خرجن إلا جباله ورسوله ورغبة في دين ١٥ الإسلام؛ قال الإمام شهاب الدين ابن النقيب في الهداية من مختصره للكفاية^٩ لفقهاء المذهب نجم الدين أحمد بن الرفعة في شرح التنبيه:

- (١) من ظ و م ، وفي الأصل: التعميم (٢) من ظ و م ، وفي الأصل: قلب .
- (٣) من ظ و م ، وفي الأصل: يأتيه (٤) من ظ و م ، وفي الأصل: زمانه .
- (٥) من م ، وفي الأصل وظ: اتى (٦) من ظ و م ، وفي الأصل: وصفه .
- (٧) من ظ و م ، وفي الأصل: لهم (٨) من ظ و م ، وفي الأصل: بالإيمان .
- (٩) من ظ و م ، وفي الأصل: في الكفاية .

و اختلف [قول - ^١] الشافعى رحمه الله تعالى : هل كان النبي صلى الله عليه وسلم شرط لقريش في الصلح رد^٢ النساء ففي قول : لم يشترطه بل أطلق رد من جاءه فتوهموا تناول النساء ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم عالما بعدم دخولهن ، فأطلق ذلك حذيفة يعنى و من شرعه أن الحرب خدعة ، وفي قول : شملهن الشرط ، لكن هل شرطه صريحا أم دخلن في ٥ الإطلاق فيه وجهان أظهرهما الثانى ، و هل كان شرطهن جائزا^٣ فيه وجهان : أحدهما نعم ثم نسخ ، و هل ناسخه الآية المذكورة أم منع النبي صلى الله عليه وسلم من الرد فيه وجهان مبنيان على أنه [هل - ^١] يجوز نسخ السنة بالقرآن^٤ وفيه قولان للشافعى رحمه الله تعالى ، ومختاره منهما المنع وهو الجديد ، وكذا لا يجوز عنده وعند أصحابه نسخ الكتاب ١٠ بالسنة وإن كانت متواترة^٥ - انتهى . ومعناه أنه لم يقع فإن وقع نسخها بالقرآن كان معه ستة ، وإن وقع نسخه / بالسنة كان معها قرآن^٦ ، وهو معنى قول ابن السبكي في جمع الجوامع : قال الشافعى رضى الله عنه : وحيث وقع بالسنة فعها قرآن أو بالقرآن فعها ستة عاضدة تبين توافق الكتاب و السنة .

١٥

ولما كان الاختبار ربما دل على إيمانهم لا يعلم^٧ إلا به ، نفي ذلك بقوله مستأنفا في جواب من يقول : أليس الله بعالم بذلك ، ومفيدا أن عليكم

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : فرد (م) من ظ و م ، وفي الأصل : جائز (هـ) من ظ و م ، وفي القرآن (هـ) من ظ و م ، وفي الأصل : مواترة (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : قرانا (٧) زيد في الأصل : ذلك ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها .

الذى تصلون إليه بالامتحان ليس بعلم، وإنما [سما - '] به إيداننا
 بأن الظن الغالب في حكم بالاجتهاد والقياس قائم مقام العلم يخرج من
 عهدة "ولا تقف ما ليس لك به علم" : (الله) أى المحيط بكل شيء
 قدرة وعلما (اعلم) أى منكم ومنهم بأنفسهم (بايمانهم ج) هل هو
 ٥ كائن أو لا على وجه الرسوخ أولا، فانه محيط بما غاب كاحاطته بما شهد،
 وإنما وكل الامر إليكم في ذلك ستر للناس ولئلا تكون شهادته
 لاحد بالإيمان و^٢ الكفران موصلة إلى عين اليقين فيخرج عن مبنى
 هذه الدار، قال القشيري: وفي الجملة الامتحان طريق إلى المعرفة،
 وجواهر النفس تتبين بالتجربة، ومن أقدم على شيء^٣ من غير^٢ تجربة
 ١٠ يحنى كأس الندم، قال: (فاندعستوهن) أى العلم المتكهن لكم وهو
 الظن المؤكد بالآمارات الظاهرة بالخلف وغيره (مؤنت) أى
 مخلصات في الهجرة لأجل الإيمان، والتعبير بذلك للايدان بمزيد الاحتياط.
 ولما ذكر هذا الامتحان بين أنه علة لحايتهم والدفع عنهم فأتبعه
 مسيه فقال: (فلا ترجعوهن) أى بوجه من الوجوه (الى الكفار)
 ١٥ وإت كانوا أزواجا، ومن الدليل [على - '] أن هذا ظاهر في
 المراد وأن القرائن موضحه له أنه صلى الله عليه وسلم لما [أبى - '] أن
 يرد إليهم من جاءه^٥ من النساء لم يعب أحد من الكفار ذلك، ولانسب
 (١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفي الأصل: و (٣-٣) من ظ و م،
 وفي الأصل: بغير (٤) من ظ و م، وفي الأصل: الى (٥) من ظ و م،
 وفي الأصل: جاء.

إلى عهدہ صلی اللہ علیہ وسلم۔ وحالماء۔ خلا، ولولا أن ذلك [كذلك] -^١
 ملؤا الأرض تشغيا كما فعلوا في سرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه
 إلى نخلة التي نزل بسببها "يسئلونك عن الشهر الحرام" الآيات على أن
 الأخبار الصحيحة وغيرها ناطقة بأن هذه [الآية -^١] نزلت في الحديبية
 قبل أن يفصل الأمر غاية الاتصال ويستقر، روى البخاري في ٥
 المغازی من صحيحه والبعوى^٢ من طريقه وهذا لفظه عن المروان والمسور
 ابن مخزومة عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: كاتب سهل بن عمرو
 فكان مما اشترط على النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يأتيك أحد منا
 وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، فكاتبه النبي صلى الله عليه وسلم
 على ذلك، فرد يومئذ أبا جندل إلى^٣ أبيه سهل بن عمرو، ولم يأت أحد ١٠
 من الرجال إلا رده في تلك المدة وإن كان مسلما، وجاءت المؤنات
 / مهاجرات، وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط من خرج إلى
 ٣١٠ / النبي صلى الله عليه وسلم وهي [عاتق -^١] فجاء أهلها إلى المدينة^٤
 يسئلون النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجعها إليهم فلم يرجعها إليهم كما
 أنزل الله فيهن "إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن" وقال البغوي^٥: ١٥
 قال ابن عباس رضي الله عنهما: أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا
 (١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفي الأصل: قاطعة (٣) راجع معالم
 التنزيل بهامش الباب ٧ / (٤) من ظ و م، وفي الأصل: ان (٥) من ظ
 و م، وفي الأصل: على (٦-٧) سقط ما بين الرقين من ظ و م.

حتى إذا كان بالحديبية صالحه مشركو [مكة - ١] على أن من أتاه
 [من - ١] أهل مكة رده إليهم فجاءت سبيعة بنت الحارث مسلمة بعد
 الفراغ من الكتاب، فأقبل زوجها، وكان كافر، فقال: يا محمد اردد
 على امرأتى فانك قد شرطت أن ترد علينا من أهلك منا، وهذه طينة
 ٥ الكتاب لم تجف، فأنزل الله تعالى "يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات
 مهاجرات فامتنحوهن" الله أعلم بإيمانهن^٢ وقال ابن عباس رضى الله عنهما:
 امتحانها أن تستحلف أنها^٣ ما هاجرت لبغض زوج ولا عشقا لرجل
 من المسلمين ولا رغبة عن أرض ولا لحدث أحدثته ولا التماس الدنيا
 وما خرجت إلا رغبة^٤ في الإسلام وحب الله ورسوله صلى الله عليه
 ١٠ وسلم، فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم - ١] على ذلك لحلفت
 فلم يردھا واعطى زوجها ما أتفق عليها، فزوجها^٥ عمر رضى الله عنه، وكان
 صلى الله عليه وسلم يرد من جاءه^٦ من الرجال ويحبس من جاءه من
 النساء بعد الامتحان، ويعطى أزواجهن مهورهن، [و - ١] دعوى النسخ
 ليست بشيء إلا تقول بأنه لما كان من العام الذى أريد به الخصوص
 ١٥ أن^٧ بعض ما تناوله ظاهر اللفظ من الحكم مرفوع، وذلك بأن الله
 لا يأمر باخلاف الوعد فكيف بنقض العهد. ولما نهى عن رد المهاجرات

(١) زيد من ظ و م والمالم (٢-٢) سقط ما بين الرقین من ظ و م (٣) سقط
 من م (٤) من م، وفي الأصل و ظ: لا التماس (٥) من ظ و م، وفي الأصل:
 حبا (٦) من ظ و م، وفي الأصل: ثم تزوجها (٧) في ظ و م: جاء (٨) من ظ
 و م، وفي الأصل: بأن (٩) من ظ و م، وفي الأصل: ان.

إلى المشركين وعبر بالكفار تميمياً^١، علل ذلك بقوله مقدماً حكهن^٢
 تشريفاً لهن لهجرتهن: ﴿ لا من ﴾ أى الأزواج ﴿ حل ﴾^٣ أى موضع^٤
 حل ثابت ﴿ لهم ﴾^٥ أى للكفار باستمتاع ولا غيره . ولما كان نفي الحل
 الثابت غير مانع من تجدد حل الرجال لهن^٦ ولو على تقدير من التقدير
 وفرض من الفروض، قال معيداً^٧ لذلك ومؤكداً لقطع العلاقة من كل جانب: هـ
 ﴿ ولا هم ﴾ أى رجال الكفار ﴿ يحلون ﴾ أى يتجدد فى وقت من
 الاوقات أن يحلوا ﴿ لهن ﴾^٨ أى للمؤمنات [حتى - ^٩] لو تصور أن
 يكون رجالهن نساء وهن ذكورا ما حلوا لهن بخلاف أهل الكتاب،
 كذا تفك الملازمة فى مسألة المظاهرة والإبلاء فيحل للمرأة أن تستمتع
 به إذا كان نائماً مثلاً، وأما هو فيحرم عليه ذلك قبل التكفير، وقال ١٠
 البيضاوى: الأولى لحصول الفرقة، والثانية لمنع من الاستئناف - انتهى .
 [ففتت - ^{١٠}] هذه الجملة القطعية من وجه تجدد الحل للنساء فأفهمت
 الجملتان عدم الحرج فيما كان قبل ذلك تطييباً لقلوب المؤمنات^{١١} .
 ولما نهى عن الردو عاله، أمر بما قدم " من الإقساط إليهم

-
- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : تميمياً (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : حكين .
 (٣-٤) سقط ما بين الرقين من ظ و م (٤) ليس فى الأصل (٥) من ظ و م ،
 وفى الأصل : باجماع (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : لهم (٧) من ظ و م ،
 وفى الأصل : مقيداً (٨) زيد من ظ و م (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : ان .
 (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : المؤمنين (١١) من ظ و م ، وفى
 الأصل : تقدم .

فقال: ﴿ وَاَتَوْكُمْ ﴾ أى الأزواج ﴿ مَا اتَّفَقُوا ﴾ أى عليهن من المهور فإن المهر فى نظير أصل العشرة ودوامها / وقد فوتتها المهاجرة فلا يجمع عليه خسران الزوجية والمالية، وأما الكسوة والنفقة فانها لما يتجدد من الزمان .

٥ . ولما جزم^١ بتأييد متعهن^٢ عن الكفار، أباحهن للمسلمين فقال على وجه الرفق واللطف: ﴿ وَلَا جُنَاحَ ﴾ أى ميل وخرج ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ أيها المشرفون بالخطاب ﴿ إِنْ تَنكَّحُوهُمْ ﴾ أى تجددوا زواجكم^٣ بهم بعد الاستبراء وإن كان أزواجهن من الكفار لم يطلقوهن لزوال العلق منهم عنهن ولأن^٤ الإسلام فرق بينهم فانه لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا . ولما كان قد أمر برد مهور الكفار، فكان ربما ظن أنه مغل عن تجديد مهر لمن إذا نكحهن المسلم نفي ذلك بقوله: ﴿ إِذَا أَتَيْتُمُوهُنَّ ﴾ أى لأجل النكاح ﴿ أَجُورَهُنَّ ﴾ ولما قطع [ما-°] بين الكفار والمسلمات مع الإعراض عن الكفار لعصيانهم قطع ما بين المؤمنين والكافرات مع الإقبال عليهم لطاعتهم رفعا لشأنهم فقال: ﴿ وَلَا ﴾ ١٥ . ولما كان إمساك المرأة مع عداوتها لمخالفتها فى الدين دليلا على غاية الرغبة فيها، دل على ذلك إشارة إلى التويخ^٥ بالتضعيف فى قراءة البصريين

(١) من ظ و م ، وفى الأصل: حرم (٢) من ظ و م ، وفى الأصل: منعمين (٣) من ظ و م ، وفى الأصل: أزواجكم (٤) من ظ و م ، وفى الأصل: فكأن (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفى الأصل: التلويح بالتوبيخ .

فقال^١: ﴿ تَمَسَّكُوا ﴾ أى بعدم التصريح فى الطلاق ﴿ بَعْضُ الْكَافِرِ ﴾ جمع عصمة وهى ' ما يديم ' علاقة النكاح ﴿ وَاسْتَلُوا ﴾ أى أيها المؤمنون الذين ذهب^٢ أزواجهم إلى الكفار ﴿ مَا آتَقْتُمْ ﴾ أى من مهور نسائكم الآتى اعتصم عنكم بهم او فرن إليهم . ولما أمر برد مهور المؤمنين إلى الكفار وأذن للمؤمنين فى المطالبة بمهور أزواجهم، أذن للكفار فى ه مثل ذلك إيقاعا للقسط بين عباده مسلمهم وكافرهم معبرا بالأمر مع النية إعراضا عنهم إعلاما بشدة كراسته سبحانه للظلم وأنه يستوى فيه الكافر مع عداوته ياتؤمن مع ولايته : ﴿ وَاسْتَلُوا ﴾ أى الكفار ﴿ مَا آتَقْتُوا^٣ ﴾ أى من مهور أزواجهم الآتى أسلمن واعتصمن بكم عنهم، وهل هذا الحكم باق، قال قوم : نعم، وقال عطاء ومجاهد وقتادة : ١٠ نسخ فلا يعطى [الكفار -^٤] شيئا ولو شرطنا الإعضاء .

ولما كان هذا حكما عدلا لا يفعله مع عدوه ووليه إلا حكيم . قال مشيرا إلى مدحه زغبيا فيه بيميم^٥ الجمع إلى العموم : ﴿ ذَلِكُمْ ﴾ أى الحكم الذى ذكر فى هذه الآيات البعيدة بعلو الرتبة عن كل سفه ﴿ حَكَمَ اللَّهُ^٦ ﴾ [أى -^٧] الملك الذى له صفات الكمال ، فلا ينبغي ١٥ لشائبة نقص أن يلحقه^٨ .

(١) زيد فى الأصل : ولا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لخدمتها (٢-٣) من ظ و م ، وفى الأصل : تقديم (٤) من ط و م ، وفى الأصل : ثبت (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : بيجيم (٦) زيد فى الأصل : عدا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لخدمتها (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : يبحق به .

ولما كان هذا مما يفرح به ويقتم عند تقدير فواته ، قال مستأنفا
 • مبشرا بادامة تجديد أمثاله لهم : ﴿ يحكم ﴾ أى الله أو حكمه على سبيل
 المبالغة ، و دل على استغراق الحكم لجميع ما يعرض بين العباد وأنه سبحانه
 لم يهمل شيئا منه باعراء الجار من قوله : ﴿ ينكم ﴾ أى فى هذا الوقت
 ه وفى غيره على هذا المنهاج البديع ، و ذلك لأجل الهدنة التى وقعت
 بين النبى صلى الله عليه وسلم وبينهم ، و أما قبل الحديبية فكان النبى
 صلى الله عليه وسلم يمسك النساء ولا يرد الصداق .

/ ٣١٢

ولما كان التقدير : فالله حكم عدل ، قال : ﴿ والله ﴾ أى الذى له
 الإحاطة التامة ﴿ عليم ﴾ أى بالغ العلم لا يخفى عليه شىء ﴿ حكيم ﴾ أى
 ١٠ فهو تمام عليه يحكم كل أموره غاية الإحكام فلا يستطيع أحد نقض
 شىء منها .

ولما كان المظنون بالكفار عدم العدل فلا يعطون المؤمنين مهور
 نسايتهم الكافرات ، قال مداويا لذلك [الداء - '] : ﴿ و ان فانكم ﴾
 أى بالانقلاات منكم بعد الهجرة أو بادامة الإقامة فى بلاد^٢ الحرب ﴿ شىء ﴾
 ١٥ أى قل أو كثر ﴿ من ازواجكم ﴾ أى من أنفسهن أو مهورهن ﴿ الى ﴾ أى
 متحيزا أو واصلًا إلى ﴿ الكفار ﴾ فعجزتم عنه ﴿ فعاقبتن ﴾ أى تمسكن
 من المعاقبة بأن فأت الكفار شىء من ازواجهم بالهجرة إليكم أو اغتسمن^٣

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : لا يهمل (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ
 و م ، وفى الأصل : دار (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : اوصل (٥) فى
 م : غنمتم .

من [أزواج - ١] الكفار فجاءت نوبة^١ ظفركم بأداء المهر إلى إخوانكم طاعة
وعدلا عقب نوبتهم التي اقتطعوا فيها ما أنفقتم عصيانا وظلما (قاتوا)
أى فأحضروا^٢ وأعطوا من مهر المهاجرة (الذين ذهب أزواجهم)
[أى - ٤] منكم إن اختاروا الأخذ (مثل ما أنفقوا^٣) على الكافرة
الفائنة إلى^٥ الكفار بما غنمتم من أموالهم أو بأن تدفعوا إليهم مثل مهر^٥
أزواجهم بما^٦ كنتم تعطونه^٧ لأزواج المهاجرات، فيكون ذلك جزاء
وقصاصا لما فعل الكفار .

ولما كان التجزى فى مثل ذلك عسرا على النفس^٨ فإن المهور
تفاوتت تارة وتساوى أخرى . و تارة تكون تقودا^٩ و تارة تكون عروضا
إلى غير ذلك من الأحوال مع أن المعامل عدو فى الدين فلا يحمل^{١٠}
على العدل فيه إلا خالص التقوى قال : (واتقوا) أى فى الإعطاء والمنع
وغير ذلك^{١١} (الله) الذى له صفات الكمال وقد أمركم بالتخلق بصفاته
على قدر ما تطيقون ، ثم وصفه بما يؤكد صعوبة الأمر^{١٢} ويحث على
العدل فقال ملها لهم كل الإلهاب هاذا لهم بالوصف بالرسوخ^{١٣} فى الإيمان^{١٤} :

- (١) زيد من ظ و م ، وفى الأصل : نوبته (٣) من ظ و م ، وفى
الأصل : فأحصوا (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : على .
(٦) من ظ و م ، وفى الأصل : ما (٧) من م ، وفى الأصل : وظ : تعطون .
(٨) من ظ و م ، وفى الأصل : النفوس (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : أو .
(١٠) زيد فى الأصل : راقبوا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فخذناها (١١) من
ظ و م ، وفى الأصل : البر (١٢-١٣) من ظ و م ، وفى الأصل : بالإيمان .

﴿الَّذِي آمَنَ بِهِ﴾ أى خاصة ﴿مؤمنون ه﴾ أى متمكنون فى رتبة الإيمان .
 ولما خاطب سبحانه المؤمنين الذين لهم موضع الذب والحماية
 والنصرة بما وطن به المؤمنات فى دار الهجرة فوقع الامتحان وعرف
 الإيمان ، أمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد الحكم بإيمانهم بمبايعتهن فقال :
 ٥ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ مخاطباً له بالوصف المقتضى للعلم ، ودل على [تحقق -']
 كون ما يخبر به من مجيئهن بأداة التحقيق علماً من أعلام النبوة فقال :
 ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ جعل إقبالهن [عليه -'] صلى الله عليه وسلم
 لاسيما مع الهجرة مصححاً لإطلاق الوصف عليهن ﴿يَبَايِعُنَّكَ﴾ أى
 كل واحدة منهن تباع (على أن لا يشركن) أى يوقعن الإشراك
 ١٠ / ٣١٣ لآحد من الموجودات / فى وقت من الأوقات ﴿بِالله﴾ أى الملك
 الذى لا كفواه له ﴿شَيْئاً﴾ أى من إشراك على الإطلاق .

ولما كان الشرك بذل حق الملك لمن لا يستحقه ، أتبعه أخذ مال
 المالك بغير حق ، لاقتضاء الحال لذلك بتمكن المرأة من اختلاس مال
 الزوج وعسر تحفظه منها فقال : ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ﴾ أى يأخذن مال
 ١٥ الغير بغير استحقاق فى خفية ، وأتبع ذلك بذل حق الغير لغير أهله فقال :
 ﴿وَلَا يَزْنِينَ﴾ أى يمكن أحداً من وطئهن بغير عقد صحيح . ولما
 كان الزنا قد يكون سبباً فى إيجاد أو إعدام نسمة بغير حقها ، أتبعه إعدام

(١) زيد من ظ و م (٢) فى م : التحقق (٤) من ظ و م ، وفى الأصل :
 واحد (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : المالك (٥) من ظ و م ، وفى
 الأصل . عنها .

نسمة بغير حقه قال: (ولا يقتل اولادهن) أى بالوآد^١ كما تقدم
في النحل وسواء في ذلك كونه من زنا أو لا .

ولما ذكر إعدام نسمة بغير^٢ حق ولا وجه شرعى^٣ أتبعه ما يشمل^٤

لإيجاد نسمة بغير حل ، فقال مقبحا له على سبيل الكناية^٥ عنه بالبهتان وما
معه بالتصوير له بلوازمه وآثاره لأن استحضار القبيح و تصوير صورته ه
أزجر عنه قال: (ولا يأتين بهتان) أى ولد من غير الزوج يهت
من إلحاقه به حيرة في نفيه عنه (يفتريته) أى يتعمد كذبه ، وحق
المراد [به -^٦] وصوره بقوله: (بين أيديهن) [أى -^٧] بالحل في
البطون^٨ (وارجلهن) أى بالوضع من الفروج ولأن عادة الولد مع
أنه يسقط بين أيدي أمه ورجليها أنه يمشى أمامها ، وهذا شامل لما كان ١٠
من شبهة أو لقطة .

ولا حقق هذه الكبار العظيمة^٩ تعظيما لامرأها لسر الاحتراز
منها ، وأكد النهى عن الزنا مطابقة وإلزاما لما يجر إليه من الشرور^{١٠}
القتل فادونه ، وغلظ أمر النسب^{١١} لما يتفرع عليه من إيقاع الشبهات

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : بالود (٢-٣) في ظ و م : وجه (٣) من ظ
وم ، وفي الأصل : يوجب (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : الزكاة (٥) زيد
من ظ م (٦) زيد من م (٧) زيد في الأصل : مدته ، ولم تكن الزيادة في
ظ و م لحذفها (٨) سقط من م (٩) زيد في الأصل : به ، ولم تكن
الزيادة في ظ و م لحذفها (١٠) من ظ و م ، وفي الأصل : السبب .

و انتهاك الحرمات ، عم في النهي فقال : ﴿ ولا يعصينك ﴾ أى على ' حال من الأحوال ﴿ في معروف ﴾ أى فرد كان منه صغيرا [كان - '] أو كبيرا ، و في ذكره مع العلم بأنه صلى الله عليه وسلم لا يأمر إلا به إشعار بأنه لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق ، و قدم المنهيات على المأمورات المستفادة من المعروف لأن التخلي عن الرذائل مقدم على التحلي بالفضائل لأن دره المفاسد أولى من جلب المصالح : ﴿ فبايعهن ﴾ أى التزم ' لهن بما وعدت على ذلك من إعطاء الثواب لمن وفّت منهن في نظير ما ألزمن أنفسهن من الطاعة . و لما كان الإنسان محل نقصان لاسيما النساء ، رجاهن سبحانه بقوله : ﴿ واستغفر ﴾ أى أسأل ﴿ لهن الله ﴾ أى الملك الأعظم ذا الجلال و الإكرام في الغفران إن وقع منهن تقصير و هو واقع لأنه لا يقدر أحد أن يقدر الله حق قدره .

و لما كانت عظمته سبحانه مانعة اعظيم الهيبة من سؤاله ما طمع به ، علله بقوله معيدا الاسم الأعظم اثلا يظن باضماره و تقيده بحشية الهجرة من النساء و نحو ذلك مؤكدا لما طبع الآدمي عليه من / أنه لا يكاد يترك المسمى^٦ من عقاب أو عتاب فضلا عن التفضل بزيادة الإكرام : ٣١٤ /

﴿ ان الله ﴾ أى الذى له صفات^٧ الجلال و الإكرام^٨ فلو أن الناس لا يذنبون

(١) زيد في الأصل : أى ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و في الأصل : الزم (٤) من ظ و م . و في الأصل : ما (٥) من ظ و م ، و في الأصل : بعده - كذا (٦) من ظ و م ، و في الأصل : النهي (٧-٧) في ظ و م : الكمال .

لجاء يقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم تظهر صفة إكرامه (غفور) أى بالغ
السر للذنوب عينا وأزا (رحيمه) أى بالغ الإكرام بعد الغفران فضلا منه
وإحسانا، وقد حقق سبحانه ذلك وصدق، ومن أصدق من الله قبلا،
فأقبل النساء للبيعة عامة ثانى يوم الفتح على الصفا بعد فراغه صلى الله
عليه وسلم من بيعة الرجال فزلت هذه الآية وهو على الصفا فقام عمر ه
ابن الخطاب رضى الله أسفل منه يبايعهن بأمره ويلغهن عنه وهند بنت
عتبة^٢ متقبعة متكررة مع النساء خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يعرفها، فلما ذكر الشرك قالت^٣: والله إنك لتأخذ علينا أمرا ما رأيتك
أخذته على [الرجال-^٤]، وبايع الرجال يومئذ على الإسلام والجهاد،
فقال "ولا يسرقن" فقالت: إن أبا سفيان رجل شحيح وإنى أصيب^٥ ١٠
من ماله هنات فلا أدري أيجل لى أم لا؟ فقال أبو سفيان: ما أصبت من
شئ فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال، فضحك رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعرفها فقال: وإنك لهند بنت عتبة^٦، قالت: نعم، فاعف
عنى ما سلف عفا الله عنك، فقال: "ولا يزينن" فقالت: أوتزنى
الحرّة، فقال "ولا يقتلن أولادهن" فقالت: ريبناهم [صفارا-^٧] ١٥
و قتلنهم كبارا وأتم وهم أعلم، وكان ابنها^٨ حظلة بن أبي سفيان

(١) فى ظ و م: ما فرغ (٢) من م، وفى الأصل و ظ: عقبه (٣) من ظ
وم، وفى الأصل: قال (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، وفى
الأصل: يوم (٦) من ظ و م، وفى الأصل: به (٧) من ظ و م، وفى
الأصل: ابنته.

قتل يوم بدر فضحك [عمر رضی الله عنه حتى استلقى وتبسم - ١]
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر البهتان وهو أن تقذف ولدا
 على زرجها ليس منه، قالت هند: والله إن البهتان لقيح وما تدعونا
 إلا إلى الرشد ومكارم الأخلاق، فقال "ولا يبعينك في معروف" ٢
 ٥ فقالت: ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء،
 وما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة لا تحل له، وكانت
 أسماء بنت يزيد بن السكن في المبايعات فقالت: يا رسول الله أبسط
 يدك نبايعك، فقال: إني لا أصافح النساء لكن أخذ عليهن، وعن الشعبي
 أنه صلى الله عليه وسلم دعا بقدر من ماء فغمس يده [فيه - ٣] ثم غمس
 ١٠ أيديهن فيه، وعنه أنه صلى الله عليه وسلم لقنهن في المبايعات "فيا" استطعتن
 وأطقتن" فقالت: الله ورسوله أرحم بنا [من - ١] أنفسنا.

ولما ذكر ما أمر به [نتيه - ١] صلى الله عليه وسلم في المبايعات
 بعد أن عد الذين آمنوا أصلا في [امتحان - ١] المهاجرات فلم من ذلك
 أن تولى النساء مع أنه لا ضرر فيهن بقتال ونحوه لا يسوغ إلا بعد العلم
 ١٥ بإيمانهن، وكان الحتم بصفى الغفران* والرحمة بما جراه على محابة
 المؤمنين لبعض الكفار من أزواج أو غيرهم / لقراءة أو غيرها لعلقة يديها
 الزوج أو غير ذلك من الأمور، كرر سبحانه الأمر بالبراءة من كل
 عدو، ردا لآخر السورة على أولها تأكيداً للاعراض عنهم وتنفيرا

/ ٢١٥

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) - فقط ما بين الرقبتين من ظ (٣) زيد من ظ -

(٤) من ظ و م، وفي الأصل: ما (٥) من ظ و م، وفي الأصل: الغفر -

من توليهم كما أفهمته آية المباينة وآية الامتحان ، فقال ملذذا لهم بالإقبال بالخطاب كما فعل أولها بلذيد العتاب : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ .
ولما كان الميل عن الطريق الآقوم على خلاف ما تأمر به الفطرة الأولى فلا يكون إلا عن^١ معالجتها ، [عر-^٢] بالفعل كما عبر به أول السورة بالافتعال فقال : ﴿ لَا تَتَوَلَّوْا ﴾ أى تالجوا أنفسكم^٣ أن تتولوا^٥ ﴿ قوما ﴾ أى ناسا لهم قوة على ما يحاولونه فغيرهم من باب الأولى ﴿ غضب الله ﴾ أى أوقع الملك الأعلى الغضب ﴿ عليهم ﴾ لإقبالهم على ما أحاط بهم من الخطايا فهو عام فى كل من انصف بذلك يتناول اليهود تناولا أوليا . .

ولما كان السامع لهذا يتوقع بيان سبب الغضب ، قال معللا ومبينا أنه ١٠
لا خير فيهم يرجى : إن ظهر خلاف ذلك : ﴿ قد يئسوا ﴾ أى تحققوا عدم الرجاء ﴿ من الآخرة ﴾ أى من أن ينالهم منها^٦ خير ما لإحاطة معاصيهم بهم أو لعدم اعتقادهم لقيامها^٧ ولا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون ، فيوشك من والاهم يكتب^٨ منهم^٩ فيحل به الغضب ﴿ كما يئس ﴾ من نيل الخير [منها-^{١٠}] ﴿ الكفار ﴾ ولما كان^{١١} من مات فصار أهلا ١٥
للدفن كشف [له-^{١٢}] عن أحوال القيامة فعرف أنه ناج أو هالك ، وكان الموتى أعم من الكفار ، وموتى الكفار أعم ممن يدفن منهم [فقال] :

(١) من ظ وم ، وفى الأصل : من (٢) زيد من ظ وم (٣) زيد فى الأصل : قبل ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفها (٤) من ظ وم ، وفى الأصل : او (٥) من ظ وم ، وفى الأصل : بها (٦) من ظ وم ، وفى الأصل : امامها .
(٧) فى ظ وم : يكتب (٨) من ظ وم ، وفى الأصل : لهم (٩) من ظ وم ، وفى الأصل : كانت .

﴿من أصحاب القبور﴾ فان الكفار منهم قد علموا بأسهم من حصول
 الخير منها علما قطعيا، ويجوز أن يكون "من" ابتدائية فيكون المعنى: كما
 يش عباد الأوثان من لقاء من مات، فدفن باعتقاد أنه لا اجتماع بينهم
 أصلا لأنه لا يمكن بعثه لا إلى الدنيا ولا إلى الآخرة^١ لأنه لا آخرة^٢ عندهم
 أصلا^٣ لاسيما إن كان مدفونا في قبر. وعلى هذا^٤ يكون الظاهر
 ٥ وضع [موضع -^٥] المضمرة للدلالة على [ان -^٦] الذي أي أسهم تغطية
 الدلائل مع وضوحها لو أنصفوا، فلا تتولوا من هذه صفته فيكون بينكم
 وبينه^٧ ما بين القريب [مع قريه -^٨] من تولى كل منهم من الآخر
 ما يتولاه القريب الصديق لقريه فان توليهم^٩ ضرر لا نفع فيه فان من
 ١٠ غضب عليه الملك الشهيد لكل حركاته و سكناته لا يفلح هو ولا من
 تولاه، وأقل ما في ولايته من الضرر أنها تنقطع المعاونة فيها،
 والمشاركة بالموت وإن كان بعد الموت مشاركة في العذاب الدائم
 "المستمر الذي لا ينقطع عنهم" والخزى اللازم، وقد علم أن هذا الآخر
 هو أولها، وهذا الموصل مفصلها، فسبحان من أنزله كتابا معجزا
 ١٥ [حكيم -^{١٠}]، و قرآنا موجزا جامعا عظيما.

- (١) من ظ و م، وفي الأصل: نهم (٢) في م: دنيا (٣) في م: الآخرة.
 (٤) سقط من م (٥) زيد في الأصل: ان، ولم تكن الزيادة في ظ و م
 لحذفها (٦) زيد في الأصل: وضع، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها.
 (٧) زيد من ظ و م (٨) زيد من ظ (٩) زيدت الواو في الأصل وظ،
 ولم تكن الزيادة في م لحذفها (١٠) من ظ و م، وفي الأصل: توليه.
 (١١-١١) سقط ما بين الرقيين من ظ و م.

* * *

خاتمة الطبع

لقد تم - والمحمد لله - طبع الجزء التاسع عشر من تفسير "نظم الدرر في تناسب الآيات و السور" للشيخ العلامة برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله تعالى يوم الجمعة ١٠ / رمضان المبارك سنة ١٤٠٢ هـ = ٢ / يوليو سنة ١٩٨٢ م ، تحت إشراف مدير الدائرة وسكرتيرها صاحب الفضيلة السيد شرف الدين أحمد ، قاضي المحكمة العليا سابقا - بآرك الله جهوده ، وضاعف له أجوره .

و تولى مهمة تصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة أخى الفاضل محمد عمران الاعظمى الانصارى العمري (أفضل العلماء - جامعة مدراس) وقام بقراءة ملازمة مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضي محمد عطاء الله النقشبندى القادري (كامل الجامعة النظامية) - حفظهما الله .
و اهتم بتتقيقه و لإنهائه خادم العلم و العلماء مقدم هذه الخاتمة - كان الله له و لوالديه .

و يليه الجزء العشرون بأذن الله و مشيئته مستهلا بسورة الصف .
و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبّه و يرضاه ، و هو المسؤول لحسن الخاتمة ، و نصلي و نسلم على من علم فوائج الخير و خواتمه سيدنا و مولانا محمد وآله و صحبه أجمعين ، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المستمسك بحبل الله المتين

المفتي محمد عظيم الدين

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية